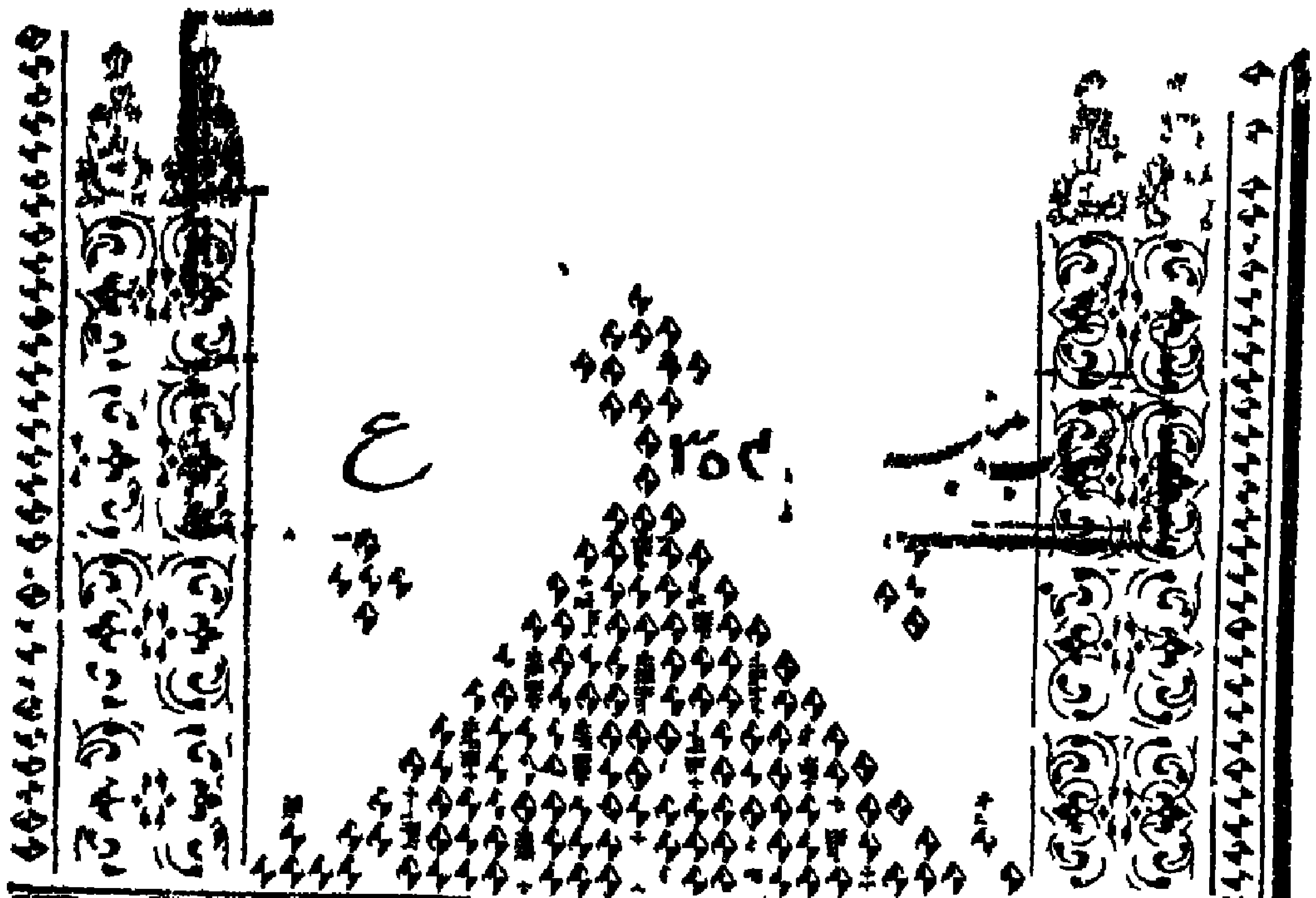
هذا كتاب ريحانة الالبا وزهرة الحياة
الدنيا للاديب الكامل والاديب
الفاضل شهاب الدين محمود
الخفاجى نفعنا الله



بسم الله الرحمن الرحيم

حمدا لمن سرّح عيون البصائر فى رياض الهمم * رياض زهت فيها رياحين العقول
وتفتحت بنسيم اللطف أنوار الحكم * فاجتنت منها أيدى المنى فواكه الارواح
واقتطفت شقيق الشقيق من بين أقاحى الصباح * والندى طرّز برد النسيم ببلاله
فما رأى مجامر الزهر تحت أذياله من قبل أن ترشف شمس الضحى *
ريق الغوادى من ثغور الاقاح * وأشكره شكرا يطوّق جيد البلاغة نظيم عقوده
وينسج بنان البيان على منواله البراعة رقيق بروده * على نعم لا تفنى من معادن
الوجود جواهرها * ولا تذوى من خمائل الفصاحة أزاهرها * وتهدى صلات
الصلاة لناظم عقد الدين بعد نثره * المؤيد بآيات لا يزال يتلوها لسان الدهر
ولو طار نسر السماء من وكره * وكلت دونها السنة أسنة الطاعنين * وحميت حديقتها
بشوكة الاعجاز فلم تلمسها يد أفكار المعارضين * فصار السابقون فى حومة البلاغه
الماهرون فى صناعة الصياغه * ما بين ساكت ألما * وناطق خلفا * ومشهر

ذيله * ومدرع ليله * تسربل سابغة دجى قتيرها نجوم ليل دنا * اشتفت نفس الاسلام من دائهم * وزال كلب الكفر عما أريق من دمائهم * في خاويه * ونفوسهم على أثر تلك البيوت قافيه * وعلى آله الذين تفتحت لهم كمائم المعاقل عن زهر النصر * وتحلى بعقود عهودهم جيد كل عصر

لجئوا لهم ثمر الوقائع يانعا * بالغر من ورق الحديد الاخضر

لازالت سحب الرحمة المطنبة بالقطر مخيمة على مراقدهم * ولا برحت تحايا الرضوان مهيفة بلسان الرعد على معاهدهم * ماسقى غدير المجرة روضة السماء * وزها نرجس النجم تحت بنفسج الظلماء * هذا وانى كنت قبل أن تشيب منى الخطوب الذوائب * وتصبح كبدى وأحشائى لظى النوائب ذوائب * والزمان ربيع وروض الشباب مريع * أعد الادب عنوان صحائف الشمائل * وبيت القصيد فى ديوان المآثر والفضائل * انفق نقد عمرى فى اقتنائه واقتناص شوارده وأملأ أصداف المسامع مما يستخرج غواص الافكار من فرائده * وأشيم بارقة السحر من نفثاته * وأشم عبير السرور من أردان نسماته * وأرتشف من طرجى مانم على مر الزجاجه * وأشتف منه ما أسأرته الجدود من ذؤابة خفاجه صبابة مجد لم يكدرها فى جام المشارب * ورد الخطوب وازدحام الشوائب

فانى من العرب الاكرمين * وفى أول الدهر ضاع الكرم

ومازلت على هذا الحال * مذفارقنى الحال * لادأب لى الا تلقى وفوده لاستهداء تحف الاخبار التى هى ألطف من دمع الطل فى وجنات الازهار

ومن يسأل الركبان من كان نائيا * فلابد أن يلقى بشيرا وناعيا

من أحاديث يشتفى بها الغليل * ويصح مزاج النسيم العليل * تتفتح منها فى رياض المسامره * من أجفان الكمائم عيون أنوارها الزاهره * ويحسو فم السمع منها ماء حياة يطيل عمر المسرة * وتكتحل منها المآثر عماه ولعيونها قرة * من كل من هو لتشييد المجد أكرم بانى * حتى تكفل الثناء له بعمر ثانى * يشب فى وجه السماء حاجب القمر هلالا * ويشتعل منه رأس الشمس شيبا ولم تر له مثالا

اذا ماروى الانسان أخبار من مضى * فتحسبه قد عاش من أول الدهر
وتحسبه قد عاش آخر دهره * الى الحشر ان أبقى الجميل من الذكر

فقهم عاش كل الدهر من عاش عالما * كريما حليما فاغتنم أطول العمر
فت المريض للطبيب * وفرحة الاديب بلقى الاديب * لاسيما أهل العصر *
الماصرى أغصان المنى ألطف هصر * القائلين فى غياضها * الواردين عين حياضها *
فقد سرت كلماتهم مسرى الارواح فى الاجساد * وأثنى عليها ثناء نسيم الرياض
على العهاد * وقد انتصر لكل عصر من أحياميته * وعمر من دارس عهود ميته *
كصاحب اليتيمة وقلائد العقيان * والدمية والذخيرة وعقود الجمان * وحلية المرء
لعصره * وقياما على منابر نصره * من آيات الفتوه * التى هى على لسان الحمية
متلوه * فليس منا من لم يغتد بدر المجد فى مهاده * ولم يفتخر فى المحافل باستاذه
واسناده * الا أن الادب فى هذه الاعصار قد هبت على رياضه ريح ذات اعصار *
حتى أخلقت عرى المحامد * واسترخى فى جريه عنان القصائد * وتقلصت أذيال
الظلال * وخطب البلاء على منابر الاطلال * وعفا رسم الكرام * فعليه منى السلام

وعما أعان على الزمان * عفاف يدى وعلو الهمم

والرؤساء شعراء لا ينظمون ولا ينثرون * وليس فيهم من صفات الشعراء الا أنهم
يقولون ما لا يفعلون * واذا كذب مادح أحدهم اهتز وطرب وجازى من سراب وعده
بكذب على كذب * وبالوعد الفطير لا يخمر الخمير * وبأحسنت لا يباع الشعير *
وبرعد الوعد * لا يسقى غرس الحمد

فلا تلوموه فى وعد يردده * فى وقت مدحى له علمته الكذبا

ومع هذا فكم هبت لهم أنفاس معطرة بالنجاح * مزرية فى وقتها بانفاس الصبا فى
الصباح * يهزها السماح هيف معاطفه * وينشر تحت أقدامها الزمان بساط عواطفه
تتمسك كف الشمال باذيالها * وتتفيأ العشاق فى هجير الاشواق صافى ظلالها
وترد صافى زلالها * من كل حديث تليد وطارف * له وشى على كاهل المجد ولا كوشى
المطارف * تزهو به الطروس على صفحات الخدود والمحسنات بالسوالف * فى كل
ورقة منها خمائل * تسوغ مياه فصاحتها فى لهوات الجداول

تكاد يدى تندى اذا ما لمستها * وينبت فى أطرافها الورق الخضر

من كل من ألحق المتأخر بالمتقدم فى تطبيق مفاصل معانيه * واخراج محبات عطره
من جونة مبانيه * وان تأخر عصره فلا باس * فى تأخر النتيجة عن القياس * والخدم

تتقدم بين يدى الساده * والسنن أمر بتقديمها على الفروض فى العباده * وتقدم الآحاد * برقى مرتبة الاعداد

أوما ترى أن النبى محمدا * فاق البرية وهو آخر مرسل

فما أدلاء الهدى انى آنست من جانب الطور نارا لعلى آتيكم منها بخبر او جذوة من النار لعلكم تصطلون * فان لم يترك الاول شيأ للآخر * فكم من الكثير الغائب القليل الحاضر * ويامن هم فى محيا الايام حسنة * لقد كان لكم فى رسول الله اسوة حسنة فلا يزرى بالمورد تأخره عن غراس أغصانه * ولا يكل مضاء السنان كونه فى أطراف مرانه * على أنه قد تتساوى الاصائل والبكر * وتتشابه طرر العشيات والسحر * وليس الا الحسد رغبة الطبائع * عن محاسن لاهل العصر هى مل ء الافواه والمسامع

وماشكرهم لليت الالانه * بما حل فى أيديهم غير طامع

ولله در ابن رشيق فى قوله

أولع الناس بامتداح القديم * وبذم الجديد غير الذميم

ليس الا لانهم حسدوا الحى * فرقوا على العظام الرميم

والحى ان حل تيهاء باديه * فستغدو محاسنه على رغم الحموا باديه * ولنا فى ذمة الدهر ديون بأوقاتها مرهونه * فاذا جاء ابان افك الزمان رهونه * على انى أستغفر الله من دهر كانت فيه مرهقات الطباع * ونفضت الآمال فيه يدها من غبار الاطماع * وافيناء على الهرم * وقد قلع ضرس الندم * بعدما أكل باكورة الكرماء * وشابت بالصباح لياليه الدهماء * ودب خرفا على عصا الجوزاء * وكنت لما ذبل بالنوى عيشى النضر * وليت سياحة الآفاق فصرت خليفة الخضر * تهادتنى التنائف * وقذفتنى الامانى فى هوات المخاوف * كأنى قذاة بأجفان الدهر * أوسفات بوجه نهر أو كرة لاعب * أو سهم محارب * طورا أشق قلب الشرق كأنى أفتش على الفجر * وتارة أمزق كيس الغرب حتى كأنى أريد أن أخرج منه دينار البدر * أفلى لمة ليل دجا * شاب فوقها فرق ابن جلا * يخيل لى أن البلاد مسامع أنا فيها مر الملام * أو فكر بليد أتاحوا له معنى دق أن تتصوره الاوهام * غريب فى عيون الظنون * كأنى بيت حسان الثابت فى ديوان مجنون * أو مصحف فى بيت زنديق * أو عابد فى صومعة بطريق * أو بكر معنى سار فى مثل * أو غض عمر جرى خلفه راشد أجل * أو خبر لم

يصح له سند * فلم يقبله من الثقات أحد

كأن له دينا على كل مشرق * من الارض أو ثارا على كل مغرب

أرد موارد الحوب * مكدرة بغصص الخطوب * فلم أر بة ببدو ولا حضاره * كأني من الشهب السياره * وقد قيل تنزل الالعاب من السما * فلكل من اسمه نصيب انحط أو سما

وطني حيث حطت العيس رحلي * وذراعي الوساد وهي مهادي

فكل جؤلي بين ابراق وارعاد * وأمات في مهامه الحيرة بين اتهام وانجاد * والزمان يضمر سلب ما أولا بخلا ان جاد * وألسنة أبنائه عن الاجابة صمت * وآذانهم عن صريخ الاستغاثة صمت * فقد خلا من المكارم مغناها * وأصبح لا يجاوب اليوم الا صداها * لكنني مع أهواله * ودروس رسوم السرور في أطلاله * وان توسدت ذراع الهم في دياجيها * وقطعت ظلمة الشدائد في سنا بدر أمانيها * أتعلل بأن السيف لا يطمع في قرابه * والليث لا يصل لغرض الفرائس في غابه * ولولا مفارقة القوس ما أصاب سهم ولولا بعد الدر عن الصدق لم يظفر من الغيد بأوفى سهم * فلذلك أضاحك مباسم الامانى * وأغازل عيون الآمال والتهانى * وأنزه طرفي في رياض الدفاتر * ولم أقل مع السرور الا في ظل طائر * فزمان مسراتي أقصر من عمر الكرام * وفؤادي لم يهتد الى طرق سلوة المدام * في أوقات أثقل من السؤال * وأطول من عمر الآمال * أشأم من وجه خنا * وأثقل من غريم ملح على افلاس * ولم يكف الدهر ما ورثنيه من الحرمان حتى ابتلاني بعد الاثبات بالنفي كأني نكبت أم الزمان * وأنا أستغفر الله جل وعلا ولا أرتضي بمعرة أبي العلا في قوله

اذا ما ذكرنا آدما وفعاله * وتزويجه بنتيه لابنيه في الخنا

علمنا بأن الناس من نسل فاجر * وان جميع الخلق من عنصر الزنى

فانه كفر من وسوسة الشيطان * وغلو منه في خلعه ربقة الايمان * بل أقول ما قال ابن عنين

انفوا المؤذن من بلادكم * ان كان ينفي كل من صدقا

وللحسين بن أبي عقامة في الرد عليه (أى على أبي العلاء)

لعمري أما فيك فالقول صادق * وتكذب في الباقين من شط أودنا

كذلك اقرار الفتى لازم له * وفي غيره لغو كذا جاء شرعنا

فلا سمير لى أجالسه * ولا نديم لى أؤانسه * سوى أوراق كنت خلعت عن منكب الاقبال بردها الخليع * وجعلتها كبيت العروض ادخارها للتقطيع * فوجدت فيها نبذة من المحاسن أسرها الدهر فى خاطره * شاهدة لقول معدن الحكم أمتى كالمطر لا يدرى الخير فى أوله أم فى آخره * ممن جر عليه الزمن أذيال الفنا * وأسكنه تحت أطباق الثرى * فحل مخيم البلى كأنه سر فى صدره * ومن باق على هامة الليالى تعبق أنفاس الرواة بذكره * ممن ركبت لرؤياه مطايا أمانى عمرى * أو نابت عنى فى مشاهدته أهل عصرى * فاجتليت محياه أو رأيت من رآه * حتى طربت على الاسماع * وعلمت أن الذكرى طيف الاجتماع * واذا كان الحب ممنوع * فالنصب قنوع * يتعلل ببارق قسنيه * وتكفيه لمحة اشارة أو تحيه

فان تمنعوا ليلى وطيب حديثها * فلن تمنعوا منى البكا والقوافيا
فهلا منعتم اذ منعتم حديثها * خيالا يوافينى على النأى هاديا

فجمعت منها ما هو لطرف الدهر حور * ولجيد الادب عقد يتبسم منظومه هزؤا بعقد الدرر * ولكاس الادب ختام * ولعقد حبابه نظام * تذكر العهود والمود * وتطلع فى وجنة الوفاء ورده * وتندب من ألقى للبلا قياده * وتلبس عليه وجه الطرس حداده * وتسيل فى عاتق المحاسن غواليا * وترق فلا يدرى ألفظ رق أم دمع ترقرق جاريا * وتسجد الاقلام فى محراب طربها الذى هو للمحاسن جامع * ويود كل عضو اذا تليت أحاديثها لو أنه مسامع * وهى وان كانت عقدا ينتثر دره * وأفقا تبدد بيد الصباح زهره * ونورا نثرته كف الشمال فانتظم على ترائب الماء السلسال * لم عادتر العقد المفصل * ليعود أحسن فى النظام وأجمل * فهذه ذخائر من خبايا الزوايا * فيما فى الرجال من البقايا * تنفس الدهر بها عن نفحة عنبريه * ووهبت بها أنفاسه النديه نديه تنفس الروض فى الاسحار * عن أفواه النور والازهار

يسرى على ريحانها نفس الصبا * سحرا فيوهم أنه ذكراها

فلذا سميتها (بريحانة الالبا وزهرة الحياة الدنيا) فانى شممت بهار واشح الشباب * ونظرت فى مرآتها وجوه الاحباب * وتذكرت غابر الايام * اذ العيش غض والزمان غلام * من أعلام شم الانوف ان دعى بهم بو الصغار تشمخ * فى غرر أيام نقام بها مواسم الدهر وتؤرخ * وجعلت مسك الختام * ذكر سادة من العلماء الاعلام * فانه

بصبا أنفاسهم ينقشع غمام الغمه * وبذكرهم فى نادينا تنزل الرحمه * فان عذبت مواردها * فلتقرن بالدعاء قرائدها * فان عثر منها على كبوه * فليبذل لها اللبيب عفوه

على انخراض بأن أحمل الهوى * وأخلص منه لا على ولا ليا

وها أنا ذا أمتع الاسماع * بربيع أحوى الظلال أملى التلاع * فاذا رأيت كلاما لاهل العصر لم تترنح أعطافه لهذا النسيم * فتمتع من شميم عرار نجد فما بعده من شميم * فليس من ليلى ولا سمره * ولا مما يهدى النادم من الادب باكورة ثمره * فكم من أشعار للبخيل فيها أعذار

تالله ما بخل الكرام وانما * لبرودة الاشعار قد جمد الندا

فما كل مرتفع نجد * ولا كل واد ينبت الشيح والرند * وما كل سوداء تمره * ولا كل صهباء خمره * ولا كل بيضاء شحمه * ولا كل حمراء لحمه * ولا كل نبت يعلو بنماته * ولا كل برق يجود بسماته * اللهم بحرمة سيد الانام * كما يسرت الابتداء يسر الختام * صارفا عنا سوء القضاء * ناظرا الينا بعين الرضاء

(القسم الاول)

فى محاسن أهل الشام ونواحيها * ومن برز من سرة رباها وبطن واديها * وتغذى بنسيمها وتربى فى حجر رياض نعيمها * وقال فى ظلال أغصانها المتعانقة هوى ووداد * وتعطر بأنفاس شمائلها التى صارت للندّ ندا * وطعم من مائها العذب * وروى بذوب لؤلؤها الرطب * وهو ماء الحياة فى سائر الصفات * الا أنه فى نور لتقديس وهو فى الظلمات

(أحمد العناياتى) صديق الصدق وخدن الصلاح * شقيق الندى وترب السماح روض سجيته غض ناضر * لو رآه المتنبى لقال ماهذا الاساحر * خلب الاسماع بنفثاته ونسج على منوال الرقة حلل عناياته * ذو حسب تليد * وباع فى المجد طويل مديد * لم يسطر مثل محاسنه فى كتاب الزمان * ولم تملأ بأنفس من جواهره حقاق الآذان * فيالها جواهر اذا شاهدها مفتقر الى البيان * أغناه ياقوتها وجوهرها عن خرائد جمعت له بين الحسن والاحسان * مخبرها يطيب * ومنظرها كبدر على قضيب * تغرد على قضب براعته براعة حمائمها * وتفوح أنوار بلاغته اذا اقتضت الطروس عنها صحف كمائمها * طلعت شمس الادب من أفق أشعاره * وتفجرت ينابيعها من خلال آثاره * وهو الآن

في جهة الشام غره * وفي حدائقها النضرة زهره * وفي سماء كمالها الزاهية زهره * وقد حلى بحلل الزهد كماله * ورأى برأيه الصائب اهماله أسمى له * لم يحتفل بأمر غد * قانعا بظل الخمول نكدا أم رغد * قائلا في خمائله الرحاب * عف السريرة طاهر الاثواب لم يشرق بسؤال * ولم يغص بندامة الآمال * ولم يألف سكنا * ويتوطن مسكنا * كما قيل

ومن عجيب أن أكون شاعرا * وليس لي في الناس بيت يعرف

كما وصف زيه في قصيدته الزائية بقوله

اذا لم أعز فمن ذا يعز * وفقري وتقنعي كنز وحرز
لبست من اليأس في الناس ثوبا * عليه من العقل والفضل طرز
ولست أرى الذل الا اذا كا * ن في الحب والذل في الحب عز
ومثلي حر غناه عباء * اذا استعبد الناس خز وبز

((ومن غرره قوله))

قلبي على قدك الممشوق بالهيف * طير على الغصن أم همز على الالف
وهل سويداؤه خال بخدك أم * خويدم أسود في الروضة الانف
وهذه غرة في طرة طلعت * أم بدر تم بدا في ظلمة السدف
تخفي النجوم بنور البدر وهو بنو * ر الشمس تهي بنور منك غير خفي
يا بدر قلبي وطرفي فيك منتصف * بالوصل منك وهذا غير منتصف
القلب واصلت فيه وصل ممتزج * والطرف صدت عنه صد منحرف
ظبي تألفت منه غير ملتفت * غصن تعطفت منه غير منعطف
شفاء غليلي برد ريقته * والبرء من دنفي في لحظه الدنف
ويلاه من ورد خد غير مقتطف * منه ومن خمر ريق غير مرتشف
عذلت عاشق عذلي في محبته * فاعجب لذي شغف يلحى على الشغف
يظن أن سواه منه لي خلف * أساء في الظن هل للروح من خلف
عذري عشق عذري فيه متضح * كوجهه وهو مثل الشمس في الشرف
فنيت سقما بخصر منه مختصر * فيه وطرفي ونومي غير مختلف
يطير قلبي الى ألحاظه شغفا * فاعجب له كيف يرمي السهم بالهدف

يا أيها الرشا الضارى على مهج الآ ساد بالسيف من جفنيه لم يخف

عما بحسنك من تيه ومن صلف * وما بعشقى من ذل ومن كلف

الله فى كبد للوجد فى كبد * الى أشرف فيها الشوق فى السرف

ومغرم ماله من مسعف لعبت * به اللواعج لعب الريح بالسعف

أشفى محاق الضنا لما هجرت به * على التلاف ولو واصلته لشفى

يا باخلا بلقاه باذلا لدمى * فالوعد يخلف منه والوعيد يفى

حزت الجمال ألا تولى الجميل فقد * يصادف الحسن بالاحسان فى الصدف

(تتمة) اعترض على هذا المطلع بأنه لا وجه لتشبيه القلب بالهمز وأجيب بأن له وجها هو أنه وقع تشبيهه بالطائر لخفقانه وهم قد شبهوا الطير على الغصن بالهمز والغصن بالالف وما شاع هذا شبه به القلب وقد الحبيب وهذا فى باب التشبيه كالمجاز على المجاز والكناية على الكناية كما قيل فى وصف قصيدة همزية

وا قوافى اليك حنت حنينى * فتأمل فهمزها ورقاه

وقوله والبرء من دنفى الخ معنى مشهور كقول ابن مطروح

أشتكى سقمى الى أجفانه * ومتى يشفى سقامى بسقم

وقوله ورنا الى بطرفه فكأنما * أهدى السقام لمدنف من مدنف

وقول ظافر الحداد

مريض لحاظ الطرف لولا جفونه * لما كنت أدرى السقم كيف يكون

وأصله قول المتنبى

أعارنى سقم عينيه وحملنى * من الهوى ثقل ما تحوى مآزره

وقوله فاعجب له كيف يرمى السهم بالهدف نوع من البديع يسمى العكس بديع فى بابه وهو كقول الذهبى

يطير فؤادى لألحاظه * غراما وشوقا وفيها التلف

فيا من رأى قبلها أسهما * يطير اشتياقا اليها الهدف

ونحوه قول ابن نباتة المصرى

صيرت نومى مثل عطفك نافرا * وتركت عزمى مثل جفنك فاترا

وسكنت قلبا طار فيك مسرة * أرأيت وكرا قط أصبح طائرا

ومما أنشدته له قوله أيضا من قصيدة

يا أيها الملأ الملاح افتوني * من ذا أباح لكم دم المفتون
من كل أسمر سن قتل محبه * بسنان أحور طرفه المسنون
قوله في القلب أشرف منزل * انه المكان مشرف بمكين
روض نضير لم يرده ناظر * الا ورد عيونه بعيون
العيون جمع عين بمعنى الباصرة وبمعنى الجاسوس
يحمي بنرجسه أقاحي ثغره * ويصون ورد الخد بالنسرين
وحياته وهي اليمين وانها * وحياته عندي أبر يمين
ماخنته اني وشخص جماله * حيث اتجهت على مثل أمين
قرن الوداد له فؤادي بالاسى * أكذا يجازي ود كل قرين
فاترك حديث شجون من قتل الهوى * قبلي وخذ مني حديث شجوني
قسما لو أن العامري معمر * ماجن الا حبا بجنوني
والعقل مني ضاع في ثغر له * فيه الثنايا بين ميم سين
ياذا الملاحة والذي بجبينه * في كل ليل ملامة يهديني
لا يطرقن اللوم باب مسامعي * وعليه من صدغيك كالزرفين
يالائمي لك في الملامة دينك الـ * ـواهي كمالي في الصبابة ديني
لم يخطر السلوان عنه بخاطري * الا ورد من الجوى بمكين
كم خضت بحر الموت دون وصاله الـ * ـغالي ولم أك قانعا بالدون
وشفيت حر الوجد من برد اللمى * علما بأن الماء لا يشفيني
متعجبا من خده بالماء ير * وي نا أسا وبناره وريني
وبخط عارضه أساور أزرقا * منه فأقرأ منه مايرقيني
ويظنني حاشاه أسلو حبه * والله من ظن العذول يقيني
وهي عراض قصيدة الرئيس أبي منصور علي بن الفضل الكاتب المعروف بصردر
أكذا يجازي ود كل قرين * أم هذه شيم الظباء العين
قصوا على حديث من قتل الهوى * ان التأسي روح كل حزين
ولئن كتمتم مشفقين فعددري * بمصارع العذري والمجنون

فوق الركاب ولا أطيل نشبها * بل ثم شهوة أنفس وعيون
هزت قدودهم وقالت للصبا * هزوا أعند البان ميل غصون
ووراء ذيالك المقبل مورد * خصباؤه من لؤلؤ مكنون
اما بيوت النحل بين شفاههم * منضودة أوحانة الزرجون
ترمي بعينيك الفجاج مقلبا * ذات الشمال بها وذات يمين
لو كنت زرقاء اليمامة مارأت * من بارق حيا على جيرون
شكواك من ليل التمام واغا * أرقي بليل ذوائب وقرون
ومعنف في الوجد قلت له اتئد * فالدمع دمعي والجفون جفوني
ما نافعي ان كان ليس بنافعي * جاه الصبا وشفاعة العشرين
لا نطرقن تجملا للومة لائم * ما أنت أول حازم مغبون
أأسومهم وهم الاجانب طاعة * وهواي بين جوانحي يعصيني
ديني على ظبيائهم لا ينقضي * فبأي حكم يعضون رهوني
وخشيت من قلبي الفرار اليهم * حتى لقد طالبته بضمين
كل النكال أطيق الاذلة * ان العزيز عذابه بالهون
ياعين مثل قذاك رؤية معشر * عار على دنياهم والدين
لم يشبهوا الانسان الا أنهم * متكونون من الحما المسنون
نجس العيون فان رأتهم مقلتي * طهرتها فنزحت ماء عيوني
انا ان هم حسبوا الذخائر دونهم * وهم اذا عدوا الفضائل دوني
لا يشمت الحساد أن مطامعي * عادت الي بصفقة المغبون
ما يستدير البدر الا بعدما * أبصرته كالعرف في العرجون
هذا الطريق للحب زاجر ناقتي * واليم قاذف فلكي المشحون
فاذا عميد الملك حل بربعه * ظفر ابفأل الطائر الميمون

قوله أأسومهم وهم الاجانب طاعة البيت هو من قول البحتري
ولست أعجب من عصيان قلبك لي * عمدا اذا كان قلبي فيك يعصيني

(وبعده)

ملك اذا ما العزم حث جياده * مرحت بأزهر شامخ العرنين

ومنه

ومنه قول الشريف الرضي

أروم انتصافي من رجال أباعد * ونفسي أعدى لي من الناس أجمعا
اذا لم تكن نفس الفتى من صديقه * فلا يدن من خلق الغير مطمعا

وأصله من قول بكر بن حارثة

قلبي الى ما ضربي داعي * يكثر أسقامي وأوجاعي
كيف احتراسي من عدوي اذا * كان عدوي بين أضلاعي

وقوله يا عين مثل قذاك رؤية معشر الخ هو معنى بديع وقد سبق اليه قال الثعالبي اتفق لي في زمن الصبا معنى بديع لم أسبق اليه وهو

قلبي وجدا مشتعل * وبالهموم مشتغل
وقد كستني في الهوى * ملابس الصب الغزل
انسانة فتانة * بدر الدجى منها خجل
اذا زنت عيني بها * فبالدموع تغتسل

وقد سبقه ابن هند في قوله

يقولون لي ما بال عينيك مذ رأت * محاسن هذا الظبي أدمعها هطل
فقلت زنت عيني بطلعة وجهه * فكان لها من صوب أدمعها غسل

قال أبو علي الفارسي لست أعجب من توارده وانما أعجب من قوله لم أسبق اليه وقد قال أبو الطيب في الحمى

اذا ما فارقتني غسلتني * كأنا عاكفان على حرام

وقد سلم من شناعة ذكر الزنا وما في قبح لفظه من الخنا فمعنى ما قاله أصح لانه ذكر في هذا الشعر من نفسه وزائرته ذكرا وأنثى جرى بينهما ما يقتضي الغسل وان قيل ان قوله عاكفان على حرام من لغو الكلام وهما ذكر ان ليستا اثنين ولو قال زنى ناظري أو لحظي كان أحسن قلت هذا كله كلام ناء عن حسن الادب وهو سخف ولكن أي الرجال المهذب ومع ذلك فقد وقع هذا في كلام من تقدمهم ومعناه أفصح وديباجته ألطف وأوضح كقول يزيد بن معاوية

وكيف ترى ليلى بعين ترى بها * سواها وما طهرتها بالمدامع
أجلك يا ليلى عن العين انما * أراك بقلب خاضع لك خاشع

ثم مشى على أثرهم الناس وولدوا معانى لا تحصر كقول السراج الوراق

يا نازح الدار من نومى يعاودنى * فقد بكيت لفقد الظاعنين دما
أوجبت غسلا على عينى بأدمعها * فكيف وهى التى لم تبلغ الحلما

﴿محمد الصالحى الهلالى﴾

همام بعيد الهمه قريب منال مياه الحمه له درارى شيم هى غرر دهم الليالى وبنات أفكار لم ترتضع غير درّ المعالى فلا أقسم برب المشارق والمغارب انها شموس لم تزل طالعة من سماء المناقب وهى الآن شامة فى وجنات الشام وروضة تفتحت أنوارها بثغور ذات ابتسام ومن سنته الاعتزال عن الناس وتقديم الوحشة على الاستئناس منقطعا لاقتطاف ثمرات العلوم يعد لقرى الاسماع موائد المنثور والمنظوم فى زهد متحل بخلاله تدق صفات المدح عن معانى جلاله بعزم هو أبو العجب لو قدح زنده لهب له لهب وخط تسر به النفوس وتوشى بديباجه الطروس شعر

خط زهت أزهاره * كالروض ينبته السحاب

وشعره شقيق الرياض المطردة الحياض تستخرج الجواهر من بحوره وتحلى لبات الطروس بقلائد سطوره لم يصرفه لمدح كريم ولا تغزل بأيع كريم ولعمرى انه قطع منه ميدانا لم يصل اليه الكميت ونقى ألفاظه وهذب معانيه فلم يقل فيه لو ولا ليت وبالجملة فهو فى عصره أمام الادب المقتدى به والبليغ الذى لا تثمر أغصان الاقلام الا فى رياض آدابه ولما قدم القاهرة أفاض على لباس مودة لم تبل عهودها ألا حبذا اخلاقها وجديدها وورق الدنيا اخضر وعود الشباب غض نضر والادب لم يعف مناره ولم تخب آثاره وأنواره لا كاليوم اذ حام قوم حول حماه فوقعوا فى ظلمات ليس فيها عين الحياه وهو اذ ذاك أستاذ وملاذ تذوق أفهامنا من موائد فوائده أنواع الملاذ فأتحفنى بطرف أشعاره ونزه أحداق فكرى فى حدائق آثاره فأسكر سمعى بسلافة أدارتها كؤوس بيانه وتقلدت بمذهب البحترى فى اجتناء الورد من أغصانه

واسمعه ممن قاله تزدد به * عجبا فحسن الورد فى أغصانه

طالعت له فصلا فى ديوانه الذى سماه صدح الحمام فى مدح خير الانام ذكر فيه نبذا من صفاته ومعاهد أنسه ولذاته ومسارح آرام تربه ولداته هوانى لما نشأت

بمكة المشرفه والاماكن التي هي بالجوزاء ممنطقه وبالثريا مشنفه وكسانى الزمان قشيب بروده وطفقت أرفل ما بين عقيق الحمى وزروده وغصن الصبا بأيام السعادة مورق وبدر الشباب فى سماء الكمال مشرق لا- أبلى الا توسم وفود العلوم فى سوق عكاظها ولا شغل لى الا استكشاف وجوه المعانى المخبأة تحت براقع ألفاظها ثم لما بطلت حركة الدور وتنقل الزمان من طور الى طور أعملنا حروف النجائب تنصب بنا البيداء فى سراها * ولطمنا خد الارض بأخفافها الى أن براها السرى فى براها * فكم جاوزنا جبال الاشوامخ زاحمت بمناكبها أكتاف السحائب * وذرعنا بأذرع الناجبات شقة فقر لم تطوالا بايدى الركائب * فكم من راسلته وراسلني برائق شعره وسجعه وأدار وأدرت كؤوس قوافى شعرى على أفواه سمعه وزففت عليه عرائس أفكارى استجلابا لوداده ونلوت عليه غرائب أسمارى استمدادا لوارى زناده

وهن عذارى مهرها الود لا الندى * وما كل من يعزى الى الشعر يجدى

انتهى فهذه نبذة من نثار نثره وسأقرط سمعك بجواهر شعره وكنت كتبت له قصيدة تائية ملغزا من شعر الصبا الذى يحسد مهلهل برده فى رقته نسيم الصبا لا كما قال الباخرزى هو الثمر باللبا فهو باكورة ثمرات الآداب بل الروض الأريض الذى سقى بماء الشباب فأجاب وأجاد وصفى من قذى الكدر موارد الوداد وها هى كواكبها المشرقة فى دياجى نفسه وثمراتها الزاهية فى رياض طرسه

طالت وقد قصرت عنها العبارات * وحازت الحسن هاتيك البراعات
غراء فائقة بالالطف رائقة * تحلو الحلاعات فيها والصبابات
أخت الغزالة اشراقا وملتفتا * لها لدى السمع لذات ونشآت
نسيبها أطرب الاسماع موقعه * ومدحها ماله فى الحسن غايات
كأن جوهر معانيها ورقتها * فى لفظها الخمر تجلوه الزجاجات
يحلو المكرر من ألفاظها ولكم * مل المكرر طعما والمعادات
أتت الى وبدر الفكر منخسف * وماله فى سما الأدراك هالات
وللهموم اطراد فى الفؤاد كما * ضمت عتاق المذاكى الجرد حلبات
أسامر النجم فى الليل الطويل ولا * أغفو وكم لعيون النجم غفوات
فقمت فى الحال اجلالا لها وسرت * عنى الهموم وزارتنى المسرات

وظلت منتصبا لما ارتفعت بها * وكان عندى ببذل النفس كسرات
قبلتها ألف ألف ثم زدت فلم * أحسب وكم لكثير العد غلطات
وكان أفق زمانى مظلما فبدا * فيه شهاب لنا منه اشارات
شهاب علم ولكن نوره أبدا * بالذات ماعرضت فيه الاضاآت
غذى بدر له ان الفضل مذزمن * فشب كالنار لاتعروه فترات
شيخ العلوم ومفتاح الفهوم وغلا * ب الخصوم اذا عنت ملاحاة
باهت به أرض مصر وازدهت فلذا * قد كاد أن تحسد الارض السموات
قد شاد بيت العلا فوق السهى وله * من فوق ذاك مقامات عليات
تستن أقلامه فى الطرس من مرح * كأنها عند نفث السم حيات
فيها النقيضان من نفع ومن ضرر * ذاك الامانى اذ ذاك المنيات
مهما اغتدت طوع باريها ملازمة * للخمس تغدو لها فى الطرس سجدات
أشعاره الغر مثل الدر قد نظمت * منها عقود ولكن لؤلؤيات
ما ان حسا كاس سمعى من سلافتها * الا اعترتنى لفرط السكر نشوات
لله أحبة منه أتت فسرت * منها الى السمع نفحات ذكيات
وأذكرتنى بان القدمن سكنى * وبان بالبان من شكواى ميلات
والورق رقت لما ألفاه ساجعة * كأنها فوق غصن البان قينات
وأنت يا أفضل العصر الذى اجتمعت * فيه العلوم وفى الدهماء أشتات
سامح اذا هفوة للذهن قد عرضت * فكم لمثلى بالتقصير هفوات
فسيف فكرى لا لاقيت فيه صدا * وكم له عندما أجلوه نبوات
والجسم فى غربة والقلب فى وطن * لم تدنه منه أيام وليلات
والبال فى قلق والنفس فى شجن * يعتادها لفراق الالف زفرات
فأى شخص بهذا الوصف متصف * تطيعه من قوافى الشعر أبيات
بقيت مفرد علم للهدى علما * يجلى به الجهل عنا والضلالات
ودمت طود حجى فى الجود بحر ندى * تأتى اليه المعالى والكمالات
مالاح نجم على الخضراء متقد * ومارعته الجياد الاعوجيات

قلت فى قوله رعته استخدام لعوده الى النجم بمعنى الكوكب على ملاحظة معنى النبت

قوله منها الى السمع الخ فى نسخة من عودها الرطب اه

وقد

وقد يتعدد ذلك كقول ابن الوردي

وربّ غزالة طلعت * بقلبي وهو مرعاها
وقالت لي وقد صرنا * الى عين قصدناها
بذلت العين فاكحلها * بطلعتها ومجراها

وقد يكون الاستخدام بالضمير من غير استتار أيضا كقوله تعالى وما يعمر من معمر ولا ينقص من عمره وقد يكون بالضمير المستتر في حال ونحوها كقوله

بذات العين جارية * مكحلة وطالعة

وقد يكون بالتمييز من غير ضمير كقوله في هذه القصيدة

* أخت الغزالة اشراقا وملتفتا *

وقد يكون باسم الاشارة كقولي

* رأى العقيق فأجرى ذاك ناظره *

وقد يكون بالاستثناء كقول البهاء زهير

* أبدا حديثي ليس بالمنسوخ الا في الدفاتر *

فذكر النسخ بمعنى الابطال واستثنى منه بمعنى الكتابة وهو استثناء غريب يحتاج الى نظر دقيق في ادخاله في أحد نوعيه وله من قصيدة

تجردت بيض الصفاح وألبست * علق النجيع كحلة حمراء
والسمر مذ سقت الدماء زجاجها * أضحت ثمارا أرؤس الاعداء

(وله من أخرى)

كأنما الخيل في الميدان أرجلها * صوالج ورؤس القوم كالأكر

ومن رسالة لابن عبد الظاهر أصبح الاعداء كأنما جزر أجسادهم جزائر يتخللها من الدماء السيل ورؤسهم أكر تلعب بها صوالجة الايدي وأرجل الخيل وله من أخرى

سقى طللا حيث الاجارع والسقط * وحيث الظباء العفر ما بينها تعطو
بزيد هطول الودق مرتجس له * بافنائه من كل ناحية سقط
ولو أن لي دمعا تروّى رحابه * لما كنت أرضى عارضا جوده نقط
ولكن دمعي صار أكثره دما * فأني يرجى أن يروّى به سقط

(ومنها)

كأن انسياب الرمح في الدرع سابغ * من الرقش في وسط الغدير له غط
(والبيت الثالث كقول مهيار)
بكيت على الوادي فحرمت ماءه * وكيف يحل الماء أكثره دم
(وقول الابيوردي)
سقى الله ليل الخيف دمعي والحيا * أريد الحيا فالدمع أكثره دم
(والاخير كقول المعري)
توهم كل سابغة غديرا * فرنق يشرب الحلق الدخالا
(وله من أخرى)
مالاح في أفق المحاسن اذسرى * الاحمدت بليل طرته السرى
عقد الازار على كثيب من نقا * فغدا اصطباري وهو محلول العرى
لاتذكر الغزلان عند كناسها * معه فان الصيد في جوف الفرا
(وله أيضا)
الى كم أمني القلب والقلب مولع * وأزجر طرف العين والطرف يدمع
وحتى متى أشكوا فراق أحبة * عفا بالنوى منهم مصيف ومربع
وأستعرض الركبان عنهم مسائلا * عسى خبر عنهم به الركب يرجع
تصبرت عنهم وانثنيت اليهم * ولم يبق في قوس التصبر منزع
أراعي نجوم الليل أرقب طيفهم * وكيف يزور الطيف من ليس يهجع
ومازلت أبكي لؤلؤا بعد بينهم * الى أن بدا مرجان دمعي يهمع
وما كان تبكي العين لولا فراقهم * عقيقا ولا يشفي الفؤاد طويلع
فلا حاجر بين الاحبة حاجر * ولا لعلع مذ فارق الحي لعلع
غرير شهر ساقي بدور أكلة * فليس لها الا من الخدر مطلع
وشابهن غزلان النقا في نفارها * ولكنها بين الترائب ترتع
لها من مهاة الرمل عين مريضة * وجيد كجيد الظبي أغيد أتلع
ومن قضب البان الرطاب معاطف * تكاد عليها الورق تشدو وتسجع
وتغدو سيوف الهند لما تشبهت * بألحاظها في الحرب تفري وتقطع
ذكرتهم والقلب بالهم طافح * لبينهم والهجر كالليل أسفع

وماتنفع الذكرى ان حبهم قلى * ووصلهم قطع وفيهم تمنع
ولا عجب فالبخل فى الغيد والدمى * طبيعة نفس ليس فيها تطبع
كالعلى كل جود وسودد * سجية ذات ليس فيها تصنع

(وله من أخرى)

وركب طلاح صاحبوا النجم فى السرى * ترامى بهم فى السير بيد وتعنف
يخوضون بحر الآل يطفو اعبابه * طفوذ باحى الليل والليل مسدف
كأن المطايا والأكلة فوقها * سفين بأيدى الارحبيات تجدف

وكان له نديم أحدب يسمى أبا الخير يعده عيبة أسراره وجهينة أخباره وهو يدير عليه شمول وداده ويجنى اليه من كل واد ثمرات فؤاده وينشده ترجمان لسانه عن تحجب جنانه

ولقد جبلت على محبة وده * ما الحب الا للامام الصالح

جميع اخوانه اليه يلجؤن ومن كل حدب الى حرتومته ينسلون خفت روحه فالقت بدنه خلفه ظهريا واتخذت ماسواه شيئا فريا كانه خاف الخطوب فهو متجمع حذر الوثوب

وما الدهر فى حال السكون بساكن * ولكنه مستجمع لوثوب

وله به عز أقعس فى ربوة المعالى يغرس وطبعه بالظرف ربيع أخصب وفى أمثالهم أظرف من أحدب فهو سنام اللطف وغاربه وبحر أحدب الامواج بدائع بداهه عجائبه ولم يزل يغتنم وداده حتى قبضت جواهر عمره يد الدهر النقاده

كل ابن انثى وان طالت سلامته * يوما على آلة حدباء محمول

قلت ولم أسمع فى وصف أحدب ألطف من قول ابن النجم فى ابن حصينة المصرى

يا أخى كيف غيرتنا الليالى * وأطالت ما بيننا بالمحال
حاش لله أن أصافى خلا * فيرانى فى وده ذا اختلال
زعموا انى نظمت هجاء * معربا فيك عن شنيع المقال
كذبوا انما وصفت الذى حزت من الفضل والبها والكمال
لا تظنن حدبة الظهر عيبا * وهى فى الحسن من صفات الهلال
وكذاك القسى محدودبات * وهى أنكى من الظبا والعوالى
واذا ماعلا السنام ففيه * لقروم الجمال أى جمال

وأرى الانحناء في منسر البازي لم يعد مخلب الرئبال
كوّن الله حدبة فيك ان شئت من الفضل أو من الافضال
فأتت ربوة على طود علم * وأتت موجة ببحر نوال
ما رأتها النساء الا تمنت * لو غدت حلية لكل الرجال
وأبو الغصن أنت لا شك فيه * وهو رب القوام ذو الاعتدال
عدا لي ودنا العديم ولا تصغ لقيل من الوشاة وقال
وتذكر ليالياً حين ولت * أودعت حسنها عقود اللآلي
أترى بالدعاء يجمع شملي * أم رجائي مخيب وابتهالي
واذا لم يكن من الهجر بد * فعسى أن تزورنا في الخيال

وعلى هذا النمط نسج ابن دانيال قوله في رجل أحدب يسمى حسانا

قسماً بحسن قوامك الفتان * يا أوحد الأمراء في الحدبان
أنت الحسام زها بروتق حدبة * فرها على الخطباء والمران
يا مخجلا شكل الهلال بقده * حاشاك أن تعزى الى نقصان
وبما تلا قد القضيب اذا مشى * من حدبتيه يميس كالريان
ما عاب قامتك الحسود جهالة * الا أجبت مقاله ببيان
هل يحسن الجوكان الا أن يرى * مع أكرة في حلبة الميدان
أوهل يزين المتن الا ردفه * حسنا فكيف بمن له ردفان
والعود أحدب وهو ألهى مطرب * ولقد سمعت بنغمة العيدان
وكذا سفين البحر لولا حدبة * في ظهره لم يقو للطوفان
واذا اكتسى الانسان قيل تمثلا * في المدح قامت حدبة الانسان
ومدار الاكسير يدعى أحدبا * في علمه للقسط في الميزان
يفديك في الحدبان كل مكربج * يمشي الهوينا مشية السرطان
متجمع الكتفين أقنص قد بدا * في هيئة المتجمع الصفعان

ومن بدائع ابن خفاجة الاندلسي في ساق أحدب أسود قوله

وكأس أنس قد جلتها المنى * فباتت النفس بها معرسه
طاف بها محدودب أسود * يطرب من يلهو به مجلسه

نخلته

نخلته من سحيق ربوة * قد أنبتت من ذهب نرجسه

ولعبد الله ابن النطاح في أحدب

قصرت أخادعه وغاص قذاله * فكأنه متوقع أن يصفعا
وكأنه قد ذاق أول صفعة * وأحس ثانية لها تجمعا

واذ جرنا ذيل البيان وسحبنا رديم سحبان على الحدبان فنقول قوله وأحس ثانية الخ كقول ابن دانيال متجمع الكتفين الخ وهو معنى بديع في بابه لان متوقع الضرب يتضاءل من خوفه ونظيره من يريد الوثوب يتجمع ليثب فهيئته كهيئة من يريد السكون ولقد أجاد صالح البشتريني من شعراء المغاربة في قوله

تحاذر أحداث الليالي وقلما * خلا من توقيهن قلب أديب
ونرتاب بالايام عند سكونها * وما ارتاب بالايام غير اريب
وما الدهر في حال السكون بساكن * ولكنه مستجمع لوثوب

وهو مأخوذ من قول الآخر

سكنت سكونا كان رهنا لوثبة * تثور كذاك الليث للوثب يلبد

(وقول الآخر)

قد قلت يا قوم ان الليث منقبض * على براثنه للوثبة الضاري

وفي المثل الدهر اردد وغير قال الجوهري أي يعمل عمله في سكون لا يشعر به ويقال تلبيد خير من التصيح يقال لمن يتشاجع ويضرب مثلا للفرار كقال ابن الاصمعي رفي معناه قولي

أقول للائم العقلاء جهلا * تنبه كم فساد في صلاح
وكم رجع الزمان عن الرزايا * رجوع التيس أقوى للنطاح

(حسن بن محمد البوريني) ديباجة الدنيا وكرمة الدهر ونكتة عطارد التي يفتخر بها الفخر حسنة اعتذر بها الدهر عما جنى ودوحة فضل غضة الانوار والجنى وزهرة الدنيا التي أنبتها الله تعالى برياض الشام نباتا حسنا فجعل الادب لروض فضله سياجا وآثار بدره في سماء الكمال سراجا وهاجا ولم تزل سماء لة الركبان تتحفني بهدايا أخباره ونسيم المسامرة يهب معطرا بنفحات آثاره وأنا أؤمل اجتلاء بدره المنير وهو على جمعهم اذا يشاء قدير فمن نفحاته وغرر لمعاته قوله

يقولون في الصبح الدعاء مؤثر * فقلت نعم لو كان ليلي له صبح
فيا عجبا مني أروم لقاءه * وفي جفنه سيف ومن قده رمح
وانسان عيني كيف ينجو وقد غدا * يطول له في لج مدمعه سبح
وان كان يوم البين يسود فحمة * ففي نفسي نار وفي مهجتي قدح
وليس عجيبا أن دمعي أحمر * وفي كبدي قرح ومن مقلتي رشح

وفي البيت الاول معنى حسن قال انه ترجمه من الفارسي مع أنه مشهور في كلام العرب قديما وحديثا كقول ابن شبيب

هوى صاحبي ريح الشمال اذا سرت * وأهوى لنفسي ان تهب جنوب
يقولون لو عزيت قلبك لارعوى * فقلت وهل للعاشقين قلوب

(ومثله قول ابن أذينة)

قالت وأبثثتها سري فبحت به * قد كنت عندي تحت السر فاستتر
ألست تبصر من حولي فقلت لها * غطى هواك وما ألقى على بصري

(وتابعه الباخرزي فقال من قصيدة)

قالت وقد فتشت عنها كل من * لاقيته من حاضر أو بادي
أنا في فؤادك فارم طرفك نحوه * ترني فقلت لها وأين فؤادي

(وللبهاز هير)

جعل الرقاد لكي يواصل موعدا * من أين لي في حبه أن أرقدا

(وللعرجي)

وزعمت أن الدهر يعقبني * صبرا عليك وأين لي صبر

(وفي معناه قولي)

يقولون لي لم تبق للصلح موضعا * وقد هجروا من غير ذنب فمن يلحى
صدقتم وأنتم للفؤاد سلبتم * ومالي قلب غيره يطلب الصلحا

(وقلت أيضا)

مذ أودعوا قلبي سر الهوى * خافوا من الواشي على حبي
فانتهبوا قلبي ولم يقنعوا * بالقلب حتى أخذوا اللب

(عودا على بدء وله أيضا)

وكنا

وكا كغصني بانة قد تألفا * على دوحة حتى استطالا وأينعا
يغنيهما صدح الحمام مرجعا * ويسقيهما كأس السحائب مترعا
سليمين من خطب الزمان اذا سطا * خليين من قول الحسود اذا سعى
ففارقني من غير ذنب جنيته * وأبقى بقلبي حرقة وتوجعا
عفا الله عنه ما جناه فانني * حفظت له العهد القديم وضيعا

(وله أيضا)

أحول وجهي حين يقبل عامدا * مخافة واش بيننا ورقيب
وفي باطني والله أعلم أعين * تلاحظه في أضلع وقلوب

(وهذا مما تداولوه كثيرا كقول أبي عبادة)

أحنو اعليك وفي فؤادي لوعة * وأصد عنك ووجه ودي مقبل

(وقوله أيضا)

حبيبي حبيب يكتم الناس حبه * لنا حين تلقانا العيون قلوب
يباعدني في الملتقى وفؤاده * وان هو أبدى لي المعاد قريب
ويعرض عني والهوى منه مقبل * اذا خاف عينا أو أشار رقيب
فتنطق منا أعين حين نلتقي * وتخرس منا ألسن وجنوب

(ولابي تمام)

ولذاك قيل من الظنون جلية * علم وفي بعض القلوب عيون

(وأحسن منه قولي)

تنازع فيه الشوق قلبي وناظري * فأترقيه الطرف والقلب واجب
وتنظره من قلبي الصب أعين * عليها لمحنى الضلوع حواجب

(وله في ترجمة معنى من الفارسية)

ورق الغصون دفاتر مشحونة * مملوءة بأدلة التوحيد

(وله أيضا قوله)

الناس نحو معادهم ومعاشهم * يسعون في الاصباح والامساء
وأنا الذي أسعى للذة نظرة * من وجهك المزري ببدر سماء
والناس يخشون الصدود وانما * أخشى سلمت شماتة الاعداء

(وأحسن من هذا قولى فى رباعية)

مابى بهما رضيت عنى باس * والصبر بمرهم لجرحى آس
لكننى أختشى اذا طال نوى * أن يشهت فى الرجا منى الناس

(وله أيضا)

أما ينقضى هذا الغرام من القلب * أما ينطوى هذا الملام عن الصب
ألا حاكم بينى وبين عواذلى * فيسألهم ماذا يريدون من عتبى
ألا راحم فى الحب أشكو ظلامتى * اليه فقد زادت يد البين فى حربى
ألا ساعة أخلو به فأبثه * لواعج نيران أقامت على قلبى
أما فى الورى من فيه رقة رحمة * فيبدى له حالى ويوصله كتبى
لقد ضاقت الدنيا على لبعده * على رحبها من غاية الشرق للغرب
اذا لاح تبدو وقفة فى تلفظى * وأغدو لما ألقاه أحير من ضب
فلا فى افصاح ولا فيه رحمة * فيسأل عن حالى ويفرج عن كربى
ولا أنا ذو فكر صحيح يدلنى * على سبب التأنيس أو سبب القرب
وانى الى مولاى أنهيت حالتى * فغاية شكوى العاجزين الى الرب

(وله أيضا)

الهى أدم حاكم الحب فينا * مطاعا وكل البرايا أسارى
الهى وزد ذلك القد لينا * واشرب سقيم الجفون العقارا
الهى على ضعف أهل الهوى * أنل لحظه فى القلوب اقتدارا
الهى جنود الهوى أعطها * على قوة الصابرين انتصارا
الهى على الحب أقيت صبرا * وعن حسنه ما طقت اصطبارا
الهى أجبت رسول الهوى * ولم ألق منذ دعانى اختيارا
الهى رضيت بما ترتضى * بسرى وسلمت أمرى جهارا
الهى لى الجبر فيما ترى * وان ظنه العاذلون انكسارا
الهى أعد ليل هجرانه * بصبح الوفا والتلاقى نهارا

أقول هذا أسلوب من أساليب الفصاحة لطيف كما بيناه فى كتابنا المسمى بحديقة السحر وهو نقل الكلام من طريق الى آخر كاستعمال ماعهد استعماله فى الدعاء

والمناجاة

والمناجاة فى التغزل كما هنا ومثله لابن الوكيل

يارب جفني قد جفاه هجوعه * والوجد يعصي مهجتي ويطيعه
يارب قلبي قد تصدع بالنوى * فالى متى هذا البعاد يروعه
يارب فى الاظعان سار فؤاده * ياليته لو كان سار جميعه

ولم يزل يكرر يارب حتى أتم القصيدة ومنه استعمال ماورد فى الرسائل والمكاتبات فى غيره كقول الشاب الظريف ابن العفيف

أعز الله أنصار العيون * وخلد ملك هاتيك الجفون
وأسبغ ظل ذاك الشعر يوما * على قد به هيف الغصون

(ومن شعر صاحب الترجمة قوله)

لها فى ربى قلب المحب مقيل * وظل باحناء الضلوع ظليل
وان ظمئت فالورد من ماء دمعه * يبل به عند الهجير غليل
فكم ألفت هذا النفار كأنما * فؤاد المعنى بالسقام نحيل
أجل ان عفا من بعدهم فكأنما * يجر عليه للجنوب ذيول
منازل هذا القلب كن أواهلا * وها هى من بعد الفراق طلول
لك الله يا ابن الاكرمين أيشتفي * فؤاد لبين الظاعنين عليل
ويا ظبي هل بعد النفار تألف * ويا بدر هل بعد الافول تقول
ويا منزل الاحباب أين ترحلوا * وهم فى فؤادي ما حييت نزول
يميلون عني للوشاة وانني * اليهم وان طال الصدود أميل
أيجمل فى أحباب قلبي غدرهم * بغدري وما غدر المحب جميل
هل لهم حفظ الوداد وان جنوا * وليس الى نقض العهود سبيل
وظبي أراد العاذلون سلوه * وأبعد شئ ما أراد عذول
وقد ضاع قلبي مذ رأيت جماله * فهل لى عليه فى الانام دليل
وما هاجني الا ابن ورقاء سحرة * له فوق أفنان الرياض هديل
يردد فى صحف الرياض قصائدا * من الشوق يعليها النسا ويميل
تخيل ان البين آذى فؤاده * وكيف ولما ينأ عنه خليل
ولم تحتكم فيه الليالى ولم يبن * عليه لبين رقة ونحول

أما والهوى لوذقت ماذقت فى الهوى * لما ازدان بالاطواق منك تليل
على أنه مافارق الالف دهره * ومالى الى وصل الحبيب وصول
تسنم غصنا فى رياض أريضة * تهب عليها شمأل وقبول
يصفق جذلان الفؤاد كأنما * تدار عليه فى الكؤس شمول
(وأنشدنى له بعض الادباء رباعية هى)
ياقلب الى متى عداك النصح * كم تمرح كم جنى عليك المرح
كم جارحة عدا عليها الجرح * ماتشعر بالجارح حتى تصحو
قلت ليست هذه له فانها فى ديوان محمد بن على كما ذكرناه فى ديوان الادب ومن شعر صاحب الترجمة
ألا سامح أخاك اذا تعدى * وألق اليه فى الحرب السلاحا
فمن يعتب على الخلان يتعب * ومن لزم المسامحة استراحا
(وله أيضا)
صاحبى من يودنى بالفؤاد * لاقريبى فى حلتى وبلادى
ليت شعرى اذا تنافت قلوب * أى نفع لصحبة الاجساد
(وله أيضا)
خبأتك فى عينى لتخفى عن الورى * لذلك قالوا ان فى العين انسانا
(وأحسن منه قولى)
خبأتك فى العين خوف الوشاة * وكم شرف الدار سكانها
ومن غيرة خفت أن يفطنوا * اذا قيل فى العين انسانها
ومن فوائده أنه سئل عن قول صاحب الهمزية
شمس فضل تحقق الظن فيه * أنه الشمس رفعة والضياء
فاذا ماضحى محا نوره الظل * وقد أثبت الظلال الضحاء
فكأن الغمامة استودعته * من أظلت من ظله الدفاء
فذكر ما للشارحين فيه من الكلام الذى لا يحصل له نخالفهم فيما قالوه من أن الدفاء بفاء بين وأظلت فيه بالظاء المشالة وذكر كلاما لاطائل تحته بناء على أن أضلت بالضاد من الضلال بمعنى الاضاعة والدفاء بمعنى جماعة مسرعين من الجيش أو الملائكة وفيه

خبط وخلط والذى عندى فيه انه تحرف عليهم أجمعين وانما هو هكذا

فكأن الغمامة استودعته * مذ أظلت من ظله الدقعاء

فاستودعته وأظلت مبنيان للمفعول بصيغة المجهول ومذ بميم مضمومة وذال معجمة والدقعاء بدال مفتوحة مهملة وقاف وعين مهملة ثم مد بمعنى الارض وترابها كما هو مصرح به فى كتب اللغة والمعنى أن الغمام أظله لئلا يمس ظله الارض فلذا أخذه وديعة عنده ليصونه عن مس التراب وهذا معنى بديع يعرفه من ذاق حلاوة الشعر وعرف مغزاه وفى قوله مذ أظلت الخ معنيان أحدهما مذ مس ظله التراب والآخر مذ صارت الارض كلها فى حمايته لانه ظل الله وفى معناه رباعية لى

ماجر ظل أحمد أذيال * فى الارض كرامة كما قد قالوا

هذا عجب وكم له من عجب * والناس بظله جميعا قالوا

وفى التائية المنسوبة للسبكى التى نظم فيها معجزات النبى صلى الله عليه وسلم وشرحها بعض المتأخرين

لقد نزه الرحمن ظلك أن يرى * على الارض ملقى فانطوى لمزية

وأثر فى الاحجار مشيك ثم لم * يؤثر برمل حل بطحاء مكة

قال شارحها قيل انه عليه الصلاة والسلام كان لا يقع ظله على الارض لانه نور روحانى

ما الطهر أى البرية ظلا * هو روح وليس للروح ظل

والنور لا ظل له وكذا الروحانيات كالملائكة لانها أنوار مجردة قيل ولهذا أظهر الأمية لئلا يقع ظل يده على اسم الله لو كتبه ولا يخفى ما فيه وقيل لم يرظله لان الغمام يظله وقيل هو تكريم له لئلا يقع ظله على الارض فيوطأ محله ونقل أن بعض اليهود كان يطأ ظل المسلمين اهانة لهم فصين لئلا يهن وقيل غير ذلك وأما كون قدمه الشريف يؤثر فى الحجر دون الرمل فكان فى ذهابه لغار ثور مع أبى بكر كان يقول له ضع قدمك موضع قدمى فان الرمل لا ينم عليه لارادة الله تعالى لاخفاء أثره عمن يطلبه من المشركين ولان له الحجر اظهار الا انه لا يستعصى عليه ولتكون فيه سمة يحجو بها من النار التى وقودها الناس والحجارة ودلالة على شدة قسوة قلوب الكفرة الخ

﴿أبو المعالى درويش بن محمد الطالوى﴾ وحيد له الحزم ترب واللطف قرين وماجد ماله فى قصب السبق رهين ورقيق قضب المروءة فاتح حصون الملمات عنوة سليل

المعالى والكرم رقيق حواشي الطباع والشيم فكم فى علاه مسرح للمقال ومجال لمضمرات الامانى والآمال

اذا أعجبتك خصال امرئ * فكنه تكن مثل ما يعجبك

فليس على الجد من حاجب * اذا جئته زائرا يحجبك

حسان عصره وأبو عبادة دهره له فى المجد زندورى وللاسماع من مورده العذب شرب ورى نور محياه فى ظلمة الخطوب هادى وصيت كرمه لركائب الآمال حادى وبحر فكره المديد سريع ونسج طبعه أبهى وأبهج من وشى الربيع اذا حلى اجياد الغصون بعقود در الغمائم وألبس هامات الربى من النبت مخضر العمائم فكأنه بسحر البيان أعدى عيون الغيد الحسان نجم تجلى عليه المعانى صورة قصوره وتتلى عليه آيات الفضل سورة بعد سوره واذا كاتب بألفاظه الرقيقه ود السحر لو كان قنه ورقيقه فكم سرح طرف طرفى فى رياض المنثور لجنى من حدائقه بيد الفكر غض الزهور ففاح نشر بلاغته فى ليل حبره ولا بدع للمنثور اذا عبق فى عنبر الظلماء عبير نشره حليت لسانى بعقود انشائه الدرية وأشرق على من فلك المسامرة كواكبها الدرية ورأيت سطورها فى يد المجد وخيلان نقطها تزين من وجه الطرس صفحة الخد فسبحت عجبا من در لونه السواد ومن رياض كانورتنبت مسك المداد

فكأن أسطره غصون حديقة * ومن القوافى فوقهن حمام

وهو فرع من شجرة آل طالوا الذين فاقوا فى رتب العلى وطالوا

ان حاربوا ملأوا البلاد مصارعا * أو سالموا عمروا الديار مساجدا

طلعوا فى ربى الجياد غصونا مورقة بالسلاح فبسقت فروعها من بيض الصفاح وسمر الرماح صيروا أكفهم للمكارم معدنا وأبوابهم لوفود السعادة موطنا فكم من راكب عجل استوقفته فوقف وأهدى الى من آثاره تحفا بكل طرفة تحف حتى ورد على بأروم فقربه نظرى ولم تسمع أذنى بأحسن مما قد رأى بصرى فطار غراب البين من وكر العنا ونثرت على قوادم يمنه نثار الثنا وأناخت غريب الوجه واليد واللسان وليست الفرقة فقد الاهل بل فقد الاحبة والخلان فدار بينى وبينه كؤس محاورات تسكر الاذهان ويحتسى حمياها فكر كل لبيب بأفواه الآذان ويوسم بها عقل

الدهر وتغضي حياء منها عيون الزهر فما كتبته اليه لاستمطر سحائب طبعه الغر واستجدي كرما من رقيق خلقه الحر واستمري منه ماء الحياة على غلة قطرات لو وقعت في بحور الاشعار لم يكن فيها اعلة قولي

قبلت مصطبحا شفاه الاكوس * والصبح يبسم لي بثغر ألعس
حتى غدت منه الغزالة واختفى * مسك الدجى عندا لجوارى الكنس
والنهر سيف والنسيم فرنده * وله حمائل من خمائل سندس
أو صدر خود فتحت أطواقها * أو شققت للوجد حلة أطلس
والطير تشدو والغصون رواقص * في وشي ديباج الربيع السندسي
وعلى الخلاعة ليس جيدي عاطلا * من حلية المجد العزيز الانفس
ولواحظ رضي بها اعتل الصبا * والصب بالسقم المبرح مكتسي
فتنت بأنفسها ففيها علة * من وجدها وفتورها وتورنسي
فلكم قطفت ثمار لهو أينعت * وغفلت عما قد جنى الدهر المسي
وطردت آمالي براحة عفتي * ان التمني رأس مال المفلس
رام التلبس بذل شعري برهة * فطرحته كصحيفة المتلمس
وكحلت طرفي بالسهاد صبابة * ووهبت نومي للعيون النعس
ونظرت خد الورد لما احمر من * خجل وقد بهتت عيون النرجس
وأظن خجلته لخد الطرس اذ * أمسى بوشي عذار شعري مكتسي
يا عقد جيد الدهر غرة فجره * وطراز ما حاك العلا من ملبس
بل كعبة حجت لها آمالنا * فدنت الى حرم الكمال الاقدس
من آل طالوفتية طالوا الورى * بذرى أشم من المعالي أقعس
عن مناقب تليت لنا آياتها * عنها يكاد يبين نطق الاخرس
ورياض فكر بالفضائل أثمرت * فغدت تحدثنا بطيب المغرس
أسكرتنا بسلاف شعر لفظه * كأس له فكري بسمعي محتسي
وسرت نسيمات سحرا أرقصت * طربا بها عقل اللبيب الاكيس
فاعجب لها من أكؤس ما أبرزت * الا رآها الذوق نقل المجلس
وسهام أقلام له تصمي العدا * وتظل بين مسدد ومقرطس

ناحيته وظلام فكرى قددجا * وصباح صفوى عنه لم يتنفس
فحلا السرور له بثغر باسم * طلق الجبين كوجه يوم مشمس
فاليكها منى توافى دوحها * زاه بغير يد النهى لم يغرس
بكرا الى كفء ترف ومهرها * نقد الجواب براحة المتأنس
لازلت فى حلل المسرة رافلا * ما أحدقت ليلا عيون الحنس
(فأجاب) خد تورد من لهيب تنفس * أم قد معسول المراشف ألعس
من ريم وجرة أوجآذر جاسم * لبس الشباب الروق أحسن ملبس
متوشحا خطىء قامته ون * ماست فيا خجل الغصون الميس
فاذا رنا فاللحظ منه بابل * هاروت منه نطقه كالاخرس
أم عقد غانية الحسان زهت به * تيها على زهر الجوارى الكنس
أم لؤلؤ رطب توائم زانه * حسن النظام بجيد ظبية مكنس
أم روضة غناء غنت فى ذرى * أغصانها ورق بلحن مؤنس
حاكت لها أيدى الجنوب مطارفا * وكست معاطفها غلائل سندس
ما بين أصفر فاقع أو أحمر * قان وأبيض ناصع ومورس
أم غادة هيفاء أذكرت الصبا * صبا تناسى العهد منه ومانسى
وافت وأفراس الصبا قد عريت * والقلب أقصر عن هواه وما أسى
وافت وفى بقية الحوبها * من شرخى الماضى تعلة مفلس
من ماجد وشهاب فضل ثاقب * حلو الشمائل بالفضائل مكتسى
فظننت ريعان الشباب أعيد لى * حتى الوصال من الحبيب المؤنس
فطفقت أهصر بانة من قدها * والقلب بين توجس وتهجس
حتى اطمأنت فاجتليت بوجهها * قمر السماء بليل شعر حندس
لما بدا خفيت له شمس الضحى * فى ثوب غيم ترتديه وتكتسى
نطقت مناطقها فأخرس دونها * نطق الفصيح وحار فكر الكيس
لم لا وناظمها الشهاب من اعتلى * شهب العلى بكل فضل أقعس
فرع غذاه لى خفاجة محتد * والفرع ينبئ عنه طيب المغرس
وافت لنا منه حديقة روضة * خجلت لبهجتها عيون النرجس

طرس به زهر النجوم كأنه * صبح وهن به بقايا الحندس
لثمت شفاه الغيد قدما نقسه * فغدا له فيه حياة الانفس
انى لأعجب من شهاب قدمها * متبوّأ العلياء أرفع مجلس
والشهب تطلع فى السماء وحدها * فلك الثوابت وهو فوق الاطلس
لازلت فى حلل الفضائل رافلا * متوشحا برد الشباب الانفس
خذها وان كانت مقصرة فمن * شأن الكرام قبول عذر من مسى
شامية يعنو لباهر حسنها * وجه الغزالة والغزال الالعس
وانعم بها لازلت ترشف معنا * من راح نظمك مترعات الاكؤس

(ومما أنشدنيه قوله من قصيدة له)

يراعك أمضى من شفار الصوارم * ورأيك أجلى من بروق المباسم
مضاء يقد المرهفات وعزمة * لها فى ضرام الخطب فعل الضراغم

(ومنها)

بسيارة مثل النجوم طوالع * قواف لعمرى أفحمت كل ناظم
تساقط فى الاسماع لؤلؤ لفظها * تساقط طل فوق زهر الكمائم
بقيت لهذا الملك تحمى ذماره * بسمر يراع الخط لا بالصوارم
جنابك محروس و بابك كعبة * لبطحائها تجبى وفيها مواسمى

(وله أيضا)

كفى به جائرا فى الحكم ما عدلا * لو كان يسمع فى أحبابه عذلا
وراح يضمر سلوانا بخاطره * عن مائسات قدود تخجل الاسلا
بل كيف يصحو غراما أو يفيق هوى * من بات بالاحور العينين مشتغلا
فما الهوى غير أجفان مسهدة * تهمى بقلب بنيران الاسى شعلا
ولا الغرام سوى وجد يكابده * الى الحمى يا سقى الله الحمى نهلا
حمى دمشق سقاها غير مفسدها * صوب الغمام و روّى روضها عللا
حتى تظل بها الارجاء باسمة * ويضحك النور فى اكمامه جذلا
وخص بالجانب الغربى منزلة * لبست فيها الشباب الروق مقتبلا
مغنى الهوى ومغانى اللهو حيث به * مهما اطلعت بدر السما أفلا

تلك المنازل لا شرق كاظمة * ولا العقيق ولا شعب العوير ولا
ديار كل مهاة كم أقول لها * والصبر يحل في جسمي كما نحلا
عما يعنيك من حرصي لي دنفا * يوم الحياة وأما ان صددت فلا
الله يعلم اني بعد فرقتها * فارقت شرخ الصبا واللهو والغزلا
ما كنت لولا طلاب المجد أهجرها * هجر امرئ مغرم بالراح كاس طلا
ولا تخيرت أرض الروم لي سكنا * ولا تعوضت عنها بالصبا بدلا
ولا امتطيت عتاق الخيل رامية * بي الموامي تجوب السهل والجبلا
من كل طرف يفوق الطرف سرعته * وسابح مثل سيد الرمل ما عسلا
اذا تطلع من لج السراب يرى * بدرا غدا بهلال الافق منتعلا

(ومنها)

متى أتى بي أرض الروم منتجعا * روضا أريضا وماء باردا وكلا
وقال بشراك روض الفضل قلت له * روض ابن بستان مولانا فقال بلى
هو الجواد الذى سارت مواهبه * تدعو العفاة الى نعمائه الجفلى

(ومنها)

وها كها من بنات الفكر غانية * شامية الاصل مهما سائل سألا
غريبة في بلاد الروم ليس لها * كفؤ سواك فانقد مهرها عجلا

وكتب له بعض أحبابه قصيدة هزت بنسيم عتبها عطف آدابه فاجابه بقوله عفا الله عنه

توشحت كالنجوم الزهر في الظلم * ممطين من لؤلؤ رطب ومن كلم
وقلدت جيد آرام النقا دررا * برت بهن درارى الافق بالقلم
وأقبلت في مروط الزهر رافلة * تجر تيها فضول الريط من أمم
جيداء مصقولة القرطين مائسة الـ * ـعطفين مخضوبة الاطراف بالعنم
كأنما حين وافت والفؤاد بها * صب صبابة شرخ مر كالحلم
فما الرياض بكاها القطر ليلته * بكاء طرف قريح بات لم ينم
شوقا لطيف خيال بات يرقبه * من ناقض العهد والميثاق والذمم
يضاحك المزن فيه الاقحوان ضحى * عن ثغر مبتسم بالدر منتظم
فالورق صادحة والروض ضاحكة * ثغوره بين منهل ومنسجم

تجاذب الريح أطراف الغصون بها * فتنثني والهوى ضرب من اللمم
يوما بأحسن مرأى من شمائلها * وقد أتت بعتاب من أخي كرم
مهذب القول الا أنه أذن * يصغي الى قول واش بالنفاق سمي
لا يعرف الود الا مذق ساعته * والشاهد العدل ما يتلوه من قسم
هيهات ما الود ممن كنت أعهده * باق وقد حال عن عهدي ولم يدم
فيا له من عتاب لم يفه أبدا * بمثله أحد في سالف الأمم
سوى امرئ ساء ظنا في صنائعه * فساء ظنا بخل غير متهم
وشاتم العرض فيما قيل كن فطنا * من بلغ القول لا من ذاك عنه نمي
لا يعزين ذاك للاحسان والنعم * بل ذاك يعزى لبهم القاع والنعم
كم من أخ صارم ودي صبرت له * حتى ارعوى وودادي غير منصرم
يا من تعمر منه بيت باطنه * وظاهر الامر أن البيت لم يرم
يا من له من ودادي كل خالصة * أصفو بها صفوة الأخلاق من شيمي
أصخ لقولي واسمع ما أقول فلي * صبر له ركن رضوى غير منهدم
قد كنت ريحانة العيش التي بسقت * أغصانها في حمى المعروف والكرم
فصوحت وذوى لغصن الرطيب فلا * دار بحزوى ولا ربع بذي سلم
ولا معاج على سقط اللوى وبه * جآذر قد كحلن الود بالسقم
ولا على طلل دمع يراق ولا * يؤرق الجفن ذكر البان والعلم
خذها عقيلة فكر بت ليلتها * وشاحها النجم عقد غير منفصم
واسلم على حالتي ود وصدق ولا * مازان عقد نظام جوهر الكلم

وكان له غلام تعصر من شمائله سلافة اللطافة قد عمته في خدمته خفة النشاط الا أراد فيه أحلى من ظفر عاني والذ من حديث الاماني لو قيل للحسن تمن المنى تمنى انه مثله لشغفه به سلم له قلبه فسرى به ربطه وحله فسلبه منه الزمان بوالبدائع وما كل خرق اذا وهى له راقع فكتب الى الشريف أمير الشام يستعديه على أعدائه وأقسم عليه بالحمية الهاشمية الموروثة من آبائه بقوله

بالله يا نشر العبير سرى بروضات الغرى
طاف المشاهد وانثنى * نشوان من كاس روى

وأقام بالزوراء منـــهافى رياض الحابرى
متـــنزل الآى الكريم ومهبط الوحى السنى
ان جئت ربع الشام فاقصد ساحة الشرف العلى
أعنى الشريف ابن الشريف ابن الشريف الموسوى
متحملا عنى السلا * م كمسك دارين الذكى
لجناب مـــولانا الوزير ولى مـــولانا عـــلى
ثم اشرحن من حال مو * لاه المحب الطالوى
ماذا لقى فى ثغـــر صيدا مـن درزى غـوى
دين التناسخ دينـــه * لا بـل يدين بكل غى
ويرى الطبائع أنها * فعالة فى كل شى
* وافى بمكتوب الشريف اليه من بلد قصى
يوصـــيه فيـــه كأنما * أوصاه فى أخذ الصبى
فسقاه يوم فراقـه * لا كان بالكأس الردى
وغدا المشام بعده * يبكى بدمع عندمى
فى غـربة لا يشتكى * فيها الى خــــل وفى
لا جار يحميه ولا * يأوى الى ركن قوى
الا الى ركن الشريـــف الطاهر الشيم الزكى
حامى حمى الشرع الشريـــف بكل أبيض مخذمى
مولاى لى حق عليـــك فجد به من غير لى
بولاء حيـــدرة الوصـــــى أخى النبى الهاشمى
لا تهملن من أخذ ثا * رى من كفور بالنبى
وابعث اليـه مقانبا * فيها الكمى على الكمى
لو حاربت جند القضا * ثنت سراه عن الضبى
جرافـة لم تبق فى * اطلاله غير النؤى
وأشعث ينعى الديا * رمع ابن داية فى النعى

قلت هذا بردسابرى أو سحر سامرى تجرى منه مياه الفصاحة وتزهو من محياه أنوار

الملاحة وفيه نفحة علوية وشكاية من ابن سيفاء وهو من الطائفة الملحدة القائلين بالتناسخ على رأي الحاكم بأمر الله ويقال لهم درزية نسبة لحسين الدرزي وهو صاحب دعوة الحاكم ومعنى الدرزي الخياط وقوله الوصي هو علي رضي الله عنه بزعم الشيعة أن النبي صلى الله عليه وسلم أوصى له بالخلافة حين تآخى معه في غدير خم وهو أمر مخالف لاهل السنة الا أن ممدوحه كان يقول بذلك فجرى في شعره على معتقده والله أعلم بالسرائر وقوله لو حاربت غلو كان ينبغي تركه والغري موضع بالكوفة دفن فيه علي كرم الله وجهه والنؤى بضم النون والهمز جمع نؤى وهو ما يحفر حول الخباء حتى لا يدخله المطر والمراد باشيعث تصغير أشعث وهو الوتد لانه يشعث اذا دق وابن داية كنية الغراب والمراد أنه لا يبقى لهم أثرا وعما أنشدنيه قوله وقد أرسلها من الروم الى الشام

أنسيمة الروض المطير * بالعهد في زمن السرور
وأنيق أيام الشبا * ب وعيشه الغض النضير
ووثيق أيام التصا * بي بالمعهد ها الخطير
ومعاهد كان الشبا * ب وشرخه فيها سمير
هومت فيه فصاح بي * داعي الصباح المستنير
فطفقت أنظر منه في * أعقاب برق مستطير
قد كان حسان المرا * بع فيه حسان البدور
أيام غصن شبيبتي * ريان من ماء الغرور
وذوائبي شرك المها * وحبالة الظبي الغرير
حيث الشبيبة روضة * غناء صافية الغدير
فشاء رائدها المها * ة الرود من ريم الخدور
من كل مخطفة الحشا * كأنها الرشا أخت الغرير
طلعت بليل ذوائب * أبهى من القمر المنير
بيضا وشحت الترا * ئب والنحور من الثغور
فكسى معاطفها الشبا * ب الروق حسان الحبير
تمشي أناة الخطو فيـ * ـها روعة الظبي النفور

قويت على قتلى وفى * ألحاظها ضعف الفتور
وعبابرى يوم النوى * من درسدمعها النثير
كالعقد أسلمه النظا * م من الترائب والنحور
وبوقفة التوديع والأ نفاس تصعد بالزفير
ويد الفراق تشب فى الأ حشاء نيران السعير
الاسريت مع الصبا * يانسمة الروض المطير
فاجتزت من أرض العرا * ق على الخورنق والسدير
ووقفت بالزوراء وقفة زائرة أوفى مزور
وحملت للكرخ التحية من أخى شجن أسير
ونزلت من نهر الابلة والصراط على شفير
وأقمت فى شط الفرا * ت يلتقى العذب النمير
وسمعت هينمة الريا * ض وصوت جائشة الخرير
وجذبت فى تلك الحدا * ئق طوق ساجعة الهدير
حففت بسر وكالقيا * ن تلفعت خضر الحرير
ولثمت خد الروض فيه نبات ريحان طرير
وثنيت عطفك والصبا * ح يكاد يؤذن بالسفور
وأتيت بابل فاصبحت بمثل مصباح منير
يغشيك متهمة ومنجدة سناها عن خفير
ثم انبريت مع الجنو * ب وحدت عن مسرى الدبور
حتى نزلت على الارا * كة أو رسيت على ثبير
فسقطت من أرض الحزا * مى والبشام على الخبير
وطلعت نجدا والدجى * يستل من أثواب قير
ومشيت فوق عراره * ما بين حوذان وخير
وهبطت غور تهامة * والشهب مالت للغوير
ونزلت فى سفح الارا * ك رشفت زاهية البرير
وسلكت من وادى العقيق منابت العجم الشكير

وأملت فيه ذوائب الاغصان من طلح نضير
وهصرت بانات النقا * هصر الروادف للخصور
فحملت منها من غوا * لى المسك فائحة الزهور
وعبرت دارين العطا * وشممت غالية العبير
وازددت من أرج الكبا * ورنده عند المسير
وجزعت وادى السحر ليـ ـلا وانثنيت مع البكور
والصبح يخطر فى الدجى * كالوحى يخطر فى الضمير
والنسر فيه واقع * خوف الصباح لدى الدكور
وكواكب الجوزاء ممـ ـسكة الأعنة عن مسير
خافت سهيلا فانتضت * سيفا من الشعرى العبور
والنجم يهوى للغرو * ب كأنه كف المشير
فهبطت ربع الشام دا * ر اللهو بل مغنى السرور
ونزلت بالوادى المقـ ـدس شاطئا غير الشطير
وخطرت من بطحاء وا * دى النيرين على الصخور
ووقفت فى تلك الربى * ما بين روض أو غدير
وقرأت سكان القصو * ر بها السلام بلا قصور
لاسيما شيخ العلو * م مفيد أرباب الصدور
شمس الهداية والدرا * ية شيخ جامعها الكبير
كشاف أسرار البلا * غة عمدة الفتح القدير
معلى منار الشرع مغـ ـنى المعتفى كنز الفقير
ورئيسها قاضى حما * عتها المحكم فى الامور
الفاضل اللسن المفو * ه والمنزه عن نظير
أعنى به القاضى محـ ـب الدين ذا الرأى المنير
مولى أراع براعه * قلب الطروس مع السطور
ببديع وشى مخجل * وشى البديع أو الحريرى
وأبو الضيا حسن حليـ ـف الفضل والادب الغزير

عجباله فاق الاوائل وهوفى الزمن الاخير
أديبر وقلك مثل زهر الروض غب حيامطير

(ومنها)

ومشيدى أركانها * أمراءمعلمها الخطير
منهم جناب الطا * لوى سليل أرتق ذى السرير
محيي مكارم حاتم * بين الانام بلانكير
والمحكى محمد السا * مى على الفلك الاثير
فهو الامير ابن الامير ابن الامير ابن الامير
ذكرتهم الانواءذكرى * بالعشى و بالبكور
وكساهم خلع الشبا * ب الروق مقتبل الدهور

وقدعارض بهذه القصيدة مافى الحماسة وللناس على منوالها قصائد كثيرة أحسنها ماللشريف الرضى

نطق اللسان عن الضمير * والسرعنوان الصدور

وعلى منوالها لابى بكر الخوارزمى قصيدة مطلعها

ان الالى خلف الخدور * هم فى الضمائر والصدور
وقع الغبار عليهم * فغدا يتيه على العبير
لما مشين على الثرى * تاه التراب على الاثير
ياسائلى من فى الهوا * دج والبراقع والستور
فيها الرضاع من المنيـة والفطام عن السرور

وأنشدنى من قصيدة أخرى له

ذكر العقيق فسال من أجفانه * فاشتفه وجدا الى سكانه
واشتم فى ريح الصبا أرج الصبا * فصبا حليف جوى الى أوطانه
وشجاه مسجور الفؤاد الى الحمى * ورق سواجع هجن من أحزانه
تملى من الورق الغرام وطالما * درست فنون العشق من أفنانه
فيهن سالمة الحشا من لوعة * لم تدر طعم الوصل من هجرانه
تمسى وتصبح فى أرائك أيكها * مع الفها والعمر فى ريعانه

ترتاد أرض الشام أخصب منزل * حيث العرار صغا الى حوذانه
حيث المغانى مشرقات بالدمى * والغانيات يطفن حول معانه
فى ظل منبجس اللجين جرى به * ذهب الاصيل يسيل من عقيانه
أحوى الظلال كأن سمرته لمى * عذب المراشف ذعن غزلانه
بينا تردد فيه من عذب الى * عذب بتوق الى العذيب وبانه
مع صفو عيش اذ رمتها نيـة * للروم فاجتها بسود رعانه
هبطت بها الاقدار أرضا لم يكن * فيها نزول الوحى مع فرقانه
سوداء مظلمة الرحاب كأنها * قلب الحسود علته ظلمة رانه
فغدت تنوح على البلاد بدمع * مع يبارى الغيث فى تهتانه
مأسورة القلب المعنى من جوى * مسجورة الاحشاء من نيرانه
تبكى اذا ذكر الحمى حيث الحمى * روض تغرد فى ذرى أغصانه
تنفك تنثر لؤلؤا من أدمع * كالدر ينظم فى عقود جمانه
حتى ترى روض الحمى أو تجتلى * وجه ابن بستان وحيد زمانه
ذو رتبة فى المجد رام بلوغها الـ * فلك المحيط فلج فى دورانه
سبقته فاستعدى علينا طاويا * لصحائف الاعمار فى سرعانه

(وله من أخرى)

لى فيكم كدرارى الافق سائرة * هى اللآلى لى الا أنها كلم
من كل شائحة العرنين تحسبها * فى الشعر ليثا لها من نفسها أجم
تبقى على صفحات الدهر خالدة * كالانجم الزهر عقد ليس ينفصم
أو غادة حسنها قيد النواظر فى * ألحاظها سقم فى أنفسها شمم

(وله من أخرى)

حمى الشام جاد الغيث ما حل تربه * مغانى الهوى فيها معان أحبتى
وباتت بأعلى النيربين مع الصبا * تطارحها ذكرى عهود بربوة
على نهر حصباؤه الشهب قد جرى * خلال سماء روضاته كالمجرة
يجاوب سجاع الحمام خريره * فتصغى له الورقاء من فوق أيكة

ولله در أبى الحكم فى قوله فى هذا المعنى

وتحدث الماء الزلال مع الحصى * فجرى النسيم عليه يسمع ما جرى
فكأن فوق الماء وشيا ظاهرا * وكأن تحت الماء سرا مضمرا

(وقوله من أخرى)

بياض طرس حوى ذوب النضار على * جبينه للآل حيرت فكرى
كاللؤلؤ الرطب الاأنها افتقر * غير الاديب اليها غير مفتقر

(ومنها في السفن)

ركائب ليس ترضى بالجديل ابا * لكنها من بنات الماء والشجر
شم العرانين دهم ما بها وضح * الانجوم الليالى موضع الغرر
مازلت أجدف طوفان الخطوب بها * وأتقى حادث الايام والضرر

ومنها خذها فدتك نفوس الشعر قاطبة * فقد علته بمدح فيك مبتكر
طائية الاصل الاأنها نشأت * بربوة الشام فى روض على نهر

ورأى نيلوفرة صدف الدر السحاب وحقة لجوهر الندى المذاب كأنها بوتقة أذاب بها الجو نضاره أو كأس فى يد مصطبح بداوى بها خماره أو مقلة صب كئيب قد لجأ على الغفلة الرقيب بعدما امتلأت بدمع الهوى وتردد فيها الدمع من حيرة النوى وقد طفا عليها الماء الزلال فبلغ حافاتها وما سال بل لخشية فراقها تشبث بأهداب أوراقها فقال مضمنا وأجاد

ونوفرة كعين الصب شكرى * تجم الماء خشية أن يراقا
ذكرت لها لنوى يوما ففاضت * وصارت كلها للدمع ماقا

وشكرى بشين معجمة بمعنى ممتلئة وهو من قصيدة للمتنبي أولها
* نظرت اليهم والعين شكرى * فصارت الخ وأنشدنى له أيضا

شام برق الشام بالروم خدوعا * فانبرت أجفانه تذرى الدموعا
هب من عليا دمشق موهنا * هبة المصباح فى الليل ذريعا
جزع الآفاق فى هبته * وأتى الروم سرى الايم جزوعا
خفقت راياته فى أفقه * خفقان القلب قد أمسى مروعا
وقعت شعلته وسط الحشا * وسناه طارق الجو رفيعا
ليس يدرى وقعها غير شج * فارق الاوطان مثلى والربوعا

أو معنى بهوى تيمه * من غزال راح للوصل منوعا
يخجل الشمس سناه وسنا * ومهاة الرمل جيدا أو تليعا
أسهر الجفن خليا عن كرى * مقلة لا تطعم النوم هجوعا
كيف يكرى ناظر وارقه * ناضر العيش من الليل هزيعا
وشباب شرخه مقتبل * كان للصب لدى الغيد شفيعا
لم يكن الا كلمح وانقضى * أو خيال فى الكرى مر سريعا
أزمعت حسرته لا تنقضى * آه ما أسرع ما ولى زميعا
لست أرضى منه بالسقيا له * وسحاب الجفن يسقيه النجيعا
والذى هاج الهوى قمرية * بالضحى تهتف بالايك سجوعا
كلما ناحت على أفنانها * هاجت الصب غراما وولوعا
واذا غنت له غنت له * ذكر الشام فزادته صدوعا
ياسقى الله حماها وابلا * مسبل الطرف من الغيث هموعا
حيث ربع اللهو منه آهل * والغوانى فى مغانيه جميعا
كل رود لبست شرخ الصبا * وهوى ان تدعه لبى مطيعا
كم لنا فيهن من بهنانة * ولع القلب بها خودا شموعا
لست أنسى ساعة التوديع اذ * وقفت فى موقف البين خضوعا
وهى تذرى لؤلؤا من نرجس * فوق ورد كاد طيبا أن يضوعا
علقت ذيلى وخانتها الهوى * فانثنت من وقفة البين صريعا
وأفاقت وبها حر الجوى * ثم قالت وشكت دهرا خدوعا
لا رعى الله المعالى مطلبا * كم ترى صبا بها مغرى ولوعا
كنت لى بدرا منيرا فاختفى * فى سرار بعد ما سرى طلوعا
وشبابا لاح برقا عندما * أشعل الرأس سنا راح سريعا
أيها الظاعن والقلب على * أثره منذ سار مازال هلوعا
لا تكن للعهد بعدى ناسيا * ياحياتى واعطفن نحوى رجوعا

وهى طويلة ذكر فيها تغربه بالروم واشتياقه للشام

((محمد بن قاسم الحلبى)) بتيمة الدهر وبيضة البلد من نزلت فضائله بين العلياء

والسند أخ لمن تجنبه الدهر شقيق حر العرض على أنه عبد الصديق فكم له من يد خضراء تنبتها يد بيضاء كما اخضرت الهضاب من أبيض نسج خيوط السحاب

تمد على الآفاق بيض خيوطه * فتنسج منها للثرى حلة خضرا

وله شعر راق بجيد الدهر عقده وعذب على لسان الدهر المحلى بالفصاحة ورده وزها في يانع الرياض البهية شقيقه و ورده مع فضل حلا في أفواه الليالي ثناؤه وأضاء في دجى المشكلات سناه وسناؤه

له محاسن أخلاق مهذبة * منها الحجى والعلا والفضل ينتسخ

وكانت أخباره تغدو على مسامعي فتتشوق الى لقياه أجفان عيون مطامعي حتى لقيته بالروم فاهتزت به أعطاف المسره ونلت به ما هو الروح قوت وللطرف قره وعود الدهر المورق يختال في غلائله وقينان روضه كأغاسرق الحسن من بعض شمائله بطبع أرق من برد النسيم هلهله الشمال وأصفى من ريق مدامة صفقها العذب الزلال فدارت بيننا شمول آداب طل لها ثغر الانس باسما وانتظمت عقود عهد كان لها كف المودة ناظما ولما لم يرض مقامه بحلب وفطم أمله عما أدر الدهر له بها و حلب لأن نزاهر الحي لا يطرب وما كل حاملة اذا انتحب تحب سار عنها وسلك الطريق حتى نزل بين وادي العذيب والعقيق فلما أخذ الله كريمتيه وعوضه جنة عدن لديه تربعت أقدام أقدامه وقد سقط في يديه فقعد ينتظر دعوته حتى تلقاه وان كان مع الركب اليمانين هواه

على المرء أن يسعى لما فيه نفعه * وليس عليه أن يساعده الدهر

فما دار بيننا من كؤس الادب ما كتبته اليه وقد قدم من حلب

حتام يغزوني صدوده * والصبر قد كثرت جنوده
سكران من ألحاظه * قامت على قلبي حدوده
وسقيم طرف لم تزل * أبدا لواحظنا تعوده
برقت بوارق وصله * والهجر قد خرست رعوده
غصن تميد به الصبا * في كثب أرداف تؤوده
لم أدر فاتر جفنه * والخصر أسقم أم عهوده
نشوان يعبث بي كما * عبثت بآمالي وعوده

لولا

لولا مياه الحسن جا * لت فيه لاحترقت خدوده
كالصب لولا دمعه * يهمى لأحرقه وقوده
يخفى الهوى وعيونه * بغرامه المضنى شهوده
بشهادة ليست ترد فليس ينفعه جحوده
فسقى رياض الحسن من * دمعى حبابهمى مديده
زمن بجيد اللهو قد * نظمت على نسق عقوده
اذ دوح أنسى يانع * بكؤسنا انفتحت وروده
والكاس نجم لاح فى * فلك المسرة لى سعوده
يصفو فيحكى ذكر من * قد زين الدنيا وجوده
ذاك ابن قاسم الذى * مازال فى تعب حسوده
رقت به حلل العلا * وزهت بطلعته بروده
مازال يسقى من ميا * ه الفضل حتى اخضر عوده
فيكاد ورق بالسعا * دة مثمرا منها وفوده
قد كان دهرى عاطلا * حتى تحلى منه جيده
مجد طريف يغرق الافكار اذ يبدو وتليده
يامالك رق القلو * ب فكلها حبا عبيده
بل جنة فيها بطيب ثنائنا أبدا خلوده
فى الشعر ليس ببالغ * أدنى بديهته وليده
قد كان فكرى صائما * حتى طلعت وأنت عيده
فاليكها عقدا لجيد الدهر زينه نضيده
بكرا يروم جوابها * مهرا ترق لها نقوده
ولئن تكن قيد النهى * فالحب تستحلى قيوده
فالبس لباس مسرة * فى الدهر لا يبلى جديده

فأجاب وأجاد

للظبى لفتته وجيده * والورد ما أبدت خدوده
والدر يزهو بالذى * فى ثغره منه نضيده

وبوجهه شرك العمو * ل فأى عقل لا يصيده
فى كل يوم للهوى * من حسنه معنى يزيده
روض سقاه الله ما * ء الحسن فاحمرت خدوده
يستوقف الابصار حتى * لا يسوغ لها وروده
ملك تحكم فى الجما * ل فنال منه ما يريده
وجرى بأسرار الهوى * للناس من دمعى بريده
مازال يسطو فى الورى * من فعل مقلته جنوده
حتى ظننا انه * بالاجر آثره شهيده
يبدى الصدود وكلما * صانعته عنه يعيده
أتراه يجحد ما لقيت به وهل يغنى جحوده
وهو النهار اذا بدا * من نفسه قامت شهوده
كضياء مولانا شهاب الفضل اذ طلعت سعوده
مازال يسمو فى سما * ء المجد زينها وجوده
حتى تقطعت المطا * مع عنه واستعلى حسوده
وقاد فكر أى خطب ليس يطفئه وقوده
كرمت له همم الى * غير العلا ليست تقوده
يزهو على جيد الزما * ن عقد عقده فريده
من كل مجمع من نثرا * يا الحسن قد نظمت عقوده
واذا ذكرت الشعر فهو كما سمعت به لبيده
قد كنت أجهد فى ابتغا * ء لقاء أيام تفيده
حتى وقت لى بالذى * قد كان فى أملى وعوده
فلقيته البحر الخضم يفيض للعافين جوده
متدفقا بالفضل تخشى ان يفرقها وفوده
مولاى عذرا انها * من خاطر قد جف عوده
بعدت بقول الشعر فى * عهد الصبا حينا عهوده
لبى دعاك وأى مو * لى لا تلبيه عبيده

ماضره عبسد نأى * مادام من لقياك عيده

(ومما أنشدنيه قوله)

متعنا يومنا بصحو * ليس على السر منه ستر

كأن فى الجو منه كنزا * سال على الارض منه تبر

وقوله فى مليح مصفر العذار كأنما خاف الدهر على ذهاب حسنه فقيده بسلاسل النضار أو ملك الجمال بلغ كماه فدلشكاة صدغه سلسلة الغزاله

لما التحى تمت محا * سن وجهه وصفت طباعه

وغدا بلطف عذاره * قمرا أحاط به شعاعه

ومما رويناه فى معناه قول الخطيب الحطيرى

وأشقر الشعر من لطافته * يجرح لحظ العيون خديه

فان بدا من يشك فيه فلى * شاهد عدل من لون صدغيه

(وله أيضا)

كأن صدغيه فى احمرارهما * قد صبغا من مدام وجنته

(وله أيضا)

ما احمر شعر حبيبى أن وجنته * سقته من صبغها خمرا ولا خجلا

وانما لفحت خديه من كبدى * نار فدبت الى صدغيه فاشتعلا

ومما أنشدنيه قوله من قصيدة

قد دعاه الهوى وداعى التصابى * لادكار الاوطان والاحباب

فأتت دون صبره من أليم الـ * ـوجد نار شديدة الالتهاب

فذوى غصنه الرطيب وجفت * من رياض الصبا مياه الشباب

شعر المرء نسخة العمر والايا * م فيها من أصدق الكتاب

فاذا تم منه ما كتبته * تربته من شيبه بتراب

لست آسى على الصبا انما أذ * كر حقا لأقدم الاصحاب

قد سقتنى عهوده العيش صفوا * وكستنيه مونق الجلباب

ومنها بحر فضل لو قيس بالبحر كان الـ * ـبحر فى جنبه كلمع السراب

مزج الفضل بالسخاء كما ما * زج ماء الغمام صفو الشراب

واذا قيل خلقه الروض أضحى الـــروض طلقا بذلك الانتساب
ماعسى أن أعد من مكرمات * ضبطها قد أعيى على الحساب
واذا ما الافكار أمعن فيها * غرقت من بحارها فى عباب
أنت من ناظر الزمان سواد الـــعين والناس منه كالاهداب
قوله شعر المرء نسخة العمر الخ معنى بديع ونحوه قولى
لعمرى ان الدهر خط بعفرقى * رسائل تدعو كل حى الى البلا
أرى نسخة للعمر سودها الصبا * وما بيضت بالشيب الا لتنقلا
ونحوه قول الارجانى
وقد علت غبرة الشيب الشبيبة لى * فبت للاجل المكتوب مكتليا
كتاب عمرى الليالى تربتـه وما * أدنى المترب أن تلقاه منطويا
وللامير العاصى وهو شاعر معاصر للصاحب وان لم يذكره فى اليتيمة
تعجبت حين راع شعرى * من بعد تضوى الخطاب حالى
قالت أهذا الذى أراه * غبار طاحونة بدالى
فقلت لاتعجبى فهذا * غبار طاحونة الليالى
قلت لولا مشاكلة الطاحونة الاولى ودورها معها لقبحت هذه الاستعارة جدا وللغزى
مسحت عارضى وماذاك الا * أنها ظنت المشيب غبارا
قال العماد تشبيه الشيب بالغبار حسن وكنت أظن انى ابتكرته فى قولى
ليل الشباب تولى * والشيب صبح تألق
ما الشيب الاغبار * من ركض عمرى تعلق
قال وشبهته أيضا بالتتريب فى قولى
أصدودا ولم يصد التصابى * ونفارا ولم يرعك المشيب
وكتاب الشباب لم يطوه الشوق ولامس نقشه تتريب
ولمجد القيسرانى
لاتنكرى وضحا لبست قتيره * ركض الزمان أثار هذا العثيرا
وقوله كنت أظن انى ابتكرته عجبت منه مع قول ابن المعتز
صدت برير وأزمعت هجرى * وصفت ضمائرها الى الغدر

قالت كبرت وشبت قلت لها * هذا غبار وقائع الدهر

وهو مسطور في ديوانه وقد تابعه عليه كثير من الشعراء وتطفل عليهم الجماد لكنه طفيلي وقد حذا حذوه في قوله

اذا كتب الشباب سطور مسك * وأشربهن كافور المشيب

فيا أسفي وما أسفي وحزني * سوى طي الصحيفة عن قريب

وعلى ذكر التتريب فما أحسن قول الطغرائي في وصف كتيبة من قصيدة له

عليها سطور الضرب تعجم بالقنا * صحائف يغشاها من النقع تتريب

وللمهذب الموصلي

تردي الكتائب كتبه فاذا غدت * لم تدر أنفذ عسكرا أم أسطرا

لم يحسن التتريب فوق سطورها * الا لأن الجيش يعقد عثيرا

ومن انشاء ابن الاثير صدر هذا الكتاب والفتح غض طري لم تنصل حمرة يومه ولا أغمدت سيوف قومه فسطوره تترب بعثار عجاجه ممثلة بضرب خطيه واعجام زجاجه وقلت مع زيادة حسن التعليل

جيش كان الارض من تحته * صحف غدت أقلامهن الرماح

مذ سطر الجند على وجهها * تربها النقع فلاح الفلاح

وأصل هذا مارواه جابر عنه صلى الله عليه وسلم أنه قال اذا كتب أحدكم كتابا فليتربه فانه أنجح للحاجة رواه أبو داود وقد تكلم الناس فيه وقيل انه موضوع وفي النهاية معناه ليجعل عليه ترابا وقال الطيبي ليسقطه على التراب حتى يصير أقرب الى المقصد اعتمادا على الله في ايصاله اليه وقيل معناه التواضع في خطابه والمراد بالتتريب المبالغة في التواضع انتهى ومما أنشدنيه

يا ربع سقاك كل مزن غادي * قد كنت محل أنسنا المعتاد

هل يحظي الزمان بالاسعاد * يوما فتعود فيك لي أعيادي

(فائدة) قال السيوطي في شرح السنن الاسعاد المعاونة في النياحة خاصة وفي غيرها المساعدة وأصله من وضع الساعد على الساعد انتهى وعلى هذا فالاسعاد هنا ليس مستعملا فيما وضعته العرب وان صح على انه مجاز مرسل في مطلق المعاونة لكن الفصحاء يستقبحون مثله وقد بيناه في كتاب قرض الشعراء المسمى بحديقة السحر

فانظره ثمة ومما أنشد فيه أيضا قصيدة فى تهنئة بختان واخترت منها قوله

أعلامة الوقت مولى الموالى * وقرة عين العلا والكمال
تبوء من المجد أعلى مقام * وضع نعل مسعاك فوق الهلال
فقد أيقن المجد أن انجبى * بمثلك فى الدهر عين المحال
فبشرى لكم بالختان الذى * به لبس المجد ثوب الجمال
هو الشمع ان قط لا غرو ان * أنيرت به حالكات الليالى
وظفر بتقليمه لا تزال * أكف المكارم منه حوالى
وتشمير ذيلى لدى الاستباق * لنيل الامانى وكسب المعالى
وما للسيراع اذا لم يقط * فضل يعد على كل حال
ومن بعد برى الغصون ازدهت * عليها أسنة سمر العوالى
فلا برحت من مزايا كم * بجيد الزمان عقود اللآلى

وفى معناه للقاضى الفاضل الحمد لله الذى أطلعه بثنيات الكمال وبلغه غايات الجمال ويسره لدرجات الجلال ونقله تنقل الهلال وشذبه تشذيب الاغصان وهذبه تهذيب الشجعان وأجرى فيه سنة سن لها الحديد فنقصه للزيادة واستخلصه للسيادة ودربه للاصطبار وأدبه للانتصار وألقى عنه فضلة فى اطراحها الفضيله وقطع عنه علقة حق مثلها أن لا تكون بمثله موصوله فلم يزل التقليم منوها بالاغصان ومنبها للثمر الوسنان ومبشرا بالنماء وميسرا للنشء والانتشاء ولابن فضل الله فى ختان الملك الناصر

لم يروع له الختان جنانا * مذ أصاب الحديد منه حديدا
مثل ما تنعش المصابيح بالقطف * فتزداد فى الضياء وقودا

وأصله قول الغزى

عالك ودى حين قلت رأسه * قياسا على الاقلام والشمع والظفر

ولابن مطروح

لقد سرت البشائر والتهانى * الى الثقلين من انس وجان
ويصغر كل مبتهج اذا ما * نسبناه الى هذا الختان
تود الزهرة الزهراء فيه * لو اتخذت به احدى القيان

وأن البدر طارق يديها * وأن مراسليها الفرقدان
وتجتلى من الافلاك لحنا * فاقدر المثالث والمثانى
وتبقى بالثريا فيه كأسا * ولا أرضى لها بنت الدنان
ولكن من رحيق سلسبيل * بأيدى عبقريات حسان
ويصغر خادما برام فيه * على مافيه من بأس الجنان
فلولا انه فرض علينا * لما مدت لخاتنه يدان
وقطع الشمع يكسبه ضياء * وقطع الظفر زين للبنان

وللصنوبرى أيضا

أرى طهر اسيفر بعد غرس * كما قد قر الطرب المدامه
وما قلم بغن عنك الا * اذا ما ألقيت منه القلامه

قلت الطهر بالضم والطهور بالفتح والتطهير كنايات عن الختان استعملها المحدثون كقولهم للاعور ممتنع كما ذكره الثعالبي فى كتاب الكناية وفى كتابه المسمى بمرآة المروآت وغيره ومن شعر صاحب الترجمة

ما كنت أحسب أن يكون كذا تفرقنا سريعا
قد كنت أنتظر الوصال فصرت أنتظر الرجوعا

وله أيضا

والله لولا حصول معنى * فى خاطرى منك لايزول
ما كان بالعيش لى انتفاع * ولا الى مطلب وصول

وله

قد كنت أبكى على من مات من سلفى * وأهل ودى جميعا غير اشتات
واليوم اذ فرقت بينى وبينهم * نوى بكيت على أهل المودات
فما حياة امرئ أضحت مدامعه * مقسومة بين أحياء وأموات

وله

ويلى من المعرض لاقسوة * لكن لاقوال العدا والوشاه
مالاح للعين سناوجهه * الا وفيها من رقيب قذاه

وله مضمنا

صب على الشنب المعسول ذاب أسى * و بات من حر نار الشوق فى شغل

كالشمع يبكى ولا يدرى أعبرته * من صحبة النار أم من فرقة العسل

وكتب الى فى مرض اعتراه فلم أعده لمرض أصابنى فعتب على ولم يدر ما عاقنى عن العيادة سيدى ومولاى يعلم أن القلوب وهى حصون المودة لا تفتح عنوة والدهر لم يبق لله لى موضعا تتمسك منه يد الأمل بعروة

ووداد ى كما عرفت ودادى * وفؤادى كما عهدت فؤادى

وصاحب البيت أدرى بالذى فيه وان للبيت ربا يحميه وقد عرض من السقم ما عاق عن العياده وأقعدنى عن القيام بأمرها وهى عباده وكيف يصح بدن وروحه سقيمه فلذا أنشد لسان حال المودة السليمه

رأيت الفضل فى الدنيا غريبا * ضعيفا فى معالمها نحيفا
فلما أن سألت الدهر عنه * أجاب ملاحظا معنى لطيفا
وقال لى ابن قاسم المفدى * وعين الفضل قد أمسى ضعيفا
فقلت له حمى الله المعالى * بصحته وآمنه المخوفا *

وكتبت مع ذلك شعرا عرضته عليه وهو قولى مضمنا

يزيد اشتياقى نحو مصر وأهلها * كما زاد مد النيل حتى تفجرا
أذاب النوى صبرى وأفنى مدامعى * فقالوا سلا عن حبنا وتسترا
ولم يبق لى الا تفكر نيلها * ولو شئت أن أبكى بكيت تفكرا

قولى ان وجدى بمصر وجد قديم * وحنينى كما ترون حنينى
لم يزل فى خيالى النيل حتى * زاد عن فكرتى ففاضت عيونى

وقولى ناسجا على منوال شعر الزمخشرى المشهور

وقائلة ماهذه الأبحر التى * جرت من مآقيه ولم تك غائضه
فقالوا لها أنهار مصر التى ثوت * بخاطره أمست من العين فائضه

ثم عن لى معنى آخر حال الكتابة وهو

يا كوثرا ان سد عنه مسمعى * تلقاه فيه قد جرى بخريره
لحديث نيلك مصر أضحى مصغيا * حتى يخوضوا فى حديث غيره

فأجاب أبقاه الله

أتتنى رقعــة من ذى ولاء * وفى فشنى امر أدنفا ضعيفا

أبانت منه معذرة بسقم * ألم به وصار له حليفا
وشاطرني السقام ولم يزل بي * على طول المدا برار وفا
وذلك أبرفى سنن التصافي * وأوفى من عبادته ألوفا
تقيه السوء نفسي فهو من لم * يزل يكسبني به الفضل الشفوفا
شهاب ثاقب محت الليالي * بطلعته من الدهر الصروفا

مولاي فكري الكليل عليل والاستقصاء في مجاراة سيدي ما ليه سبيل وسلامتكم غاية المسؤل والعذر عندكم ان شاء الله تعالى مقبول والسلام

﴿وقال جوابا عن كتاب﴾

ورد الكتاب مبشرا بقدوم من * ملأ النفوس مسرة بقدومه
فطربت بالاسجاع من منطوقه * وثملت بالجريال من مفهومه
وسجدت شكرا عند مورده على * اسعاد هذا العبد من مخدومه

وقال أيضا

قال لى العاذلون لم ملت عمن * بمحياه يخجل الاقمارا
قلت كان الفؤاد عشاله اذ * كان فرحا وحين ريش طارا

وقوله رباعية

يا جيرتنا في حلب الشهباء * من يوم فراقكم سروري ناءى
قدمت لبعدكم غراما وأسى * لم لا غلطا أعدتنى الأحياء

﴿الامير أبو بكر الحلبي﴾ المعروف بابن حلالا أمير جبينه الهمم وبحر تغترف منه الديم تسكر من ألفاظه المدام فاذا ساقط الحديث سماط الدر أسلمه النظام وبدا روض أدبه قامت له الاغصان في الرياض على الاقدام رحيب ساحة الصدر وصليب قناة الصبر لم يعقد حبوة رأيه الا بيد الحزم ولم يحل الدهر ما عقده الا براحة العزم فلا يدخل الطيش حلمه ولا تحل يد النوائب حزمه أدبه أرق من دمع السحاب وأصفى من ماء الحسن في رياض الشباب الا أنه اقتصر عليه وجعل جمله مناعه في يديه والادب روضة ذات أفنان لا تزهو الا اذا كانت ذات أنواع وألوان فلذا قل ما روى شعره من ماء النضاره واكتسى غصن لفظه ورق الغضاره ولم يحضرني منه الآن غير قوله

أيا بحر اغتدونا من نداه * تقدم بعض أنعمه لديه
كذاك البحر ينشأ منه غيث * وبعض سحابه يهدى اليه

وهذا معنى مشهور وفى معناه قول البديع

أهدى لمجلسك الشريف وانما * أهدى له ما حزت من نعمائه
كالبحر يمطره السحاب وماله * من عليه لانه من مائه

وقد ضمنه بعضهم ونقله من الجد الى الهزل فقال

يتبادلان فيتصافا * ن وليس بينهما ارتياب
فيصيب هذا ماء ذا * كالبحر يمطره السحاب

وقد حضرنى فى معناه ما كتبته مع سمك أهديته

أهديت حوتا نحو من * فاتت عزائمه السماك
فاقبل بفضلك عذر من * أهدى الى البحر السماك

ومن الفصول القصار المهدد لمن فوقه مهدد للبحر بالشرق وللحوت بالغرق

ابراهيم ومحمد ابنا أحمد الحلبى المعروف بالملا * هما من دوحة الكمال غصنان بل روضان أنبتهما مرجان ولا أول نهران فهما بحران يخرج منهما اللؤلؤ والمرجان كل منهما جواد يفرغ الخزائن بجوده فيملأ بالغيظ قلب حسوده طويل الباع عذب الموارد اذا ظمئت الاسماع مرهف فكر صقيل الطبع وبحر كرم متموج بهبوب نسيم ذلك الطبع رقيق حواشى المجد أرق من عبرات أسالها الوجد وضاح المحيا تحمر خجلا منه خدود الحيا صنفا وألفا ولا حا كغصنى بانة قد تألفا نشآ فى حجر الفضل والحسب وبسقا فى روض النجدة والادب فى زمان شمت فيه الجهل بالفضل ورقى صهوة عزه كل قدم نذل نجمان بأيهما اقتديت فى طرق المعانى اهتديت فهما فى مغرس الكرم صنوان وثمراتهما صنوان وغير صنوان وروضا محامد يسقيان بماء واحد ووالدهما همام ألف وأفاد وعذبت موارد افادته للوراد له تآليف كثيرة منها شرح مغنى اللبيب طرز بتحريره حواشيه ودخل جنته من أى باب شاء من أبوابه الثمانية فما أنشدته لمحمد ابنه

فى الليل وفى النهار حرا كبدى * مقتول ضنى بحاثر ليس يدى
ترشى عينى جواهر الدمع على * لغياه تظن أنه طوع يدى

وهو معنى مترجم من الفارسية ومثله قول صاحبنا محمد القاسمى

لقيالك سرور قلبي المحزون * والوحشة من هواك لا تعدونى
ياويح عيوني خشيت شقوتها * مبنى فاتت بدرها ترشينى

وقريب منه قول ابن الرومى

وهبت له عيني الهجوعا * فاثابها منه الدموعا

وأحسن منه قول الارجانى

لولا طروق خيال منك منتظر * يلم بى راقدا ماساءنى سهرى
كأن جفنى اكراما لزائره * أمسى على قدميه ناثر الدرر

ولابراهيم من قصيدة قرظ بها شعر اليوسف بن عمران

أطرسك هذا أم لجين مذهب * ونظمك أم خمر طمى مذهب
وتلك سطور أم عقود جواهر * وزهر سماء أم هو الروض مخصب
وتلك معان أم غوان تروق للعيـ * ـون وبالحان المسامع تطرب
فياحبذا هذى القوافى التى عن * يعارضها ظفر المنية ينشب
لقد أحكمتها فكرة ألمعية * فكدت لها من رقة النظم أشرب
فكم غزل قد هز ذا سلوة الى التصابى فأضحى بالغزال يشبب
فيابحر فضل فاتنا بلآلئ * لها فكرك الوقاد مازال يثقب
ظننت بانى للخطاب مؤهل * فأرسلته شعر النظمى يخطب
فعذرا فان الفكر منى مشتت * وعقلى بأيدى حادث الدهر ينهب

وكان العماد بينه وبين أحمد مودة صافية وفى بعض الاحيان تجرى بينهما مداعبات وأحماض فكتب له مرة وقد رأى ميله لمعذر كان من جملة خدامه يستفتيه فى رأى أهل الموصل

ماتقولون ياذوى الافضال * وأولى العلم والحجى والكمال
فى أناس يرون فى حلب الشهباء رأى الهوى وحب الجمال
قد تحيرت فى هواهم زمانا * فاكشفوالى عن شبهتى وسؤالى
أى ذنب للامرد الناعم الخد الذى فاق ربة الخلخال
بمحيا مثل الغزالة حسنا * وبطرف أزرى بلحظ الغزال
وبعقول وجنة قد تسامت * بصفاء على بديع اللآلى

فلماذا أعرضتم عن هواه * لذقون كأنهن المخالى
من نتيف محفف ذى اعتلال * ناقص الحسن مصدر الأفعال
أفلا تنظرون مرآة وجه * لاح بدرا مكملا بالدلال
دون ذى لحية كسته ظلاما * خارجا عن مطالع الاعتدال
فاكشفوا شبهتى فأية داع * لاتباع الهدى وترك الضلال
لا برحتم فى نعمة وسرور * ناجحى القصد بالغى الآمال

فأجابه بقوله

يا هماما مهابروج الكمال * واماما حوى فنون المعالى
وأديبا أتى بكل بديع * من نظام أزرى بعقد اللآلى
وعلى أصله المكارم جادت * بشذا يفوق ريح الغوالى
ولعمرى ان العماد امام * فاق أقرانه بحسن الخصال
ياله فاضلا وأحسن مولى * فى صحيح الهوى خلا عن مثال
هذبته أيدى الليالى الى أن * رق طبعا ففاق صفو الزلال
قد أتى منه لى لطيف سؤال * ببديع الفنون أصبح حالى
غفته أيدى القريحة حتى * حاز لطفا قدتم بالاعتدال
جاء فى طيه بنشر ذكى * دق عن ذوقه فهوم الرجال
سائلا من معاشر من بنى الحب بشبهاتنا رضوا بالمحال
عدلوا عن هوى صقيل المحيا * من بخديه جال ماء الجمال
وله بهجة بوردى خد * ولحاظ تروى عن الغزالى
ناعم الوجنتين معسول ثغر * ويح قلبى من قده العسال
فلماذا أعرضتم لسواه * من ذقون كأنهن المخالى
تارة تنحون حب نتيف * ناقص أجوف الحشا ذى اعتلال
واذا الامرد الجميل المفدى * لاح لم تقصدوا هواه بحال
وطلبتم منى الجواب وانى الآن والعهد ليس لى من مجال
كيف والفكر فى خمول ووهم * والحشى فى تحرق واشتعال
غير أنى أقول قولا وجيزا * وعلى الله فى القبول اتكالى

انه

انني مغرم بكل جميل * حسن الوصف والثنا والفعال
أمردا كان أوفتى ذا عذار * فاق فى الحسن ربة الحجال
سيج المسك وردخديه لما * خاف أنا نصيبه بالنبال
وتجلى من هالة فى عذار * ومحياه البدر دو البها والجمال
ذا غرامى ومذهبى واعتقادى * انه مذهب من القدح خالى
اذرأينا من تقدم قوما * قدرقوا فى العلا ذرى الآمال
سلكوا فى هوى الفريقين سلما * وأتوا بالبديع من كل قال
وطباع الورى تخالف فالنازل فيهم وفيهم كل عالى
هاجوابى ولست أزعم أنى * ذوصواب فارقت نهج الضلال
فعلى الفاضل الاديب مليك الفضل من جاءنا بهذا السؤال
الامام العماد نشر اعتذارى * وقبول يقاد من غير قال
دام فى نعمة وأرغد عيش * ونعيم وبهجة واعتدال
ما انتحى المرد والمعذر صب * عادم الصبر واجد البلبال

(يوسف بن عمران الحلبى) أديب نظم ونثر فأصبح ذكره جمال الكتب والسير أكثر من الرحلة والنقلة على تيقظ لاتطمع فيه الغفلة ففاضت عليه سحائب من الثناء سكوب من جهار ياح الشكر عما يسحبه الصبا والجنوب الا أنه فى أواخره داست ساحته النوب فأحاط به الفقر لما أدركته حرفة الأدب فأصبح بعد النعيم المقيم بؤسه أبا العجب

لوكان يدرى المرء أن ابنه * يحرم بالآداب ما أدبه

وقد صحبنى فرأيته بشعره معجبا طروب اذا اسمع له معنى فكأنه قميص يوسف فى أجفان يعقوب فمدحنى بعدة قصائد وأهدى الى منها ماهو على آدابه شاهد وطلب منى يوما تقريظ شعره فقلت بديهة

لشعرذا الحبر يجرى فى تموّجه * يهدى لأسماع عنار وحاور يحانا
ذو منطق ساحر مطر فواعجبا * للسحر ينشئه وهوابن عمرانا

وكان من خزائن الادب نهابا وهابا يطرب بألحانه وان رجع على من سواه بأوزانه فمن عذب خطابه وقلائده المنتظمة فى جيد آدابه ما أنشدنيه من قصيدة له

أثار بأحشاءى البنان المطرف * رسيس هوى يقوى اذا الصبر يضعف
وأرقنى من حى سلمى حمائم * غدت فوق أغصان المعاطف تهتف
وثغر اذا ماافتر يبدى ابتسامه * بروقا بها أبصارنا تتخطف
وخد سقى ماء الشباب رياضه * بألحاظنا منه جنى الورد يقطف
ودينار خد كامل الوزن حسنه * على حبه روحى النفيسة تصرف
وجسم صفا حسنا يكاد أديمه * المنعم من فرط الطراوة يرشف

وقوله من أخرى

حذار تروم الوصل من ساحر الجفن * فكم مشرفى دونه سل من جفن
واياك من خطى عامل قده * فكم أثخن الاحشاء طعنا على طعن
ألا أيها الريم الذى بات يرتعى * حشاشة نفس الصب لا روضة الحزن
بخديك ماف مهجتى من لظاهما * وجسمى المعنى ما بخصرك من وهن

ومنها

لثمت له جيدا طلى الظبى دونه * وثغر الماء العذب أحلى من المن
وألصقته بالصدر عند عناقه * كما ضمت الأحلام جفنا الى جفن

وهذا كقول القاضى الفاضل

فياجفنى فاعتنقا انطباقا * ويانومى قدمت على السلامه

وله من أخرى

كأن زهور الروض حين تساقطت * لتقبيل أقدام الأحبة أفواه

وله من أخرى

ربيع عدل به أيامه اعتدلت * فالشاة والذئب فى أيامه اتفقا
لا تختشى الطير من ملقى الشباك لها * ولو اليها بألفى مقلة رمقا

وفى معناه قولى من قصيدة

فديتك يا من بالشجاعة يرتدى * وليس لغير السمر فى الحرب يغرس
فان عشق الناس المها وعيونها * من الدل فى روض المحاسن تنعس
فدرعك قد ضمتك ضمة عاشق * وصارت جميعا أعينا لك تحرس

ومما أنشدنيه أيضا قوله

ما ان عصبت العين بعدهم سدى * الا لأمر طال منه سهادى
لما قضى نوى باجفانى أسى * لبست عليه العين ثوب حداد
وقد كنت لما ذكر لى هذا ذكرت له تنفانى معناه فأعجبته فنها
لاتنكروا رمدى وقد أبصرت من * أهوى ومن هو شمس حسن باهر
فالشمس مهما ان أطلت لنحوها * نظرا تؤثر ضعف طرف الناظر
ولقد أطلت الى احمرار خدوده * نظرى فعكس خيالها فى ناظرى
ومنها
رمدت جفونى عند ما فارقت من * قد كان كحلا فى نواظر عبده
وسرقت حمرة ناظرى وسقامه * عند النوى من مقلتيه وخده
ومنها
حين خبرت أن فى الطرف منه * رمدا زاد فى ذبول المحاجر
جئت كيما أزور من وجه بدرى * كعبة الحسن تحت سود الستائر
ومنها ما احمر طرف العين ضعفا ولا * نرجسه بدل منه الشقيق
لكنه من حمرة الخد قد * أصبح سكرانا فلا يستفيق
ومنها أنظر الى أجفانه الرمد * تبدل النرجس بالورد
تحمر لا من علة اعا * تأثرت من حمرة الخد
ولابن المعتز
قالوا اشتكت نرجسنا طرفه * قلت عداه السمم ما كانا
حمرة ورد الخد أعدتهما * والصبغ قد ينفض أحيانا
وكتب ابن الخيمى الى اليعمورى وهما أرمدان
أبثك يا خليلى أن عينى * غدت رمداء تجرى مثل عين
حديثا أنت تعرفه يقينا * لاذنك قد رمدت وأنت عينى
فاجابه كفاك الله ما تشكو وحيا * محاسن مقلتيك بكل زين
وانى من شفاءى فى يقين * لانك قد شفيت وأنت عينى
ومما قلته أيضا
أشكو اليك جفونا قد رمدن وقد * فارقن مرآك يا من فقده حينى

والقلب منقلب عن راحة وهنا * والعين مثل اسمها معتلة العين

ولنقصر عنان الاختيار فقد طال والشئ بالشئ يذكر ومما أنشده لى أيضا قوله فى بخيل

بخيـل لو بثوم منه جادت * أنامـله لغالته الندامه
ولو فى النار ألقى ألف عام * لما عرفت له يوما سلامه
ولو صارت بسفرته رغيفا * ذكاء لما بدت حتى القيامه

وقوله أفدى حبيبا تفوق البدر طلعته * لأنه الغريب الحسن قد جمعت
حاك الجمال عـذارا فوق وجنته * غزالة الصبح فى أشراكه وقعت

وأنشدنى لنفسه فى معناه

ظننت الصبا لما على النهر قد جرت * وعكس ذكاء لاح فيها المرتقب
شباكا بها صاد النسيم غزالة * ألست تراها دائما فيه تضطرب

ومما يعجبنى هنا قول القائل

غدوت مفكرا فى أمر أفـق * أرانا العلم من بعد الجهاله
فما طويت له شبك الدرارى * الى أن أظفـرتنا بالغـزاله

وقول الشهاب محمود فى عقاب

ترى الطير والوحش فى كفها * ومنقارها ذا عظام مزاله
فلو أمكن الشمس من خوفها * اذا طلعت ما تسمت غـزاله

وللمعمار أنظر الى النهر فى تطرده * وصفوه قد وشى على السمك
توهم الريح صفوه فغـدا * ينسج فوق الغدير كالشبك

وأحسن منه قولى

ما الغصن مال على الأنهار جعدها * مر النسيم فألقا فوقها حبكا
بـل مد منـه يدا لما رأى سمكا * من صفوه طرحوا من فوقه شبكا

مسرور بن سنين الحلبى شاعر سمح السجيـه له أنفاس ندية نديه كانت نسمات المسامرة تهب بنفحاته وأفواه الاسماع تحتسى فى نادى الأدب سـلافة أبياته ونور روضه يتبسم فى الأكمام فترى منـه ما هو ألذ من نظر معشوق فى وجـه عاشق بابتسام فتستعذب فى مذاق الأدب وتتلقى بضائعها من الركبان القادمة من حلب ثم رأيته لما ورد الروم الا أنه لم يطل مكثه بها فـقد ما يروم *وآفة التبر ضعف منتقده *

مسرور بن سنين

فرجع

فرجع قائلا لكل يوم غد ولكل سبت أحد فلم تر عين أمله سرورا *ولم يذق كأسا كان مزاجها كافورا* ولم يلبس برد العمر قشيبا حتى احتضر غصنا رطيبا فمما أنشدني من شعره قوله من قصيدة

وليل هدت تنافيه غر الفراقد * لحاجات نفس هن أسنى المقاصد
وقد صرفت زهر الدراري دراهما * محمد الثريا نحوها كف ناقد
وباتت تناجيني ضمائر خاطري * تقرب نيل المطلب المتباعد
لحى الله طرفي ماله الدهر ساهرا * لم يكتحل الاجفان بالنوم راقد
حبيب كأن البعد يهوى وصاله * معي فهو لا ينفك فيه معاندي
أخذت الهوى من لحظه وابتسامه * بما قاله الضحاك لي عن مجاهد

وقوله حبيب الخ كقول أبي الطيب

كأن الحزن مشغوف بقلبي * فساعة هجرها يجد الوصالا

وقول المعري

لئن عشقت صوارمه الهوادي * فلا تعدم بما تهوى اتصالا

وفي معناه ما قلته

لك الله من دمع كشمل مبدد * وطرف بنعسان الجفون مسهد
لئن عشق التسهيد أجفان مقلتي * لهجرك فلينعم بوصل مخلد

ومن تقريظ له على شعر ابن عمران

حملت الينا يا ابن عمران روضة * من النظم يسقيها الحجى صوب وكفه
خميلة شعر يزدري البدر نورها * وينأى عن الشعرى العبور بعطفه
كأن غصونا أودعت في سطورها * لها ثمر يلتذ معي بقطفه
اذا ما مشى ليل المداد بطرسها * نهارا زهت فيه كواكب وصفه
فكانت كما زارت معطرة الملى * مبردة من حر قلبي ولهفه
ووافى الى الصب الكئيب شويدن * لو جرة أحوى فاحم الشعر وصفه
فاحبب به عبل الروادف خصره * يجوع اذا غص الازار بردفه

حسين بن أحمد الجزري الحلبي أديب له أوصاف حسنى ومناقب هن الوشي بهجة وحسنا اذا أصغت له أذن أديب حلت منه بواد خصيب

سحر من اللفظ لو دارت سلافته * على الزمان تمشى مشية الثمل

رأيته بالروم وهو شاب يجر رداءى شباب وآداب وهلاله مشرق فى أفق غيابه وغرة صبحه تؤذن بوجه ذكائه وقد سلك للمجد طريقة غير مطروقه بهمة غير همة وخليقة غير خليقه وللدهر فيه عداة يرتجى انجازها وحلل منشورة سيلوح طرازها فلم ينبسط برد ها حتى انطوى ولم يورق قضيبه الرطيب حتى ذوى والدهر يقول والنجم فى مطلع العمر هوى

أبكى أناه شيبة * فى وقت ما امتلأت كفى

فلما أنشدنى فى صديقه سرور السابق ذكره

وحقك ما تركتك عن ملال * و بغض أيها المولى الامين

ولكن مذ ألفت الحزن قدما * أنفت مواضعا فيها سرور

وهذا من قول المتنبي

خلقت ألوفا لو رجعت الى الصبا * لفارقت شيبي موجع القلب باكيا

ومنه أخذ البهاء زهير قوله

وألوفا فلو أفارق بؤسى * لتوالت لفقدها حسراتى

وقد أجاد القائل فى متابعته

ألفت الضنا من بعدكم فلوانه * يزول اذا عدتم حننت اليه

وصار البكا لى عادة فلوانه * تغيب عن عينى بكيت عليه

ومما قلت فى المعنى

مذ هجرتم هجر الطيف ولى * ناظر لم يدر ما طعم الوسن

فى هواكم ألف الحزن فلو * لم يجده مات من فرط الحزن

وله ديوان بليغ طالعته فاخترت منه قوله من قصيدة

أعطى سرائرك النحول اللوما * والحب ليس بممكن أن يكتما

ووشى ونم عليك دمعك عندما * وشى بعندمه الخدود ونمنما

أفرمت تبهم واضحا من سره * والدمع متضح به ما أبهما

أم خلت أن أساك تمحوه الاسى * كلا ورب جراحة لن تحسما

ان المحبة محنة لا محنة * ومن الغرام يرى المحب المغرما

وشكيتي شاكي السلاح جفونه * مر العذاب لشقوتي عذب اللمى
ظبي ظبا لحظاته بعضاتها * أنا وقرن لاشك تردى الضيغما
أخشى الهلاك توهما من بأسه * ولربما هلك المحب توهما
وأظل صادي القلب خيفة صده * ولو انه بنعيم وصل أنعما
واذا منعت الماء أول مرة * ووردته أخرى تذكرت الظما
بأبي وان كان الابي وبي رشا * قد الغصون رشاقة وتقدما
كالصبح فرقا والغزالة طلعة * والبدر وجها والثريا مبسما
يزداد ورد خدوده وجوانحي * من نارهن تضرجا وتضرما
صافي الاديم ترى ترافة جسمه * ماء ويأبى الماء أن يتجسما
كيف الهداية لي وفاحم فرعه * قد ظل يجهد أن يضل ويفحما
كالافعوان على قضيب كثيبة * لا يرتجى لسليمه أن يسلما
أنا من أباح يد الغرام زمامه * فمشى به أنى يشاء ويمما
فعسى الحبائب أن تخفف عبأها * فلقد حملت من النوائب أعظما
في كل يوم روعة أولوعة * والقد تقعده الحوادث توأما
شيآن لست بآمن عقباهما * أن تعصب الدنيا وتدني الأرقما
فلا بلغن نهاية في قدحها * ان لم تبلغني الأبر الأكرما

ومنها

ولوان ادراك المنى بيد النهى * وطئت نعامة أخمصي الأنجما
ومتى يصح سقيم جد أخي الحجى * يوما اذا كان الزمان المسقما
فالحمق أليق والخداع موافق * والمكر أرفق ما ترافق منهما
أبناء دهرك بالنفاق نفاقهم * أفبر تصونك بالهدى متكلما
مالم تنافق فاتخذ نفقا به * ترجو السلامة منهم أوسلما
لا يفقهون وشر من صاحبته * أن تصحب الاعمى الاصم الابكما
ولقد ملئت تجاربا وتجاربا * لم تلقني الا اناء مفعما

ومن قصيدة

لا تلحن الاقدار في اعرابها * قد ترفع الاسماء بالتقدير
مكسورة قد حاولت اكسيرها * من جابر والجبر للمكسور

وله من أخرى

وليل كأن الصبح فيه مآرب * نؤمل ان نمضي وخل نصادقه

وله من أخرى

ولم أنس ليلا ما ابيلج صبحه * ولا لاح في يافوخه وخط شائب
عدمت ابتسام الفجر فيه كأنه * سلو فؤادي أو وفاء حبائبي

وله من أخرى

تأسلم بدهر عممت منه به * وعش بعليائك عمر أعممه
تأسو برؤ يائك من اساءته * لا يصلح القرح غير مرهمه
فان هذا الزمان محسنه * كفارة من ذنوب مجرمه

وله من أخرى

وبي مضاضة عيش مسني لغب * منها وساورني في كرها سغب
حتى تصور لي منها على ظما * أن المنية في ثغر المنى شنب

ومن أخرى

عسى شمس هذا الدهر تأتي بوفق ما * نرجي وشمس الوفق في شرف الشمس

وله يطلب فرسا

أبثك ان لا طرف لي أقتضي به * ديوني وأعياني الغريم بمطله
فخذ لي بما أرجوه ان شئت ملجما * وان رمت تعجيل العطا فبعجله

وله من أخرى

ورب غبي كنت أحسن وده * وتقبح لي أقواله والفعائل
تغافلت عن أشياء منها وربما * يسرك عن بعض الامور التغافل

وهذا كقول بعض الحكماء الكريم مكيال نلناه التغابي ولابي فراس

ليس الكريم بسيد في قومه * لكن سيد قومه المتغابي

ومما قلته أنا في نحوه

كم قد سعيت للمعالي جاهدا * فزاد في سعيي اليه الغبي
ولست في فهمي غبيا أبدا * وانني ان عن سوء لغبي

وله من أخرى

ولا عيب فيهم غير أن صلاتهم * تغرق آمال العفاة بحورها
وأن سيوف الهند في كل معرك * بأيمانهم خاضت دماء ذكورها

وله من أخرى

يلبيك من قبل السؤال نواله * ويأتيك دون الانتظار نضاره

وله من أخرى

وقبلك صاحبت الزمان وأهله * فما شاقني خل ولا راق موضع
يقدمني عزمي وحظي مؤخري * ويوصلني حزمي ودهري يقطع
ولا ذنب لي الا الفضيلة انها * من الجهل في الايام أشنى وأشنع
وهمي من لدنيا المعالي ونيلها * وما هم قلبي الرقتان ولعلع
ولا نسمة سحرية شجرية * ولا بارق من بارق وهو يلمع
ولا عذب ماء العذيب على ظما * ممض بجرعاء الحمى يتجرع
ولا رشأ أحوى ولا صوت قينة * ولا قدح فيه الرحيق المشعشع
ولكنه لدن وأجرد سابح * ومسرودة زغف وأبيض يسطع
واتلاف ما أحوى على طلب العلا * وهذا طريق للمكارم مهيع
واني من خلي بأيسر وده * أسر وأسرى ما دعاني وأسرع
قليل مودات الرجال كثيرة * وأيسرها عند النوائب تقنع
أبرك من يلقاك بالبشر وجهه * وواساك في الضراء من يتوجع
ولكنني لم ألف غيرك وافيا * وأكثر من تلقى يخون ويخدع
فحاولت ان ألقى المنايا أو المنى * لديك وعرنين العدا بك أجدع
تملكت مني جانبا لا أضيعه * لغيرك في الدنيا وغيري المضيع
لسانا طريا بالمديح وأغلا * سحائبها من نفثها لا تقشع
وقلبا على حفظ المودة عامرا * ولكنه ان مسه الضيم بلقع
وصيرتني عبد الامرك طائعا * واني الالك الانام أضيع
ولي رتبة فوق الثريا محلها * ودون ثرى فيه نعالك توضع
وسلسال لفظ سائغ الورد عذبه * له مشرب صاف غمر ومشرع
وما قصدت الالك قبل قصائدي * ولم يرها قوم سواك ويسمعوا

مغمة تزهو على زهر الربى * وتشرق كالزهر السوادى وتطلع
لواعتبر الرائى مواقع لفظها * تيقن أن السحر فى الشعر يجمع
وغيرى طفيلى القوافى وأشعب المعانى له فى كل ماعن مطمع

وله من أخرى
ان خصنى بالبؤس دهرى دائما * دون الورى فأنا بذلك أفضل
هذى عقاقير العطارة كلها * لم يحترق منهن الا المندل

وله من أخرى
أرى اليأس عزا والرجا ذلة الفتى * وطول المنى عجزا وحب الغنى فقرا
فلا تفجرن من حالة مستحيلة * كما نلتها عسرا استتركها يسرا
وان الفتى كالغصن مادام نابتا * فآونة يكسى وآونة يعرى

وله من أخرى
اذا ما كنت مصطنعا جميلا * فحاول من يروقك بالصنيع
ولا تكرم به الا كريما * رماه الدهر عن مجد رفيع
ولم أر نعمة تسدى فتزرى * بمسديها سوى رفع الوضيع

وقوله
عبر بدع اذا ظلمت بدهر * رزق الغمر فيه حظا عظيما
فالهواء الصحيح يدعى عليلا * واللديغ المصاب يدعى سليما

وقوله
ما سئمت الزمان الا لحرما * ن كريم فيه وحظ لئيم
وتراءى اللئيم أقبح فى العينين مرأى من افتقار الكريم

وله
ومستخبر عنى بغير جهالة * يرانى وفى عينيه عن حالتى عمى
تنكر مرتابا ولم يدر اننى * شهدت مذاق العيش شهدا وعلقما
اذا ما استرد الدهر منى هباته * فسيان ان أعطى كثيرا أو أحرما

وله
لا يضر الكريم قلة مال * لا ولا باللئيم يجدى الثراء
فشبا مرهف الجبان كليل * وبصسند يدها تقد العصاء

وله
لا تحسب الارزاق تقسم باطلا * كلا لقد ساوى المهيمن بينها
فاذا رزقت الجهل أدركت المنى * واذا حرمت الجد أعطيت النهى

وله
حاذر عداك الا من بين من الورى * فاضرها القرباء والقرناء

وتوق من كيد الحقود ولين ما * يبدي فقد يصدي الحسام الماء

وله
أبعد ما يطلب ادراكه * نيل المنى بالفضل انسان
وكل شيء وله غاية * وغاية العرفان حرمان

وله
رويدك ان بعد الضيق مخرج * وصبرك عنده أبهى وأبهج
وكم من كربة عظمت وجلت * وعند حلولها الرحمن فرج

وله
كفى حزناً أني أراك قريبة * ويقصيك عني يا بثين أمور
أراك ولكن لا سبيل الى اللقا * وكل يسير لا ينال عسير

وقوله
اسقني قهوة بن * وامزج القهوة عودا
فهي للصفراء والبلغم تمحو وهي سودا

وقوله
وأغيد أورثني بعده * ثوب الضنى فيه وفرط السقام
رثى لي العاذل في حبه * حتى اذا خط عذاره لام

وله
مذ خط آيات عذاره له * نقطها من مسك شاماته
ولاح في اصداغه وجهه * كأنه البدر بهالاته
وأرسل اللحظ نذيرا وقد * كلم قلبي بمناجاته
لم أستطع كفرانها انني * آمنت بالله وآياته

وله في الصيف

قد هجم الصيف وولى الشتا * منهزما تابع آثاره
مبتدعا يسلب أثوابنا * ويخرج المالك من داره

وله
أراك بسر مستوعيك سرا * مخافة أن تسر الى مريب
أتم من السؤال على عديم * ومن دون السفار على غريب

وله

لا أشتكي الحب تصميني مصائبه * ولي عن اللوم فيه أذن أطروش
فلست أول من ألقاه ناظره * في صبوة شوشته أي تشويش
كالسهم أراده سهم فاستعدله * عذرا وقال رمى قلبي بهريشي

وله أيضا

بروحي من أبصرت صفحة خده * وأبصرت وجه الشمس أغبر أسودا

كأنى أراها دونه مثلما يرى * سواها اذا ما شامها الطرف أربدا

وله من أخرى

منير المحيا كلما شمت وجهه * أعاد اليك الطرف جد كليل
كذا الشمس مهما شامها المرء لم يعد * وان صح منه الطرف غير عليل

وله من قصيدة

قد كان ليل دوائبى لى شافعا * واليوم صبح الشيب من رقبائى
فى الملتقى بيض الصفاح أحب للبيضاء من ذى لمة بيضاء
ومنها ولئن خبرت بنى الزمان وخسة الآباء قد نتج خسة الابناء
اياك ترکن منهم لمماذق * يبدى أوفاء ولات حين وفاء
وتجنبن من لين ملمس عطفه * فالعضب يصدأ متنه بالماء
ولطالما أصفيت قبلك خلتى * من لا أراه موافقا لاخائى
وبلوت منه وده فرأيته * متلونا كتلون الحرباء
فغدوت أحترز الايام وغدرهم * ان الطبيب يخاف مس الداء
وقطعت باليأس الرجاء لديهم * واليأس يجدع أنف كل رجاء

وله من أخرى

أواه كم لوعة بقلبى * تغدو وكم روعة تروح
ان الهوى داء عياء * يعجز عن برئه المسيح

وله من أخرى يصف قصيدته

وكأنها فى كل بيت شمته * منها تضم من القريض مهندسا
والشعر ما شاقتك منه حكمة * لا ما يشوقك الكثيب الأعوسا

* أبو بكر تقى الدين التاجر المعروف بابن الجوهرى * من زهت زهرة حياته بالشام فنظر من مطالع آفاقها بوارق الفصاحة وشام وأسعدته الجدود فبدت عرائس أفكاره موردة الخدود ودارت من شمائله الشمول فسرت بها قلوب القبول وعيون العقول كما أرفض عرق الطل الهتان على رؤس القضب وطرر الريحان وله فى الادب والشعر تجارة لن تبور الا أن طبعه كام الصقر مقلات نزور فمن عقوده وجواهر نقوده قوله

هذى المنازل قبلنا * كم ذا لها ولها أناس
كم صدعت ملكا وكم * من مدع وضع الأساس
غرسوا وغيرهم اجتنى * من بعدهم ثمر الغراس
دول تمر كأنها * أضغاث حلم في نعاس

وهو من قول أبي تمام

أعوام وصل كاد ينسي طيبها * ذكر النوى فكأنها أيام
ثم انبرت أيام هجر أعقبت * نحوي أسى فكأنها أعوام
ثم انقضت تلك السنون وأهلها * فكأنها وكأنهم أحلام

وكانت نزلت بي شدة ليس لها غير لطف الله عدة فكان في كل يوم يسليني الاحباب بذكر مبشرات بحصول الفرج فقلت وقد كثر ذلك

ويلاه من زمن كان نهاره * نفضت دجاه عنه صبغ ظلام
من بعدما كانت لياليها لها * نور يرينا صفوة الأيام
زمن كأحلام تقضى بعده * زمن نعلل فيه بالاحلام

﴿شمس الدين محمد المعروف بابن المنقار﴾ جواد في حلبة الأدب سابق مخلط هزل فائق رائق وقد كانت تتجاذب الاخبار شمائل فضائله وتهتز الاغصان اذا هبت نسمات شمائله ومن طاب عرفه طاب من عرفه الشميم ومن كان غصنا في رياض المعالي هزه مرور النسيم الا أن شعره شعر العلماء وأدبه أدب الفقهاء وما كل قصر خورنق وسدير وما كل واد فيه روضة وغدير على أنه كانت تتيه به على سائر البقاع بقاع الشام ويفتخر به عصره على سائر الليالي والأيام فلا تزال تمدح ورق الفصاحة في ناديها وتسير الركبان بما فيه من المحاسن رائحها وغاديها وأقلام الفتوى مثمرة من شمس افادته ارتفعت فيالها من قضب أثمرت بعدما قطعت ونور فضله بادي وموائده ممدودة لكل حاضر وبادي

كالشمس في كبد السماء ونورها * يغشى البلاد مشارقا ومغاربا

ولم يزل ثاويا في فلك السعاده حتى كسفت شمس حياته فلبس الدجى عليه حداده فمن نفحات أسراره ولمعات أنواره قوله للقاضي محب الدين وهو بمصر

من يوم بينك كل طرف دامي * لم تكتحل أجفانه بمنام

لما رحلت ممتعا بسلامة * ومصاحبا للسعد والاكرام
خلفت بعدك كل خل هائما * يجرى الدموع حليف فرط غرام
سكران من كأس الفراق معذبا * ياصاح بالهجران والآلام
يشدو بذكرك من نوالك اذا أتى العشاق فى ركب لكل مقام
مولاى قد نفرق شملنا * وضياء نادينا انمحى بظلام
قد كنت واسطة لعقد نظامنا * حتى انفردت فحل عقد نظامى
وضياء وجهك فى النهار اذا بدا * فالشمس تستر وجهها بغمام
هذا وعبدك ضاع بعدك صبره * فاسلم ودم فى السعد والانعام
وعلى جمالك من المحب تحية * لاتنتهى وعليك ألف سلام
وسقى الاله ديار مصر وأهلها * أنواء سحب من يديك عظام
لما حلت بها تضاحك نورها * فرحا وبدل نقصها بتمام
لازلت ترفل فى ثياب سيادة * وتجر ذيل العز فوق الهام
ماغنى المشتاق طرس رسالة * بحديث أشواق وبث غرام

ابنه عبد اللطيف ولما ارتحلت عن مصر فارقت أترابى ولداتى ومن بها من ذخائر آمالى وكنز حياتى

وطير بلاد أرضعتني عبابها * وأنفاس نسماتى ومهد يارى

مررت بدمشق الشام فرأيت من بها من الكرام كان ممن نعمت بلقياه ووقفت على هضبات علاه هذا الاديب الحسيب والروض الاريض والمربع الخصيب فحيانى بانفاس من أنفاس الخزامى أندى وهبت منه نفحات أنس كنفحة روض من قبيل الصبح بلها الاندا فعطر بفضائله المجامع وفكه بثمرات آدابه المسامع وأهدى الى فى مشرفة قصيدة حيانى بها وهى

بأفق دمشق قد طلع الشهاب * أضاءت منه هاتيك الرحاب
همام جد فى طلب المعالى * فأحرز شأوها منه الطلاب
ومولى شأنه تحرير علم * وتقرير المباحث والخطاب
حواشيه منقحة المعانى * ومن فن البيان بها اللباب
فبدر علاه مكتمل منير * يفيض بدرها منه العباب

ففى

ففى التفسير مجتهد وفيما * نحاه رأيه أبدا صواب
* فلا يلفى له فيه نظير * وليس له سوى التحرير داب
أتى من مصر مجتازا فطابت * بمقدمه معالمها الرحاب
وعاد الى دمشق وهو ثان * عنان العزم واقتبل الاياب
فقلد جيدها بعقود فضل * ووشى روضها ذاك الجناب
وجاد ربى دمشق وساكنيها * بصيب سيبه الهامى سحاب
تقرت أعيننا وسمت مقاما * وقد راقت مشاربها العذاب
وغنت لى قيان الطير بشرا * فكان من القبول لها جواب
وماست غادة الروضات زهوا * فألقى عن محياها النقاب
وقد بسمت ثغور النور فيها * وأسكر من ثناياها الرضاب
وكأس الورد فى راح الروابى * طفا فيه من الانداحباب
فنعم الوقت وقت جاء فيه * وخير الدهر عيش مستطاب
فدام ممتعا فى ظل عيش * لطيف لا يكدره الذهاب
وعمر بنيه فى الدنيا طويل * يتيه بعده فيه الحساب
له منى ثناء كل وقت * جزيل أو دعاء مستجاب

شيخ الاسلام عماد الدين الحنفى الشامى ماجد طويل النجاد له بيت كرم رفيع العماد من غير قدح فيه وارى الزناد عن رفع فوق هام السماك مهاده اذا شيد بيت الشعر وعمر وبع الأدب فهو عماده واذا بدى ربيع طبعه نشر على البقاع وشائع يحيى دارس الفضل فيصبح وهو مشهور بها وشائع وجواد قريحته ملآن العنان سباق الى مغارس قصب الرهان بعذب مشرب كأنه جنى النحل ممزوجا بماء الوقائع فأريج الشمال وما الراح الشمول وماوجنات الورد خمشتها راحة القبول له لطف خلق يسعى اللطف لينظر اليه ورقيق محاسن يقف الكمال متحيرا لديه ألذ من اغفاءة الصباح وأحلى من مذاق الظفر من ثمرات النجاح وآثار ان لم تقع لى عليه عين فسماع الاخبار احدى الرؤيتين على أنى ان لم أر الاسد فقد رأيت شبله وسيأتى ما بينى وبينه من المحبة والخله لما قلت بظل الشام فى روضة أظلت على نهر تفتر مباسم النور فيها عن لآلئ المطر وكان صدر الكل ناد حتى قرض الدهر منه

وزهرة الدنيا وان أينعت * فانها تسقى بماء الزوال

وللطالوى فيه مدائح و بينهما محاورات منها قوله

عهد السرور بربعات الهوى النضر * سقاك عهد الحيا رقراق منحدر
وجاد ربعك وسمى تكرره * ريح الصبا بين منهل ومنهمر
وغردت بربالك الورق وابتكرت * بلحن معبد تتلو طيب الخبر
ولا برحت مغان للحسان ولا * رمتك أيدى النوى بالحادث الغدر
ولا أغبتك أرواح النسيم ولا * عدت مغانيك أخلاق من المطر
كم لى بها وشبابى الغض مقتبل * من منزل آهل بالشوق والذكر
كم اجتليت بدورا من مطالعها * قد لحن تحت سناء من سنا قمر
من كل رعبوبة تهفو بعصطبرى * قد زانها الحسن بين الذل والخفر
بود كستها يد الايام ثوب صبا * وصيرتها الليالى فتنة البشر
هيفاء صب الصبا ماء الشباب على * أعطافها وكساها حلة الخضر
قامت تعانقنى عند الوداع وقد * قلدتها من دموعى رائق الدرر
تقول والبين تغشاه ركائبه * بمدمع فوق روض الخد منهمر
لاتعتب الدهران حالت حلائقه * فصفو رونقه لم يخل من كدر
وان ترم تتقى من صرفه نوبا * فالجأ لظل عماد الدين تستتر
مولى غدا الامن منه للروع كذا * جنابه ظل مأوى الخائف الحذر
لازال يسمو الى العلياء مرتقيا * بسودد مجده عال على الزهر
حتى امتطى صهوات المجد سامية * يختال فى حلل الاوضاح والغرر
بهمة تجتلى كالليث ذا أشر * وعزمة كمضاء الصارم الذكر
ما فاضل قط جاراه الى أمد * فى البحث الا انثنى بالعى والحصر
أقلامه السمر فى بيض الطروس اذا * سمت أرتك فعال البيض والسمر
له سجايا كزهر الروض غب ندى * وقد توشح بالانهار والغدر
يلقاك طلق المحيا وهو مبتسم * بمنطق ورده أحلى من الصدر
ما الروض جادت له الانواء بالبكر * فكللت دوحه المخضل بالزهر

جاد الغمام له سحا وابــــله * وقد كسته الصبا من رقة السحر
تخال زهــرا الاقاحى فى خمائله * زهر المجرة صينت عن يد الغـــبر
تشدو الحمام على أغصانه سحرا * فتبعث الشوق فى أحشاء مستعر
يا فاضلا قد جلت أبكار فكرته * غر المعانى بها فى أحسـن الصور
يا ابن الكرام ومن شادوا بعزمهم * ركن العلا ساميا فى سالف العصر
ويا عمـاد البيت الفضل يرفعه * وكان من ضعفه يلقى على خطـر
الى ذرى الك انتمت فاقبل على دخل * نسيجها يا رئيس البدو والحضر
لا زلت فى نعمة تسمو بسوددها * هام السما كين حيث النسر لم يطر
ما ناح بالايك قمرى وما سجعت * ورق الحمائم بالآصال والبكر

فاجابه بقوله

أحـلى حوراء أم عقـد من الدرر * أم زاهر الزهر أم زاه من الزهر
أم الحباب على راح مرو قـة * أم نفثة السحر ذى أم نسمة السحر
أم نظـم در زهت آيات منطقـه * فاعجزت كل ذى نظم ومنتـثر
يا نافث السحـر من فيـه بمعجزة * عقدت ألسن أهل البدو والحضر
ويا مـدير اسـلافا من بلاغتـه * هـلا ترفقت بالالباب والفكر
ويا ابن طالو وان طال الزمان فما * لنا بلوغ الى علياك فاقتصر
أخـذت فص المعانى من معادنه * وغصت فى أبحر الآداب للـدرر
وحزت جمع المـزايا وانفردت بها * ولم تدع للسوى شيأ ولم تذر
وجئت من كل معنى رائق حسن * بكل ما قد حلا فى الذوق والنظر
كأنه ضرب قـد شابه شنب * أو عاتق عابق من ريحـه العطر
وقـد شـهدنا بما أوتيت معجزة * جمع الفضائل فى فرد من البشر
أهـديت لى غادة جلت محاسنها * وقد تجلت لنا فى أحسن الصور
رعبوبة من بنات البدو مذ خطرت * قلبى بها صار من وجدى على خطر
حيت فأحيت بالفاظ منمقـة * وغازلتنـا بلطف الدل والخفر
واسفرت عن سنا برق وعن شفق * وعن ضياء وعن شمس وعن قمر
زارت على حين أشواق لبهجتها * ومتعتنـا بذاك المنظر النضر

وضاع نشر شذاها عندما برزت * مسكا وعطرت الاقطار بالعطر
سألتها قبلة أطفى بها حرقا * شبت بقلب شديد الوجد مستعر
فأومأت بثنيت زانه شنب * وأنعمت بلذيذ الورد والصدر
ونادمتني بليل قد سررت به * لكنه ساءني والله بالقصر
وبت أنشد مدحا في محاسنها * ماقاله شاعر في سالف العصر
يا نزهة النفس يا من زان منطقها * قس بن ساعدة المشهور في السير
خذها اليك وان كانت مقصرة * فشأن مثلك ستر العيب بالستر
وان تكن أوجزت في المدح واختصرت * فالعذر يجبر للافراط في الحصر
وان تكن من بديع القول عاطلة * فقد تحلت بعقد من مديح سرى
فاعذر فاني تركت الشعر من زمن * لشاغل عنه غشى مقلة الفكر
لازلت تسمو على الاقران مرتديا * ثوب البلاغة في أمن من الحصر
ما طرز الطرس تفويق اليراع بما * يزهو على الروض أو يعلو على الزهر
أو شبب المادح المطري بعد حلك في * بيت من الشعر في روض على نهر

﴿بدر الدين بن رضى الدين الغزى العامرى الشامى﴾ فريد الدهر واوانه وابن عباس في زمانه وسلمان آل بيته وحسان قصيدته وبيته صاحب الفنون وغيث الافادة المتون جمال الكتب والسير سيد أهل الحديث وعين ذوى الاثر ممن حازت به أقطار غزة شرفا باذخا وعزه وابن شبل الاسد ذوى الرأى الصائب الاسد وقرند نصله المصقول الحد وهما كركبتى البعير في كل معنى صارم أو كالحلقة المفرغة أو كعذارى صارم وبدر طلع من أفق كمال والده مبتدرا وكرع من بحر فضله الرماء الحياة قبل أن يبدو نبات عارضه خضرا وتحيط بمشارق أنواره في ابان طلوعه هالة عذاره حتى أمد شمس الفضل بما يحيي النفوس فهل سمعت ببدر تستمد من أنواره الشموس فتكلف البدر اذ حكاه وضاها سناءه وسناه (ولا عجبا للبدر أن يتكلفا) وله من شعر العلماء ما صدحت من أقفاص سطوره الحمائم وتحملت الصبا نشره فتلقته الزهور بثغر باسم ولم يزل مشرقا في منازله البدريه حتى ألم بسنا عمره سرار المنيه لازال ثاويا في قصور الجنان وضريحه مطاف وفود الرحمة والغفران فما لمع من نور كماله وسطع من نجوم أقواله قوله

اذا كان حمد العبد مولاه ناغما * يكون بالهام من الله للعبد
وذلك مما يوجب الحمد دائما * فلا حمد حقا من سوى ملهم الحمد

وقوله
لنا أمير فريد في خلائقه * كم من كرائم أموال لديه حوى
له التفات لرزق الناس معتنيا * يرى الفقير لديه والغني سوا

وقوله
من رام أن يبلغ أقصى المنى * في الحشر مع تقصيره في القرب
فليخلص الحب لخير الورى * المصطفى والمرء مع من أحب

وقوله
بالحظ والجاه لا بفضل * في عصرنا المال يستفاد
فكم جواد بلا حمار * وكم حمار له جواد

وقوله
يقبل الارض حماها الذي * ألثمها أفواه أهل العلا
عبد اذا كاتبته ثانيا * يزداد رقا لكم أولا

وكتب اليه الفاضل النحرير عبد الرحيم العباسي ملغزا بقوله

ياماما له الفضائل تعزى * وهماما أضحى لراجيه كنزا
ما بسيط حروفه ليس تحصى * وهو حرفان لا سوى ان تجزا
كل جزء منه استوى القلب فيه * جاء معنى أو جاء للفظ يعزى
نصفه ربعه ولا ربع فيه * وسوى الخمس منه ما تم أجزا
واذا ما تصحف البدء منه * فهو وصف لكامل نال عزا
أضمر القلب غادة ان تصحف * آخرا فهو قولها حين تهزا
وعلى حمل صخرة ذو اقتدار * ثم عن حمل ابرة نال عجزا
هاكه واضحا بدون خفاء * لغزه ظاهر وان كان رمزا
دمت في رفعة وحفظ الهي * لك دوما حصنا حصينا وحرزا

فأجابه البدر

زادك الله بالدراية عزا * فلقد قمت للهداية كنزا
يابديع الالفاظ عذب المعاني * صار منك البيان للدهر طرزا
من يجاريك في العلوم يجاري السيـ ـم والمجد من تجريه يهزا
ان لغزا أرسلته فاق بدر التـ ـم حسنا وأورث الفكر عجزا
من يفتش فليس يلفى له ثـ ـم نظيرا فقد تفرد مزرا

ثم من يبتغي مضاهاته لا * تسمع الاذن منه في ذاك ركزا
وتراه وقد تحير مما * نابه للفرار يجمز جمزا
من يطق بأس السماء ويأتي * بالدراري حتى يحاكيه لغزا
قلت لما أجبت عنه اذ اما * ابل لم تكن لدى تعزى
غير اني بالستر منه وثيق * فاليه كل الفضائل تعزى
دام في نعمة وظل سعود * ما أمال النسيم غصنا وهزا

وقوله ان ألطاف المهى * لى قالت خل عنكا
لا تدبرلك أمرا * أنا أولى بك منكا

وقوله من أطلع الاحمق فوق السهى * ينزله للمنزل السافل
وغير بدع فعله حيثما * يقابل الباطل بالباطل

وأنشدله بعضهم
ما في زمانك واحد * لو قد تأملت الشواهد
فاشهد بصدق مقالتي * أولا فكذبني بواحد

قلت ليس له وهو من شعر أبي عامر الجرجاني أحد شعراء اليتيمة وفي معناه قول ابن حيوس
قدمات في دهرنا الكرام ومن * يعرف قدر الثناء والمدح
فان شككتم فيما أقول لكم * فكذبوني بواحد سمح

ومما أنشده الخوارزمي مما يشبه هذا وان لم يكن من جميع الوجوه
أمسى بلا عظم لديه تعاظم * فكأنه ابن الحمار القائم
ويقول ان الناس كلهم أنا * والناس كلهم لديه بهائم

ولابن تميم
أيا معشر الاصحاب مالي اراكم * وذم جميع الناس جل مناكم
لئن كان ذم الناس أضحى شعاركم * فما الناس الا أنتم لا سواكم

ومما قلته في معناه
تفردت في ذا العصر بالفضل والنهى * بزعمك يامن زاده علمه جهلا
فأبق لنا في الدهر غيرك عالما * يصدق ذي الدعوى ويعرف ذا الفضلا

ومن شعر والده

ان خلا مل منا * خلنا بالله منه
هو لا يسال عنا * ما لنا نسال عنه

وللتقى السبكى رباعية فى هذا المعنى وهى

يا قلب من الغرام قد زدت وله * من خانك خنه أو تعوض بدله
فالنفس عزيزة على من هى له * لا يصلح لى من كنت لا أصلح له

ولابن الوردى
اذا كرهت منزلا * فدونك التحولا
وان جفاك صاحب * فكن به مستبدلا
لا تحملن اهانة * من صاحب وان علا
فمن أتى فرحبا * ومن تولى فالى

ومما أنشدته له

ان تسل عن حال الذين اجتباهم * ربهم عاجزا وتطلب قربا
أحبب الله والذين اصطفاهم * تبق معهم فالمرء مع من أحبا

وللحافظ ابن حجر العسقلانى فى المعنى

وقائل هل عمل صالح * أعددته ينفع عند الكرب
فقلت حسبى خدمة المصطفى * وحبه فالمرء مع من أحب

وكنت قلت قبل أن أسمع هذا

وحق المصطفى لى فيه حب * اذا مرض الرجاء يكون طبا
ولا أرضى سوى الفردوس مأوى * اذا كان الفتى مع من أحبا

واعلم انه وقع فى حديث صحيح عن عائشة رضى الله عنها أن رجلا أتى النبى صلى الله عليه وسلم فقال يا رسول الله أنت أحب الى من نفسى وأهلى ومالى وانى اذا ذهبت لدارى لا تطيب نفسى حتى آتيك وأراك فاذا مت أنت كنت فى أعلى مقام فأخشى أن لا أراك فلم يجبه الرسول صلى الله عليه وسلم فنزل عليه جبريل عليه السلام بقوله عز وجل ومن يطع الله ورسوله فأولئك مع الذين أنعم الله عليهم الآية فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم المرء مع من أحب وقلت فى معناه رباعية

حبى لمحمد حبيب البارى * فى طينة خلقتى وروحى سار
والمرء مع من أحب فى الخلد معا * طوبى لى ان غدوت عبد الدار

﴿أبو الصفاء مصطفى بن العجمي الحلبي﴾ روض وريق أغصان المروه ريان من ماء المكارم والفتوه فارس الشهباء نبلا وأدبا طبعه أخو ابنة العنب صفاء وطربا أردان شبابه باللطف مذهبه وكؤس آدابه المجلوة للقلوب محببه اذا انتسقت عقود ألفاظه كسد نظيم الجوهر وخيل أنها رقتها من خدود الغيد تعصر أقبلت على شعره الفصاحة بوجه جميل وقصر عن ادراك لطفه النسيم وهو عليل مع صباحة محيا يزرى بالروض الوسيم اذا عطرت مجامر نفحاته أذيال النسيم نفحت في برود الزهر نشرا وعبثت بمباسم النور الضاحكة بشرا

ثمل من سلافة الطل في الزهر وناهيك طيبها من كاس

ولم تزل كؤس أدبه على الندامى مجلوه حتى ورد موارد الموت فبدلت بالكدر صفوه (وأى صفاء لا يكدره الدهر) فقطفت زهرة شبابه وقد سقتها دموع أحبابه فمن شعره ما أنشدني له الطالوى من قصيدة اخترت منها قوله

مااجتاز بارق ذاك الثغر مبتسما * ولا النسيم بأخبار الحمى نسما
الا وعاوده من وجده طرب * حتى كأن به مايشبه اللمما
متيم لعبت أيدى الغرام به * فغادرته كأنفاس الصبا سقما
تبيت منه على الاحشاء كف شج * تضم صدرا خفوق القلب مضطرما
أيا خليلي لازالت مجللة * من البوارق تهمى في عراصكما
حتى تظل لها الارجاء باسمة * تبث من سرها ماكان مكتتما
أما ومبسمه الزاهي بمتسق * يزرى مفلجه بالدر منتظما
ولفتة تذر الآرام شاردة * أيدى سبا وتردّ الفكر منقسما
لاحلت عن حبه الاشهى الى كبدى * من الزلال وكادت أن تذوب ظما
ولا تبدلت انسانا سواه ولو * أضحى وجودى كصبرى في الهوى عدما

منها لله ما أنت في الآفاق تنثره * وهي اللآلي ظنتها الورى كلما

ومنها من كل زاهية الالفاظ زاهرة * لاترتضي الشعر أن يعزى لها شمما

﴿وله من قصيدة رثى بها العماد﴾

عظيم مصاب مقعد ومقيم * له كدبين الضلوع مقيم
وقارح خطب حارب الصبر والكرى * فأصبح كل وهو عنه هزيم

وحكم

وحكم أذل الفضل عند اعتزازه * وأوهى عماد الدين وهو قويم
الا اغاعين المعالى غضيضة * وان فؤاد المكرمات كليم

ومنها
أقامت على قبر له عاطر الثرى * سحائب رضوان فليس تريم
الى أن يعود القبر أنضر روضة * بها الروض شتى يانع وهشيم

وكان له بجلق أصدقاء تسكر بشمول شمائلهم الراح وتهتز طربا بالذكر لهم معاطف الاريحية والسماح فتخفق على هامات مجدهم ألوية الحمد وتضىء فى سماء معاليهم كواكب المجد لا من كل مصطبح بكاسات المسرة مغتبق ولولا اندائه كاد من نار الذكاء يحترق * فلما ارتحل الى الشهباء غلبه الشجن ونافسته الشجون وفى ذلك فليتنافس المتنافسون وكتب اليهم

يقبل الارض صب مغرم علقا * بكم وذلك من تكوينه علقا
حلف الصبابة أماقلبه فشج * من الفراق وأما جسمه قلقا
يشتاقكم كلما هبت يمانية * ولا محالة أن يشتاق من عشقا
به من البين مالوحل أيسره * يوما باركان رضوى هد أو طفقا
فهل تعود أو يقات بكم لفتى * دموعه خددت فى خده طرقا
الله يعلم مامان عن ذكركم * الا تناثر در الدمع واستبقا
ولا تغنت على غصن مطوقة * الا أهاجت لى الاشجان والارقا
ياليت شعرى والايام مطمعة * والدهر فى عكس مايهوى الفتى خلقا
هل لى الى عود أيام بكم سلفت * ربما فأظفر أحيانا بما افترقا
لله أيامنا والشمل مجتمع * أيام لا فرقة أخشى ولا فرقا
واذ بكم كان عيشى أخضر انضرا * وأسود الليل منكم أبيضا يققا
ياصاحبى فلا روعتما بنوى * وعنكما ظل جفن الدهر منطبقا
ان جئتما الجامع الزاهى برونقه * سقاه من غاديات السحب ماغدقا
ميممين له عوجا كذا كرما * لنحو قبته الشماء وانطلقا
فبلغا لى سلاما من محبته * لم تبق لى منذ حلت مهجتى رمقا
وخبراه بما ألقى بعيشكما * من فرط لاعج أشواق أتت نسقا
انى الى ذلك المغنى المشوق كما * اشتاق صحبى اخوان الصفا خلقا

لاسيما الاروع المحمود سيدنا * المسكت الالسن المطرى اذ انطقا
طوراتراه بكأس الحمد مصطبحا * وتارة من سلاف المجد مغتبقا
ياغائبين فما ودى بمنتقض * منكم ولاحبل عهدى واهنا خلقا
تحدوه ريح الصبا وهنا الارضكم * يزرى شذاها بريا مسكه عبقا

فاجابه أبو المعالى الطالوى بقصيدة أنشدنيها وهى

وافت فارجت الارجاء والافقا * أمنية من شذاها فطرنا عبقا
راح كأن الصبا باتت تعللها * بالسحر بين رياض طلعها بسقا
أم نفحة من ربى دارين عاطرة * أهدت لنا أرجا جنح الدجى عبقا
هيفاء تزهو بقد زانه هيف * كخوط بان غضيض مثمر ينقا
ترنو الى بطرف كله حور * مهما انبرت بفؤاد هام أو عشقا
لو شاهدا بن عنين حسن طلعتها * لاذكرته زمانا يبعث الحرقا
أوانبرت للبيد وهو ذولسن * أزرت به وكذا سحبان ان نطقا
ياحسنها حين زارت ساحرة * قد نظم الدرفى لباتها نسقا
أهدت تحية ودمن أخى ثقة * يزرى شذاها بريا المسك ان عبقا
لاغرو أنى مشوق فى الأنام له * فالحريشتاق أخوان الصفا خلقا
اشتاق رؤيته الغراء ماطلعت * شمس النهار وأبدى صبحه شفقا
وكلما سحرا هبت شامية * بسفح جلق أوبرق الحمى برقا
أحبابنا والذى أرجوه مبتهلا * بان عن على مضنا كم بلقا
ماان تذكرت معنى راق لى بكم * الاورحت بدمعى جاريا شرقا
ولاشدت بغياض الغوطتين ضحى * ورقاء تندب الفاناً زحا شفقا
الاوغاض اصطبارى أووهى جلدى * ففاض من مقلتى الدمع وانطلقا
اذجانب العيش غض رائق بهج * والدهر قد غض عنا الجفن فانطبقا
نلهو بكل كحيل الطرف ساحره * يزرى بغزلان عسفان اذا رمقا
لاسيما ان غدا بالكأس مصطبحا * أوراح من وله بالطاس مغتبقا
ليت الزمان الذى فينا الغداة قضى * بشت ملومنا والدهر ما خلقا
فهل أويقاتنا اللاتى بكم سلفت * تعود يوما فأحظى منكم بلقا

عليك مني سلام الله ما بقيت * صبابة تبعث الأشواق والحرقا
تهديه ريح التصابي نحو أرضكم * كمسك دارين بذكو كلما نشقا

(تقي الدين بن معروف) وسماء فضل باطلاع نجوم الكمال معروف وشموس معارفه لا يعتريها كسوف ورياض علمه أنيقة ودوحة مجده وريقة الظل وريقه اذا مس الاقلام سجدت في محاريب الطروس شكرا ومادت من مدام مداده هائمة سكرا فكم لليل حبره المسكي الأنفاس أيد بيض الله بها محيا القرطاس (تخبر أن المانوية تكذب) وله في علم الفلك أنظار تتم باسرار كواكبه وان كتم قلبه على لسان أسرار صاحبه بوأه الله منه مكانا عليا فتلا لمن رامه سواء أعوذ بالرحمن منك ان كنت تقيا فكم صعد له بخطوات فكره سما واتخذ خطوط جداوله للعروج اليه سلما فكلما طارت حمائم النجوم من بروج أقطارها جعلها بطاقة تطير في الآفاق لتبليغ أخبارها فلو كان لعطارد الخيار كان بدنانير الدراري له مشتري ولو أراد مدحه أطراه بقول ابن الرومي غير مفتري

أعلاكم في السماء مجدكم * فلستم تجهلون ما جهلا
شافهتم البدر بالسؤال عن الامر الى أن بلغتم زحلا
لم تدركوا فقط بالحساب بل الأحساب علما بكم ولا عملا

ولم يزل متقلدا بصارم القضا قانعا من معشوقته الدنيا بحالتي الصد والرضى حتى أراد أن يجدد لاستاذنا رصدا وانا لا ندري أشر أريد بمن في الارض أم أراد بهم ربهم رشدا غافلا عن حركات الفلك حتى قيل له نبهك الله ما أغفلك فدارت دوائره على مدارها وصارت زاوية قبر مصادة بعدما كانت منفرجة في أقطارها وشكل العروس من زخرف الحياة له أطماع وهو لمن تأمله شكل قطاع (والموت للانسان بالمرصاد) وقد طالعت له رسائل فلكيه وبعض تحريرات هندسيه تدل على علو كعبه فيها ورقيه من حضيض الخمول الى سماء معاليها وله شعر وسط ونثر غريب النمط كقوله في مدح العلامة أبي الفتح المالكي

يا كعبة يؤمها أولوا النهى * وسدرة الفضل اليها المنتهى
لأنت في العالم فرد علم * بل أنت كل الخلق علما وهدى
والفضل لما قال انا مالكي * بالشام كل قد أقر بالولا

رفعت قدرا وعلوت رتبة * وفزت بالتقديم حال الابتدا
وفقت أهل الارض بالعلم الذى * أوتيته مولاى من رب السما
يعرف لب المرء محصولة اسمه * اذيعرب الفضل على هذا البنا

وقوله من قصيدة فى مدح أستاذى سعد الدين الشاعر

صاح الامانى فى صباح مكارم * تجلت على عرش الجلالة والمجد
مطالع مازالت طوالع بالسنا * تعمم آفاق المكارم بالسعد

(فائدة مهمة) سئلت عنها فى حال تحريرى هذه الريحانة وهى انه منع بعض المالكية من الالقاب المضافة للدين كسعد الدين وعز الدين فقلت قال العارف بالله ابن الحاج فى كتابه المسمى بالمدخل الذى استقصى فيه أنواع البدع مانصه من ارتكب بدعة ينبغى له اخفاؤها لقوله صلى الله عليه وسلم من ابتلى منكم بشئ من هذه القاذورات فليستتر والعالم يجب عليه التستر أكثر من غيره لانه ربما يقال ان عنده علما بجواز ما ارتكبه فيقتدى به غيره كما قال أبو منصور الدمياطى فى قصيدة له

أيها العالم اياك الزلل * واحذر الهفوة فالخطب جلل
هفوة العالم مستعظمة * ان هفا أصبح فى الخلق مثل
وعلى هفوته عمدتهم * وبه يحتج من أخطا وزل
فهو ملح الارض مايصلحه * ان بدا فيه فساد أو خلل

فمما ينبغى التحفظ عنه من البدع الأعلام المخالفة للشرع المضافة للدين لما فيها من تزكية النفس المنهى عنها كما صرح به القرطبى فى شرح أسماء الله الحسنى وللفضل ابن سهل قصيدة فى ذمها فمنها قوله فيمن لقب بعز الدين وفخر الدين

أرى الدين يستحى من الله أن يرى * وهذا له فخر وذاك نصير
فقد كثرت فى الدين ألقاب عصبة * هم فى مراعى المنكرات حمير
وانى أجل الدين عن عزهم * وأعلم أن الذنب فيه كبير

فمن نادى بهذا الاسم أو أجاب به فقد ارتكب مالا ينبغى لانه كذب وفى الحديث عليكم بالصدق فانه يهدى الى البر والبر يهدى الى الجنة والكذب فجور والفجور يهدى الى النار الحديث فاذا قال أحد محيى الدين يقال أهذا الذى أحيى الدين فاذا أخذ صحيفته وجدها مشحونة بالكذب ولما دخل رسول الله صلى الله عليه وسلم على أم المؤمنين

زينب قال لها ما اسمك قالت برة فكره صلى الله عليه وسلم ذلك وقال لا تزكوا أنفسكم وسماها زينب ولا يقال انها أخرجت عن أصلها بالنقل الى العلمية لانه لو كان كذلك ما كرهوا تركهما لما فيهما من التشبه بالعجم المنهي عنه وهذه التسمية أول ما ظهرت من متغلبة الترك مضافة الى الدولة وكانوا لا يلقبون أحدا الا باذن السلطان وحكي انهم كانوا يبذلون عليه المال ثم عدلوا عنه بالاضافة الى الدين ونقل عن النووي انه كان يكره من يلقبه بمحيي الدين ويقول لا جعل الله من دعاني به في حل ولذا تحاشى عنه بعض العلماء وهذه نزغة شيطانية من أهل المشرق ولما كان في أهل المغرب من التواضع كانوا يغيرون الاسماء لما هو منهي عنه أيضا فيقول لمحمد حمود ولأحمد حمدوس وليوسف يوسو ولعبد الرحمن رحمو ونحوه انتهى أقول أما كون هذه بدعة حدثت بعد العصر الاول فلا شبهة فيه وأما كونها ممنوعة شرعا أو مكروهة فلا وجه له وما تشبث به أوهى من بيت العنكبوت وما نقله عن النووي وغيره من السلف لا أصل له وكذا ما نقل عن شيخ والدي ناصر الدين اللقاني أنه كان يكتب في الفتاوى ناصر لدين هذا وقد غرني ذلك مدة ثم رجعت عنه لعدم ثبوته وكونه كذبا يكتب في صحيفة مجازفة لا ينبغي أن يقال مثله بالرأي وهذا لم يضعه الانسان لنفسه وانما سماه به أبواه في صغره وعدم تكليفه وكونه تزكية لنفسه أيضا غير صحيح لأن الاضافة تكون لادنى ملابسة فهو مضاف للسبب تفاؤلا فعز الدين بمعنى يعزه الله بالدين وكذا محيي الدين بمعنى محيي نفسه بالدين فقياسه على برة قياس فاسد مع الفارق ولو صح هذا منع أحمد ومحمد وحسن وهو محمود وقد قال المحدثون اذا اشتهر اللقب جاز وان كان ذما كاعرج وأعمش وما ذكر تضييق وحرج في الدين وفي هذا الكتاب كثير من هذا النمط فاياك والاغترار به والاعلام انما تدل وضعا على الذات والتفاؤل بالامور المستحسنة مستحب لقوله في الحديث كان يحب الفأل ويكره الطيرة ويحمد الله لا يعتقد ثبوت ما يقال به وانما سمي به فلا كذب والاعلام لا حجر فيها والتشبه بالعجم فيما لا يزاحم الشرع غير منهي عنه الا للعصبية المذمومة بدليل حديث الخندق ويدل على ما ذكرناه حديث تسمية النبي صلى الله عليه وسلم بمحمد وأما حديث برة ان صح فانما فعله صلى الله عليه وسلم لكونه من أعلام الجاهلية أو لمعنى آخر بدليل انها كانت برة في نفسها اهـ

﴿محمد بن الرومي المعروف بماماي ابن أخت الخيالي نزيل دمشق الشام﴾ شاعر

توقدت جمرات أفكاره وتوردت في رياض الشام وجنات أزهاره وابتسمت في ناديه ثغور أنواره لكنها خدود لم يترقرق عليها دمع القطار ومباسم لم ترشف الشمس منها ريق الامطار فلله دره من فصيح لم يعلل بمياه عروق القيصوم والشيح ولم يغذ بلبانات العربيه ولم يتفكه بثمار العلوم الجنيه لانه من بني الاصفر وممن قاسى الفقر الاسود وهو الموت الاحمر الا أن للبقاع تأثيرا في الطباع فلما تغذى طفل جبلته بماء الشام ونسيمه وبزغ هلاله فيه بعدما أميطت عنه هالة التميمه انصقل طبعه المرهف فانبرت شمائله أرق من الشمال وألطف لاسيما وأبو الفتح ماشطة عرائس فكره وملح شعث لمة نظمه ونثره اذا أنس طبعه لحنه أوطرق طارق ذهنه طيف هجنه وقد طالعت ديوانه فرأيته يعتريه علل وفتور ويدخل في مغاني معانيه وبيوته القصور فمن شعره الذي اخترته قوله

سمعت لسان الحال من قهوة الطلا * يقول هلموا واسمعوا نص أخباري
فيا من غدت قهوة البن في الملا * ولكنها لم تحل أصداغ خماري
فمن كذبها قد سود الله وجهها * وعذبها بعد الاهانة بالنار

(ومنه قوله مضمنا)

قد قالت القهوة الحمراء وافتخرت * كم قد ملكت ملوك الاعصر الاول
وقهوة القدر أن قدرا على علت * لي أسوة بانحطاط الشمس عن زحل

(ومنه قوله)

جليت عروسا في عقود حبابها * وفديت ظبيا بالسرور حبابها
طلعت عروسا تجتلي في كأسها * وكفى كفوف الغيد نقش خضابها
بكرا اذا باكرتها الك ولدت * بشر السرور لدى حضور جنابها
أخذت من العقل النفيس جواهرا * مهرا لها والنفس من خطابها
راح حلالي شربها في جنة * والنص في الجنات حل شرابها

وهو مأخوذ من قول الارجاني

كأس من السحر الحلا * ل بشربها القوم سكر
في مجلس هو جنة * ولذاك فيه تحل خمر

(وقوله)

يقول حبيبي ما الطرفك أحمرا * كأنك يا حيران في نشوة التيه
فقلت له اشراق خدك قد بدا * وقابله طرفي نخيله فيه

وأحسن منه قول الأمير مجير الدين بن تميم

أقول للصحب لما أنكروا أثرا * من احمرار بدا في باطن المقل
عاتبت ألحاظ عيني عند ما نظرت * الى سوى الحب فاحمرت من الخجل

(وقوله)

ولما انقضى شهر الصيام بفضله * تجلى هلال العيد من جانب الغرب
كحاجب شيخ شاب من طول عمره * يشير لنا بالرمز للأكل والشرب

وهو مأخوذ من قول العقيلي

قم هاتها وردية ذهبية * تبدو فتحسبها عقيقا ذابا
أو ما ترى حسن الهلال كأنه * لما تبدى حاجب قد شابا

الا أن قوله من طول عمره تكميل حسن ومما قلته في بعض الرسائل شاب حاجب الهلال ومادا ناه كمالا واشتعل رأس الشمس شيبا ولم ترله مثالا ومما يضاهي هذا ما قلته لما رأيت قول الثعالبي في مدح قصر بناه الصاحب ابن عباد

لله قصر ترى كل الجمال به * وأسعد الدهر تبدو من جوانبه
كأنما جنة الفردوس قد نزلت * الى خوارزم تعجيلا لصاحبه

ورأيت ما فيه من الغفلة فان تعجيله بالدخول لها انما يكون بالموت ففيه ايهام لا يليق بمثله فقلت في هذا المعنى وأتيت فيه بنوع من الاحتراس سميته بالتهذيب

بنى دارا بحار الوصف فيها * وتم وا ها المحاسن والمسره
كأن الجنة اشتاقته حتى * له نزلت أطال الله عمره

وقد يقال في قوله نزلت احتراس ما لكنه خفي والمقام يأباه ومن ديوانه قوله أيضا

كيف السبيل الى كتم الغرام اذا * كاتبتكم وأردت السر تكتتم
وقد غدا الطرس بالوجهين مشتهرا * وباللسانين أمسى يعرف القلم

(وقوله)

وقد مرض الجهول له فعدنا * ونحن اذا أناس راحمونا
فظن بأننا عدناه خوفا * فان عدنا فانا ظالمونا

قوله نشوة في نسخة نشأة اه

﴿وقوله أيضا﴾

اذا دفن الانسان فى الرمس برهة * وعاودته تلقاه بادثنا ياه
وما ذاك الا أنه متبسم * على كل مغرور بأحوال دنياه

ومما يضاهى هذا أن المولود يولد باكيا مقبوض الكف فاذا مات فتحها فقال الحكماء انه اشارة لحرصه حياً وانه خرج منها بغير شئ كما قيل

وفى قبض كف الطفل عند ولاده * دليل على الحرص المركب فى الحى
وفى بسطها عند الممات اشارة * الا فانظرونى قد خرجت بلا شى

وكم فى الكون من اشارات فهو جميعه ناطق بالعظات ولكن لمن يسمع ويبصر وأنشدنى له بعض شعراء الشام

رأيت الكائنات خيال ظل * محركها هو الرب الغفور
فصندوق اليمين بطون حوا * وصندوق الشمال هوا القبور

وليس له فانى رأيته منسوبا للشيخ ابن عربى وهو معنى مشهور لكنه تصرف فيه عبارة وزده ديباجة وأصله من قول الآخر

رأيت خيال الظل أكبر عبرة * لمن هو فى علم الحقيقة راقى
شخوص وأشكال تمر وتنقضى * وتفنى سريعا والمحرك باقى

ومنه ولد ابن الوردى فى الحمام قوله

وما أشبه الحمام بالموت لامرئ * تبصر لكن أين من يتبصر
يجرد من أمواله ولباسه * ويبقى له من كل ذلك مئزر

﴿ومما قلته فيه﴾

ان يكن يحكى خيال الظل فى * فعله دهر لنا يبدى العبر
فعساه عن قريب مظهرا * صورا أحسن من هذى الصور

﴿وقلت أيضا﴾

هى الدنيا خيال الظل تحكى * يحركها القضاء كما يقدر
ولا الستر محدود عليه * من الغفلات ما ألهى وما ستر

﴿زين الدين الاسعافى﴾ فاضل لين العود ماجد الاعراق حلو الشمائل عذب الاخلاق له آثار على أكف القبول مرفوعه وكلمات كثمرات الجنان لا مقطوعة

ولا عنوعه عنبني وهو يقطف نور التحصيل وللفضل الى معاليه انتظار وتأميل فتجاذبنا أهداب المذاكرة وجرر نا ذيول المناشدة والمحاورة فمما أنشد نيه من شعره قوله

كتبت وأفكاري وحقك مزقت * كما قد بدت في الحب كل ممزق
ولو حم لي التوفيق كنت تركته * ولكنني أصبحت غير موفق
اذا قيل أشقى الناس من بات ذا هوى * فلا تنكرن هذا المقال وصدق

(وهذا كقول الآخر)

سألتها عن فؤادي أين مسكنه * فانه ضل عني عند مسراها
قالت لدى قلوب جمة جمعت * فأيها أنت تعني قلت أشقاها

(أبو بكر الجوهري الشامي) شاعر عذب الكلمات حسن اللذات والسمات عرائس أفكاره صباح وجواهر نفثاته صحاح ورد الى مصر مرتديا حلل الشباب مطرزة بطراز أخلاقه العذاب متعاطيا للتجارة صارفا لها نقد عمره

اذا كان رأس المال عمرك فاحترس * عليه من الانفاق في غير واجب

فمن جواهر كلماته الصحاح التي هي أرق من نفس الصبا في الصباح قوله في مليح اسمه داود ورقيب له اسمه عمرو

أفدي غزالا له خال بوجنته * مع عارض شبه واو العطف ممدود
كأنما الخال فوق الخد يحرسه * حذار سرقة عمرو واو داود

(ولابن لؤلؤ فيمن اسمه داود)

قد كنت جلدا في الخطوب اذا عرت * لا تزدهيني الغانيات الغيد
وعهدت قلبي من حديد في الحشا * فالآن يجفونه داود

(وللملك الناصر في داود)

مني بطيفك بعدما منع الكرى * عن ناظري الدمع والتسهيد
ومن العجائب أن قلبك لم يلن * لي والحديد ألانه داود

(ومما قلته فيما قاله)

وحاسد يرسم في صحيفة * فضلي ويخفي الذكر اذ يطرأ
فاسمي لديه واو عمرو ولذا * يكتب في الخط ولا يقرأ

(وأصله قول أبي نواس)

أيها المدعى سلمى سفاها * لست منها ولا قلامة ظفر
انما أنت من سلمى كواو * ألحقت فى الهجاء ظلما بعمرو

﴿شمس الدين محمد بن ابراهيم الحلبى المعروف بابن الحنبلى﴾ والسماء والطارق وما أدراك ما الطارق هو فى ميدان الفضل وحلبة الشهباء سابق وأى سابق وعصره كان مسك ختامها وسحر لياليها وأصيل أيامها نورت حدائقها بغوادى شمائله وتحلى معصم مجدها بسوار فضائله

حيث التقا نفس الاقاحى والصبا * وترنم الحسناء والورقاء
وجرى النسيم يجر فضل ردائه * نشوان يعثر فى غدير الماء

درس فيها وأفتى وطمى بحر فضائله فترك الحساد يضربون الماء حتى وله نظم كما انتظمت درارى الزهر ونثر كما نثرت يد الشمال على وجنات الرياض لآلى القطر وله تصانيف جمة تزينت بها البلاد وأمست تمائمها منوطة بأجياد الاجواد فهو نسيج وحده آثاره فى حلل الفضل طراز مذهب وأسد فى مجادلة العلماء لا يذكر عنده ثعلب وله محاضرات لو ذكرت للراغب لسعى لها راغبا أو لسحبان ظل لذيذ الحجل على وجه البسيطة ساحبا فماهبت به صبا أسحاره وغردت به على كراسى الربى حمائم أخباره قوله

يلوموننى فى ترك ضم قوامه * ولا اذن للنساك فى الضم واللثم
نعم بيننا جنسية الود والصفا * ولكننى لم ألفها علة الضم

وقوله
يقولون لى والشيب لاح بعفرقى * عناقك عذراء الحمى غير جائز
أعن نار خديها التى هى منيتى * أميل وأستغنى ببرد العجائز

وله
قوامك يا بدر النحاة كأنه * قنا أو قوام السمر أو ألف الوصل
وعينك فاقت كل عين بكحلها * فما أنت الا زيد مسئلة الكحل

وقوله
لكم همم نلتم برمى شباكها * مرامكم لما قطعتم بها البيدا
وعدتم الى المضنى بما نلتم وقد * توليتم صدا فكان لكم صيدا

وقوله
كنا سمعنا بأوصاف لكم كملت * فسرنا ما سمعناه وأحيانا
من قبل رؤيتكم نلنا محبتكم * والاذن تعشق قبل العين أحيانا

وهو لبشار وأوله (ياقوم أذنى لبعض الحى عاشقة) وفى معناه قول الحلى

قوله ختامها أى حلب المعلومة من سابق الكلام ولا حاجة اه

وهو

وهويتكم قبل اللقاء كما * تهوى الجنان لطيب الاخبار

ولصاحب الترجمة أيضا رباعية وهي

طرفاك كلاهما ضعيف وعليل * مثلي وأنا العليل من أجل عليل

من ضعفي قد صرفت ميلي لهما * والجنس الى الجنس كما قيل يميل

قوله والجنس الخ من أمثاله مولدي العجم ومثله قولهم الجنسية علة الضم وهو كما قيل

(ان الطيور على أجناسها تقع) (وشبه الشئ منجذب اليه)

وله من أبيات المعاني في مليح من بني تيم

ومهفهف الاعطاف قلت له انتسب * فأجاب ماقتل المحب حرام

وله مضمنا

حمى ثغره الضحاك صمصام جفنه * كما صين بالتعذير خد مورد

أخد حبيبي لا ترد زردية * لحسنك والضحاك سيف مهند

والضحاك اسم ملك معرب لكنه وافق صيغة المبالغة من الضحك ومثله من نوادر العربية ومن فصوله القصار انما تلقى المخاصر الى كريم العناصر لا تجعل الدنيا للآخرة ضره ومن ينكح أمة على حره ما أخس الكلب العواء وان صعد الى السماك والعواء الصحة رأس المال وربحها حسن الأعمال تذكير المواعظ صابون لمن هم عن دنس الاخلاق صابون اذا كان الندى مات فالسؤال من أعظم الندامات

﴿أبو الفتح بن عبد السلام المالكي المغربي نزيل الشام﴾ نادرة الفلك وهدية الزمان ونكتة عطارد المدونة في صحف الامكان وبرهان من قال من الحكماء بتعدد نوع الانسان وليس الغريب من تناءت داره بل من فقد من الكرام نظراؤه وأنصاره وهو غريب في فضله ومجده وان ملك من الادب ملكا لا ينبغي لأحد من بعده ولما أشرقت بالمغرب شموس علمه وآدابه وزهانورها اذ جرى في عوده ماء شبابه أسفر وجه صباحه وجلاله الظفر غرة نجاحه حل عقد عزيمته بالشام كما حل الربيع نقابه عن منظر بسام

والريح تجذب أطراف الغصون كما * أفضى الشقيق الى تنبيه وسنان

فألقى بها عصا تسياره ونفض عن برد همته غبار أسفاره وبنى أمره على السكون

وماضى حاله على الفتح وقد شدت ورق فصاحته بها بأطرب ترنم وصدح ففي زمن ونور الادب لايجتنى الامن رياض كلامه وسورة الفتح بجهار بيه الاتتلى بغير ألسنة أقلامه واثمد مراودها كحل البصائر وتحف آثاره يتلقى ركبانها كل باد وحاضر حتى فى نادى الفضاء تربع واحتبى وأصبح طراز مذهب مالك به مذهبا

وصار فيهم غريب الفضل منفردا * كبيت حسان فى ديوان مجنون

فأنار ليله الحالك وتصرف فيه تصرف مالك بأخلاق تعصر منها شمول الشمائل وفضائل جمة المآثر تهيمان عندها باقل الا أنه مع علك جواهر العلوم وتقلد جيد كماله بعقود المنثور والمنظوم عاداه دهره وصافاه فقره فظل يسترى صبابة عيش لو أنها نوم ماشعرت بها الاحداق وبحمل من أثقالها ماوهن ويوهى القوى والاعناق ولم يزل كذلك حتى غارماء حياته وانغلق على الفتح باب قبره عند مماته فانفتحت له أبواب الجنان فسقاه الله رحيق غفرانه بين روح وريحان ونزه عيون رجائه وأمله فى رياض الجنان بين الحور الحسان فمن نظمه الذى حشى الاسماع سحرا وملأ أفواه الرواة درا قوله

بأبى ألعس المراشف ألمى * مائس القد ناعس الاجفان
سرق الجيد واللحاظ من الظبى ولين القوام من غصن بان
عطفته الصبا الى ومالى * بالصبا بعد ما تراه يدان
فتحاشيت لثمه خيفة الاثم وأطلقت مقلتى ولسانى
آه لولا التقى ومعترك الشيب لطاوعت فى الهوى شيطانى

وله من قصيدة

حاز الجمال بأسره فصبه * فى أسره لم يرض حل وثاقه
قسما بصبح جبينه لو زارنى * جنح الدجى وسعى الى مشتاقه
لفرشت خدى فى الطريق مقبلا * بفم الجفون مواطئ استطراقه
وصفحت عن زلات دهرى كلها * وعناده فيما مضى وشقاقه

وقوله بفم الجفون الخ كقوله أيضا فى أرجوزته المشهورة

تكاد من عذوبة الالفاظ * تشربها مسامع الحفاظ

وهذا نوع من البديع غريب بيناه فى حديقة السحر وله نظائر كثيرة وهو على نهج

قوله تعالى وتصف ألسنتهم الكذب كما أشار اليه فى الكشاف وقد أوضحه الغزى بقوله فى بعض قصائده

ان لم أمت بالسيف قال العذل * ماقيمة السيف الذى لا يقتل
وتغير المعتاد يحسن بعضه * للورد خد بالانوف يقبل

ومنه ما أنشده لناصد يقنا الطالوى لنفسه

أرود بلحظى ورد خديه والذى * جنى لحظه ورد الخدود فما أخطا
وأرشف بالالحاظ خمرة ريقه * لأنى امرؤ آليت لا ذقت اسفنطا

وهذه الخمرة لا يليق بها غير نقل البحترى فى قوله

تفاح خد اذا احمرت محاسنه * مقبل بخفى اللحظ مغضوض

وقوله مغضوض بدل من قوله مقبل وهو غيره وليس بدل غلط فانظره فانه من سحر البلاغة ومما نحن فيه قول ابن الرومى

بدر كأن البدر مقرون عليه كوكب
عذبت خلائقه فكا * د من العذوبة يشرب

(ولابن هند فى عود البخور)

رأيت العود مشتقا * من العود بايقان
فهذا طيب آناف * وهذا طيب آذان

ولابن المعتز فى فرس

يكاد لولا اسم الاله يصحبه * تأكله عوننا وتشربه

وللشريف الرضى

فاتنى ان أرى الديار بطرفى * فلعلى أرى الديار بسمعى

ومنه أخذ القاضى الفاضل قوله

مثلثة الذكرى لسمعى كأنى * أغشى هنالك بالاحداق

وأجاد أيضا حيث قال

الجود أمدح من قام يمدحه * فالناس مانطقوا الا من النظر

وقول ابن خفاجة المغربى الاندلسى وهو من رماة الحدق

وأهيف قام يسعى * والسكر يعطف قده

وقد ترنح غصننا * واحمرت الكاس ورده
وألهب السكر خدا * أورى به الوجد زنده
فكاد يشرب نفسي * وكدت أشرب خده

ولناصح الدين الارجاني

ورشفنا مدام نظم ونثر * من كؤس تذاق بالآذان

وقلت أنا

نرجس الروض قدزها العيون * لا أرى المشي فيه بالطراق
قلت لما أتيته خل لي * امش ياصاح فيه بالاحداق

والشئ بالشئ يذكر هذا في معنى قولي قديما مضمنا

ياصاح ان وافيت روضة نرجس * اياك فيها المشي فهو محرم
حاكت عيون معذبي بذبولها * ولأجل عين ألف عين تكرم

ولصاحب الترجمة من قصيدة مدح بها العلامة ملا الحنائي وعاتبه على قطع مرتبه

ان قطع السيد عن عبده * ما كان قد رتب من رفده
فالعبد لم يقطع دعاءه له * رتبه كالجزء من ورده
ولا ثناء حسنا نشره * كالمسك والعنبر في نده
أو كرياض راضها وابل * فابتسم اليانع من ورده
وانتظمت من نثر أزهارها * جواهر الانداء في عقده
وهو غني عن ثناء امرئ * ظل كليل الذهن من فقده
اذ مهد الحق له رتبة * عظيمة مذ كان في مهده
ونال ماشاء من المجد لا * بسعي انسان ولا كده
فهو على لا بمدح الورى * له ولكن بسنا سعده
وانما أوجب مدحي له * تتابع النعماء من عنده
وماحباه الحق سبحانه * من العلا الزائد عن حده
والعلم والتحقيق والفهم والتوفيق * والتدقيق من قصده
والشكر للنعم فرض به * يأمن ذو الاعيان من طرده
وفيه لاشك مزيد لمن * لازمه والكل من عنده

هذا وان العبد يبغى الرضى * فى قربه الأقرب أو بعده
وماله فى غيره رغبة * والعبد مجبول على قصده
وليس ذا حزن لما فات من * دنياه قد سبق الى رشده
سيان فقر وغنى عنده * لما هو المعهود من زهده
وما تصدى لصدى آلة * فبهجة تفضى الى صده
سوى لزوم البيت مستوحشا * من الورى حتى ذوى وده
مشتغلا بالعلم مستغرقا * أوقاته فيه وفى سرده
قد لزم العزلة لكنه * لصحبه باق على عهده
أقسم لا يبرح من بيته * حتى يوارى فى ثرى لحده
ان مات لم يترك له درهما * يحوزه لوارث من بعده
ولا أثاثا لا ولا ملبسا * يصلح للبيع سوى برده
وفروة جرداء من عتقها * أضلاعه ترعد من برده
وطيلسان خلق دمعه * من عتقه يجرى على خده
ولم يكن يترك شيأ اذا * فارقه يأسى على فقده
غير بقايا كتب رثة * أكثرها قدمات فى جلده
يباع فى تجهيزه بعضها * والبعض وقف لا على ولده
هذا لعمرى عرض حالى على * من أجمع الناس على حمده
لا برحت أعتابه قبلة * يؤمها العافون من وفده
ما أملت أنمله بالندى * من راحة كالبحر فى مده

تكملة فى قوله مستغرقا الخ فوائد منها أن الاستغراق أصل معناه طلب الغرق ثم استعمله الناس فى أخذ الشئ وتحصيله ومنه قول العامة استغرق فى الضحك اذا أطاله وهو غلط وصوابه فى الضحك استغرب لا اغترب أيضا كقول البحترى

وضحكنا فاغترب الاقاحى من ندى * غض وسلسال الرضاب برود

قال الآمدى فى كتاب الموازنة قوله اغترب يريد الضحك والمستعمل استغرب فى الضحك اذا اشتد فيه وأغرب أيضا أخذا من غروب الاسنان وهى أطرافها وغرب كل شئ حده اذ المعنى امتلأ ضحكا انتهى والسرد أصله نسج الدرع وتتابع الكلام

وتعداد الاشياء والعامة استعارته لتتابع نعاس الجالس وليس بعربي وهو الذي أراده هنا وهو كقوله

لداود من برش كساء سفاهة * مطرزة من صفرة الوجه والخد
ومازال درع الكيد للصحب ناسجا * ولو ناعسا أمسى يقدر في السرد

وقوله مات في جلده استعمال معروف عامي ووجه استعماله ركيك والبليغ قول العرب للفلوج سجن في جلده وحسن هذا وصف الكتاب به كما قال ابن نباتة المصري

لله مجموع له رونق * كرونق الحبات في عقدها
كل تصانيف الورى عنده * تموت للخجلة في جلدها

عودا على بدء ومن شعره أيضا

مرحبا بالحمام ساعة يطرا * ولو ابتزمني العمر شطرا
حبذا الارتحال عن دار سوء * نحن فيها في قبضة الأسر أسرى
واذا ما ارتحلت يا صاح عنها * لاسقى الله بعدي الأرض قطرا

وهذا كقول الامير أبي فراس الهمداني من قصيدة له

أراك عصي الدمع شيمتك الصبر * أما للهوى نهي عليك ولا أمر
تعللني بالوعد والموت دونه * اذا مت عطشانا فلا نزل القطر

(ونحوه قولي في مطلع قصيدة)

ان لم تبر دلي الصبا غله * فلا سقى الله لها علة

(وله أيضا)

ويمكن وصل الحبل من بعد قطعه * ولكنه يبقى به أثر الربط

وأحسن منه قولي في بعض الرسائل أنت وان وصلت بعد القطع حبل المودة ففيما بقي من أثر ذلك في القلب عقدة وقلت من قصيدة

ياواصلين حبالا * كانت تشد المودة
لا تقطعوها ببعد * قد غير النأي عهده
فان تقولوا وصلنا * من بعد ذا القطع شده
يبقى وحقك فيها * من ذلك القطع عقده

وهذه الاستعارة معروفة قديما وفي حديث العقبة ان الانصار قالوا ان بيننا وبين

قوله وهو الذي الخ كذا في نسخ والمناسب أن يقول وهو الذي أراد في قوله اه

قوله الهمداني صوابه الحمداني من آل حمدان اه

القوم حبالا أتراهم قاطعيها وقد حققه في الروض الانف وكتب للقاضي معروف وقد أهدى له حلة

محدومنا قاضي قضاة مدينتي * صفد أحق الناس بالتفضيل
العالم الحبر الذي معروفه * تزرى زيادته بحر النيل
أهدى لمحوى من مخيط ثيابه * جملا فأغناني عن التفصيل

والتفصيل بلسان العامة بمعنى قطع الثياب الجديدة ففيه تورية كقول ابن نباتة المصري

كم جملة وصلت لي من ندا كرمك * تفصيلة ألبستني أجمل الحلل
حتى لقد غدت المداح حائرة * بين التفاصيل من نعماك والجمل

(وقوله أيضا)

قد نكس الرأس أهل الكيميا خجلا * وقطروا أدمعا من بعدما مهروا
ان طالعوا كتبا للدرس بينهم * أضحوا ملوكا وان هم جربوا افتقروا
تعلقوا بحبال الشمس من طمع * وكم فتى منهم قد غره القمر

وقوله في أحدب كأنه أترجة الظرفاء وكرة اللهو بعيدان الندماء اللطفاء وكان أبو الفتح يكرهه ولم يعمل فيه بقول الباخرزي

وصانع الدهر فكم دولة * صاغت من السلهة أترجه

(فقال فيه)

اذا غفر الله ذنب امرئ * فلا غفرت زلة الأحدب
شديد النكاية مع ضعفه * قياسا على ابرة العقرب

ومن ظرفاء الحدب ان القاضي الفاضل وفيه يقول القائل

لله بل للحسن أترجة * تذكر الناس بعد النعيم
كأنها قد جمعت نفسها * من هيبة الفاضل عبد الرحيم

وعلى غطه وان لم يكن من بابه قول ابن حلنك لما امتدح القاضي الزملكاني فأجازه بخبز فكتب

(على حائط بستانه)

لله بستان حللنا دوحه * في روضة قد فتحت أبوابها

والبان تحسبه سنانيرا رأت * قاضي القضاة فنفشت أذنابها

وهذا غلط عجيب وقد بلغنا أن بدر الدين بن مالك صنف كراسة في لطائف هذه المقطوعة ووجوه بلاغتها ولم أرها وهو جدير بذلك ووجه حسنها انه قصد به تشبيه زهر البان وأدمج فيه هجو القاضي لان السنانير انما تنفش أذنابها اذا فزعت من الكلاب فكأنه قال انها ظننته كلبا ونحوه مامر في القاضي الفاضل والاعياء لحدبته وهذا النوع يشبه المدح بما يشبه الذم وعكسه ففي صريحه تشبيه لطيف كني به عن هجو قبيح وليست بلاغته من جعل التشبيه كناية عن معنى آخر فانه صريح كما حققه السيد في فن البيان بل لامور قصدها وليس هذا محل تفصيلها فان أردتها فانظر كتابنا حديقة السحر وله أيضا يذكر من وعده بتاسومة وهي نعل معروف كالمداس

رب تاسومة بها قد وعدنا * فاذا قربها من النجم أبعد
رب يسر حصولها للمحب * علَّه للكمال يرقى ويصعد
هملا في الورى بقول حكيم * ضع مكان السعيد رجلك تسعد

وهذا مثل مشهور يعني قول علي رضي الله تعالى عنه صاحب من أقبل جده تسعد وقد قلت في مثال نعله صلى الله عليه وسلم

لمثال النعل الشريف لطه * شرف قدره من النجم أبعد
وسمعنا الامثال قالت قديما * ضع مكان السعيد رجلك تسعد
وسعيد من كان من قبل هذا * أو عليه قد مرغ الوجه والخد

وما أحق هذا أن ينشد له قول أبي العتاهية

نعل بعثت بها لتلبسها * قدم بها تسعى الى المجد
لو كان يصلح أن أشركها * خدي جعلت شراكها خدي

ولابن هانئ الاندلسي في قبقاب وهو نعل يصنع من الخشب وهو محدث بعد العصر الاول ولفظه مولد أيضا لم يسمع من العرب كما قاله الازهري

كنت غصنا بين الرياض رطيبا * مائس العطف من غناء الحمام
صرت أحكي عداك في الذل اذ * صرت مهانا داس بالاقدام

وله يذكر معاهد نيطت بها تمائمه وغردت على أغصان شبابه حمائمه يندب اخوانه وينعي أوطاره وأوطانه

سلوا البارق النجدى عن سحب أجفانى * وعما بقلبى من لواعج نيران
ولا تسألوا غير الصبا عن صبابتى * وشدة أشواقى اليكم وأشجانى
فمالى سواها من رسول اليكم * سريع السرى فى سيره ليس بالوانى
فيا طال بالاسحار ماقد تكلفت * بانعاش محزون وايقاظ وسنان
وتنفيس كرب عن كئيب متيم * يحن الى أهل ويصبو لاوطان
فلله ما أذكى شذا نسمة الصبا * صباحا اذا مرت على الرند والبان
فكم نحوكم حملتها من رسالة * مدونة فى شرح حالى ووجدانى
وناشدتها بالله الا تفضلت * لتبليغ أحبابى السلام وجيرانى

وقد نحا نحوقول ابن مليك الحموى فى قصيدة له

سلوا فاتر الاجفان عن كبدى الحرا * وعن در أجفانى سلوا العقد والنحرا
مليح اذا مارمت عنه تصبرا * يقول الهوى لن تستطيع معى صبرا

هذا الشاعر وان لم يكن من أهل العصر فانه قريب العهد فينبغى ذكره هنا فنقول هو *(علاء الدين بن مليك الحموى)* هذا شاعر حماة ومن كلامه سرح الادب بها وحماه رآه أبو الفتح المالكى وقدرقى شرف علمه وسما وهو بحانوت له يبيع الاقسما وأقلامه قضب على جداول الطروس مياله أسبل على وجه دوحها الزاهى ظلاله بل لواء على ملك الكلام أرهمود ونصب عليه من السحر خيام وهو يخلب الاسماع بسحره ويريق حلوماته على صناعة شعره ثم رفعته حرفة الادب عن حضيض دكانه الى ان صار ملك الادب بديوانه فنادى لسان قريضه النظيم ما هذا مليك ان هذا الا ملك كريم وقد وقفت على ديوانه فجنيت من ثمرات حسنه واحسانه قوله من قصيدة له

ذكر الغضا فحنت عليه أضلعى * وبكى العقيق فساقطته أدمعى
لله در دموع عينى انها * وقعت من الاجفان أحسن موقع
من لى بقلبى يوم كاظمة وقد * ودعتهم لو خلفوا قلبى معى
رحلوا فكان القلب أول راحل * والصبر آخر ظاعن ومودع

(وقوله من أخرى)

طراز ذاك العذار من رقه * ودر دمعى بفيه من نظمه
وخال له فوق كنز مبسمه * بالمسك قفلا عليه من ختمه

من لى به ساحر الجفون سطا * ظلما على صبه وما رحمه

(وقوله من أخرى)

يا بريقا بالحمى قد لمعا * سح عنى البان والأثل معا
فبذاك الحمى لى غصن نقا * طائر القلب عليه وقعا
يا له من غصن بان يانع * صادح الحلى عليه سجعا

(وقوله من أخرى)

أحيا الربيع الارض بعد مماتها * وحلا بسكب القطر عود نباتها
والزهر قد ألقى النثار كأنما * أدت كنوز الارض بعض زكاتها
وحكت جداولها خلاخيلا وقد * أضحى خرير الماء من رناتها

(وقوله من أخرى)

سقيا لارض بعد كوثر مائها * ما اشتاق قلبى للوارد منهلا
لولا بقايا ريقك فى فى * ما قلت شعرا فى المسامع قد حلا

وهذا من قول ابن حجة من قصيدة

ولولا بقايا طعمهم فى مذاقتى * لما ظهرت هذى الحلاوة فى شعرى

(ومن نتف له)

مدحتكم طمعا فيما أؤمله * فلم أنل غير حمل الاثم والنصب
ان لم تكن صلة منكم لذى أدب * فاجرة الخط أو كفارة الكذب

(وقوله أيضا)

لا تعجبوا من صديق كنت أمدحه * وقد هجانى وما فى ذاك من عجب
بل اعجبوا من ذكاه فيه كيف درى * أنى كذبت فجازانى على الكذب

(وقوله أيضا)

يكاد لرقة أعطافه * من اللين يعقد لولا الكفل
فان قيل بدر فقل عبده * وان قيل شمس الضحى قل أجل

(ونحوه قول ابن حجر)

حبيبى لا تحتفل بالعذل * وصل مغرما للضنى قد وصل
وحقك ان العذول الأقل * وأنت الحياة وأنت الاجل

(ومن قصيدة له)

وفوق ظهور الخيل ماتوا اذا أصبحوا * وفى كل سرج فوقها لهم قبر

وقد توارد فى هذا المعنى مع ابن حجة فى قوله من قصيدة وكنت لما طالعت ديوانه لم أر له معنى ابتكره غيره وهو

ماتوا على تلك السروج مخافة * فكأن هاتيك السروج مقابر

وهو تشبيه لطيف لان هيئة دفتى السرج كهيئة جانبى القبر المصنوع من الحجارة فى هذا الزمان وقد سبق اليه ابن نباتة فى مرثية له

وما الناس الا راحل بعد راحل * اذا ما انقضى عصر مضى بعده عصر

تبدت لذى البيداء مطايا قبورهم * ليعلم أهل العقل انهم سفر

ثم رأيته فى أشعار المتقدمين لكنه هذبه فان أبا نواس قال فى قصيدته التى أولها

أجارة بيتينا أبوك غيور * وميسور ما يرجى لديك عسير

(ومنها)

اليك أتت بالقوم هوج كأنما * جماجمها تحت الرحال قبور

قال الصولى أى ابل كأن بها هوجا للنشاط فى سيرها وهذا التشبيه بالقبر حسن لكنه أخذه من قول الوليد

كأن هاماتها قبر على شرف * عد للسير أوصالا وأوصالا

انتهى وههنا أمر نفيس ينبغى الاصغاء له لان الجماجم الرؤس ولو شبه أسنمتها أو الرحال التى عليها بالقبور لكان من المعانى التى لا نظير لها فاستحسان الصولى ليس بحسن وكأن المتأخرين اذ كانوا رأوه تنبهوا لهذا وهذا من حسن الظن بالسلف والا فالمقال مجال فاذا فطنت لما قلناه وفهمته علمت أن هذا كله لا يصل فى الحسن الى درجة من درجات قولى من قصيدة لى

اذا جئت دارا قبل لقياى أهلها * ألا فى قبور الكرام أولى المجد

عليها لقد حطوا رحالا بمنزل * وكم هودج من بينها مرتقى الشد

لينتظروا من خلفوه بدورهم * ليلحقهم قبل القيام بلا جهد

يقولون جدوا فى الرحيل فان من * تبقى أناس أرضعوا اللؤم فى المهد

وقوله قبل لقياى الخ اشارة الى أن قبور كل بلدة خارجها فكل قادم لا بد أن يلاقيها أولا

والى هذا المعنى أشار القاضي الفاضل فى قوله

المدن ان رجع المسافر أو * اذا خرج المسافر
ما استقبلته وودعته * بغيرها تيك المقابر

﴿القاضى محب الدين بن تقى الدين الحموى﴾ نزيل الشام وشامة من بها من الوجوه والاعلام ذو كمال وأدب ومجد تناوله عن كتب فكان غرة من نظم ونثر وكتب وشعر اذا حل بناء تهلل صدره وانشرح وتزينت بدرر كلماته عقود الملح وترنمت طيارها وتفتحت بنسيم خلقه أنوارها مجاورات له تحمر خدود الكاسات منها خجلا وتفتح أزهار الخمائل لها آذانا ومقلا الا أنه وافى رياضها عشية فحيته من أنفاسها بألطف تحيه فحمدها وشكر عاطار بين سمع الارض والبصر ومن شعره قوله فى الشام

أتينا فسلمنا عليها عشية * فغنى لنا فيها الحمام وحيانا
وأبدى لنا ثغر الاقاحى تبسما * وأحسن ملقانا وأكرم مثوانا
وماهى الا جنة قد تزخرفت * ألم ترفيها العين حورا وولدانا
ومن تحتها الانهار تجرى وكلها * عيون الى الروضات ترسل غدرانا

ومن فصل له يقبل الارض بعد دعاء ترصع فى تيجان الاجابة درره وتضرع نقف فى ديوان الاخلاص فقره ومما وقفت عليه من آثاره شرح شواهد التفسير وهو كتاب حسن لكنه لم يشبع فيه الكلام

﴿شهاب الدين الكنعانى الشامى﴾ شاعر عصرى لم أقف له الا على ما أنشده شيخنا العنايانى من قوله

يحسب كل الناس أمثاله * من بات فى مهد نعيم وطى
أماترى الشبعان ياسيدى * يفت للجيعان فتابطى

وهذا مثل عامى من أمثال العوام تضرب به للترفه الذى لا يدرى بحال من كان فى بؤس وشدة فيظنه مثله ولفظ الجيعان أنكره أهل اللغة فقالوا المسموع فيه جائع وجوعان لكن الأمثال لا تغير

﴿معروف الشامى﴾ هو ممن اتسم بالادب فى الحديث والقديم وسيرى ذكره كما سرى فى الرياض النسيم فسمت مقاصده وعذبت مصادره وموارده فليس للربيع نضارة تلك الشيم ولا للغيث شيم ذلك الكرم فروضة مآثره يانعة الزهر ونسخة محاسنه مخلدة فى

مصائب الدهر لازال حديثه روضة من رياض الجنان ومنزلا تحل فيه قوافل الغفران ما بكى المطر لفراق الغمام فضحك النور على بكائه فى الاكمام فمما أنشدته له قوله

يامفردا أضحت ظواهر شأنه * ومافوقها فى الحسن غير المخبر
ياساليا قلبي الشجي وما اشتكى * منه الجفاء الى السميع المبصر
منى اليك مع النسيم تحية * فتقت نوافجها بمسك أذفر
من منطق يزهو بحسن براعة * تزرى حلاوته بطعم السكر
فكأنها وكأنه وكأنها * من جوهر فى جوهر فى جوهر
يبدى التداخل فى الجواهر عنوة * لبصيرة المقدام لا المتحير
فكأنما قرطاسها أسرارنا * والبين بينهما سواد الاسطر
أرجو على قرب المزار يقرب البا * رى تعالى موردى من مصدرى
فى ذلك الشرف المعلى المنتهى * طرب المشوق وجنة المتذكر

﴿ونقل لى عنه فصل فى كحال صورته﴾

فلان انتهى الى فوق مايضرب به المثل ان قيل يسرق الكحل من العين فهذا يسرق العين من الكحل فقد أودع كحله حزن يعقوب فمن كحل منها ابيضت عيناه وبجده مجرة القميص اليوسفى فلو مر وابه على ناظر تقرح جفناه وهو من الذين اذا رفعوا أميالهم فانما هى لعين الشمس ولشمس العين منزوله واذا أولج أحدهم الميل فى المكحلة فهو أولى بالرجم ممن أولج الميل فى المكحلة انتهى وأنا أظن أن هذا من كلام القاضى الفاضل ومنه قول مهيار فى طبيب كحال

أفنى وأعمى ذا الطبيب بطبه * وبكحله الاحياء والبصراء
فاذا نظرت رأيت من عميانه * أمما على أمواته قراء

﴿ومنه أخذ الرفاء قوله﴾

أعمى الورى بكحله * والموت من وصفاته
فكثير من عميانه * يقرأ على أمواته

وانما خصوا العميان بالقراءة لانهم معروفون بكثرة الحفظ وقد قيل انه ما أخذ الله من عبده حاسة الا نقل قوتها لغيرها ولابن عنين

لو أن طلاب المطالب عندهم * علم بانك للعيون تغور

لاتوا اليسك بكل ما أملته * منهم وكان لك الجزاء الاوفر
ودعوك بالصباغ لما ان رأوا * يغشي العيون لديك ماء أصفر
وبكفك الميل الذى يحكى عصا * موسى فكم عين به تتفجر

(ولمحمد بن الاكفانى)

ولقد عجبت لمن أتى بالكيميا * فى كحله ادجاه بالشنعاء
يلقى على العين النحاس يحيلها * فى لحة كالفضة البيضاء

(وأحسن منه قولى)

كحل كحاله غدا اكسيرا * منه قد علم الورى الكيمياء
فحديد الابصار يلقى عليه * عاد فى الحال فضة بيضاء

(نجم الدين بن معروف) أديب اذا نظم حرك الهوى وقال الشعر والنجم اذا هوى ما ضل صاحبكم وما غوى فقد سلك سبيل الرغائب واهتدى باعلام المناقب فهو نجم بزغ من سماء الكرم وشمس اهتدت بأنواره سرات الامم تقلد سيف الاماره فلاحت عليه من السعادة كل أماره فتنجمه الثاقب برفعته لدرى الكواكب فمن أنواره الساطعة من مشرق فيه ما كتبه للقاضى أبى الفتح يستدعيه

يا أيها المولى الذى فتحت له * فيضا خزائن كل علم مغلق
ووفود أرباب الفنون تعبدوا * بولاه اذ هو رب فضل مطلق
واذا أتاه الفاضلون بجملة * من فضلهم لاقاهم فى فيلق
العبد يرغب أن تشرف بيته * ليصير أشرف بقعة فى جلق
لازلت يازين الوجود ممتعا * بعوارف منها المعارف تستقى

(فأجابه)

ياماجدا نحو العلا لم يسبق * ومهذبا حاز الكمال بجلق
لبيك من مولى تفضل داعيا * لمحبه بل عبده المتملق
وافت بدائع نظمه تحكى عقو * د الدر فى سلك البيان المونق
تدعو لحضرته البديع صفاتها * ببلاغة فاقت بافصح منطق
سعيا على الاحداق نحو كماله * وجماله المتوقد المتألق
نحو الفضائل والفواضل والثنا * نحو المكارم والندا المتدفق
لازلت محروس الجناب ممتعا * بلقائك الفضلاء دون تفرق

مالاح نجم فى الدجنـة ثاقب * أو فاحت الروضات للمتنشق

﴿محمد بن محمد الحكيم المعروف بابن المشنوق﴾ شاعر رأيته وله شعر لم يثابر على تهذيبه فهو وساوس لفكرة تهذى به وقد أنشد قصيدة سماها لامية الروم منها

حتى م أنظم من دمعى ومن غزلى * أدلة وحبيب القلب معتزلى

يرى خلودى فى نار الصدود فهل * فقت حين جعلت العشق من عملى

﴿فتح الله بن بدر الدين محمود البيلونى الحلبى﴾ أديب فاضل له طرف وملح وشعر سمح طبعه منه بما سمح وله مجلس من مجالس القصاص والنصاح ينادى به كل طالب حى على الفلاح رأيته وقد قدم الروم بصحبة الوزير نصوح وشمس فضله من أفق معاليه تلوح فانقطع عن الاختلاط ورعاه لكن السكون ردىء الاخلاط وله شعر وشعور هما من خير الامور كقوله

يقولون نافق أو فوافق مرافقا * على مثل ذا فى العصر كل لقد درج

فقلت وأمر ثالث وهو قول أو * ففارق وهذا الامر أسلم للحرج

وقوله فى بعض منازل الحج المسمى باكره ويقال لها أكرى بالقصر أيضا

تعففت عن زاد الرفيق ومائه * وسرت لبيت الله أهدى له شكره

ووفرت ماعندى احترازا واننى * لصونى ماء الوجه لم أرما أكره

ومن أمثاله المرسلة رب داء أضر منه الدواء وله

اذا ابتليت بسلطان يرى حسنا * عبادة العجل قدم نحوه العلفا

وقوله أنت كالمنخل الذى صار يلقى * الصفو للناس ممسكا للنخاله

وهذا مما وقع معناه فى بعض الكتب الالهية كما نقله الامام الرازى وقد كنت قلت فيه

الدهر كالغربال فى * خفض ورفع لا محاله

ان حط لب لبابه * رفع الحثالة والنخاله

والبيلونى لقب جده وهو نسبة للبيلون وهو طين أصفر تسميه أهل مصر بالطفل انتهى

﴿القاضى ظهير الدين الحلبى﴾ أديب ورده معين واثمد مداده مما تكتحل منه عيون اليقين صحبته بالروم فكان لى منه ظهير ومعين فاقتطف سمعى جنى أزهاره لما جلى على نتائج أفكاره فرأيت كبراها وصغراها فى الحد الاوسط ومنها ماهو عن رتبة الانتاج منحط فمن غض ثمراته ويانع زهراته قوله من قصيدة نبوية

نسيم الصبا من حاجر ونواحيه * سرت فأزالت صبرنا عن صياصيه
ومن بارق شام المتيم بارقا * بدا فتداعى شوقه من أقاصيه
ومن ذكر أيام العذيب تكدرت * مشارب صب ضل عنه مناجيه
اذا قفل الحجاج زاد ولوعه * وأرسل دمعا قانيا من أماقيه
وبي من غدا يختال عجبا بقده * وطلعته سكران من خمرة التيه
وفي القرب أخشاه وفي البعد قاتلي * فواحربا من بعده وتدانيه
يفوق من جفنيه للقلب أسهما * بأوهنها يرمي الكمي فيصميه
بذلت له روحي فأعرض معجبا * وقال أملكي عاد ملكك تهديه
وبالشعب من وادي النقا خير جيرة * غدت بغيتي رالله من غير تمويه
اذا ذكروا يرتاح قلبي كأنما * أتت نحوه تنقاد سرا أمانيه

(بهاء الدين بن الحسين العاملي) الحارثي الشامي أصلا ومحتدا الفارسي منشأ ومولدا فاضل لمعت من أفق الفضل بوارقه وسقاه من مورده النمير عذبه ورائقه لا يدرك بحر وصفه الاغراق ولا تلحقه حركات الافكار لو كان في مضمار الدهر لها السباق زين مآثره العلوم النقلية والعقلية وملك بنقد ذهنه جواهرها السنية لاسيما الرياضات فانه راضها وغرس في حدائق الالباب رياضها وهو في ميدان الفصاحة فارس أي فارس وان كان غصنه أينع وربى بربوة فارس فان شجرته نبتت عروقها بنواحي الشام الزاهية المغارس والعرق نزاع وان أثر الجوار في الطباع ولما تدفق ماء كرمه خرج منها ساحبا بعد ما ألقى دلوه في الدلاء ماتحا لابسا خلع الوقار عاطفا من رياض الكون ثمرات الاعتبار لجاب البلاد وأتى ارم مصر ذات العماد فنم امتاع فضل به اتجر والمعالي في كفالات السفر فاجتنى نورا انفتحت كمائمه وسرى سر اقلب الوجود كاتمه

وسر دهر هو صدر له * بعالم ذي نجدة عامل

وفي أثناء ذلك نظم عقود أشعار حقائقها العقول وجمع من أزواد فضله مجموعة سماها الكشكول طالعتها فرأيت فيها ماتنشرح له الصدور وتحل عقد الاشكال عن كل مصدور وكان رئيس العلماء عند عباس شاه سلطان العجم لا يصدر الا عن رأيه اذا عقد ألوية الهمم الا أنه لم يكن على مذهبه في زندقته والحاده لانتشار صيته في سداد دينه ورشاده الا انه علوي بلا مين وهو عند العقلاء أهون الشرين فانه أظهر

غلوة فى حب آل البيت وجارى حلبة ولاء الكميت وأنشد لسان حاله لكل حى وميت

ان كان رفضا حب آل محمد * فليشهد الثقلان أنى رافضى

وشعره باللسانين مهذب محرر وبالفارسية أحسن وأكثر ولما ساح فى البلدان واجتمع بمن بها من الاعيان عاد بدر ذاته لفلك أقطاره فعانق فى أوطانه عقائل أوطاره وهو الآن قرة عين مجدها وغرة جبين سعدها تطوف بحرمه وفود الافاضل وتتوجه شطره وجوه الآمال من كل فاضل بنعيم مقيم تتحدث عنه طروس الاسفار وتكتحل باثمد مداده عيون الطروس والاسفار فمن أنوار كلامه التى أطلعتها غصون أقلامه قوله من قصيدة

ياندیمی بمهجتی أفديك * قم وهات الكؤس من هاتيك
هاتها هاتها مشعشعة * أفسدت عقل ذى التقى النسيك
خمرة ان ضللت ساحتها * فسنا نور كأسها يهديك
يا كليم الفؤاد داوبها * قلبك المبتلى لكى تشفيك
هى نار الكليم فاجتلها * واخلع النعل واترك التشكيك
صاح ناهيك بالمدام فدم * فى احتسائها مخالفا ناهيك
عمرك الله قل لنا كرما * ياحمام الاراك ما يبكيك
أترى غاب عنك أهل منى * بعد ما قد توطنوا ناديك
ان لى بين ربعهم رشا * طرفه ان تمت أسى يحييك
ذو قوام كأنه غصن * ماس لما بدا به التحريك
لست أنساه اذ أتى سحرا * وحده زائرا بغير شريك
طرق الباب خائفا وجلا * قلت من قال كل ما يرضيك
قلت صرح فقال تجهل من * سيف ألحاظه تحكم فيك
قمت من فرحتى فتحت له * واعتنقنا فقال لى يهنيك
بات يسقى وبت أشربها * خمرة تترك المقل مليك
ثم جاذبته الرداء وقد * خامر الخمر طرفه الفتيك
قال لى ما تريد قلت له * يامنى القلب قبلة من فيك

قال خذها قد ظفرت بها * قلت زدني فقال لا وأبيك
ثم وسدته اليمين الى * أن دنا الصبح قال لي يكفيك
قلت مهلا فقال قم فلقد * فاح نشر الصبا وصاح الديك

وله من أخرى مدح بها الاستاذ البكرى وقد اجتمع به وهو مما يدل على سلامة عقيدته قوله

يا مصر سقيا الله من جنة * قطوفها يانعة دانيه
ترابها التبر فى لطفه * وماؤها كالفضة الصافيه
فقد أخجل المسك نسيم لها * وزهرها قد أرخص الغاليه
دقيقة أصناف أوصافها * ومالها فى حسنها ثانيه
منذ أنخت الركب فى أرضها * أنسيت أصحابى وأحبابيه
فياحماها الله من روضة * بهجتها كافية شافيه
فيها شفاء القلب أطيارها * بنغمة القانون كالزاريه
(ومنها) من شاء أن يحيى سعيدا بها * منعما فى عيشة راضيه
فليدع العلم وأصحابه * وليجعل الجهل له غاشيه
والطب والمنطق فى جانب * والنحو والتفسير فى زاويه
وليترك الدرس وتدريسه * والمتن والشرح مع الحاشيه
الى م يادهر وحتى متى * تشقى بأيامك أياميه
تحقق الآمال مستعطفا * وتوقع النقص بآماليه
وهكذا تفعل فى كل ذى * فضيلة أو همة عاليه
فان تكن تحسبنى منهم * فهى لعمرى ظنة واهيه
دع عنك تعذيبى والا فأشكو * ك الى ذى الرتبة الساميه

(وله رباعيات لطيفة منها)

أغتص بريقى كحسيى الحاسى * اذ أذكره وهو لعهدى ناسى
ان مت وجمرة الهوى فى كبدى * فالويل اذا لساكنى الارماس
(وله) كم بت من المساء الى الاشراق * من فرقتكم ومطربى أشواقى
والهم منادمى ونقلى ندمى * والدمع مدامتى وجفنى الساقى

(ومنها)

(ومنها) لاتبك معاشرا نأى أو ألفا * القوم مضوا ونحن نأتى خلفا
بالمهلة أو تعاقب نتبعهم * كالعطف بثم أو كعطف بالفا
(ومنها) من أربعة وعشرة امدادى * فى ست بقاع سكنوا ياحادى
فى طيبة الغراء مع سامرا * فى طوس وكربلا وفى بغداد
(ومنها) للشوق الى طيبة جفنى باكى * لو صار مقامى فلك الافلاك
أستنكف ان مشيت فى روضتها * فالمشى على أجنحة الاملاك
(ومنها) هذا النبأ العظيم مافيه كلام * هذا الملائك السموات امام
من عم بابه ينل مطلبه * من طاف به فهو على النار حرام
(ومنها) هذا حرم بفضله العقل أقر * فيه لملائك السموات مقر
كل منهم يقول يازائره * أبشر فلقد نجوت من نار سقر

(ومنها)

ياريح اذا أتيت دار الاحباب * قبل عنى تراب تلك الاعتاب
ان هم سألوا عن البهاء فقل * قد ذاب من الشوق اليكم قد ذاب

(ومنها)

ياريح أقص قصة الشوق اليك * ان جئت الى طرسو فبالله عليك
قبل عنى ضريح مولاى وقل * قدمات بهاؤك من الشوق اليك
(ومنها) أهوى رشا عرضنى للبلوى * ماعنه لقلب المعنى سلوى
كم جئت لاشتكى فمذ أبصرنى * من لذة قربه نسيت الشكوى

(ومثله قولى)

لو تسمع لذى المعنى الشكوى * لا من بذا وليس عنه سلوى
كل هواه مبتل ذو دنف * قالوا وتطيب اذ تعم البلوى
(ومنها) ياغائب عن عينى لاعن بالى * القرب اليك منتهى آمالى
أيام نوالك لاتسل كيف مضت * والله مضت باسوء الاحوال
وفى معناه ووزنه قول الارجانى
لا بأس وان أذبت قلبى بهواك * القلب ومن سلبته القلب فداك
وليت وقلت أنعم الله مساك * مولاى وهل ينعم من ليس يراك

(خضر الموصلي) كعبة فضل مرتفعة المقام تضمنت ألسنة الرواة التزام مدحه فلله ذلك التضمن والالتزام رأيته في عنفوان العمر والدنيا كلها رياض والايام كلها أعياد وأعراس والاوقات كلها سحر والاشهر كلها نيسان

فلو بعث يومامنه بالدهر كله * لفكرت دهرا ثانيا في ارتجاعه

وهو حسنة في صحائف الايام والليالي وروضة تنبت الشكر رياض المعالي والعيش كله نضر وقد قيل لكل زمان خضر

اذا ماذكرنا جوده كان حاضرا * نأى أودنى يسعى على قدم الخضر

وأقام بمكة مع بني حسن مخضر الاكناف وصنف باسم السيد حسن كتابه شرح شواهد الكشاف شرحا تشبث باذياله السحر وناط به تميمة معلقة بجيد الدهر وقد ملكته وطالعته فرأيت فيه ما يدل على سعة اطلاعه وطول طوله وباعه وهو تلميذ والدي وكان يسلك معه طريق الادب ويجثو بين يديه على الركب وأنشدني قوله مضمنا

تبدل عن البرش المبلد بالطلا * فعالم أهل البرش غمر وجاهل
فما البرش ان فتشت عن كنهه سوى * دويهية تصفر منها الانامل

(وللاسعد بن مماتي مما أنشده في كتابه سلافة الزرجون)

نديمي لا تهزأ بمشمولة فات * بذالك منها بهجة وشمائل
وراقك منها رقة في قوامها * ولاحت كشمس أضعفتها الاصائل
فلا تغتر منها بلين فانها * دويهية تصفر منها الانامل

(وهذا من قصيدة لبيد التي أولها)

الا كل شئ ما خلا الله باطل * وكل نعيم لامحالة زائل
وكل أناس سوف تدخل بينهم * دويهية تصفر منها الانامل

(وقد ضمن زكي الدين بن قريع منها أيضا قوله)

تأمل صحيفات الوجود فانها * من الجانب السامي اليك رسائل
وقد خط فيها ان تأملت خطها * ألا كل شئ ما خلا الله باطل

(وفي معناه قول العلامة الشيخ حسن البوريني)

ورق الرياض اذا نظرت دفاتر * مشحونة بأدلة التوحيد

وفي معنى شعر أبي نواس المشهور ومما مدحت به حضرة مولانا خضر المذكور

وصبا من كؤس ذكرك سكرى * لك حملتها ثناء وشكرا
ولوجدى رقت كطبعك لطفا * واستعارت من طيب ذكرك نشرا
معك القلب حيثما سرت يسرى * فاسأل الله فذاك عنى أدرى
من أولى العزم لى فؤاد كليم * فى النوى لا يزال يتبع خضرا

فصل فيمن لقيته بالشام فى رحلتى لمصر راجعا من الروم لما منيت بغربة قارظية ودعانى الشوق الى العود الى القاهرة المعزية وعنان مطايا العزم بين ثان وحادى وطوارق الوساوس بين رائح وغادى بدالى بها وجه جو قاطب وساحرت بها اليلا عمر الكواكب يتعثر بالعواء وتضربه بعصى الجوزاء ونهار صباه سموم كأنه قلب صب مغموم أو نفس فقير مظلوم نفضت بها الآمال بساط القرار واسترجعت نزاعها للامصار اذ لم تجد حواتر تجيبه ولا أخا وجد تطارحه هوى نجد وتجاريه كما قلت

ياويح مصر ترحلت سكانها * وتعطلت تلك المجالس والمدارس
ظعنوا ومن بركاتها وجمالها * كنست وها تيك النخيل بها مكانس

فكأن الكرام أوراق خريف لونته الاعاصير وبدله الشتات ورسومها خط بها البلاء آيات المواريث ومصحف الفرائض فلا يذكر فيها غير الاموات فاذا رجع أو خرج منها المسافر ماودعه واستقبله غير المقابر

عليها القد حطوا رحال الاعتزل * وكم هودج من بينها مرتخى الشد

وقد كنت أدأب فى الترحال * لاحط بربعها المخصب رحال الآمال * رجاء لقاء أشياخى واخدانى ومغازلة من بها من خرد وانس الامانى ممن سافنته بواديها وساجلته بدلاء المجون فى بواديها وقد تنزل من حصن طودها الاوابد كما قال كشاجم فى كتاب المطارد ان الوحوش قد تلج العمران وتلجأ للآنس اذا كلب الشتاء وعبس بالجدب وجه الزمان فعدمت الاقوات واختفى الجمد والثلج الماء والنبات فشاب منه الوليد كما قال مسلم بن الوليد

فان أغش قوما بعدهم أو أزورهم * فكالوحش يدنيها من الآنس المحل
يذكرنيك الخير والشر والتقى * وقول الخنا والحلم والعلم والجهل
فألقاك فى مذمومها متنزها * وألقاك فى محمودها ولك الفضل

فعاد الرائد خائنا والبشير ناعيا ناعبا اذ بدت مقفرة الارجاء مبرقعة باليأس وجه الرجاء

من دار أمواتها أشراف وأحياؤها أجلاف بهاضعاف عقول يزعمون أنهم ألفوا وصنفوا كأنهم بقية من أهل الكتاب الذين بدلوا وحرفوا فجئت زائرا مقابر أطلاله وقد خيل لي أنها أول منزل سفر بسر وبنها ورحالها ينتظر بها السابقون اللاحقين فقلت السلام عليكم دار قوم مؤمنين فردوا وصاحوا بها واها وأنشدني بديهة صداها

يا راكبا حث المطي لارض مصر تنحيها
جز بالقرافة والقران * مني السلام لساكنيها
وقل السلام على الكرا * م الاكرمين الفاضليها
لم ألق بعدهم بها * الا جهولا أو سفيها
فكانما الدنيا البخيلة بالعطاء لمجتديها
صرفت دنانيراليها * بنحاس نحس من بنيها
سادت بها فرق العبيد فأي حر يرتضيها
فلذا هجرت مقامها * وطلبت أرضا أصطفيها
فاذا مررت فلا تسل * عمن نأى من قاطنيها
وقف المطي بجلق * ان الكرام الغر فيها
عرفت بعرف المجد هاتيك الربوع لساكنيها

فرحلت الى الوادي المقدس طوى والعزم بأيدي المطايا شبرشقة البين وطوى حتى نزلت تربة تجنت عباء الوحي على رغم أنف النوى ومسحت بها المحيا وحييت أكرم محيا بين الصخرة والطور والبيت المتلألئ فيه سبحات النور

قطعنا في مسافته عقابا * وما بعد العقاب سوى النعيم

ولما رأيته طشت ذهب علوا بالعقارب غسلت يد الأمل فيه من الرغائب وانثنيت للشام شامة وجه المدائن وجنة الله في أرضه المحفوفة بالحور والولدان المفروشة بسندس النبات والأشجار اللابسة حلل الرياض المزررة بالانوار المسجفة بزرق الانهار فقالت لي أهلا وسهلا ومدت كرما ونزلا وتلقتني بصدر رحيب فبت فيها بين تكريم وترحيب

من فوق أكمام الربا * ض وتحت أذيال النسيم

ولقيت بها من فضلائها الاعيان وأدبائها النفيسة الاذهان والاردان كل كريم تحسد

عليه العيون والآذان هو لعين المجد قره ولوجه المكارم غره ولقلب الدهر فرحة ومسره فكان ممن اجتلاه ناظري وعكف عليه في حرم كرمه خاطري

(المولى عبد الرحمن بن عماد الدين الشامي الحنفي) وهو اذ ذاك مفتيها وناشر لواء الافادة بناديها ومحيي من رسوم المدارس كل داثر بها ودارس ان جاد فجوده غيمة للعدم أو وعد فوعده للغنى سلم مع صدق مقال تعقد منه الاقوال بالافعال اذا ذكر ما فيه من محاسن الصفات سجدت له الخناصر كأنه آيات سجدات أو سردت نعوته فكل نعت مقطوع وكل وصف تابع له وهو متبوع وقد متعت منه بما هو ألذ من نيل الوطر وليس العيان كالخبر وهبت علي من رياح اقباله قبول وجنوب وأطربتني أنفاسه والكريم طروب وصرف الزمان مغلول اليدين والزمان منقاد لجمع الشمل كأنه عليه دين فملنا في ظله الظليل ولم نر فيه نقصا سوى أنه قليل وناهيك بطيب عنصر لو رآه النظام أثبت به الجوهر الفرد مع لطف طبع هو شقيق الروض المخضل بلطفه خد الورد وحسن تقرير وتحرير يهتز طربا له كل غصن نضير وبالجملة فهو في كل كمال مفرد مستغن عن التعريف بفضل له لا يجحد فانه أصيل عصره وعماد دهره كما عناه من قال

أرأيتم في الناس ذات لطيف * يشرح الصدر مثل ذات العماد

حسبها من لطافة انها لم * يخلق الله مثلها في البلاد

وقد دارت بيني وبينه كؤس محاورات لها ثغر الحباب باسم تنتظم منها في جيد الآداب عقود لها بنان البيان ناظم ولما قوضت خيام المقام وزمت مطايا العزائم كتبت له مودعا وشاكرا لما أفاضه علي من سوابغ المكارم أقول

قسما بلطف مالك لفؤادي * وبروض أنس مثمر لودادي

وبطلعة نزلت لدى حرم العلا * وبسدة هي قبلة القصاد

اني ارتحلت وذكركم أبدا على * طول المدا ماء الغدير وزادي

يا واحد الدنيا وبيت قصيدها الـ * ـزاهي لدى الانشاء والانشاد

يا ابن العماد لانت عمدة سادة * تمتاح في الاصدار والايراد

ارما غدت أرض الشام لانها * ذات العماد بكم وأي عماد

بل جنة فيها الثناء مخلد * أترى لها بعد البعاد بعاد

وحديث فضلكم المعنعن مجده * أضحى بأصالته على الاسناد
يثني عليه رائح أو غادى * أبدا برغم عشيرة أوغاد
فاسلم ودم في عزة أيامها * للقائه لبست حلى الأعياد

(وبعد هذا فصل) مولاى هذه نفثة مصدور وغلالة صاد لولاك لم تروبها الصدور وبديهة غريب عن الاوطان والاحبة مهجور والطبع وان كان في حلبته جوادفقد يكبو الجواد وقد يبخل الجواد ولكنني أقول كما قال ابن عباد

أنا لولاك مارأتني القوافي * في وهاد من أرضها ونجاد
ان خير المداح من مدحته * شعراء البلاد في كل نادى

والسلام فأجاب

هذى درار نورها لى هادى * وشها بها رجم على الاضداد
أم روضة بسمت ثغور زهورها * أم حلة وشيت من الابراد
أم تلك أبيات أبيات البنا * رفعت على عمد رفعن عمادى
بنيت بأيدى فكر قس خفاجة * تبت أيادى فكر قس أيادى
مولاى يا فرد الوجود فضا ئلا * وفواضلا يا أوحد الآحادى
قد كنت أسمع عن فضائلك التي * شنفتني من حاضر أو بادى
ولطالما قد كنت أرجو الملتقى * وتبعد الآمال طول بعادى
حتى شهدت جمالكم فلمحتني * جذبت محبتكم شغاف فؤادى
ودنا الرحيل مخلفا قلبي لكم * وقفا على الاتهام والانجاد
سر بالهنا أما خيالك ما لكم * فهو السمير لمهجتي في النادى
واسلم ولا تنس العمادى انه * ليعلل الاحشا بقرب بعاد

﴿ومما أنشدني قوله﴾

سأطمس آثارا هواى أثارها * وأنفض من ذيل التصابي غبارها
لقد آن محوى من سلاف صبابة * لقد طال ما خامرت جهلا خمارها
هجرت الهوى والزهو حتى اشتياقه * وطيب ليالى اللهو حتى ادكارها
وعفت سبل الهذل بالجد مقلعا * وعفت مسرات جنيت ثمارها
أنام كفيت اليوم بالترك شرها * لعلى غدا في الحشر أكفى شرارها

فطفت

فطفت أزاهير الصبابة فى الصبا * وقد صار عارا أن أشم عرارها
فلو صائدات القلب أقبلن كالمها * وقبلن رأسى ماقبلت مزارها
وقد كنت أودعت الحجى فاسترده * الى النفس شيب قد أعاد وقارها
وكان شبابى شب نار صبابتى * فقد لاح نور الشيب أخمد نارها
ترى شيبتى ماعذرها الشبيبتى * وقد صبغت قبل الكمال عذارها
تبسم ثغر الشعر فيها تعجبا * لها اذ رأى ليل السبال نهارها
فزار وكر الشعر فيها غرابه * ولا دار حتى استوطن البازدارها
عسى الآن عما قد عثرت انابة * يقبل بها للنفس ربى عثارها
عسى رحمة أونظرة أوعناية * يتم سعودى فى صعود منارها
عسى نفحة من نور نور معارف * تهب فيختار الفؤاد قرارها
ويشرح صدرى نور علم مقدس * يرينى أسرار العلوم جهارها
وأمنح ألطافا من الانس أبتغى * خفاها ويأبى الوجد الا اشتهارها
وتكشف عن عين البصيرة حجبها * بأنوار عرفان تزيل استتارها
فيظهر لى سر الحقيقة مشرقا * على ظلم الكون التى قد أنارها
وأحظى بحالات من القرب أكتسى * بدنيا وأخرى فضلها وفخارها
ولطف الهى قطب دائرة المنى * فان عليه فى العطاء مدارها

(وقال قبيل موته رحمه الله)

قد شاب فودى حين شاب فؤادى * فكأنما كانا على ميعاد
حسن الخواتم أرتجى من محسن * قد من لى قدما بحسن مبادى
وعمادى التوحيد فهو وسيلتى * فى نيل ماأرجوه عند معادى
ان قيل أى سفينة تجرى بلا * ماء وليس لاهلها من زاد
قل رحمة الرحمن من أناعبده * تسع العباد فمن هو ابن عماد

وكتب الى وهو مريض وقد سمع بعودى لمصر ولم يلبث بعده الا قليلا ماصورته أسعد الله تعالى طالع مصر وماحولها من الامصار وأنجد هذا العصر ومايليه من الاعصار وأيد العلوم وأهلها وأيد دولة الفضائل وطالبيها بدوام سعادة أيام عين أهل المعارف والمعالى وواسطة عقدهم الغالى ونادرة فلكهم العالى الذى هو صدر العلماء وبدرهم

ومن يدور عليه أمرهم فكأنهم قالب هو قطبه أو جسد هو روحه وقلبه علامة العلوم والمعارف وروضة الادب الوريقة وظلها الوارف شمس عصره وعزيز مصره جامع المزايا والمناقب شهاب الفضل الثاقب أهدى الى حضرته العلية تحف التحية وطرف الادعية المرضية وأنهى اليه شكاية نكاية الشوق وابسط لة سلطانه ومدمدة البين واسطالة زمانه وأهنيه برتبة الرياسة العلمية التى بعض صفاتها ولاية مصر المحميه جزء من آلائها وآلائها حيث أنت تسعى اليه ومد بالامر الشريف رواقها عليه على أن المولى أنوه قدرا وأنبه شأنا وذكرا من أن يهنى بولاية وان أمر أمرها وعلا بين أهل العلا قدرها ومنصب مصر وان عظم موقعه فالمولى بحمد الله تعالى يرفعه والمنصب لا يرفعه وماشرفه المؤثل المعلوم الا بفنون الفضائل والعلوم وحين بلغنا وصوله بالسلامة بتيسير الميسر تحققنا كيف ركب البحر البحر وسلك البر البر وقلنا عاد قس الى عكاظه وعاد قيس بحفاظه ولقد أحسن مولانا السلطان اذ أنام الانام فى حرز العدل والامان بنصب فيصل حكمه وحسام قضائه لحسم مادة الظلم وانتضائه وفتح بذلك باب دولة العرب وروج بضاعة العلم والفضل والادب خلد الله دولة سعادته مدى الليالى والايام ونظم أعوام مدة سلطنته فى سلك التأبيد والدوام ونسأل الله لحضرتكم طول البقاء ودوام العز والارتقاء

(أحمد بن شاهين الشامى) صديقنا الصادق الوداد الفاضل المستغرق بمحاسنه لمراتب الاعداد قناص سوانح الافكار حائز قصب السبق فى كل مضمار أديب حديثه الحسن كقطع الروض ولذة النشوان يخيل لسامعه أنه صب عليه الجمان وجرى خلاله ماء البيان تتسابق ألفاظه ومعانيه الى القلوب والآذان حتى لا تدرى أيهما السابق فى الولوج للسمع والجنان فكم هبت شمال شمائله فأفحمت سماء فضائله فيا عجبا كيف هى منه الندى وقد انقشع به غمام الغى عن مطالع الهدى فهو نكتة عطارد الوارث من المجد كل طريف وتالد حتى أدنى جوداً يا ديه الحسان ولم يشق غباره سوابق الاستحسان وله نظم ونثر أرق من دمع الصب وأعذب من زلال القطر غب الجدب

لو بقيت سلكا على الدهور * لعطلت قلائد النحور
وأخجلت جواهر البحور * وسميت ضرائر الثغور

تهدى الى الاكباد والصدور * روحا يحاكى نفثة المصدور

ولما وافيت فى رحلتى الى الشام نظمنى واياه فى عقد الصحبة سلك الايام فى أويقات كلها أصيل وسحر ولا عيب فيها سوى ما بها من قصر وكذلك أيام السرور قصار فشرفنى بقصيدة أتحفنى بها وهى قوله

أى دهر قد جادلى بابتهاج * وصباح قد لاح لى بانبلاج
وزمان قد من لى بنعيم * وقرآن وافى بأسعد تاج
وازديار من غير وعد حبيب * كشفاء من غير سبق علاج
واجتماع لنا بغير اتفاق * كغنى جاء طالبا ذا احتياج
وسخاء من الزمان بأهنى * نعمة قد أتت لاحوج راجى
بقدوم المولى الامام المقتدى * أحمد السيد الشهاب الخفاجى
الشهاب الذى أضاء فضاءت * شامنا من سراجه الوهاج
زارنا فى دمشق غيث روى * غيث علم من طبعه الثجاج
حين وافى من مصر والسعد عبد * خادم عنده بغير اختلاج
ولو انى وفيت حق قدوم * ساد حظى منه وزاد ابتهاجى
كنت أفرشته جفون عيونى * ورفعت الغبار فوق الحجاج
عالم يخرج الخفى المعمى * من علوم الاولى بلا استخراج
عنده كالصباح من كل علم * مدلهم كالليل أسود داجى
سيدى سيدى تحية داع * مخلص فى الوداد غير مداجى
أشتكى غربتى اليك وانى * بين أهلى فى خلطة واندماج
غير أنى شروى غريب لفقدى * أهل ودى وعشرتى وامتزاجى
منهم عمدتى الذى كان دهرا * مفتى الشام مستنير السراج
العمادى ذاك من قد تقضى * عمره فى دجاه ضمن الدياجى
كان والله عطرنا الندلما * نلتقى فى ثنائك حين التناجى
كان شيخى وكان خلى اذا ما * نابنى حادث وطب مزاجى
فرمتنى فيه الليالى عنادا * والليالى معروفة باللجاج
فتخلفت فى دمشق وحيدا * فى اعتقال وهمتى فى انفراجى

أيها السيد الجليل المفدى عج * بحاجى عن سير حظى الساجى
فابن شاهين ذو جناح مهيض * بان لم ترشه كالدراج
كن لراج من فضل جاهك عونا * حيث يضحى عارى محتاج
جار دهرى على فانظر لامرى * لا تكلنى الى اهتمام احتياج
رق حالى فاجبره قبل انصداع * فمحال فى الكسر جبر الزجاج
كسدت مدة بضاعة فضلى * وبمولاى جاء وقت الرواج
بيننا حق نسبة لكريم * ذى بكور للمجد مع ادلاج
لابن عبد الغنى ذاك المصفى * جوهرا غاليا محلى التاج
قدس الله روحه وحباه * برضاه من غير سبق انزعاج
وابق واسلم فنى معاليك عنه * خلف للمنى بلا معراج
كل وجه تأتيه تلقاه طلقا * سافر البشر وافر الانتاج

ومحمد بن عبد الغنى المذكور كان قاضى العساكر بالروم وله حواش على تفسير البيضاوى وسنذكره ان شاء الله تعالى آخر هذه الريحانة

الامير محمد بن منجك الجركسى أصلا ومحتدا الشامى منشأ ومولدا أديب أريب ونجيب وابن نجيب أورق عوده بالشام وأثمر فاذا عدت السجايا عرضا فسجاياه جوهر نشأ بها والدهر أبيض أغر ونادم العيش والعيش أخضر وللبقاع تأثير فى الطباع وللعرق كما قيل لمغرسه نزاع ومن كان جار الرياض لبس طبعه برد نسيمها الفضاض كما لبس النهر الجارى درع النسيم السارى

وقد نسجت كف النسيم مفاضة * عليه وما غير الحباب لها حلق

وقد دعمنى بخلق ونسيمه مجسج وخيوط شبيبته بيد الكهولة لم تنسج ولازمنى ادرأى انعطافى عليه وشبه الشئ منجذب اليه ومدحنى بمدائح أطال فيها وأطاب ماغنم الصحبة ولم يرض من الغنيمة بالاياب ومما كتبه الى من شعره وقد طلبت منه ما اودعه فى الرحلة صورة ما مدحت به مطلع نجوم المعالى وفلك شموس الموالى المولى عبد الرحمن حسين قلد صارم الاحكام بدمشق الشام صينت عن حوادث الايام

آلى الزمان عليه أن يواليكا * يثنى عليك ولا يأتى بثانيكا
اذا سطا فبأحكام تنفذها * وان سخا فبفضل من مساعيكا

ليهن ذا العيد حظ منك حين غدت * علاه ثم حلاه من أياديكا
هلاله نال فوق البدر منزلة * مقبلا وجهه أعتاب ناديكا
محلا بأياد منك فائقة * معطرا بغوال من غواليكا
وافى يهنى بك الدنيا ونحن به * يا بهجة الدين والدنيا نهنيكا
من ذا يضاهيك فيما حزت من شرف * ومن يدانيك فى حلم ويحكيكا
فالشمس مهما ترقت فهى قاصرة * عن بعض أيسر شىء من مراقيكا
والبدر لمحة نور منك نبصرها * والبحر قطرة ماء من غواديكا
وكل طود تسامى فهو محتقر * اذا بدت وهدة من نحو واديكا
وكل مجد فمن علياك مكتسب * وكل فخر نراه فى حواشيكا
وما حكى السلف الماضى وحدثنا * من السجايا به احدى التى فيكا
تعنو لعفتك الزهاد مذعنة * ويحسد الفلك الاعلى مغانيكا
يا ابن الحسام الذى للدين نصرته * أنت المفدى وكل الناس تفديكا
أعيادنا كلها يوم نزال به * وليلة القدر وقت من لياليكا

ومما مدحت به أيضا المولى المذكور دام فى رغد عيش وسرور

الناس كلهم شراء عطائه * والعيد والسير وزمن آلائه
يختال ذا بالحلى من علبائه * شرفا ودا بالوشى من نعمائه
قرت به عين الغزالة واغتدت * مكحولة فى أفقها بسنائه
ما أنبت الادواح بعدذبولها * الاسقوط الطل من أنوائه
سلسالها ونسيمها من لطفه * وعبيرها من بعض طيب ثنائه
مولى أقل هباته الدنيا فقل * ماشئت فى معروفه وسخائه
عدل له ما زال يورق عوده * حتى استظل الامن فى أفيائه
غيث أغاث به المهيمن خلقه * متفضلا وقضى لهم بقضائه
نجل الذى الافضال من ألقابه * وحسام دين الله من أسمائه
السعد من خدامه والعزم من * أتباعه والمجد من ندمائه
تسعى المواسم كلها لرحابه * اذلا بهاء لها بغير بهائه

ومما مدحت به امام الائمة موضح المشكلات المدلهمة يوسف ابن أبى الفتح امام

حضرة السلطان دام منصورا مظفرا فى كل آن ومكان

قمرا اذا فكرت فيه تعتبا * واذا رآنى فى المنام تحجبا
صادقته فتناولت لحظاته * عقلى وأعرض نافرا متجنبا
متورد الوجنات خشية ناظر * أضحى بريحان العذار منقبا
ساومته وصلا فأعجم لفظه * وأظنه عن ضد ذلك أعربا
أنا منه راض بالصدود لانى * أجد الهوان لدى الهوى مستعذبا
شآن حدث بالطافة عنهما * عتب الحبيب وعهد أيام الصبا
وثلاثه حدث بطيب ثنائها * زهر الرياض وخلق يوسف والصبا
علامة الآفاق من أشعاره * لعلومه أضحت طرازا مذهبا
من لو رآه البحر يوما مغضبا * لرأيته من خشية متلهبا
من لو أصاب البرأ يسر قطرة * من راحتيه لعاد روضا مخصبا
من لو نظمت الشهب فيه مدائحا لظننت فكرى قد أساء وأذنبا
ما نسمت سحرية سحرية * بانت تعل من الغمام الاعذبا
نشوانة وافت تجرر فى الربى * ذيلا بمسكى الرياض مطيبا
يوما بأحسن من صفات كماله * أنى تداولها اللسان وأطنبا
من ذا يقاس بماجد جعلت له * أرضا رقاب الحاسدين وقد أبى

ومما مدحت به المبرز فى العلوم المالك أزمة المنطوق والمفهوم والبارع فى المنثور والمنظوم المرحوم عبد الرحمن العمادى مفتى دمشق الشام

بان الخليط ضحى عن الجرعاء * فمن المقيم لشدة وعناء
الله يعلم أن صحبى فى الهوى * سيان بعد رحيلهم ومسائى
تطوى على النائبات كأننى * سر الهوى وكأنها أحشائى
وأشد ما يشكو الفؤاد ممنع * فى لحظه دائى ومنه دوائى
ريحانة الحسن التى لعبت بها * ريح الصبا لا راحة الصهباء
تجرى مياه الحسن فى أعطافه * جرى الصبابة منه فى أعضائى
قمر اذا حسر القناع مخاطبا * شخصت اليه أعين الاهواء
ملكت ولاية كل قلب مولع * لحظاته من عالم الانشاء

ان يخفه ليل النوى فجبينه * صبح ينم عليه بالاضواء
كم بت مطوى الضلوع على جوى * أغضى الجفون به على الاقذاء
فالى م فيه تهتكى وتنسكى * وعلام فيه تبسمى وبكائى
على الزمان يفيدنى حمل المنى * حيث التحيات لاوحد العلماء
نجل العماد ومن بنت عزماته * بيتا دعائمه على العلياء
مجد سما بجناحه حتى لقد * بلغ السماء وفاتها بسماء
تندى أنامله ويشرق وجهه * فيجود بالآلاء والللآلاء
يقظ بأعقاب الامور كأنما * جليت عليه حقائق الاشياء
سبحان من جمع الفراسة والهدى * لجنابه السامى على النظراء
ومهابة ساد الولاة ولاؤها * محفوفة بجلالة وبهاء
وشمائلا رقت كما خطرت على * زهر الربيع بواكر الانداء
مولاى بل مولى البرية فى صفا * صدق الطوية من بنى حواء
أنت الذى مازلت ترب ولاية * وأبو الورى فى طينه والماء
تتلو على سمع المحامد والثنا * آيات مدحك ألسن النعماء
لله أم ما غذيت بثديها * الالبان العزة القعساء
أطلعت شمس الفخر فى فلك العلا * وحففتها بكواكب الابناء
المالئون قلوب أهل زمانهم * حبا وأكناف الرجا بغناء
والضاربون خيام سوددهم على * هام السماك ومفرق الجوزاء
يامورد احامت عليه غلتى * مذجئته مستسقيا ورجائى
وافتك من صوغ القريض فرائد * نظمت بأيدى الفهم والآراء
لا بل سقيت رياض فكر ماحل * منى بفضلك صيب الآلاء
فهصرت غصن معارف ومآثر * وجنيت نور محامد وثناء
هيهات ماشعر الانام مقارنا * شعرا تشرف منك بالاصغاء

ومما مدحت به أيضا المرحوم عبد الرحمن العمادى المذكور

يا ابن الاماجد أنت من * أى الافاضل وابن من
كذب الذى حسب الزما * ن أتى بمثلكم وظن

أبقاس ماغـرس المعلا * يوما بخضراء الدمن
والآل بالغيث المغيـــث اذاتوالى أوهـتن
العـــلم سر الله ليس عليه غيرك يؤتمن
والمجـد سارالى جنـا * بك من أبيك على سنن
وبك المناصب فخرها * دون الورى من قبل أن
فاليـك منى روضة * بالشكر يانعة الفنن
لم لا يطير ب الرجا * الى حماك مـدى الزمن
وبذرت لى حب المنى * ونصبت لى شرك المنن
وملكت رق مدائحى * بالخلق والخلق الحسن

وعامدحت به العلامه قدوة المحققين وعمدة الفقهاء والمحدثين الشيخ أحمد المقرى المغربى سقى الله ثراه سحائب الغفران

فخرادمشق على كل البلاد بمن * أولى البرية معـروفا وعـرفانا
المقرى الذى فى بعض أيسرما * حوى من الفضل كل راح حيرانا
شمس من الغرب قدكانت مشارقها * بل دونها الشمس يوم الفخر برهانا
أغرما أحدقت أيدى القطام به * الاوأضحى بماء المجـد ريانا
تكاد تقـرأ فى لألأغـرته * من سورة العزة القعساء عنوانا
له من الفكر ماتحنو لأيسره * ثواقب الزهـرارشادا واذعانا
وسـيرة عن أبى حفص تلقنها * الى وقار يضاهى هدى سلمـانا
مصاحب حسن فعل الخير يعشقه * مراقب ربه سرا واعـلانا
يقضى النهار بآراء مسـددة * ويقطع الليـل تسبيحا وقرآنا
لاى وردتولى اليوم وجهتنـا * وقدغـدا بحره الطامى مرجانا
لئن منحنا بلحظ من مواهبـه * نلنا الثريا وكان الخـير عقبـانا
شفى بدرس الشفا مرضى درايتنا * لما أفادمع الايضاح اتقـانا
هيهات هيهات من فى العوم يشبهه * هل السراب يضاهى الغيث هتانا
اذامشى فعلى الاعناق مشيته * وان رأيت رجال الحى ركبانا
ياسـيد العلماء العاملين ومن * هوالامام المقـدى حيثما كانا

أبرأت ذمة دهر جاء يحسنى * بعد الاساءة من لقياك احسانا
دهر يقتل آمالى وأوسعه * اذ أنت من آله مدحا وشكرانا
فطأ كما شئت لا تنفك منتصرا * بأخمصيك من الاعداء تيجانا
واهنأ فأنت الذى أولاه خالقه * من الملائك أنصارا وأعوانا
واسمع لها من قواف لا عائلها * قول من الشعر الا قول حسانا
واستجلها نزها لو أنها رزقت * حظا لكانت لعين الدهر انسانا

قال ومما أجبت به عن لغز فى يراع أرسله الى الفاضل الذى طابت بذكر مآثره الاسماع محمد الكريعى وفى ضمنه لغز فى مهند

فدى لك روحى من رشا متيم * ومن مغد بالمستهام ومتهم
ومن عاتب الاعلى غير مذنب * ومن ظالم الاعلى غير مجرم
سقتنى العيون النجل منك سلافة * جرت قبل خلقى فى عروقى وأعظمى
وأسلمنى فيك الغرام الى الردى * فان كنت من يرضى بذلك فاسلم
بعدت ولى فى كل عضو حشاشة * تذوب وطرف هامع الجفن بالدم
ولست ملوما أن من أيقظ النوى * حظوظى التى لم تجن غير تندم
جلبت الى نفسى المنية عندما * رميت فلم تخطى فؤادى أسهمى
أبى الله أن أبكى لغير صبابة * وأرتاع الا من حبيب عثوم
سجية نفس لا تزال مليحة * من الضيم مرميا بها كل مجرم
أجمع سراد المعالى واننى * أبيت بفكر فى الهوى متقسم
وأندب أوقاتا ألذ من المنى * تقضين لى بين الحطيم وزمزم
تطارحنى فيهن ذات تبسم * حديث هوى أحلى من الشهد فى الفم
موشحة الاعطاف حالية الطلا * تقلد عقدا من دموعى ومن دمى
أبت أن ترى الابطرف تفكر * وبلثمها الاشفاه توهم
أبيت سليم القلب منها كأننى * أراقب صفو العيش من فم أرقم
وما أنا من يسلو هواها ويثنى * الى أحد غير الكريم المعظم
محمد السامى الجناب ومن غدا * له كرم الاخلاق دون التكرم
همام لقد أضحت مآثر فضله * على جبهة الدنيا كغرة أدهم

ومولى اذا ضن السحاب بوبله * علينا سقانا سحبا بعد سحم
له سودد حل السماكين رفعة * وذلك ارث فيه من عهد آدم
وكف تحلت بالسماح بنانها * بغير نضار الفضل لم تتختم
فا روضة غناء باكية الحيا * تبسم عن ثغر اقاح وعندم
تمد بها ريح الصبا خطواتها * وترفل في ثوب من النور معلم
بأبهج وجها منه عند هباته * اذا عمت يمناه آمال معدم
فياماجدا كل المفاخر أصبحت * الى مجده الوضاح تعزى وتنتمي
أتت تتهادى منك في مرط دلها * خريدة أفكار وطبع مسلم
وما اصطنعت الا البلاغة محرما * وهل غيرها للبكر يلفى بمحرم
لها صوت داود وصورة يوسف * وحكمة لقمان وعفة مريم
* تسائلنا عما يراه الهنا * لتسطير آجال ورزق مقسم
جرى قبل خلق الخلق في اللوح بالذي * يكون وما قد كان من قبل فاعلم
يراع يراع الخطب منه وانه * ليثمر من جدوى يديك بانعم
أراني طريق الفضل حتى سلكته * وأوضح لى من لغزه كل مبهم
فما اسم رباعى اذا بان صدره * غدوت به ذا لوعة وترنم
وما هى الا بلدة في ربوعها * يهيم فؤاد المستهام المتيم
وان محت الافكار من ذاك ثالثا * بكيت الصبا فيه وعهد التنعم
ويذكرني أخلاقك الغر شطره * وتحريفه ضد لكم لم يكرم
ويبدى لنا من قلبه الشمس في الضحى * ويطلع فيها أنجما بعد أنجم
وثانيه محمود لدى كل عاشق * ومن ذا يراه من وشاة ولوم
ويساني يوم الترحل قلبه * ولكنه من غير كف ومعصم
ويوصل ما بين الملوك وقصدها * وان هم في أمر على الفور يفصم
حليف نحول لم يذق قط جفنه * مناما ولم يطمع بطيف مسلم
فعول ولكن ليس يدعى بفاعل * فؤول ولكن ليس بالمتكلم
على انه قد بان بعد خفائه * وأصبح منه ورالدى كل ضيغم
فانزله من ناديك أشرف منزل * وألبسه حليا من قريض منظم

ولولا

ولولا معانيك العذاب وصوغها * لكان عسيرا بالمديح تكلمي
فقابل جوابي بالقبول تفضلا * وسامح فان الفضل للمتقدم

﴿قال وقلت متغزلا﴾

وافى الربيع فما عليك بعار * خلع العذار ولا ارتشاف عقار
شهباء ليس يجوز عندي مزجها * الا بريقة شادن معطار
تدع الدجى صبحا اذا هي أبرزت * فكأنما اعتصرت من الانوار
قم هاتها حيث الهزار قد اغتدى * في الأيك معتكفا على التهدار
طيرا عاد الغصن جنكا ركبت * أوتاره من فضة الأمطار
وتبثه ريح الصبا وبينها * ذكر الهوى من سالف الاعصار
فانهض لتغتنم الشبيبة قبل أن * يرمي المشيب الصفو بالأكدار
واشرب على ورد الربى ان لم تجد * ورد الخدود لقلة الدينار
وانصب بفكرك في الهوى شرك المنى * لوقوع ظل أو خيال ساري
هذا ولست أرى اذا افتقد الذي * أهوى جنان الخلد غير النار
هيهات ما النأي الرخيم ونشوة الخمر العديم ونغمة الاوتار
وحنين هينمة الرياض عشية * وتراسل الاطيار في الاسحار
عندي بأحسن من مساجلة الاحبة بالصبابة في سنا الاقمار
من كل معبود الجمال محكم * فيما يشا مستعبد الاحرار

قال وقلت متذكرا المغاني الانس التي أعفت آثارها ولم يبق للاماني ماتشبث به الا أخبارها

قصر الامير بوادي النيرين سقى * ربالك عني من الوسمي مدرار
كم مر لي فيك أيام هواجرها * أصائل ولياليهن أسحار
حيث الشبيبة بكر في غضارتها * وللصبابة أحلاف وأنصار
حيث الرياض تغنيني حمائمها * بالدف والجنك والميطور لي جار
حيث الخمائل أفلاك بها طلعت * زهر من الزهر والندمان أقمار
حيث المدامة رقت في زجاجتها * يديرها فاتر الاجفان سحار
عطرية نفضت فيها عوارضه * فتيق مسك له الارواح سفار

ياقوتة أفرغت فى قشر لؤلؤة * فلاح للشرب منها النور والنار
شمس تعاطيتها من راحتى قمر * له من الحسن ما يرضى ويختار
يسعى الى بها تحت الدجى حذرا * من الوشاة لان الليل ستار
متوج الراح بالابريق ذا قرط * مثل الهلال له الجوزاء زنار
يسقى وأسقيه من ثغر ومن قدح * الى الصباح فأرباح وخسار
يضمنا بأعالى القصر ثوب هوى * زرت عليه من الاشواق أزرار
امتع الطرف منى فى محاسنه * وليس عندى من العذال اشعار
حتى تيقظ دهرى بعد ما غفلت * عنى حوادثه والدهر غدار

قال وقلت

سقى الله يوم القصر اذ كان بيننا * حديث كرفض الجمان المنضد
بروض يجول الماء تحت ظلاله * كايم مروع أو حسام مجرد
يلوح به قانى الشقيق وقد حكى * لواحظ مخمور كحلن بإثمد
ويهمى به قطر الندا فتخاله * مبدد عقد فى فراش زمرد
وريحانه الغض الشهى كأنه * مبادى عذار فوق خد مورد
سقانى به راح الرضاب مهفهف * فرحت به لا أفرق اليوم من غد
وبت أظن الجلنار بدوحه * نجوم عقيق فى سماء زبرجد
الى أن بدت شمس النهار كأنها * مجن كمى قد تحلى بعسجد

قال وقلت متغزلا

قم للمدامة يانديم فانها * شرك المنى وحبالة الافراح
حمراء صافية المزاج كأنها * ورد الخدود أذيب فى الاقداح
شمس اذا بزغت لعينك فى الدجى * أغنتك عن صبح وعن مصباح
مسكية انى فضضت ختامها * عبق الندى بنشرها الفضاح
تفتر عن حبب ثغور كؤوسها * كسقيط طل فى ثغور أقاح
يسقيكها رشأ اذا غنى بها * رقصت لذاك معاطف الارواح

قال وقلت متغزلا

ألديه نهب النفوس مباح * رشأ سافك الدما سفاح

أى أسد تجول حول حماه * وكناس له الظبي والرماح
ابن عشر وأربع لو تبدى * فى دجى الليل قلت لاح الصباح
ما ربيع العيون غير محيا * هاليه أرواحنا ترتاح
لى من وجنتيه ورد جنى * ومدام من ثغره وأقاح
تتدانى له القلوب وان شط مزار وأبعدت أشباح
ان كتبي اليه صحف الامانى * وبها الرسل بيننا الارواح

قال وقلت فى الشيب

لا تلمنى على اجتنابى للكا * س رويدا فما على ملام
ما ترى الشيب فضة فى عذارى * سبكتها بنارها الايام

قال وقلت فى غرض اقتضي ذلك

أساء كبارنا فى الدهر حتى * جرى هذا العقاب على الصغار
لقد شرب الاوائل كأس خمر * غدت منه الاواخر فى خمار

قال وقلت متغزلا

ألفى فؤادى فى أوار * قمر سراه من اسكدار
يغضي الدجى ونواظرى * فى حبه ترعى الدرارى
وأودلو علمت بذيل الوعد منه يد انتظارى
يجني فأبدى العذر عنه وليس يرضى باعتذارى
أتراه يدرى بالذى * قاسيته أم غير دارى
أشكو الظما أبدا وما * الحسن فى خديه جارى
أغدو به حيران لا * أدرى يمينى من يسارى
ريم أبت أخلاقه * الا التخلق بالنفار
فعشقته وعليه من * دون الورى وقع اختيارى

قال وقلت متغزلا وشادن أركبنى * هواه طرف الخطر
مهفهف مبتهج * يهزو بضوء القمر
يكاد أن يشربه * اذا تبدى نظرى
أبيت فيه قلما * على فراش السهر

كأن عقلي تكرة * لصولجان الفكر

قال وقلت متغزلا

بي ريم كناسه المرلن * مالقلبي من مقلتيه أمان
ذو عذار كأنه ظلمة الشعر * لـ ووجه كأنه الاعيان
وكأنا من أنسه ومحيا * بروض تظلنا الافنان
خده الورد والبنفسج صدغا * ولعيني وثغره الاقحوان
وكأن الحديث منه هو اللؤ * لؤ يرفض بيننا والجمان
وكأن الندى والكأس تجلى * فيه أفق نجومه الندمان
وكأن الانفاس منه نسيم * وكأنا اذا شدا أغصان
وكأن الندمان في دوحة اللهو غصون ثمارها الكتمان
يتعاطون أكؤس العتب اذ طا * ف عليهم بها المنى والامان
ياسقى ذلك الزمان وحياه * ملث من الرضى هتان
زمن كله ربيع وعيش * غصنه يانع الجنى فينان
مر لي بالشآم والعمر غض * وشبابي يزينه العنفوان
ابن عشر وأربع وثمان * هي عيد وبعضها مهرجان

(قال وقلت متغزلا)

نبه جفونك من نعاسك * واسمح بريقك أو بكاس
طاب الصبوح فهاتها * واشرب معي بحياة راسك
ما الورد الا من خدو * دك والبنفسج من نعاسك
أفديك ظبيا أرتجيك وأتقي سطوات باسك
تخشى الاسود مهابة * من أن تمر على كناسك

((قال وقلت متغزلا من قصيدة))

أترى أين حل أم أين أمسى * غصن بان يقل أعلاه شمسا
ليت أني وقد ترحل بيد * كن أمس لأسطر العين طرسا
طف شالذي ري المعاهد صما * بعد ماشط والمعالم خرسا
صدع البين منه ثم فؤادا * كان صخرا فعاد بالوجد خنسا

(ومنها)

شادن أظلم الخلائق ألحا * ظا وأ منى فعلا وأكبر نفسا
علمته الايام طرق التجنى * والليالى أقرأته الصد درسا
أطلع الحسن فى حديقة خديه * ورودا تركن لونى ورسا

(ومنها)

طالما بت بالحدائق أسقيه ثلاثا حينا وأشرب خمسا
يمزج الكاس بالحديث وما ألطف ذاك الحديث معنى وحسا
لست أدرى أمن عصارة خديه أم الراح صفو ما نتحسى
لا رأت مقلتى محياه ان كا * ن فؤادى يسلوه أو يتأسى

قال وقلت

لا تتهم بالسوء دهرك انه * جبل يجيب صداك منه صداء
مرآة الدنيا وفعلك صورة * فيها فما الشنعاء والحسناء

قال وقلت متغزلا

تناهى عنده الامل * وقصر دونه العذل
رشا يفتر عن برد * تكاد تذيبه القبل
يخامر عطفه ثمل * يميل به ويعتدل
بمثل مابر وقلنا * بصفحة خده الخجل
فليت به كما اتصلت * حشاى الطرف يتصل
اذا ما الحدر أبرزه * تناهب حسنه المقل
لقد أغراه فى تلفى * شباب ناضر خضل
وقد حشوه هيف * وطرف ملؤه كحل
فما الخطى غير قنا * قوام زانه الميل
ولا الهندى غير ظبى * حواها الناظر الغزل
سقى خلسا بذى أضم * مضين الصيب الهطل
وعيشا حين أذكره * أميل كأننى ثمل
وربعا كنت أعهده * وأنسى فيه مقتبل

بكيت دما على زمن * لدى توديعه الاجل
ليال كلها حسر * ودهر كله أصل

وهى طويلة قال وقلت فى الجماسر

لعمر أبى راقى السماكين رفعة * وحامى ذمار المجد بالحلم والباس
لما أنا من يرضى القليل من العلا * ولا أنا ممن يحتسى فضلة الكاس
هى النفس فاحملها على الضم ان ترد * لها العز وانفض راحتيك من الناس

قال وقلت فيه أيضا

ومنتزه يروق الطرف حسنا * لما فيه من المرأى البديع
تجول كتائب الازهار فيه * وقد كسيت حلى الغيث المريع
وبات الورد فيها وهو شاكى السلاح يميد فى الدرع المنيع
حكى منضم زنبقه طروسا * وفيها عرض أحوال الجميع
تنمق طيها أيدى النعامى * وتبعثها الى ملك الربيع

وقلت اذا أنفذت لبعض الاحبة كتابا فقبله وتلطف فى حسن الجواب

خذها سطورا اليك قد بعثت * تروم للنفس ما يعللها
فى طى بيضاء ظلت من وله * فيك بأيدى اللحاظ أنقلها
أكتبها والدموع تنقطها * بعبرة لا أزال أهملها
لو كان ظنى اذا بصرت بها * نيابة عن فمى تقبلها
لرحلت شوقا اليك مندرجا * فى طيها والنسيم يحملها

قال وقلت

مهلا سفينة آمالى لعل بأن * تهب يوما رياح اللطف والكرم
وياحظوظى رفقا لست مدركة * غير الذى قسم الرحمن فى القدم

قال وقلت أيضا

وروضة أنس بات فيها ابن أيكة * يغرد والناى الرخيم يشنف
وقد ضربنا فيها من الليل سابغا * رداء بأكناف الغمام مسجف
فظلت عرانين الأباريق بالطلى * الى أن بدت كافورة الصبح ترعف

وهذا معنى تصرف فيه وأبدع وأدار منه على المسامع كأس أدب مترع وقد سبقه

اليه غيره كابن رشيق فى قوله

صنم من الكافور بات معانقى * فى حلتين تعفف وتكرم
فذكرت ليـلة هجره فى وصله * أثرت بقايا أدمعى كالعنـدم
فطفقت أمسح مدمعى فى جيده * اذ عادة الكافور امساك الدم

لكنه جعل جيد محبوبه منديله فدنسه فلو قال * فجعلت عينى تحت أخمص نعله *
لكان أليق بالأدب وممن أجاد فى هذا المعنى ابن برح المكحل الاندلسى فى قوله

ألا بشروا بالصبح منى باكيا * أضربه الليل الطويل مع البكا
ففى الصبح للصب المتيم راحة * اذا الليل أجرى دمعه واذا شكا
ولا عجب أن يمسك الصبح عبرتى * فلم يزل الكافور للدم ممسكا

وقد قلت أنا فى هذا المعنى أيضا

وساق لى السرور غدا طبيبا * له طرف يشير الى التصابى
رأى فى الكاس صب دم الحميا * فذر عليه كافور الحباب

قال ومما قلته أيضا

سقى صوب الحيا زمنا * سرقناه من الغير
وقد مد الغمام ردا * له هدب من المطر

ومما كتبته الى الامير منجك

ياوحيدا فى السجايا * والمـــزايا باتفاق
وشهابا فى سموا * ت العلى سامى الطباق
وجوادا عنده الافراس عرجا فى السباق
أنت بحـــر دونه الابحر من بعض السواقى
لاتسمنى حصر أوصا * فك فكرى فى وثاق
راعنى الدهـر كما قـد * رعت مصرا بالفـراق

ومما كتبته الى الامير أيضا

قد بشرتك بمصر بعض معاشر * لم يعلموا الاقوال فى تأويلها
مصر أقل ندى أياديك التى * من قبض نائلها أصابع نيلها

وهذا كثير الامثال كقول ابن نباتة المصرى

وافت أصابع نيرنا * فيضا وطافت بالبلاد
وأتت بكل مسرة * ماذى أصابع بل أيادى

وأحسن من هذا كله قولى من قصيدة نبوية

أصابع سيد السادات منها * لقد روى الزلال صدى الفؤاد
فلو منها ينال النيل ظفرا * لما مص الاصابع للتنادى
وعهدى بالاصابع فى أياد * فكم فى ذى الاصابع من أيادى

﴿الفاضل أبو الطيب بن رضى الدين الغزى نزيل الشام﴾ كان شامة الشام وغرة الليالى والايام وله فى الفضل والادب فنون ثم تبدلت الفنون كما يقال جنون فاشتغل بدائه وصار هوى الاحبة منه فى سويدائه فاعتزل عن الناس وصار وسواس حليه حلى الوسواس بعدما كان طبعه أرق من شمائل الشمال ومعانيه أدق من دلائل الدلال وشعره لفضله شعار وحسن خطه يتعلم منه الحسن غنمة العذار كقوله

صادفته والحسن حليته * كالريم لارعنا ولا قلبا
والعيد للالحاظ أبرزه * والبدر أقرب منه لى قربا
أهوى لتهنئتى ومديدا * وفق المنى فتناول القلبا

ومد اليد المعتاد للمصافحة فى الاعياد مسنون لاظهار القرب والاتحاد فجعلها لاخذ الفؤاد معنى بديع ومثله ماقلته فى مد اليد المسنون المأمور به فى الدعاء وهو عالم أسبق اليه فان أمر السائل عد اليد بمعنى خذ ماطلبت وأزيد

دعوناك من بعد قول ادعنى * فكيف ترد وكنا دعينا
وهذى وجوه الرجاء اغتدت * ترى بعيون الظنون اليقينا
أمرنا بمد يدى سائل * ليملأها أكرم الاكرمينا

ومن شعره قوله من قصيدة

مؤنبى لابرحت فى عذل * حبذا حبه على وبى
غصن دلال أغر طلعته * شمس الضحى فوق ناعم خضل
يجول فى عطفه الدلال اذا * تحمل تغويه فترة الكسل
رقت فى طرس خده قبلا * فظل يمحو بنانه قبلى

واخجل

وأخجل الورد فى نضارته * شقيق خد فى وردتى خجل

وقوله أيضا

ترامت نحوها الابل * وشؤمت برقها القبل
فتاة من بنى مضر * يجاذب خصرها الكفل
فما الخطاران خطرت * وما الميالة الذبل
تكنفها ليوث وغى * يحاذر بأسها الاجل
لان شط المزار بها * وأقفر دونها الطلل
يمثلها الفؤاد به * ويدنيها له الامل
وكم لى يوم كاظمة * فؤادى خافق وجل
وطرف بعد بعدهم * بميل السهد مكتحل
علقت بها غداة غدت * مواطئ نعلها القبل
فان سارت بأخمصها * تداعى الوابل الهطل
وان قرت تقر العين فينا يضرب المثل

(وقوله)

لم أنس ليلة زارنى * والبدر يجنح للغروب
ثملا يميل كأنما * عبثت به ريح الجنوب
ولربما جاد البخيل وربما صدق الكذوب
فنهضت اجلالا له * والقلب بالقيا طروب
وفرشت خدى موطئا * نخشى عليه ولا لغوب
وضممته ولثمت فا * ه ألذ من كاس وكوب
حتى بدا الاصباح وهو لدىّ من أدهى الخطوب
ولوى به من حيث جاء ومقلتى عبرى سكوب
هذا الذى أهواه اذ * حاز البهاء على ضروب
ملأ المسامع والحوا * طر والنواظر والقلوب

(وقوله)

وشرب أداموا الورد من أكؤس الطلى * وقد أنفوا الاصدار عن ذلك الورد

سقطنا عليهم كي نلثم أيديهم * سقوط الندى عند الصباح على الورد

(وقوله)

عاطيته حلب العصير ولاثوى * زهر السماء تجاه زهر المجلس
أنظر اليه كأنه متبرم * مما تغازله عيون النرجس
وكان صفحة خده ياقوتة * وكان عارضه خميلة سندس

وأصله لابن هانئ الاندلسي

عاطيته كاسا كان شعاعها * شمس النهار يضيؤه اشراقها
أنظر اليه كأنه متنصل * بجفونه مما جنت أحداقها
وكان صفحة خده وعذاره * تفاحة حفت بها أوراقها

(وقوله)

خالسته نظرا وكان موردا * فازداد حتى كاد أن يتلهبا
أنظر اليه كأنه متنصل * بجفونه من طول ماقد أذنبا
وكان صفحة خده وعذاره * تفاحة رميت لتقتل عقربا

ومن أرباب المرتحلين الى منازل الفناء السائرين عند وصولهم الى دار البقاء الامجد الاوحد العلم المفرد

عبد الحق الشامي المعروف بالحجازي وهو كما أخبرت به ذو فضل جسيم والسابقون السابقون أولئك المقربون في جنات النعيم أما الفصاحة فهو من الغر المحجلين يوم رهانها وأما الفضائل فهو من السابقين في حلبة ميدانها المرتضعين در المعالي في حجور الفضائل المرتدين برود المكارم وشملة الشمائل العاكفين في حرم العفاف المقتطفين لجنى المجد الغض القطاف فمن ثماره المتفتح عنها عيون أنواره الدالة على طيب المغرس وذكاء المنبت قوله من قصيدة طويلة

سقى الربع هطال من المزن ساكب * وجادت عليه الساريات السوارب
هدية رجاف العشي كأنه * كتائب تغزو اثرهن كتائب
وكل صدوق البرق دان ربابه * تنوء فريق الارض منه الهيادب
تزجيه أنفاس الشمال وتمترى * ضروع عزاليه الصبا والجنائب
يروى بها في سيبها باطن الثرى * وتحمى لسقياها المحول اللوازب

كأن هدير الرعد فى جنباته * هدير قروم هيجتها الضوارب
كأن دموع المزن وهى سواكب * دموع محب ذارقته الحبائب
فذاك الحيا لازال فى أربع الحمى * مرب به منها الزلال المضارب
فتصبح منه الارض مخضرة الربى * مجللة بالريط منها الاهاضب
ويصبح منثورا بها ريق الحيا * كما نثرت من جيدها السمط كاعب
خمائل فيها للظباء مسارح * وفيها لأذيال الرياح مساحب
وفيها لأطراف الغصون ونورها * عيون علت من فوقهن حواجب
كأن ثغور النور وهى بواسم * بأرجائها القصوى نجوم ثواقب
تهادى ظباء الوحش فى عرصاتها * كما تتهادى فى القصور الرباب
كأن الرسوم الدارسات تصبرى * عشية حفت بالقطين الركائب
فوا أسفا لا القلب من سكرة الهوى * يفيق ولا من غيبة الشوق آيب
فمن لى بحفظ العهد من ذى صبابة * أضاعت هواه المذنبات العواتب
تهب معى من هجعة العجز ربما * تنال بأشفاع الجدود المطالب
فقد تدرك الحاجات وهى فوائت * وقد تصدق الآمال وهى كواذب

وقوله هدية رجاف المراد بالرجاف الماء الجارى وأصل معناه المتحرك المضطرب ولهذا سمى البحر رجافا كما قاله أهل اللغة ولهذا أجاد القائل فى مرتعش اليد

ماهز راحته سوى فيض الندى * والبحر من أسمائه الرجاف

وقوله وفيها لأطراف الغصون البيت كقول ابن نباتة السعدى من قصيدة له مطلعها

رضينا ولم ترض السيوف القواضب * نجاذبها عن هامهم ونجاذب

(ومنها)

خلقنا بأطراف القنا فى ظهورهم * عيونا لها وقع السيوف حواجب

وتابعه أبو اسحاق ابراهيم الغزى فقال

خلقنا لهم فى كل عين وحاجب * بسمر القنا والبيض عينا وحاجبا

وهنا فائدة نفيسة وهى أن من أهل المعانى من ادعى أن بيت الغزى أبدع لما فيه من الطباق بين السمر والبيض ورد العجز على الصدر واللف والنشر ومراعاة النظير وادعى انه يجوز أن يراد بالعين فيه الرئيس وبالحاجب من يتبعه وحجابه والمعنى أن

رماحنا وسيوفنا نالت الحاجب والمحجوب والرئيس والمرؤس مع اشتماله على التورية والاستعارة وهو جميعه مما خلا عنه البيت الاول مع ما فيه من الافتخار بقتال الأعداء الثابتين دون المنهزمين فانه لا يفتخر بمثله وبهذا عيب البيت الثانى أيضا وان ذكر صاحب ايضاح المعانى أنه أبلغ لاشتماله على زيادة معنى وهو الاشارة الى انهزامهم وأطال فيه وأسهب وبعد وقرب والحق ما ذهب اليه خطيب المعانى فان الفضل للمتقدم وبيت النباتى أحلى لما فيه من التشبيه البديع بجعل أثر الطعنة المستديرة من الرمح عينا وشطبة السيف فوقها حاجبا والاغراب بجعل الظهر محل العين والحاجب وأما انهزامهم فلا يدل على عدم شجاعتهم حتى يخل بالفخر فان الشجاع ينهزم عن هو أشجع منه ولهذا قالوا الفرار مما لا يطاق من سنن المرسلين كما فر موسى حين هم به القبط وما ذكر من معنى العين والحاجب سخيف وتخييل ضعيف مع أن جعل الضرب فى العين والحاجب من العجائب وقد مر لى ما نحوت فيه نحو ابن نباتة بعينه وحاجبه وهو

وتنظره فى قلبى الصب أعين * عليها لمحنى الضلوع حواجب

وماذكر من النقد عليه نقله ابن الشجرى فى أماليه عن الشريف المرتضى وقال انه عاب عليه قوله بظهورهم وقال لو قال بصدورهم لكان أمدح لأن الطعن والضرب فى الصدور أدل على الاقدام والشجاعة للطاعن والضارب والمطعون والمضروب لان الرجل اذا وصف قرنه بالاقدام مع ظهوره عليه كان أمدح من وصفه بالانهزام كما قال أبو تمام

حرام على أرماحنا طعن مدبر * وتندق فى أعلى الصدور صدورها

ولذا قال بعض المحققين القول بأبى قد للتكثير فى قوله

قد أترك القرن مصفرا أنامله * كأن أثوابه مجت بفرصاد

لمناسبة مقام المدح من قصور الفهم

ثم لم أزل أتوكأ على البيضاء والصفراء * وأقيل تحت قباب الخضراء والزرقاء حتى قذفتنى لهوات المهامه الى حلب الشهباء والناس بين مقوض وراحل وما هذه الايام الاعقب ومراحل اذ ذهب الذين يعاش فى أكنافهم كل مذهب وبقيت فى خلف كجلد الاجرب ان تركته أذى جسدك وان حككته أدميته ولوثت يدك

على أنى من بعد ذلك كله * ولله منى الحمد عرضى أملس

فألقيت فيها عصا التسيار عن كاهل العزائم لما تفتحت بها عن زهرة المسرة خضر الكمائم فإذا هي روضة مخضرة الأفنان أو قطعة من الفردوس أهدتها لنا الجنان

وكأنما الخضراء من طرب بها * نثرت كواكبها على الأغصان

ولها حصن كأنه وكر لنسر السماء أو هامة معممة بسحابة دكناء أرضها مفروشة بديباج نبت مرصع بالزهور وحيطانها مجللة بستائر لبهاء والنور نسيمها أعطر من عرف شميمها وأهلها ألطف وأرق من نسيمها من كل فاضل ملئت بالفضل ثيابه وماجد قد حشي بالكرم اهابه وأديب رقت شمائله (فلولا البرد يمسكه لسالا) وعذبت كلماته ورسائله (فأرشفنا على ظمأ زلالا) فكان ممن لمعت بوارق بشره وباحت خواطر نسيم لطفه بأسرار نشره الفاضل الكامل المرتدي بحبر الشمائل العاكف على حرم الإفاده الطالع نجمه في أفق السعاده

﴿أبو الوفاء ابن عمر بن عبد الوهاب الشافعي الفرضي الحلبي﴾ لقيني منه حبر مجيد وشاعر مجيد وأديب يضع القلادة في الجيد له فضل لم تنظر عين الدهر لمنافيه بل كلما أجال طرفه رأى كل المنى فيه فأدار خصيب النوى والثمر وحديقة منمنمة الأطراف والطرر سقتها غمائم نداه وباكرها صيب جدواه بلا منة لحوامل السحائب ولا انتظار لعوامل الصبا والجنائب صرف نقد أوقاته ورأس مال عمره وحياته في تحصيل ربح الفضل والعبادة وترك فضل العيش وفضول الناس لما رأى في تركهما من السعاده ورأى في كل بكرة وعشيه حبلي جنين نوائبهما في مشيمة المشيه ولما شمت كرمه وسيبه وردت ربيع أزرت عليه جيبه انتدب للاقاني وابتدر وخير أنوار الربيع ما بكر وكتب الي مادحا ولزند فكري قادحا قوله

أرى الشهباء للعليا قبابا * ألم تر أفقها أبدى شهابا

وقبل كست معالمها الدياجي * مسربلة دراها والهضابا

وكدر صفو منهلها قتام * أحال شرابها الصافي سرابا

وجرعها كؤوس الجور صرفا * ولو سقي الغراب بها لشابا

وكان الجهل متسع الفيافي * يضل الألمعي بها الصوابا

وضاق العلم ذرعا حين سدت * مناهجه وضاق بها رحابا

تعللها المطامع كاذبات * وكم عادت سحائبها ضبابا

الى أن حلها روح المعالى * وطوق عقد منته الرقابا
امام العلم بحثا واكتسابا * مشيد الفضل ارثا وانتسابا
فواصلها بغير سباق وعد * وفاجأها بنعمته احتسابا
فأهلا بالذى منه استنارت * معالمها وقد عزت جنابا
وقد وطئت على هام الثريا * ونظمت النجوم لها نقابا
فسر بها وقر بها ودادا * وقر عيون أهليها اقترابا
وقد ظفرت بكبر المجد حتى * أحال التبر للذهب الترابا
وفاض بحار كفيه علوما * واتبعها بمنطقه عبابا
ونضر وجه روض الفضل لما * سقاه من مواهبه ربابا
قد ازدحمت بورده عفاة الفضائل حين ما سال انصبابا
وقد ملأوا ركابهم وراموا * ذخائره انتهازا وانتهابا
اذا جال السؤال بفكر شخص * قبيل النطق لباه جوابا
فياذخر العلوم فدتك نفسى * ونادتك العلا تبغى الثوابا
أقل قلمى عثارا زل فيه * فما وفى المديح ولا أصابا
وكنت نبذت شعرى فى قفار * نسيت الأنس منه حين غابا
اذ الايام قد رفعت بغاثا * فخالت أنها ترقى العقابا
وظنوا أنهم كنزوا علوما * وأيم الله ما ملكوا نصابا
أأمدح من بنظمى ليس يدرى * حبيبا قد أردت أم الحبابا
وكان القصد من قصدى مجازى * من الممدوح لو فهم الخطابا
ولولا أنك السامى مقاما * له الافلاك طأطأت الرقابا
وكان بمدحك العالى افتخارى * لما أذهبت بالمدح الكتابا
فدم يا زينة الدنيا بمجد * تقنعت العلا منه احتجابا

ثم كتب بعدها لمد طفحت أفئدة العلماء بشرا وارتاحت أسرار الكاملين سرا وجهرا وأفعمت من المسرة صدور الصدور وطارت الفضائل بأجنحة السرور بيمن قدوم من اخضرت رياض التحقيق بأقدامه وغرقت بحار التدقيق من سحائب أقلامه وتلألأت غرر المباحث اشراقا وأجريت مسائل الطالبين فى ميادين التوضيح سباقا

أعني به جهينة أخبار العلوم وخازن أسرار المنطوق والمفهوم المؤسس لدعائم الأحكام فرعا وأصلا والسابق في مضمار التحقيقات منذ كان طفلا وقد خدمته بهذه القصيدة التي كتبتها الحجلا وكنت أضمرت أن لا أفوه بكلمة منها خجلا لكن ظننت بالمولى كل جميل ورأيت سترها بذيل السماح والصفح من فضله الجزيل هذا وان العبد كتب تاريخا سماه معادن الذهب في الأعيان المشرفة بهم في حلب سيعرض بعضه عليكم ويأتي بأنموذج منه لديكم وجل القصد أن تكتبوا الى نسبكم وأشياخكم ومقروآتكم وبعض شيء من المنظوم والمنثور لنطرز حلله بطراز المأثور والسلام وأنشدني من شعره قوله

بورد الخد ريحان محيط * وتركي حبه لا أستطيع
وقلت النفس خضرا يا عزولي * كما قد قلت والزمن الربيع

وهذا مثل عامي يقولون النفس خضراء تشتهي كل شيء وقولهم تشتهي الخ جملة مفسرة لخضراء وكأن أصله ما ورد في الحديث أرواح الشهداء في أجواف طيور خضر

﴿أخوه محمد بن عمر الفرضي﴾ فاضل نجيب حسيب مصحبني وبرد شبابه قشيب وغصنه في رياض المعالي رطيب

ادغصن ذاك الشباب معتدل * لم تطمع الحادثات في ميله

ومخايل النجابة عليه لائحة وطيور البلاغة في قفص سطوره خطه صادحة بكل ما هو أمر من التهاني وأمان الظافر بالاماني وحلل فضله زاهية بآدابه طرازها وعدات الدهر فيه حان انجازها وقد يجود البخيل الشحيح وكم لاح تحت الرغوة من لبن صريح ولم تضل فيه الظنون لما قضت ما في ذمتها من الديون وفكت ما عندها من مغلقات الرهون فأنشدني من مقطعاته وأهدى الي من مخبآته قوله

لم أزل من صحيفة القلب أملي * في دجى الاغتراب سطر مثالك
ناصبا هدب جفن عيني شباكا * فعسى أن أصيد طيف خيالك

وقوله

يا ليلة طالت على عاشق * بات من الوجد على جمر
كليلة الميلاد في طولها * تسمع فيها العين بالقطر
كأنها ثكلى حنين لها * أغر قد سمته بالفجر

وقوله أيضا

ارفقوا فالفؤاد ليس بجلد * وارحموا زلتي وطول عويلي
أنا شحاذ حسنكم وعيوني * يا غناة الجمال كالكشكول

(وقوله أيضا)

قال لم الحب وضعت على الانف عيونا وفي عيونك مقنع
قلت مذ خط كاتب الحسن نونا * فوق ثغرك حاجبين وأبدع
فجعلت العيون أربع على * أن أرى يا رشا حواجب أربع

وقوله أيضا

ما قصرت تلك الليالي التي * في جنحها بت سمير الملاح
لكن أشواقي لذاك الرشا * قد عاجلتني خوف وشك البراح
شققت جيبا كالدجى حالكا * عن صدره فانجاب عنه الصباح

(وقوله أيضا)

قد رماني بالهون ساقي زماني * فكأني دردي كاس المدام
فأراقتني الندامى بظلم * في الزوايا وموطىء الاقدام

(وقوله أيضا)

عاب قوم شرب المدام ولم يد * روا بأن التعيب عين العيوب
جبر قلب الاقداح بالراح خير * في اعتقادي من كسر كأس القلوب

وقوله ان ذاك الرشأ الخشف الذي * مات عنه والده فهو كظيم
زاده موت أبيه قيمة * كان درا فغدا اليوم يتيم

(وقوله أيضا)

قد زهدنا عشقا لدينار خد * سكته حسنا عين البارى
وتركت النوال والمال على * أن أرى فيه مالك الدينار

(وقوله أيضا)

كان عهدي بالروم فيها يضوع العلم والآن ضاع فيها العلوم
شيبت فود سيد الرسل هود * ولقد شيبت فؤادي الروم

وقوله كأن وآمالي اذا ما تمهقرت * وبرق أماني سراب وخلب
عروس تجيد الرقص حينا الى ورا * وحينا أماما وهي بالبين تلعب

(وقوله

(وقوله مضمنا)

السيف لما حكاه لحظ ناظره * ناديته بلسان فى الهوى لهج
لك البشارة فاخلع ماعليك فقد * ذكرت ثم على ماقيك من عوج

(وقوله)

أيها الريم هل ترى بنظره * عل يصحو الفؤاد من بعد سكره
بأبى أنت غصن بان تثنى * وغدا يمزج الدلال بخطره
ألف القد زانها نقطة الخا * ل فأضحى وواحد الحسن عشره
عارض أخضر وبيض ثنايا * سود أوجه عيشتى بعد خضره
أنت زهر غض وقلبى كمام * فلماذا أوقدت بيتك جمره
زرعت مقلتى بخديك وردا * فابحنى قطاف زرعى زهره
ياأبا عذرة الملاحة انى * بين موتى هواك من حى عذره
كعبة الحسن كل وقت اليها * فى ركاب المنى أحج بفكره

﴿ووالد هذين الفاضلين الحبر علامة زمانه شيخ الاسلام
عمر بن عبد الوهاب الفرضى﴾

نسيج وحده وفريد فضله ومجده بحر لاتكدره الدلاء ولاينزف بعض موارده الملاء لم يزل صدر اللافادة والافتاء بحلب ترعى فى ربيع فضله سوائم الطلب وتآليفه وتصانيفه تنقلها الركبان وتقف دونها سوابق الحسن والاستحسان حتى رقى شرف السبعين وصعد اليها بدرجات السنين رافلا فى حلل الغنى حتى جر الدهر عليه أذيال الفنا وهو آخر من صنف بحلب وأفاد وأجاد ومن أجل مصنفاته شرح الشفاء فى مجلدات ولنا عليه اعتراضات بيناها فى شرحنا وله نظم ونثر كقوله فى شرح الجامى على الكافية وله عليه حاشية جليلة

لله در امام طالما طلعت * أنوار افضاله من علمه السامى
ألفاظه أسكرت أسماعنا طربا * كأنها الخمر تسقى فى صفا الجام

ولشيخه محمد بن الحنبلى فيه أيضا

لكافية الاعراب شرح منقح * ذلول المعانى ذو انتساب الى الجامى
معانيه تتلى كأنما * هى الخمرة تبدو اشمسها فى صفا الجام

ولصاحبنا الشيخ عبد الله الدنوشري

ولله شرح به شرح الصدور لنا * كأنه الدر فى أزهار أكمام
قد أسكر السمع اذ تتلى عجائبه * والسكر لا غرو معروف من الجام

﴿صلاح الدين الكوراني الحلبي﴾ فاضل شاعر ناظم ناثر مكثر مسهب مطرب مجيد رأيته بحلب يعاني حرفة الوراقه ويكتب للقضاة الوثائق التي شدت وثاقه وقد قيده الكبر وعاقه الدهر أبو العبر فجعل بين الغرائب والرغائب وقتل بيد فكره فى الذروة والغارب وهو فى مهد الخمول راقد فرت به النوائب وهو على طريقها قاعد وقد كان امتدحني بعدة قصائد منها قوله

شهاب المعالي قد أضاءت به الشهبا * وقد أطلعت من غر أفكاره الشهبا
ومن قبل أخبار الثناء تواترت * وقد ملأت أسماعنا لؤلؤا رطبا
وكان التمني أن يطابق سمعنا * نواظرنا واستغرقت قلبنا حبا
وقد أعربت ألفاظه مع تأخر * عن السبق حتى فاقت العرب العربا
فمن منطق مهذب وفضل موجه * الى المدح ايجابا للحاسد السلبا
بنى غر أبحاث له قد تأسست * فلم يستطع باغي الجواب لها نقبا
اذا كان منه الفهم فى البحث سابقا * وذلك منه لا يفارقه دأبا
فاهلا بمن يحيا به مشرق العلا * وقد كان كالعنقاء جاوزت الغربا
ومن حلب كان الفطام من المنى * فقد يبست منها ضروع المنى حلبا
الى أن أتاح الله بعض بقية * من الحزم حتى زاحموا المنهل العذبا
فتبا لمن قد زاغ عن وده وقد * تبدى ثبوت القول اذ أظهروا الحربا
ومذ قد أتى هذا الزمان بمثله * لبيبا علمنا أنه قد حوى لبا
قد اغدودقت نعماه من برق بشره * وقد سحبت غر المعالي له سحبا
وأسقت أيادي فضله سحب الندا * وقد غرست من حبه فى الحشا حبا
له قلم ان ينفث السحر نافعا * فما ضره أن لا يغادره عضبا
فيا من له فى مصر والشام همة * وباع طويل يبهر الروم والعربا
على حلب لما قدمت تبسمت * ثغور رمانيها وتاهت بكم عجبا
وابناؤها القوم الذين مرادهم * وداد ولا يبغون مالا ولا كسبا

على ذا مضى عهد الاخلاء والذى * يروم خلاف الود يستوجب السبا
وأشكو اليك الدهر عبدك اننا * نسائله سلما يجاوبنا حربا
وكم قعدت عن سبقها كل صافن * تسابقها العرجاء وتلحقها الحدبا
وانى على فعل الزمان لواجد * بكاء على الخنساء فى صخرها أربى
وقد زعموا أن الدخان مجفف * فداويت دمعى فى تناوله شربا
وفى كل معنى فيه قدرق رقة * أعاله من كان ساوقه غصبا
وعبدك ذياك الصلاح مقصر * بمدحك لكن لا يقول به كذبا
ولو لم يكن قيد الكتابة عائقى * وثقلة توقيعى الوثائق والكتبا
لحاولت من عجاج فكرك قطرة * كما يشرب العصفور من مائه عبا
فكيف وقد أصبحت عبدا مكاتبا * ولا عتق لى حتى أرى الحدو التربا
فلا زلت فى أعلى مقام اذا حدت * حداة حجاز فى السرى تطرب الركبا

وأنشدنى له

لعمرك لم أشرب دخانا لاجل أن * تسر به نفس تدانى خروجها
ولكن زنابير الهموم لسعننى * فدخنت حتى يستبين عروجها

ولما أنشدنى هذا أنشدته قطعا لى فى معناه منها قولى

ماشربت الدخان اذ سرت عنكم * لتسليه به عن الاحزان
أحرقتنى الاشواق فالقلب منها * صار بالوجد مخزن النيران
فخشيت الانفاس تفضح حالى * فلهذا استرتها بالدخان

(السيد أحمد بن النقيب الحلبى) سيد عجنت طينته بماء الوحى والنبوة وغرست نبعته فى ساحة الفضل والفتوة له مناقب هى الوشى حسنا وبهجه (اذا نشرت كانت ممسكة النشر) وغرائب رغائب فى الكرم واضحة المحجه (بظل بها مستعبد النظم والنثر) اجتليت بحلب محياه فأكرمنى بجوده ونداه ومدحته شكرا لما أولاه

وكذا الهاشمى مثلك لا يمدح الا بهاشمى الكلام

فاستعار ديوانى واشتغل بمطالعته وانتخابه وفى أثناء ذلك دعوته فلم يجب ثم لاقيته فاعتذر بعد عتابه بان اشتغاله بالديوان منع من الملاقاة فانشدنى هذه الابيات

وحقك لم أترك زيارة سيدى * لأمر يعوق النفس عنه ولا ليت

ولكن بديوانه قمت خادما * وقد كان فكرى قبل ذلك كالميت
فادهشنى حسن به ظلت حائرا * فادخل فى بيت وأخرج من بيت

﴿القسم الثانى فى محاسن العصر بين من أهل المغرب وما والاها﴾

﴿مولاى أحمد أبو العباس المنصور بالله﴾ ابن الخليفة أبى عبد الله المهدى بن عبد الله القائم بامر الله الشريف الحسنى

من جوهر منه النبى محمد * فعليه من نور الاله بهاء

ملك الآن المطوق بفضائله وفواضله جيد الزمان أنام الانام بيقظة حراسته فى حرم فناموا فى ظل ظليل تحت رياض السعد والكرم وعطاياه غمائم الفقر واسمه عوذة النعم وبشر محياه لكل ندى وجود سلم وله شرف تحسده الشمس فى الشرف وجود جود اذا وكف أقلع السحاب عن مجاراته وكف معدن مجد وحسب وجوهر سيادة ونسب جمع بين نزاره ومعده باع عدبه النبوة والخلافة قبل مده

نسب تحسب العلا بحلاه * قلدتها نجومها الجوزاء

بدرا اتخذ أفق المغرب هاله وبحر أفاض على وارده نواله له كتائب آراء الالباب سلبها وبوادر همم ليس الا الارواح طلبها لا تزال تخاطبه من كل أمر عواقبه بكلام بنى عبيد أو لبيد وحبيب والوليد أخبرنا الأديب الفشتالى بقسطنطينية أنه لما دعت والده شعوب ووفدت عليه بوارح الخطوب وجلس أخوه الاكبر فى مسند الخلافة وسريرها وظل منزها فى روضتها وغديرها أظهر انه للملك غير طالب وأنفق رأس عمره فى فتح كنوز العلم والمطالب فلما مات أخوه قام ولده فى محله واستولى عليه الغرور بخيله ورجله فأرخى عليه الشباب ستارة حجبت عنه الصواب وأشار عليه بعض خدامه بقتل من بقى من أعمامه ليصفى من قذى الاكدار ورده ولم يدر أن من شرب وحده غص وحده فمد شباك مكائده وهى من أعظم مصائده كالحافر بظلفه على مدية حتفه

وأنى تحيه من الشر حيلة * وقد طال ما أودت بمحتالها الحيل

فلما علم بذلك مولاى أحمد وجف مع أخيه بجيش من الروم وجيش من عنده قائلا ان ينصركم الله فلا غالب لكم من بعده فقمت على ابن أخيه الهزيمة وعلقت على جيد تدبيره من الخذلان تميمه فأصبح لعنان عزمه ثانيا وذهب للملك الفرنسيس فأمده بما

رجع به للحرب ثانيا فلما التقت الكتيبة السوداء بالكتيبة الخضراء أقلعت سحابة النقع بعدما أمطرت ديمة الدماء الحمراء فكم أسير في غل ندمه وقتيل طلع بدره في شفق دمه (فما أكثر القتلى وما أرخص الاسرى) فوبخ البحر وأغرق نفسه في مائه الغمر وقال لقصير عمره بيدي لا بيد عمرو فقلصت السعادة عنه ظلها وعقد النحس له عقدة لم يذكر عاقدها حلها وله الملوان وفحل على أمله الخذلان فتبرجت لاحمد عروس تلك الممالك مهنأة بالرفاء والبنين وأمست ثغورها النور محياه ضواحك متهللة بالفتح المبين فما ألم بتلك الثغور فلج الاجلاء بمساويك الرماح ولا نبض عرق كفر الا فصده بمباضع الصفاح مع دخوله بيوت الفضل من أبوابها وتحليه دون ملوك الزمان بحلى آدابها حتى انه كان يحضر دروسها ويحيي بمنطقه الرائق دروسها ويطلع في سماء ديوانه شموسها وله شعر وانشا بهما طراز المجد موشى فهو رب السيف والطيلسان والقلم المسدد والسنان لا زال المغرب به كامل الأهله والشمس تسعى له لتخدم بالسعد محله فمن عقده المنظوم ورحيق أدبه المختوم قوله

حرام على طرف يراه منام * وحل لجسم قد جفاه سقام
وكيف بقلب في هواه مقلب * وأنى له بين الضلوع مقام
فيا شادنا يرعى الحشى أنت بالحشى * أما المحل أنت فيه ذمام

وأحسن منه قول الارجاني في معناه

يرمي فؤادي وهو في سودائه * أتراه لا يخشى على حوبائه
ومن البلية وهو يرمي نفسه * أن يطمع المشتاق في ابقائه

وههنا نكتة أدبية وهو أن الارجاني أخذ هذا المعنى من قول الحماسي

قومي هم قتلوا أميم أخي * فاذا رميت يصيبني سهمي

الا أن هذا لا يعد سرقة وانما هو توليد وانتقال من معنى لآخر يضاهيه وهو من سحر البلاغة واستخراج مخبآت كنوز المعاني وقل من يهتدي اليه لدقته وكانت بعض خطاياه عليه غضبي وهي مجردة عليه من صوارم هجرها عضبا فاهدى له حرمي وردة من بستانه وحياه بشير الربيع بنشرها قبل أوانه فأرسلها اليها مع أبيات يسترضيها ويستعطف غصن قامتها بنسيم العتاب ويستعفيها

وافى بها البستان صنوك وردة * يقضي بها لما مطلت عهودا

أهدى البهار محاجراواتى بها * فى وقته كيما تكون خدودا
فبعثتها مزدادة بنسيمها * تثنى من الروض النضير قدودا
وهو فى هذا كمن أهدى للبحر الدرر بل للروض الزهر ولا أقول التمر لهجر وقوله أيضا
لاوطرف علم السيف فقد * فى قوام كقنا الخط ميد
ووميض لاح لما ابتسمت * من ثنايا مثل در أو برد
ماهلال الأفق الاحاسد * لعلاها وبها والغيد
ولذا صار ضئيلا ناحلا * كيف لا يفنى نحولا من حسد
﴿وللقطب المكى على منواله﴾
لاوفرع كدجى الليل غسق * وجبين ضوئه ضوء الفلق
ومحيا كاف الدهر به * وخدود من حواليها شفق
ماأرى الغزلان الاسرقت * منك جيدا التفاتا وحدق
ثم خافت فتولت شردا * كيف لا يشرد خوفا من سرق
﴿ومما نسجته على منواله﴾
لاوغصن راق للطرف ورق * وعليه حلل اللطف ترق
وشموس لم تغب عن ناظرى * والشعور الليل والخد الشفق
وعيون حرمت نومى وما * حللت لى غير دمعى والأرق
ما احمرار الراح الاخجلا * من رضاب سكرت منه الحدق
والذى قد حسبوه حببا * فوق خد الكاس قطرات العرق
﴿تنبيه﴾ هذا القسم عده أهل البديع من المحسنات كقول عبد الله بن المعتز
لاورمان النهود * فوق أغصان القدود
وعناقيد من الصد * غ وورد من خدود
ورسول جاء بالميعاد من غير وعيد
ونعيم من وصال * فى نفاطون الصدود
مارأت عينى كعيد * زارنى فى يوم عيد
وقد أشار اليه فى الكشاف ولم يفهمه كثير من الادباء لانه من المعانى الوضعية فلا وجه
لجعلها محسنة وقد بينه الامام المرزوقى بما لامزيد عليه فى شرح قوله

بقيت

بقيت وفري وانحرفت عن العلا * ولقيت أضيافي بوجه عبوس
ان لم أشن على ابن حرب غارة * لم تخل يوما من نهاب نفوس

فأشار الى انه جعل ما يذم به من الصفات سواء اتهم اتصافه بها أم لا لغاية تنفره عنه بمنزلة المصائب العظيمة عنده ثم جعل مقسمابه تأكيد العظيم فظاعته ففيه كناية على كناية أو كناية مرتبة على المجاز وهو كثير كقوله

لئن كان ما بلغت عني فلامني * صديقي شلت من يدي الأنامل

وهذا هو القسم المعدود من المحسنات وكذلك اذا أقسم على الشيء بنفسه أو بمساويه كقوله * وثنايالك انها اغريض * وقد ذكره الزجاج وفيه مباحث أخر ليس هذا محلها وأخبرني الأديب القشتالي أنه أنشده يوما قول الأبيوردي

ولو اني جعلت أمير جيش * لما حاربت الا بالسؤال

فقال صاحب الترجمة لو كان الشعر لي لقلت

ولو اني جعلت أمير جيش * لما حاربت الا بالنوال

وفي معناه قولي في بعض الرسائل أعز حصون العباد ظهور المطهمة الجياد وخير من ذب عنك العدا من ملكت قلبه بالندى * ونحوه قولي

بنيت حصونا تصون العلا * اذا ما بناء الملوك انهدم
حصونا من العدل من حولها * خنادق فيها مياه الكرم

ولابن الرومي من قصيدة له

وحارب من نعمائه ريب دهره * من البر والمعروف جند مجند

ولما بلغه شرح توضيح ابن هشام الذي صنفه الاستاذ الخال في مجلدات أرسل اليه عطية جزيلة ورجا منه ارسال نسخة منه وصورة ما كتبه اليه من عبد الله المجاهد في سبيله الامام المنصور بالله أمير المؤمنين الشريف الحسني أمد الله بعز ينصره أوامره وظفر بنصره عساكره الى الفاضل الذي اذا خاض العلوم نحوا رفع علمه توضيحا وجاء تاليا وهو المقدم ما تمحض من الخلاصة تنقيحا وشرح ما خفي ابانة وتصريحا الفقيه المثيل النبيه النبيل المتقن المتفنن لا زال يعمر من دست العلم منصبه يعمل في ميدانها وخده ونصه سلام عليكم ورحمة الله وبركاته أما بعد حمد الله الذي ألهم تثقيف أود اللسان وفتق منه بالبيان رتقا وصرف حكمة الاعراب على السنة

الاعراب فامتد شأوها فى مجال الابانة طلقا وأجرى جيادمعانيه المطردة فلم يتخلف لاحق عن متقدم سبقا والصلاة والسلام على سيدنا ومولانا محمد الذى أرصده سببا للسعادة سفيرا ودحض به قوادم الشرك فاصبح مهيضا كسيرا وأعاض جمعه من السلامة تكسيرا والرضى عن آله وأسرته الغر الزهر الذين ينم شذاذ كرهم عبيرا ويروق طراز مجدهم حبيرا وعن أصحابه الأعلام الذين فضوا حلق الضلالة المسرودة ولقيت من عاصف بأسهم مبيدا مبيرا وصلة الدعاء العلى هذا المقام الأحمدى المنصورى الحسنى بنصر عزيز يقطف من الفتح زهرات الكمائم وسعد جديد لا يزال قرين عزماته الماضية ما انقدح برق فى مسكة الغمائم فكتبناه لكم من حضرة مراكش حاطها الله وصنائع الله تعالى لهذا الجناب النبوى الكريم المولوى مطردة اطراد كعوب الذابل وأمداد عنايته المطيفة المحدقة بهذه الايالة العلية واكفة الغملم الوابل هذا وانه قد اتصل بناما تعرفنا به حسن منابكم وارسالكم لعل هذا المقام وأنكم ممن ارتشف مجاجة لثته المسكية الختام واستوفى ايماض عنايته البازغة الشارق وشام حياها الواكف غير خلب البارق ليتقمص من قصها الموشى أنيق الشاره ويستشف فى حزب من حل منها علوى داره والى هذا فتعرفوا أن أمثالكم من حملة المعارف المتفيئين لظلها الوارف مقم لهم فى هذا الجناب قسط النباهة بين وتر وشفع ونداء أعلامهم فى هذا الباب لم يزل نداء رفع وجنى الكرامة دانى الاهتصار وحظهم منها الاسهاب الذى لا يخل به اقتضاب واقتصار وفئتهم المتحيزة الى هذا المقام لم تزل بالعناية محفوفة تتعرف من تنويه المقدار مزيته وشفوفه وأما الغرض الذى عممتم والقصد الذى به ألممتم من خدمة خزانتنا العلية بتصنيفكم المنقح الفصول المحرر الفروع والأصول شرح توضيح العلامة ابن هشام الذى أبرزتم من مكنونه خفى استتار واكتتام وتركتم ذكره الدغيرخالد ونسخ من صيته الطريف والتالد فلكم التصريح فى الحقيقة والتفرد بسترالاضمار وسابق الحلبة انما يعرف آخر المضمار فقد وقع فى مجلسنا الكريم موقع القبول وهب له من ايسارنا كل صبا وقبول وتوفرت داعية رغبتنا فى اتمامه واطلاع جنى زهراته من أكمامه لينتسق ان شاء الله تعالى فى سلك خزانتنا العلية انجمه ويثبت بحمد الله فى فهارسها الكريمة رقمه والله تعالى يسدد لكم فى غرض التوفيق مراميا ويجعل قسطكم من التسديد زاكيا وناميا والسلام

﴿فصل﴾ المكتوب له هذا المنشور العالي هو أستاذي وخالي علامة العصر في سائر الفنون وسر الدهر الذي كان في فضله عن النقص مصون سيبويه عصره وشافعي زمانه في مصره تحفة عطارد وهدية الفلك لكل ماجد صاحب الحسب والنسب الزاهد العابد الذي لم تغمض له طرفة عين في غير طلب الفوائد تخرج على والدي ثم لازم العلامة أحمد بن قاسم والعلامة الشمس الرملي ثم بعدهما انتهت اليه الرياسة العلمية وصدر الافادة والتأليف والتصنيف وبه تخرجت وبعلمه وبركة دعائه انتفعت قدس الله تعالى روحه وجاد بسحب الرحمة ضريحه

﴿أبو بكر اسمعيل بن شهاب الدين القطب الرباني الشنواني الوفائي وجده الأعلى ابن عم السيد على الشريف الوفائي التونسي منشأ ومولدا﴾ بحر العربية الذي استمدت منه جداول الفضائل وروض الكمال الذي قامت له الأغصان على سوقها في المحافل لو رآه المبرد برد به الغليل أو أحمد لمال أفدى بالعين هذا الخليل فكم قرط وشنف وألف وصنف ولم أدر أماء الحياة أحلى أم بحار راحاته أم ما جرى في ظلمات نقسه المكتحل من عين دواته أما ترى القلم بغير روح منه فشى وطرز حلل القراطيس ووشى في طرسه جداول تشعبت أنهارها ونبت من السطور على حافاتها رياضها وأزهارها وأنوارها

فكأن الزهور فيها شموع * ولذا قيل انها أنوار

وهو لعمري ممن تشرفت الصفات بذاته ولذا سميت بالتوابع وتحيرت العبارات في بديع صفاته اذ رأت ما لم تره عيون المطامع وهو والدي واستاذي وخالي ومن التأم في زمن الطلب به شعث حالي وهو كما سمعته تلميذ لابي وتخرج بابن قاسم وهو الرحلة العلامة الذي هو لعقد الفضل في جيد الدهر ناظم وله تصانيف كثيرة شهيرة كشرح التوضيح الذي قرط به آذان الدهر وتوج به رأس الكمال وهامة الفخر ونظم به في جيد الفضل قلائد السطور فافتضحت حلاوة القطر وطلاوة الشذور

تلك آثارنا تدل علينا * فانظروا بعدنا الى الآثار

وكنت كتبت اليه مكاتيب بعد رحلتي وأسر الزمان لي في طول غربتي منها ما صورته

وجد الصبا للعاشقين رسولا * فشفى باهداء السلام عليلا
قل للأحبة أنتم مذ غبتم * لم ألق وجها للسلو جميلا

خلعت أيام الوصال قصيرة * ولبست ليلا للهموم طويلا

حرس الله تلك الذات التى بدرها لايخشى سراره لازالت مشرقة فى سماء المعالى أنواره وكلأ منها روض كمال المجد أوراقه وثماره وسقاها من وسمى النعماء كل صيب مغدق بل من ولى سحاياه ماىزهو به خصب كل ربيع ويورق وحيا الله ذلك المحيا وروى مواطن مواطئه التى يفاخر بها ثراه الثريا لازالت الفضلاء لاتنصرف عن ناديه لانه منتهى جموعها ولابرحت الفضائل من سحب بنانه مخصبار بيع ربوعها كما قلت فى قصيدة تمسكت بأذيال أفضاله وتمسكت بعبير نسمات اقباله

فرائد نزهو فى ترائب مدحه * وعندى لولا الجيد ماحسن العقد
سقى الله هاتيك الربى سحب راحة * لها نسمات من عواطفه تحدو
فان بقاعا قدسقاها بنانه * لينبت فى أرجائها الفخر والمجد

وأنا أسأل الله تعالى أن يطفئ من البعد ضرام صداه بمشاهدة ذلك الوجه الذى يقطر منه ماء بشره ونداه ويحكم فى عاتق الفراق سيوف التدانى والتلاق فان العبد مادام فى أسر البعد فكره محبوس فى سجن الغرام والوجد متعلقة به أشراك النوى والنوائب فهو جازم بأن لايرفع حجاب همه الناصب وكيف لاوانا القلب مملوء بولائك وثوب الحياة لحمته وسداه منسوج بيد نعمائك فأنت نور حدقة الزمان ونور حديقة الجنان (والسلام) فكتب اليه رحمه الله

سلام شذاه على الارض نفحة * تبلغها منى اليك يد الصبا
وتحملها هوج الرياح الى العلا * وتنشرها فى الأرض شرقا ومغربا
ويسقى ديار الروم والجوعايس * رذاذ كمال حل فيها وطنبا
ورد عليه الغيم لؤلؤ حليه * ففضض هامات النبات وذهبا
لئن كان عن مصر توارى شهابها * فقد لاح فى دار الخلافة كوكبا
وما كان تأخيرى جوابك عن قلى * ولكن ضعفى للفريحة شيبا
وشرقنى دمع الأسى وأهاضنى * على أن قلبى من فراقك غربا
نأت بك ياقس الفصاحة بلدة * وخلفتنى بعد الفراق معذبا
فليت الذى شق القلوب برمها * وليت الذى ساق القطيعة قربا

سلام كعرف الروض جر عليه النسيم ذيله بعدما باتت كؤوس القطر تدار عليه

نهاره

نهاره وليله فأشرقت شمس نهاره على الروابي البطاح وأقبلت ترشق ريق الغوادي من شفاه الشقيق وثنايا الاقاح ونشرت كافور الطل مسكى الشذا على مجامر الجلنار ونصبت على ندي الندا سرادقات من مخيمات الاشجار يهدي الى من ألقت اليه العلوم مقاليدها وملك من التحقيقات لفكريته طارفها وتليدها أنمع من وشي وجوه الطروس بخطوط المعارف وأسبل على عرائس الالفاظ فواضل المطارف لازالت عوارف المعارف عليه منهله وذيول مجده من بحار المكارم مبتله (وبعد) فقد ورد علينا المشرف الكريم فألقينا عليه عصا التسليم واجتنينا من قطوفه الدانية باكورة التسجيع وتصيدنا من غصون همزاته حمائم الترجيع ورأيناه قد اشتمل على عتب أرق من دمعة الكئيب وألطف من معاتبة الحبيب للحبيب غير أن عذري مقبول لا يرد وطول الأسى رفيق لا يود فان المرض لازمني منذ سنوات ملازمة النجوم للافلاك ونصب لصيد الصحة فخاخه والشباك لا يفارقني الا مفارقة الجفن للعين كأنه غريم ملح له علي دين

كأن السقم محتاج لجسمي * فما ينفك عنه قيد شبر

ان أردت القيام من مضجعي فلا بد من معين وان شيت فلا أستغني عن عصا وقرين رفضت يدي القلم وطالما حملته وجفاء يني بعدما أرضعته من جداول النوال وغذته وارتعشت اليد لفراقه أسفا وندما وصار وجدا الطروس بعده عدما وأصبحت كأني من أهل الكهف والرقيم لا أعرف كم لبثت من السنين وان كان عندي المقعد المقيم (والسلام) وما شكاه في كتابه فالح رماه بأوصابه في دهر أثقلته عصائبه وعضته بالانياب نوائبه فكساه لباس البأس والضر وخلع ثوب الحياة فقال (فثوبا لبست وثوبا أجر) فقلت لما أتى نعي وفاته مضمنا

رحم الله أوحد الدهر من قد * كان في حلية الفضائل حالي
ذاك من قلت سلوة اذ نعوه * ليس حي على المنون بخال

والمصراع الاخير شاهد لترخيم خالد كما ذكره النحاة ولما جاءني الخال أخبرت بموت الوالد أيضا فقلت في مرثية له

كأن الليالي غالطتني ولم أكن * أقدر ان أغتر بالمكر والحيل
فقالت اذا أعطيتك الأمن عاجلا * من الرزء هل ترضى فقلت لها أجل

فجاءت بفقدى للذين أحبهم * وقالت لهذا كنت أعنى فلا تسل
لانى لا أخشى مصابا بعيد ذا * فلله ريب الحادثات وما فعل

وهذا معنى مشهور فى كلام فصحاء العرب ولكننى تصرفت فيه مع تسمية النوع تصرفا يعرف حسنه من ذاق حلاوة الأدب وفى هذا المعنى يقول الصولى

كنت السواد لمقلتى * يبكى عليك الناظر
من شاء بعدك فليمت * فعليك كنت أحاذر

وهو رثاء فى ابن له وأخطأ صاحب المواهب اللدنية اذ زعم انه رثاء فى النبى صلى الله عليه وسلم وعزاه لغير قائله وفى معناه قول الآخر

فكل ما كنت أخشى قد أصبت به * فليس من بعدهم من فائت جزع

وقال آخر

اعتضت باليأس منه صبرا * واعتدل الحزن والسرور
فلست أرجو ولست أخشى * ما أحدثت بعده الدهور
فليجهد الدهر فى مصابى * فما عسى جهده يضير

وقال أشجع

فما أنا من رزء وان جل جازع * ولا بسرور بعد موتك فارح

وقال غيره

لعمرى لان كنا فقدناك سيدا * يحق لنا طول التحزن والهلع
لقد جر نفعا فقدنا لك اننا * أمنا على كل الرزايا من الجزع

وقيل لأم الهيثم وهى امرأة مع بلاغتها لها علم باللغة والازهرى كثيرا ما ينقل عنها فى تهذيبه لما مات ابنها ما أسرع ما سلوت عن الهيثم فقالت أما والله لقد رزئته كالبدر فى بهائه والسيف فى مضائه والرمح فى روائه والله لقد فريت كبدى وتصدع قلبى لفقده وبعده وما اعتضت به الا الأمن من الرزايا بعده وقد أوضح هذا المعنى من قال

ومن سره أن لا يرى ما يسوءه * فلا يتخذ شيأ يخاف له فقدا

وهو باب واسع لو أردنا نظائره سحبنا ذيل المقال على أثر الملال فلنقتصر على مقدار الكفاية منه

(محمد الفشتالى) وزير مولاى أحمد أديب فاس وريحانة فضلائها الاكياس تقدم فيها متقلدا قلادة انشائها فافتخر سائله على سائر أدبائها وكان فى عصره من أجل وزرائها رافلا فى حلل الحبور تبسم له الدولة الأحمدية بثغور السرور وعادى

القسطنطينية رسولا من ملك الغرب والعود أحمد معينا للسفارة وهل أحد أولى بالرسالة من محمد لانه ممن ألقى فيه مقاليد النهى البشر وسلمت اليه يد التدبير مفاتيح الرأى والحذر وكان بها كثيرا ما يجلو على كأس أنسه ويسامرني بلبل سمره ونفسه ونحن فى مضمار المحاورة نتجارى حتى مضى لسامعه أويعات أقصر من ابهام القطاة والحبارى وأقصر من عمر تلاقى الأحباب بل سالفة الذباب لانه ممن أحكم عرى المجد وجذب عنان الشعر وأحكم الحل والعقد فكنت اذا جاذبته أهداب الآداب وأجلت فى ناديه قداح الخطاب كأنى جاث بين يدى الفرزدق أو جرير لانه بصير بعورات الكلام خبير ولما ورد الروم كتبت له مهنيا بالقدوم

قدوم له هذى الثغور بواسم * وليس له غير الزهور مباسم
مسرات اقبال وعزم قوادم * عليها الطير اليمين رفت قوادم
على فترة وافيت للروم مرسلا * فضاءت بنور العلم منها المعالم
فهل أهدت الأيام أعيادها لنا * ففى كل وقت مذ قدمت مواسم

هذا هناء عرائسه على الألباب مجلوه وآياته المحكمة بلسان الزمان متلوه سرت به الليالى والايام حتى كأنه فى فم الدنيا ابتسام ولعمرى لقد أبان هذا الرسول من المرسل كماله ولا غرو أن خص محمد فى زماننا بالرساله قدوم ذهب الافق فى البكر والآصال وهبت على رياض مجده نسمات الاقبال وقد جريت فى هذه التهنئة من الادب على سننه وأردت أن تحيى بها فرائض مذهبه ومؤكدات سننه فمن مولانا نجتنى ثمرات الالباب وتطرز حلل المعارف والآداب فهذا زمان طلعت فيه الشمس من مغربها فان فتح مولانا كنوز فكره فالعبد أحق بطلبها (والسلام) فأجاب بقوله

جذيل حكاك قد رمى بعظيمة * كثالثة الاثفى وهى عظائم
وذكرنى الظعن الذى قد نسيته * فتى مبشر بل منذر لا يقاوم
كأنى بالفضل الذى هو أهله * يغطى عراقا وهو بالنقص عالم

طالعت ابقاكم الله السحاة التى لو رآها الفتح لما انفتح له الى الاحسان باب ولو طالعها البديع ما ارتدى من عيسه بجلباب أقسم بتلك الفقر والفوافى وهى القوادم فى جناح الاحسان والخوافى لقد سقتنى من الانس بعد الصحو كاسا دهاقا وملأت

فكرى وهو المظلم بتناءى السكن اصاءة واشراقا وانى لتارك لعتاب الليالى اذ جمعتنا فى هذه الديار بامثالكم لاراتم تقيمون رسوم المعالى وتجمعون فى المكارم بين المقدم والتالى عنه وطوله (والسلام عليكم ورحمة الله وبركاته) وله ما شعر تشربه أفواه الاسماع ورياض منثور تغرد حمائم قوافيه بطرب الاسجاع فمادار بينى وبينه من كؤوس المخاطبه وحال من جياد القول فى مضمار المكاتبه وأنا مسجون بالروم وليس لى غير القضاء والقدر سجان فى ديار ترى العربى فيها غريب الوجه واليد واللسان قولى ملغزا فى حيات الاحقاف الملتفة تحت أغصان المعاطف على كثب الارداف

أيار وضاله ظل * وشمس معارف تعلو
ويامن قوله فصل * ومنصر داته فضل
أبن لى ما مقيدة * بردف ماله وصل
بلا قلب محجبة * وفيها العقد والحل
على باب المسرة أو * على كنز الهوى قفل
ويحسن عقدها لكن * اذا حليتها تحلوا

(فاجاب وأجاد)

وفكر طاله وبل * لندب فضله أصل
ونظم أرفع الشهب * لادنى قدره نعل
لهذى فتكة بكر * عتاقى بذنها نصل
وحزتم قصب السبق * فلم يعدلكم خصل
وفزتم من ثنا جزل * عالبس له مثل
فلا زلتم ولازالت * بكم ساعاتنا تحلوا

(وكتبت له ملغزا أيضا)

أيها المفرد الذى صار جمعا * فى المعالى ورق لفظا وطبعا
أى شئ لدى السموات يلقى * وهو فى الارض بالجراءة يسعى
ذو ثلاث وأربع ان عددنا * وتراه اذا تحققت سبعا
فاجبنى بجوهر من نظام * كى أحلى به لسانا وسمعا

فاجاب وأجاد

يا بديعا حاز المحاسن طبعا * وكريما له المحامد تسعى
لى لغز أهديته فى برود * من معان كأنها وشى صنعا
حاكه فكر ماهر قد تناهى * فى ضروب البيان أصلا وفرعا
خامس من بروج دائرة الشمس وفى الغاب بالضبارم يدعى
لميادين فكره تتبارى * سبق عندها السوابق صرعى
شعرذا الذ البراع مع دهم نفس * شهب طرس برضيه حسنا ووضعا
يسعد الكف ساعداها القويا * ن وما للطعان ضاعفت درعا
والمعوا فى تميل ميل الغوانى * للفتى حين يشبع الشيخ صفعا
ان عهدى بالرمى عهد قديم * أنت أقوى على قسيك نزعا

وهذا يشير الى قول أبى حية النميرى

رميت وستر الله بينى وبينها * عشية أحجار الكناس رميم
الا رب يوم لو رمتنى رميتها * ولكن عهدى بالنضال قديم

وأنشد فى قصيدة هنأ فيها بفتح فما اخترته منها قوله

بشرى تزف من الزمان المقبل * عنصة الجذل الذى لم يرحل
يا نجل فاطمة وكل مفاخر * هو المفاخر درّكم بالجندل
لولا ضياء المشرفية والقنا * ضلت كتائبهم بليل أليل
بعسا كر مدت بعثير نقعها * عين الغزالة فى الرعيل الاول
خطبت سيوفك فى منابر هامهم * خطبا تذيقهم نقيع الحنظل

(ومنها فى ختامها)

هاكم أمير المؤمنين قوافيا * فاحت مجامر طيبها بالمندل
بمديح أهل البيت هزت معطفا * هزأ بمدح جريرهم والاخطل

وقوله فى جواب اللغز السابق حين يشبع الشيخ صفعا من مزج الجد بالهزل وعليه فانظر قولى فى التحف التى سميتها بالشهب السيارة وهو

قيل ان كان فى الشباب سرور * فبياض الوجوه خير وقار
قلت ردوا الشباب لى واصفعونى * واجعلونى مسخرة للصغار

والشيء بالشيء يذكر وأجاد التعاويذى فى قوله

وعلوّ السن قد * كسر بالشيب نشاطى
كيف سموه علوّا * وهو أخذ فى انحطاط

وقوله بعسا كر رمدت الى آخره كقول الارجانى

واشمس فرط سناه أرمد عينها * فسكحلتها أيدى الجياد بأثمد

ومنه قولى فى التنف أيضا

وليل زارت والسعد وافى * على رغم المنافق والمداجى
رأى ليلى عيون الشهب رمدا * فعصبها بعسود الدياجى

وأنشدنى من قصيدة له قالها وقد دعاه داعى النجاح وأسفرت له شمس الظفر من خلف ستارة الفلاح وأنشدنه المسره قول شيخ المعره

ابق فى نعمة بقاء الدهور * نافذ الامر فى جميع الامور

وقد قدم من غزاة صدع بها شمل الكفر أى صدع بعدما خط على صحف البسيطة سطور جيش متربة بالنقع غص بعثيرها الوهاد وسربها الفضاء فتضمخ من دم الاعداء بالجساد والربيع قد نقط تلك الصحف ووشاها وخط فى جوانبها النبات وحشاها

وكسا الارض خدمة لك يامولاى دون الملوك خضر الحرير
وغدت كل روضة تشتهى ارقص بثوب من النبات قصير
فهى تختال فى زبرجدة خضرا وتغدى بلؤلؤ منثور

فقدم وله عن ذنوب الدهر صفح والقلاع تعرب عن رفع عزمه بعد ما بناها على الفتح فى يوم عسده عيد السرور فهز ملء العيون ملء الصدور فقام بين السماطين وهو اذ ارئيس كتابه وناظم عقود الجوهر فى سلك خطابه مهنأ ومنشدا وفى رياض ناديه مغردا بقوله أيضا

قسما بالجفون فى سطوة الملك وقد أبدت بحسن الفتور
وظباها التى بها تحتمى فى * حوزة الصون بارقات الثغور
وبخد يكنى أبا الحب تذ * كى يد الحسن ناره فى الضمير
وبروض تدب شوقا اليه * عقرب الصدغ فى ليالى الشعور
لهجرنا المنام حتى تناست * بيننا للخيال طرق المسير

ياظباء سنحن ملتفتات * متلعات أجيادها للنفور
أمن الله روعكن فانى * أرتجى وقفة بوقت مسير

ومنها

نسمة فى باب الامالة تبرى * علل اللين فى القضيب النضير
ماعهدنا ريم الفلا وغصونا * تشرق الحسن فى برود البدور
رافضات عهد ناهل لوصل * من رجاء يطفى لقلبى الحرورى
ذاب شوقا وأنفق العمر سعيا * فى رضاكم وماله من شعور
كان خدى يجرى السوابق شهبا * باديات فى لونها المستنير
فاستحالت حمرا وتكمن طورا * من أخاديد جريها فى حفير
باعتكاف يحكى جياد جياد * مندمنات على السرى والبكور

ومن مديحها

يانسيبا أنت المعدم فى المد * ح فلسنا نرى لكم من نظير
كم نظمتم للحق عقد اعتزاز * ونثرتم بالحسل نظم الفجور
وبضرب الهندى كم قد طرحتم * من ضروب العدا بجمع الكسور
وأدرتم عليهم للمنايا * أكؤسا لم ترل بكف المدير
دام فى العز ملككم ويمنى * عزمكم للفتوح سيف الظهور
ماجرت أفرس الدرارى بمضما * رميادينها بطول الدهور

قوله يانسيبا الخ كقول بعضهم مضمنا من قصيدة نبوية

له النسب العالى فيامادح الورى * اذا كان مدح فالنسيب المقدم

ولله در ابن خفاجة فى قوله

مليك تبسم بشر المنى * بمرآه وامتد خطو الامل
فلم أدر والحسن صنوله * أأبدأ بالمدح أم بالغزل

وكتب الى وقد أصابته حمى فاقتصد يذكر اشتياقه ويشكو مامنعه من ملاقاتى وعاقه أنا فى غربتى وعلتى ونار خليلى لم تبل بملاقاته غلتى لا أظن نسيان الاخوان وأعتذر لتقصير الزمان

كأن زمانى خاف لحنا فلم يكن * ليجمع بين الساكنين بأوطان

فكتبت اليه

كفاك الله ما تخشى وغطى * عليك بظل نعمته الظليل

أعزالله تعالى أنصار الفياض والحسب وحفظ بحمايته معالم الفضل العامرة بالادب ببقائك محروسا من هجوم الخطوب محفوظا بسور منيع من احاطة القلوب وأصوات جرس الدعاء به مرفوعه وسدته بحجاب الصنائع ممنوعه وله من عطر الثناء نشر انتشر فلا يحل حتى على نسيم السحر والدهر وان كان ذا غير من تفكر فيه اعتبر وكيف يتسلط عليه بآلامه وهو لا يتسلط على أيادى انعامه فان هم به ونعمته سابغة عليه فقد ورد اتق شر من تحسن اليه .

أتهدى له الايام سقما وانما * مساعيه فى أعناقهن قلائد

فان اعتل فانما اعتل الكرم والكمال وان مرض فقد مرضت الامانى والآمال والقلوب والارواح وان دعونا له فانما ندعو لانفسنا بالصلاح ورب مريض لا يعاد فلا يحرم الاجر مريض الفؤاد فلا أقول

ياليت علته بى غير أن له * أجر العليل وأنى غير مأجور

وقد بلغنى فصده الباسليق وأنه قد بكى دما عرقه العريق

وبات اعتلالك يبكى دما * وتضحك فى جسمك العافيه

وعرق الصحة له فى كل منبت شعرة عين باكية تبكى بدموع العرق على فراق العافية وليس ببكاء وانما من استغرب فى الضحك قد تدمع عيناه كما أن الحزين قد يضحك دهشة عما دهاه فاضحك الله تعالى ثغر فصاحته كما ضحكت تباشير صحته وهنأ الله تعالى الوجود بسلامة الكرم والجود وأطلع كوكب سعده فى أفق الافاقة والاقبال فان لكل زمان مقبل غرة وهلال (والسلام)

﴿فصل﴾ دعانا مرة دعى الصبا فحرك منا ما حركته من عذبات البان أنفاس الصبا الى روض أنيق وواد تزوره السراء من كل فج عميق نبهت عيون أزهاره أكف نسيم السحر وقطعت على قدود قضبه بعد اخضرار عاض ربهاته تمائم الزهر والريح تجذب أطراف الغصون كما * أفضى الشفيق الى تنبيه وسنان

فى مجلس سكرت فيه أباريق المدام فرجعت أصواتها ترجيع تمام وفاقا مع خلان وخلص اخوان كل منهم قرة فى عيون المسره فيه طراز حلل الليالى وروضة تنبت

أنوار المعالى تتحاسد عليه القلوب والعيون ويختم به مصحف الطرف وختامه مسك يتنافس فيه المتنافسون قام لديهم ساق كالف على سين أعطى كافه للابريق أو غصن عبثت به الصبا فكاد يعقد من اللين ذيل حواشي لطفه الرقيق لولا كثيف كثيب ردفه القائم عليه هيف عطفه

لولا سهام جفونه انتظمت * عقدت على وجناته القبل

فنادى حى على الصبوح هلموا الى ريحانة الروح شقيقة نفس الانسان صابون درن الاحزان درياق ملسوع الغموم مطية لهو يرتحل بها من منزل الهموم بازله دستبان من ذهب يصطاد به سوانح الفرح والطرب حيث لا يسمع صراخ لغير الاوتار ولا بكاء الا للقنانى ولا رقيب الا سوى عيون الازهار فلم يزل يحكم فيهم الكاسات ولا يسمعون من عذب ألفاظه غير خذوهات فى يوم شابت ذوائبه من قبل ما طر بالعيشة شاربه فلما دنا المسير وغاب بدر الكاس المنير قام بعضهم ثملا سكران وذهب حافيا رجلان فنسى نعله وأودع عند الخمار عقله فكأنما فر هاربا لما طرح أحمال أحزانه ورماها وألقى صحيفة فكره والزاد حتى نعله ألقاها فكتبت اليه أعزيه فيها فأخفف عنه مصائب الدهر وأرثيها بقولى على لسانه مداعبا ومفاكها له مطايبا

لقد خاننا دهر وكنا به نعلو * يود هلال الافق لو أنه نعل
وقد كان لى شمل فشتت شملها * وما الدهر أهل أن يدوم له شمل
وكانت تقى بالنفس رجلى فأصبحت * تفارقها من بعد ما آذن الشكل
وقد كنت ذا بشر فأصبحت حافيا * وكم حزنت من بعدها الكعب والرجل
فكم صحبتنى فى سرور وروشدة * ولم تتخلف عن مرادى ولم تعل
ونقلت الاقدام للراح سحرة * فعدت ولا عقل لدى ولا نقل
كذلك عادات الشراب وفعله * فما اختاره مضنى به وله عقل
وأنشدت خلى حين ضاعت ولم يكن * ليسعفنى فى ذلك الحدث الخل
وان أخلاء الزمان غناهم * قليل اذا الانسان زلت به النعل
فأنشدنى بيتا يثبت مهجتى * لكيما فؤادى عن محبتها يسلو
تزود من الدنيا متاعا لغيرها * فقد شمرت جيداء وانصرم الحبل

فلوفى عليها حين أمست شهيدة * وقد جادها بالدمع قطرله هطل
وأمست على وجه الثرى دون دافن * ولكن بكف السحب أمسى لها غسل

فلما سمعها القشتالى استظرفها جدا وكتب له

رأيت أديبا واضعا كف حائر * على ذقن اذ للهموم به شغل
فقلت له هل بان ألف لون به * نوى قذف أم لا يرجى له وصل
فقال علمتم أن جاريتى يدى * وراحلتى فى كل نائبة نعل
خرجت مع البازى لحان مدامة * رجاء سرور والطريق بها وحل
فأبت وبى من حادث الدهر لسعة * بخفى حنين لا ثراء ولا عقل
نأت عن أديم الأخمصين رقاية * ومابى شعور اذ تخطفها الوبل
كذا فليهل الحطب فى وثباته * بكل كريم لا يفارقه فضل
وفى كل قلب للخطوب مآتم * يحق لأرباب القريض بها شغل
فقلت له ان العيافة تقتضى * بتصحيف نعل ان قدركم يعلو
تعود دهر جودكم وأنى له * فألقت اليه ذا نعلها الرجل

وكتب اليه الاديب زين الدين الاسعافى الحلبى

تعز أخى ان كنت ممن له عقل * ولا تبد أحزانا اذا ذهبت نعل
ولا تعتب الدهر الخؤن فدأبه * لعقد اجتماع الشمل دون المدى حل
لحى الله دهرا لا يزال مولعا * بتكدير صفو العيش ممن له فضل
يفرق حتى شمل رجلى ونعلها * أشد فراق لا يرى بعده وصل
فما شئت فاصنع ما اللبيب بجازع * ولا تارك صفوا اذا زلت النعل
بحقك قم تسعى الى الراح سحرة * نجدد أفراحا لكل صدا تجلو
الى دار لذات وروض مسرة * برحب فناها من غصون المنى ظل

ولابن قلاقس وقد سرقت نعله

قل لنجم الدين يا من تهتدى * من محياه بأسنى قبس
ما الذى أوجب عودى راجلا * بعد أن وافيتكم ذا فرس
خلعوا نعلى لما علموا * اننى من ربعكم فى قدس

﴿تتمة﴾ يقال فى المثل للمتساويين فى الخير فرسا رهان وهذا كما أفاده بعضهم باعتبار

ابتداء الجرى لتساويهما حين الارسال وأما فى المنتهى فيغلب سبق أحدهما فكيف يجعلان متساويين وقد ضربت أنا المثل للتساويين فى الدناءة بفردتى النعل وثورى الحراث فانه لا ينتفع بأحدهما دون الآخر فقلت

وثقيلين هماما افترقا * منهما الدهر أبو الغدر استغاث
فكأن اللؤم قد صاغهما * فردتى نعل وثورى الحراث

وقد ضربت العرب المثل فى هذا برجلى النعامة فقال الشاعر

وانى واباها كرجلى نعامة * على كل حال فى غنى وفقر

قال القالى فى أماليه أى اننا فى اتفاقنا لا نختلف لانه ما من بهيمة تنكسر احدى رجليها الا وتنتفع بالاخرى غير النعامة انتهى ولما قدم رغب فى صحبتى وخطب راغبا مودتى وودانقطاعى عمن سواه فلما رأيت محبته وصدق مدعاه كتبت اليه

سلا بانة الوادى لدى المنزل الرحب * متى فقدت غر المناقب من صحبى
فهل فى حماها نفحة عنبرية * قد استودعتها الريح من نفس الركب
وهل بين أطلال الرسوم ونؤيها * حمائم بان فى الربى طيرت لبى
وهل من عهود قد تقضت بقية * توفى بها حقى ويقضى بها نحبى
سقى الله عهدا للاحبة صيبا * من الطرف تغنيه عن الوابل السكب
وهيف غصون جادها طل الغنى * فتنبت أوراقا من الشجر القضب
وكل خليل رق رق الود صافيا * فكل ملام فى محبته يصبى *
أصدق فيه الظن من ضنتى به * على كل شئ قد عرفت سوى قلبى
وماذاك من سوء الفعال جبلة * فكم جاء سوء الظن من شدة الحب

هذا معنى غير ما قاله المتنبى

اذا ساء فعل المرء ساءت ظنونه * وصدق ما يعتاده من توهم

والحديث شجون ومنها

اذا غاب بدر التم ظلت مراقبا * لمطلعه من مشرق العين والغرب
ولكن شمس الحسن من وجه منيتى * لقد برزت للناظرين بلا حجب
كذلك شمس الغرب أشرق شرقنا * بفضل له قد شاع فى العجم والعرب
وقد كنت قدما تبت عن كل خلطة * تنكد عيشى وهى من أعظم الذنب

فلما صفا منه الوداد ومشرب * يروق لظام ذيد عن مورد عذب
تقضت على حكم المروءة توبتى * وقد طلعت شمس المعالى من الغرب

وبعد الشعر فصل مولاى أحمد قد ملأ فضله الجبال والوهاد فسد على حساده طرق المجد وحاز السيادة من ساعة الميلاد فانك مهدى اليها من المهد وهو يعلم أن عقائل الوداد فى خدور الخمول كمينه وأنها لا تتحلى لغير المحرم ولا تبدين زينته فان الزمان مشتق من الزمان والاخوان لتقلب قلوبهم من الخيانة وان أطلع السباخ النخلة الفينانه فقد تنبت المرعى على دمن الثرى وتقطع الأزرار ما الهامن ضيق العرى وما كل جوهر له مشترى وما كل صاحب يعرف قدر العسكرى فلذا نفرت حتى عن ظلى وقاطعت حتى ولدى وأهلى لكن ما لك من حسن الاخلاق جذب لك مودتى بالاطواق (والسلام) (قولى وما كل صاحب الخ) اشارة الى ماذكره ياقوت فى معجمه من أن الصاحب ابن عباد تمنى لقاء أبى أحمد العسكرى فكاتبه فى الحضور له فتعلل بكبر السن فلما يئس منه جذب السلطان لذلك الصوب وسار معه لحين أتى عسكر مكرم كتب له

ولما أبيتم أن تزوروا وقلتم * ضعفنا وما نقوى على الوخدان
أتيناكم من بعد أرض نزوركم * على منزل بكر لنا وعوان
نسائلكم هل من قرى لنزيلكم * بمل‌ء جفون لا بمل‌ء جفان

فأجاب بنثر ونظم منه

أروم نهوضا ثم يثنى عزيمتى * تعود أعضاءى من الرجفان
فضمنت بيت ابن الشريد كأنما * تعمد تشبيهى به وعنانى
أهم بأمر الحزم لو أستطيعه * وقد حيل بين العير والنزوان

فلما قرأه استحسنه وقال لو خطر ببالى هذا المثل ما أرسلت ذلك الشعر لكننى ذهلت عنه ثم ان العسكرى قصده مع جم غفير من تلامذته فى ساعة لا يصل اليه أحد فى مثلها فحجبه الحجاب فرفع صوته يقول

مالى أرى القبة الفيحاء مقفلة * دونى وقد طال ما استفتحت مقفلها
كأنها جنة الفردوس معرضة * وليس لى عمل زاك فأدخلها

فناداه الصاحب ادخلها يا أبا أحمد فلك السالفة فبادر له الخدم وحملوه حتى جلس عنده

فأقبل عليه ورفعه الى أرفع مجلس ثم تحادث معه وسأله عن مسئلة فقال له الخبير صادفت فقال له مازلت تغرب فى كل شئ حتى فى المثل السائر فقال تفاءلت من السقوط للحضرة فادر عليه وعلى من معه بصلاة كانوا يأخذونها الى أن توفى الى رحمة الله تعالى فانظر مافى هذه القصة من لطائف الآداب ومالصاحب مع جلالة قدره من مكارم الاخلاق الذى طير ذكره فى الآفاق وخلده فى صحائف الدهور وهكذا فلتكن الصدور ولما أراد العود الى المغرب قال لى عندى أمانة من مولاى أحمد لا أرى غيرك لها أهلا ومحلا فطال العهد ولم أرلها محلا فقلت ان محلا وان مرتحلا فلما أزف الرحيل كتبت له رقعة فيها أطال الله عمرك طول مواعيدك وجعل آمال الكمونية مورقة من سحائب جودك ولعمرى لقد طال المطال فعرقوب لا يبلغ عرقوبه وزاد العتب على الالحاح والعتب بغير جرم عقوبه ولولم يكن أملى أضعف من الذباب ماارتبط بحبال العنكبوت على هذا الباب فلله أنت ماأحلمك وأصبرك على كثرة السؤال والجواب ولم أر مثلك فى الجود اذ بذلت لى ألوف ألوف من الوعود ولم تلمنى على مقابلتها بالكفران وها أناذا تائب شاكر لهذا الحرمان اذلم يكن لمثلك على منه وأحمد الله على كل حال متبعا للسنة وقد كان يعجبنى قول أبى محمد الحكيم

لبس الثياب وتشييد القصور وفى * تلك الثياب رأينا أنفسا خربه
لأضربن رجائى ألف مقرعة * فيكم وأصلب آمالى على خشبه

فلما رأيت بعد العهود وطول حبال الوعود قلت

طالت مواعيدك ياسيدى * والعمر قد يقصر عن ذا المطال
نخلت آمالى لها دربة * قد علمتها المشى فوق الحبال
ولو ترى مثلا لها ربما * جرت على فرحتها بالنوال

واللائق بالعارف بالزمان أن لا يعتب على أحد من الاخوان فان الدهر خرف وهرم ولو سأل شقيق شقيقه درهما لقال أودى درم فرحم الله الكرام وعلى الجود الرحمة والسلام وهذه رقعة قصدت بها المزح والمجون ورياضة الطبع الحرون وقولى أودى درم مثل قول الاعشى

ولم يود من كنت تسعى له * كما قيل فى الحرب أودى درم

قال السكرى فى شرح ديوان الاعشى درم هو دب بن مرة بن ذهل كان النعمان يتطلبه

تجهزله سرية فلما ظفروا به مات فى أيديهم قبل وصوله للنعمان فلما سأل عنه قالوا أودى درم فذهبت مثلا انتهى وقصدت به الدرهم لان الدرهم فارسى معرب وأصله درم وقد يتلاعب به على أصله ومثله قولى فى الرجل الجليل يكون خاملا لا نواسيه أحد فاذا مات عظموه وتأسفوا عليه

بكى الخلق ذا الفضل لما مضى * وقالوا ألا ليته لو سلم
ولو كان يسالهم درهما * لقال له الناس أودى درم

﴿فصل﴾ ذكر لى يوما أنه مشتاق القاءى مستوحش لظلمة التناءى فملت ماجوابى لك غير قول أبى العيناء للمتوكل وقد قال له قد اشتقت لك يا أبا العيناء فقال له ياسيدى انما يشتد الشوق على العبد لانه لا يصل الى مولاه وأما السيد فتى أراد عبده دعاه وما أكذب الشوق بالمال ان لم تعم عليه شواهد الاقبال وقد شرح حالنا فى التناءى والتدانى قول ناصح الدين الارجانى

واذا رأيت العبد يهرب ثم لم * يطلب فولى العبد منه هارب

فاهتز عطفا وتارة ولطفا ثم قال لى من أى معنى أخذ هذا قلت لا أدرى فقال هو من قول المتنبى

اذا ترحلت عن قوم وقد قدروا * أن لا تفارقهم فالراحلون هم

فابدأو أبدع وأعلم انه من الادب عرآى ومسمع ومنه أخذ القائل

ليس ارتحالك ترتاد الغنى سفرا * بل المقام على بؤس هو السفر

والمتنبى أخذه من قول الطاءى

وما الفقر بالبيد القضاء بل التى * نبت بى وفيها ساكنوها هى الفقر

ولما رأى وزراء الروم وما هم عليه من دارس الرسوم من تكبر بلا نفع برجى وتجتر كل دابة منهم حتى العرجى قال أهؤلاء عنى الغزى بقوله

من آلة الدست ما عند الامير سوى * تحريك لحيته فى حال ايماء
فهو الوزير بلا أزر يشد به * مثل العروض له بحر بلا ماء

فذيلته بديهة له فقلت

عسى تدور عليهم دائرات ردى * تقطعهم تقطيع أحشاءى

فقد شابه الرئيس المرؤس وقام على جزب الابدان فرع الرؤس وما هذه الدول ان لم

يعرها الآن خلل الا كسقف السماء وقبة الخضراء قائمة بلا عمد ولا اطناب ولا وتد فهى كبيوت الاشعار لا تظل فى حضر ولا أسفار كما قلت

جيوش ما لها فى الملك نفع * حكت صورا تصور فى كتاب
رأيت قتالهم من غير نبل * كمثل الضرب فى كتب الحساب

وعلى بحر العروض يعجبنى هنا قول الارجانى

راع الفؤاد نوى الخليط ولم يكن * قبل النوى من حادث بروع
وأرى فؤادى فى الزمان كأنه * بيت العروض يراد للتقطيع

وللغطيرى

وعرض بلا ذنب يقطع دائما * كبيت عروض والحوادث أطوار

وقلت فى معناه

دوائر أفلاك تلوح بحورها * باصفار نجم قابلتها بتصريع
كما خط فى رسم العروض دوائر * بجميع الذى فيها معد لتقطيع

وقلت أيضا

وانى فى تضييع ما قد جمعته * لاجل الذى يولى الوزير من الغنى
كبائع بيت كان فيه مقره * يقول كفانى بيت شعرى مسكنا

﴿محمد بن ابراهيم الفاسى نزيل مصر﴾ شمس فصاحته طلعت فى آخر الزمان من المغرب لو رآه ابن سعيد لنسى بفاكهته مفاكهته ذكر المرقص والمطرب ما كنت أظن المغرب تنجب له مثيل ان الزمان بمثله لبخيل ارتحل لمصر واختلط بناسها وميز حال فصولها وأجناسها ولما قدم كتبت له خاطبا لعقائل وداده جالبا كؤس المؤانسة على فؤاده

آياشمس أهل الغرب شرفت مصرنا * وقلدته عقدا نفيسا من الانس
فصار ربيعا باعتدال قدومكم * ولا بدع فيما قلت فى شرف الشمس

وكانت حالى معه حاليه وموارد أنسى به من قذا الاكدار صافيه أراضعه ثدى الآداب وأتخذه ممن مودته تدخل بيت القلب بغير اذن وحجاب الى أن ارتحل الى المحله وجعل كرم قاضيها مقر أمله ومحله وفارق أخلاءه وصحبه لما كابده من محبة الامرين الفقر والغربه فانعطفت عليه أغصان المسرة والهنا وأقام فى رياض المكارم

تحت ظلال المنى الى ان حالت الحال واذنت شمس حياته بالزوال فحاد بنفسه وغاب في مغرب رمسه بعدما وقف على أطلال الهمم باكيا على دارس رسوم الكرم وكان مغرما بالمزاح لابسا للخلاعة وبرد الجد عنه غير مزاح وأنشدني له يوما قوله

حكيت ابليس خنا * وصورة من عوره
ياسائلي عن العمى * عندي نصف خبره

فقلت له قد سبقك الى هذا الباخرزي في قوله

فلا تحسبوا ابليس علمني الخنا * فاني منه بالفضائح أبصر
وكيف يرى ابليس معشار ما أرى * وقد فتحت عيناي وهو أعور

وهو من قول الآخر

وكنت فتى من جند ابليس فارتقى * بي الحال حتى صار ابليس من جندي
ولو مات من قبلي لاحييت بعده * طرائق فسق ليس يحسنها بعدي

وكان اذا أغار على معنى أغار ولا يبالي بأنه يرى مغزاه اذا انجلى الغبار تبعا لمذهب القائل

فان الدرهم المضروب باسمي * أحب الي من دينار غيري

كقوله

يا تارك اشربا القهوتنا التي * تجلو صدا القلب الكئيب العاني
في ترك مثلك شربها لي راحة * توفيرها وطهارة الفنجان

وهو من قول ابن الرومي

يالائمي في الراح غير مقصر * مازال ظنك سيأ في الراح
فاقل ما في ترك مثلك شربها * توفيرها وطهارة الاقداح

ولم يزل باللهو معروفا وبغزلان النقا مشغولا مشغوفا لاسيما اذا تفتح عن ورد الخدود أكمام العذار وشاهد صنع الله الذي يولج الليل في النهار

وقالوا أتت كتب العذار بعزله * فقلت لهم لا تعجلوا فيها ولي

ويقال ان هذا الامر أذهب خيره وخيره ومحا بيد العناء عينه وأثره حتى عصفت رياح المنية بروضه الشبيب وهصرت يد الردى يانع غصنه الرطيب فاحتضر واختصر بامر الملك المقتدر لازال جدثه روضة من رياض الجنان ولا برح مجرى لجداول

الرحمة

الرحمة والرضوان فمن العنبر الذى أذكته بمجامر فكره وقذفته فى سواحل المحاورة بحور شعره ما أنشده لى من قوله مضمنا

قل للقضيب وراح الريح تعطفه * أثناء برد من الازهار منتسج
أشبهت قامة من نهواه لو طلعت * أعلاك شمس وفقت المسك فى الارج
لك البشارة فاخلع ما عليك فقد * ذكرت ثم على ما فيك من عوج

(ولابن أبى حجلة مضمنا)

قل للهلال وغيم الافق يستره * حكيت طلعة من أهواه بالبلج
لك البشارة فاخلع ما عليك فقد * ذكرت ثم على ما فيك من عوج

(وأنشدنى له أيضا مضمنا)

أأسلو فى الهوى طعم الهوان * وربع الحسن مأهول المغانى
ومن أهواه واصلنى جهارا * وصرت من الرقيب على أمان
وقد حل العذار بوجنتيه * بمنزلة الربيع من الزمان

(وأنشدنى قصيدة منها)

أتسيل دمعى ثم تسأل ما جرى * عجبا لعمرك ما رأيت وما أرى
هذى دما نفس هواك اذابها * فهمت على خدى نجيعا أحمرا

(ومنها)

من كان يقبضه جلال الحب عن * بسط الجمال فلم يزل متحيرا
فأنا جمالى الغرام وهكذا * ورد الجمالى لن تراه مكدرا

(ومنها فى حسن الختام)

واليكها والحسن بعض صفاتها * بكرا تحاكيها الملاحة منظرا
قد زفها فكرى اليك ومهرها * نقد القبول وحقها أن تمهرا
حاشاك تهملها وتعرف قدرها * من قد ترى بين الثريا والثرى
ختم البيان بها فكل سليم طبع * صار من عجب بها متحيرا

(وله فى الهجاء مضمنا)

لقد قلت للطورى لما بدا لنا * بجلود صخر حطه السيل من عل
بوجه كليل الهجر أسود طائل * ألا أيها الليل الطويل الا انجلى

﴿ومما أنشدنيه لنفسه قوله﴾

ولما دار بالخدين نبت * حكى عمر الصبا قبل المشيب
تيقنت الوصال وليس وعد * هنالك ولا خلو من رقيب
ولكن دارة القمر استتمت * فدلتنا على مطر قريب

﴿وأنشدته قولي في معناه﴾

على خد مصلاح نبت عذاره * جرت أدمعي في الحدذات صبيب
اذا ما استدارت دارة البدر حوله * فان وقوع القطر غير عجيب

﴿ومما أنشدنيه قوله من لفظه مضمنا﴾

ياسالب الغصن لين القدو الميل * وملبس الشمس ثوب الحزن من خجل
ما شان خدك نبت بل صفا فترا * ءت في سناه ظلال الهدب والمقل
فاثبت على حبه ياقلب تحظ به * فهل سمعت بظل غير منتقل

ومعنى البيت الثاني مما سبق اليه كقول الارجاني

أعد نظرا فما في الخد نبت * حماه الله من ريب المنون
ولكن راق ماء الخد حتى * أراك خيال أهداب الجفون

﴿ومما قلته في معناه مضمنا﴾

صقيل خدوده مرآة قلبي * وماء الحسن رق به وراقا
تحط به العيون اذا تبدى * وهل طرف يطيق له فراقا
فقالوا رقة الأهداب فيه * عذارا قد كسا بدرا محاقا
وظلنا نجتلي منه محيا * كأن عليه من حدق نطاقا

وكان يهوى بمصر غلاما وقد دب ظل العذار على ورد خده وجعل حارس الحسن بنفسجه سياج ورده هام به هيام سعد بن أنيس ببرده وهبه روحه لابسة حلل الموده فكان لا يسر الا اذا اصطبح من عذاره بالآس ثم لما أدركه الغرق من الوجد والياس عمل فيه من دوحه لم يدركها مدرك فكان ذلك سببا لصده المهلك فارتحل لافتضاحه للعلة الكبرى فكتبت له اذ ذاك قصيدة لاجدد له الذكرى (منها)

من لم يدم ذكر الحبيب الناسي * ومعاهد افيها فليس بناس
بي من كسا جسمي السقام وعلني * بمدام دمعي يا له من كاس

في نقطة من خاله يرجو الوفا * دمع زيادته بغير قياس
لما خشيت على السكرى من مدمعي * أودعته في طرفه النعاس
يقسو على فؤاده بالبتة * يعديه لين قوامه المياس
تالله ما حبي لعارض خده * كالورد بل حبي له كالآس
(ومنها) يا جوهرا للمجد صار مجردا * ما أنت الا الروح للأكياس
لولم تحدث عن شمائلك الصبا * لم تكتسب ذا الطيب في الأنفاس
يا راحلا عني ومجرى مدمعي * ما في وقوفك ساعة من باس
عقد على جيد الزمان منظم * روض له ظل على الجلاس
لم أستطع وصفي لهيب صبابتي * من يودع النيران في القرطاس
(ومنها) فلتجلها بكرا نتيجة ليلة * صهباء سالبة عقول الناس
لازال يا انسان عين العصر من * ذكرى بسالف عهدك استئناسي

مولاي أما الشوق فقد اشتعل ضراما وكاد غدا به أن يكون غراما حتى قال فم الجفون بلسان الدمع يا نار كوني بردا وسلاما فاني ألقي الي كتاب كريم فاح منه شميم عرار نجد وما بعد العشية من شميم فتعت بما هو أحلى من الوصل بعد الهجر ومن الأمن بعد الخوف ومن البرء بعد السقم ولم أدر أطيف منام أو زائر أحلام أم قرب نوى بعد البعاد أم حبيب وافى بلا ميعاد من أديب شرق بدر مجده ساطعا وألبسني برد المسرة أخضر يانعا

أهم ببسط مجرى لالتقاط * اذا حاضرت بالدر النسيق

حدا بي أن أحث مطي الهمم الى نحو كعبة الفضل والكرم فحركت بحر الطبع حتى عبق عنبرا وندا وهززت قضب اليراع على خد الطرس فانتثرت أقاحا وورودا وقد كنت ممن زجر عن هذه الصناعة طبعه فانها كما قيل كالياسمين لا يساوي جمعه ولسان التقصير كما قيل قصير لا سيما والجود عبد أنت سيده والفضل عقد أنت مقلده والبلاغة سوار ليس لغيرك عليه يد ورداء المعارف مستعار منك وان كان لا يسترد وللفصاحة ماء لا يجري في غير ناديك وينبوعه لا يتدفق الا من أياديك

ولو صورت نفسك لم تزدها * على ما فيك من كرم الطباع

وزمان الانس غابت عني أسراره وطريق المجد أظلم دوني ليله ونهاره وانطوى عني دجاه وضحاه فسامرت نسره ونعائمه ونقضت بعصا التسيار نجوده وتهائمه وعود الهوى

قديس وذوى وعهدى قديم بالنضال وانى فى السبق وقد أثقلنى قيد الكلال ولا ينكر من القرائح جمودها ولا من نيران الذكاء خمودها وقد غاض الكرام وفاض اللئام والحر لا يستعبد بغير الوداد ولسان المرء من خدم الفؤاد ولولا ابتسام ثغر المنى وامتداد خط الأمل لنا مال كل قلب مانى بقيات الشوق والامانى فقد صرفت عن كل شئ وجه ميلى لما نفرعنى كل شئ حتى صبح ليلى واستوحشت من كل شئ حتى ظلى ومللت حتى الملل فملت من لليلى ومن لى

ان دهرا يلف شملى بسعدى * لزمان يهم بالاحسان

وفى المثل أعطى العبد كراعا فطلب ذراعا عسى أن تمنوا بسطور هى سلالم يترقى بها الى السرور ولازلت ترفل فى ثوب بقاء بالصحة معلم وتقبل فى ربيع مسرة حماه عن الأكدار محرم الى الظلال عذب المشارب تسطر محامده بين دفتى المشارق والمغارب ماحن صديق الى صديق وصرف بدراهم النجوم دينار الشمس الانيق (والسلام) فأجاب بقوله

أسقيط طل فى حديقة آس * أم ذا حباب دار فوق الكاس
أم در ثغر الأقحوانة باسم * أم دمع طرف النرجس النعاس
أم جنة جن النسيم بحسنها * أغصانها من ذاك فى وسواس
أم هذه زهر النجوم تزينت * منها السماء هداية للناس
أمذا هو السحر الحلال حلا أم الـ * ـعذب الزلال وكل عضو حاس
أم رقعة رفعت لواء بيانها * فأتى البديع لهاذليل الراس
نطقت بكل فضيلة ظلت لها الأ * حداق بين محقق أوخاسى
الشعر فاحرأنجم أشعرى بها * والجو قال الفضل للقرطاس
من ذا يطاولها ومطلع نورها * أفق الشهاب وظلمة الانفاس
وافت فما وفيت بعض حقوقها * الا ببذل النفس والانفاس
طار الفؤاد لها فقال وقارها * مافى وقوفك ساعة من باس
جاءت تحدث عن محاسنك التى * شدت الى حسن الثناء عراس
أما الفصاحة صح أن قسها * بالرغم من ثمر حسود قاسى
لله در عقيلة أبرزتها * عقلت ببهجتها عقول الناس
من كل بيت كاد يشبه لفظه * معناه كل دق عن احساس

شرحت

شرحت لى الود القديم وذكرت * قلبا فقد ينسك لم يكن بالناسى
ما أخطأت رشدا وان تك أبطأت * خير اللقا ما كان بعد الباس
فالحب أن أرضى بما ترضى وها * حبى وحقك راسخا بأساس
كن كيف شئت فشيمتى حفظ العهو * د واننى طود الوفاء الراسى
يا من زها حو القريض بلفظه * وغنى به الانشاء من افلاس
ومن استنارت منه مصر وأفقها * لما كساها الفضل خير لباس
ومن انجلى ذنب الزمان لاجله * وغدت به الايام كالاعراس
دمت المقدم فى الجادة والاجا * دة والافادة والندى والباس
واليكها وهى الملاحة نفسها * والحسن بالانواع والاجناس
فاذا أصاخ لها الحسود حسبته * ما بين كاس أو ظباء كناس
عذراء تبسط عذر تقصيرى ومن * داء التطاول فهى نعم الآسى
أنى لمثلى أن يجىء بمثل ما * تأتى وأين الشمس من نبراس
لكنها رد السلام سلكت فيه الطول قدر زيادة استئناس
فعليك من أوفى السلام أبره * ممن يكايد بعده ويقاسى
حل المحلة جسمه والقلب فى * مصر لديك وأهله فى فاس

بعد تقبيل ثرى ياذلك الثرى الذى عبق فى الشام عنبرا وقلد جيد الزمان در ر الازال منبع البيان ومجتمع الاعيان ولا برح جوهر حصبائه يفضله العيان على قلائد العقيان هذا وقد وصل الى أوصل الله اليك أسباب العلى وألبسك رائق الحلى كتابك الخطير فى رقعة من محاسن لفظك الرائق الجلباب المذرى برونق ريق الشباب وبهجة من بدائع خطك المستوقف للناظر المخجل بحسنه الوشى الفاخر والروض الناضر فأجنانى ثمر البر يانعا وجلا على وجه الود أبيض ناصعا

وأرانى كيف انقياد القوافى * فى زمام البيان سمعا وطوعا

وفتح للمخاطبه بابا طالما كنت له هيابا ورفع حجابا تركك القلب وجابا مازلت أغازلها أملا فلا أطيق لها عملا وألاحظها أمدا أذوب دونه كمدا

وفى تعب من يحسد الشمس نورها * ويزعم أن يأتى لها بضريب

لاجرم أنه اقتضانى خالص ود وصحيح عهد لم يلتفت منى الى معذره ولم يكلأ فى الى

مافى الوسع من المقدره وقد يعود على عاك بحر القريحة ثمدا وحسام الذهن معضدا فتكلفتها بحكم هذا الغرام تحت حصر ونازح بصر فان سمحت بالاغضاء وساعحت فى الاقتصاء سلبت لك اليد البيضاء وظهرت لشكرك بالقضاء وأما العذر الذى توخيت ولاعدمت شرحه وحميت بقوة الكلام سرحه فأنت غنى عن تكلفات ايضاحه ومد أوضاحه فالذى يثبت فى النفوس من الود المصون المحروس لايخشى عليه من تسلط الطموس والدروس ولا أقول ان ودى لك كالتبر اذ لايصفو ما لم يشبه لهيب الجمر ولا كالراح حيث يفتقر فى الرقة الى مر المساء والصباح بل أقول ان ودى لك أبيت اللعن كالفرات العذب يشفى غليل القلب ويطفى لهيب الصب يحل بالارض الميتة فيحييها او يمر بالروضة الذابلة فيتوجها بالازهار ويحليها وأنت أعزك الله لاتثريب عليك اذ كل يعمل على شاكلته ويجرى فى أموره على مقتضى مرتبته فان حنو السيد وأنت ذاك يستكثر قليله واخلاص العبد وهو انا يستحقر كامات جليله والحق أغلب ومعرفة المرء نفسه أصوب وان تفضلت بالاستفسار عن أحوال العبد فالحال فى خير والمآل بنعماء الله تعالى وبالجملة فسهم المصيبة ان سدده الدهر فعلى مثله وقع ولله لم يغل هذه الحالة قد ارتفع

ولم أر مثل الصبر أما مذاقه * فحلو وأما وجهه فجميل

وكذلك كل من دعا الصبر لما شاء أجاب وأراه من نشره الافق المنجاب وأقامه بين مبرات وألطاف وأعطاه ما أحب جنى قطاف ولله در القائل

يعيش المرء ما استغنى بخير * ويبقى العود ما بقى اللحاء

وهو الدهر لايردع عن مراده ولايصادر فى اصداره وايراده

فيوم علينا ويوم لنا * ويوم نساء ويوم نسر

على أن طول الغيبة ليس لشئ علم الله آثرته على لقيا كم اذ استبدله طوعا لكنه ارتكاب للاخف من الضررين واختيار للاهون من الشرين

عسى غلطا يثنى الزمان عنانه * بدور أمور والامور تدور

فتدرك آمال وتقضى مآرب * ويحدث من بعد الامور أمور

فلذلك قنعت من البحر بالوشل وسرحت فى رياض المنى بين عسى ولعل فقد قيل اذا دار الفلك عليك أو فلك ولله فى خلقه أمر لاتدرك العقول حكمته وهو الذى ينزل

الغيث

الغيث من بعد ما قنطوا وينشر رحمته وما اجتليته فى كتابك المطير وروض خطابك المطير استدعى شيأ من نظم العبد ونثره والتنويه بذلك من خامل ذكره فلا عدمت منك مولى على الاحسان مثابرا وحكيما لكسر كسير الخاطر جابرا مع تشتت الحال لبعد مزارك ونأى دارى عن دارك وأقسم أنى صممت على التغافل عن الجواب وهو الاولى بالصواب اذ ليس بلبيب من يقيس الشبر بالباع والجبان بالشجاع وكيف لا وكل من تكلف فوق طاقته افتضح لساعته لكن عدم الامتثال محذور والملجأ الى ما لا يطاق معذور فتكلفت ما يعرض عليك من السمطات سوى القصيدة المشار اليها بذكر بعضها فانها متقدمة على ورود مشرفتكم فتلك من سد الخلل وتجاوز عن الزلل والله يبقيك ومن كل سوء يقيك (والسلام) قوله فى القصيدة حل المحلة الخ كقول ابن الخازن

يوما بحزوى ويوما بالعقيق ويو * ما بالعذيب ويوما بالخليصاء

(ولابى تمام)

بالشام أهلى وبغداد الهوى وأنا * بالرقتين وبالفسطاط اخوانى

(وللامير أبى فراس الحمدانى)

يا هل لصب بك قد زدته * على بلا يا أسره أسرا

قد عدم الدنيا ولذاتها * لكنه ما عدم الصبرا

فهو أسير الجسم فى بلدة * وهو أسير القلب فى أخرى

(ولابن عبد ربه الاندلسى صاحب العقد)

الجسم فى بلد والروح فى بلد * يا وحشة الروح بل يا غربة الجسد

ان تبك عيناك يا من قد كلفت به * من رحمة فهما سهمان فى كبدى

(ولابن الفارض)

كيف يلتذ بالحياة معنى * بين أحشائه كورى الزناد

فى قرى مصر جسمه والاصيحا * ب شآما والقلب فى بغداد

وقلت أنا شتت النوم والاحبة عنى * مع تأليف أدمعى وولوعى

أنا فى بلدة وأهلى بأخرى * وحبيبى بغير تلك الربوع

فكأن الزمان منى اشترى الصفو بنقد أسانه من دموعى

وقوله في المنثور ودي لك الخ كقول محمد بن سفيان من شعراء القلائد كتبت وما عندي أصفى من الراح * وأضوأ من سقط الزند عند الاقتداح وقول محمد بن القاسم الوزير في جوابه كتبت عن ود لا أقول كصفو الراح فان فيها جناحا ولا كسقط الزند فربما كان شحاحا ولكن أصفى من ماء الغمام وأضوأ من القمر ليلة التمام فراجعه بقوله كتبت دام عزك عن ود كماء الورد نفحه وعهد كصفائه صفحه ولا أقول أصفى من ماء الغمام فقد يكون معه الشرق ولا أضوأ من قمر التمام فقد يدركه النقص ويمحق وليس ما وقع فيه الاعتراض مختصا بصفو الراح ولا بسقط الزند عند الاقتداح فان أمور هذا العالم هذه سبيلها وجياد الكلام تجول كيفما أرسلها مجيلها وعلى ذكر القصة قلت

ان الصفي لذي قد كنت أعهده * عند الملمات ذخر اللود ادمذق
وقد يغص بخير الزاد آكله * وقد يكون من الماء الزلال شرق

(وقلت أيضا)

ان كنت توجعني باللوم في زللي * وظلت تبرئ مني الداء بالداء
فقد يسوغ بضرب الظهر غصة من * قد استغاث فلم يجده بالماء

(فصل) كنت في عنفوان الشباب أهوى الهزل والخلاعة مع هذا الاديب لكثرة ما عنده من الاهواء فكتبت له وما وقد رأيته يحدث مع بعض الاحداث ما بال مولاي مغرى بتقديم الذكور على الاناث ومرتكبا آثام تطلق بها حور الجنان بالثلاث وذلك لان الرجل خير من المرأة بالاتفاق فلذا تخلف عن الحلاق وشق جيب الشقاق كما قلت

أديب مال عن حب الغواني * وبالغلمان أصبح ذا اكتراث
أقلت برأي رباب المعاني * فغلبت الذكور على الاناث

وما سواه على خلاف القياس وان لم يخل مثله عن لبس والتباس دائرين تحت لحاف الحظر ومن خالف المعاني الاديب الاصفهاني حيث قال

هاتيك حبيتي ازدهتني طيبا * أوسعت بها ابن هاني تكذيبا
لو أمعنت النحاة فيها نظرا * لم تدع الى المذكر التغليبا

والتغليب باب واسع الموارد كثير المصائد والا وابد فلينظر الصواب ولا يرسل البازي في الضباب

(الوزير عبد العزيز الثعالبي الاديب) ساحر تخلب نفثاته العقول وفاضل الايام من فضله غرر وحجول انذ كر رقة طبعه فيا الشمال والشمول أو شعره فيا أبيات غيره الا دارسات رسوم وطلول اذا طرز بكلامه برود المجد تخاله من جاور سكان تهامة وتجد قدت من أديم المجد خلاله ففضح الرياض وسحر السحر أقواله ديمة مجد أمطرت سحائبه وسماء فضل شرف كواكبها مناقبه

شمائل لاجيب الزمان معطرا * حكاها ولا لخد الشمول موردا

أطلع في رياض المغرب ورده وسوسنه وأصبح للفقه مالكا فضائله في مصحف الدهر مدونه عشله بطون الامكان عقيمه فلو رآه الثعالبي توج به تتمة اليتيمه اذا جلى كواعب كلماته فضحت الكواكب نورا واذا أنشأ عد نثر سواه هباء منثورا ولما قدم قسطنطينية الروم اجتمع به الافاضل وعظمه من بها من الصدور والاماثل فكتبت اليه مادحا ولعذب أدبه مانحا بقولي من قصيدة

واف وطرف النجم مكحول الحدق * وعارض الظلماء في خد الشفق

سكرانة الالحاظ من خمر الصبا * تعثر في ذيل ظلام وفرق

واستعجلت في خطوها تكاد أن * تسبق طيف آمل لها طرق

مائسة تفضح أغصان النقا * لها من الحلى ثمار وورق

فأبصرتني للسقام لابسا * ملابسا من وشي أفكاري أدق

فابتسمت فكاد من بارقها * لحم الدجا يحرقه ضوء الفلق

ما اهتز غصن البان الا فرقا * لانه طيف القد سرق

(ومنها)

ماء الجمال في رياض خدها * راق لناظري ووردة ورق

ماذقته وماء صفوي كدر * بهجرها فكيف لي منه شرق

ورد بأنواه المنى مستعذب * كورد بحر قد نفى قذى الملق

عبد العزيز من يعز مجده * أحيا زمانا فيه للفضل رمق

روض سحاب الفضل جادنوءه * حتى زها مقتطفا ومنتشق

للفضل مالك وفي مضماره * من أشهب بقصب السبق أحق

خذها عروسا ألبست ثوب البها * سحت اليك بين خب وعنق

لو صرد طرقت أسماعه * أهدى لها درّ الثناء في طبق
قد وصف السحر لسان طرسها * بعارض خط على خد الورق
حتى غدا العنبر يلقى نفسه * في النار من غيظ لديه وحنق

ومدحه صاحبنا الاديب أبو المعالي الطالوي بقصيدة أنشد نيها منها

لعبد العزيز الوحدى الثعالبي * بدائع فاقت مبدعات الثعالبي
فما بعدها في الدهر تلفى يتيمة * ولا قبلها رشته أقلام كاتب
سواد سطور في بياض مهارق * وشام على خد الحسناء كاعب
والالمى وسط الشفاه يعل من * جنى النحل ممزوجا بماء المذانب
والارياض قد كستها يد الصبا * طرائف وشى من نسيج السحائب
كان عليها عبقرى مطارف * ومن حلل الديباج وشى عصائب
فكيف ترى عين يتيمة دهرها * وأم سجاياه ولود الغرائب
فلله مولى قد شهدنا بما وشى * مكاتبة الصادين صاب وصاحب
وحكم في نظم القريض خواطرا * أبت غير نظم النيرات الثواقب
فما يشكرى القوم يوما وان شدا * بنظم القوافي عنده غير ناعب
فكم بنت فكر قد جلاها ببنانه * علينا وما غير الاديب بخاطب
كأن صبا دارين فضت عشية * على عطفها المياس مسك الحقائب
ومرت بوادى الشعر مجتازة اللوى * لوى الرمل فيه البان مرخى الذوائب
تجاذب من نجد شميم عراره * فيرنو لها الحوذان من لحظ غاضب
ووافت حمى الزوراء ليلا فساجلت * على الكرخ دارا بالدموع السواكب
وللغرب الاقصى ثنت من عنانها * تؤم حمى البيضاء عزت لطالب
بحيث ترى البيت الامامى معتلى * تطوف به الآمال من كل جانب
مجرّ العوالى السمهرية والقنا * ومجرى الجياد المقربات السلاهب
عليها أسود الانس في يوم سلمها * وفي الحرب تلفى داميات المخالب
بها يكلأ الله الخلافة في حمى * مليك قصى العزم دانى المواهب
حمى الملك المنصور مولاى أحمد * امام الهدى رامى العدا بالمعاطب
أسود على متن السراحيب غابها * من الاسل الخطى دامى الثعالب

تلوى بأيدى الدارعين كأنها * صلال نقامذعورة فى مسارب
ترى السرد نهياوالقتير حبابه * فتكرع فى حوض من الدم راغب
مؤيد دين الله مشتجر القنا * ومعترك الهيجا ماضى القواضب
سليل الوغى ان ينتضى يوم معترك * وفيه المنايا مزقت فى الكتائب

(ومنها)

فيا ابن الاولى هذى مناقب فخرهم * وهل بعدهذا الفخر شأو لطالب
لعندى على بعد الديار وتأيها * قلائد نظم كالنجوم الثواقب
ولكن قوافى الشعر كيف أجيدها * وفيكم أتى التنزيل يا آل طالب
وانى لاهوى أن أكون مع الصبا * رسولا الى البيضاء تقضى مآربى
لدى ملك دانى النوال وكفه * لراجيه أندى من غيوث سواكب
على كل خط من أسرة وجهه * دليل على أن الرجا غير كاذب
لسدته مأوى العفاة بعثتها * أقواف عسى عنى تقوم بواجب
عليها من المدح الامامى جوهر * ترقرق ماء فى متون القواضب

(وأنشدنى الفاضل عبد العزيز بقسطنطينية قصيدة منها)

زجاجة الفجر أبدت حمرة الشفق * ولجة الصبح أخفت نرجس الافق
فبات فى زهر الاقداح زهر طلا * وليس غير دخان الند من غسق
والليل قد قلد الاصباح حين بدا * كأسود لابس طوقا من الورق
وما محا الصبح نقس الليل واستترت * سوسانة الفجر يوما وردة الشفق
لكن دم الليل لما سال عندمه * أتت لتقطعه كافورة الفلق
فى روضة أودعتها السحب سر شذا * فتم وفد الصبا عن نشره العبق
فيها الكمث كؤس الراح معترك * وليس غير احمرار الورد من علق
حيث الاسنة زرق من بنفسجه * وخضر أوراقه فيهن كالدرق
وللشقيق احمرار فى جوانبه * كأنهن جراحات على نسق
والريح فوق متون الماء طالعة * بيضاء على زرد مفكوكة الحلق
والروض مثل أبى حفص وبهجته * كخلقه وشذا رياه كالخلق
نجل السرى أبى العباس من ظهرت * آيات سودده فى وجهه الطلق

(وعلى منوالها قول الحلى)

فبر وزج الصبح أم ياقوتة الشفق * بدت فهيجت الورقاء فى الورق

(وبيت الشقيق من قول القاضى عياض)

انظر الى الزرع وخاماته * تحكى وقد ماست أمام الرياح
كتيبة خضراء مهزومة * شقائق النعمان فيها جراح

(ولابن الزقاق الاندلسى)

نثر الورد فى الغدير وقد * درجه بالهبوب نشر الرياح
مثل درع الكمى مزقها الطعن فسالت به دماء الجراح

(العلامة محمد كرولث المغربى) عابد زاهد فهو مشكاة نور تعلق قلبه بالمساجد فاحاديثه مصابيح الانوار وذاته مشكاة العلوم والاسرار وآثاره مشرقة بالكمال وحماه مرتع لسوارح الطلب والآمال تعبق أرواح العلا من حلاه الناد وتفوح فى مجامر الذكاء الوقاد وتبشر بالنجاح وتنادى حى على خير الفلاح مع صيت هو المسك الفتيق والروض المثمر الانيق وخلق بكل ذكر جميل خليق فلا يدركه مبار خلفه جرى هيهات هيهات فات ذا أثرا وكنت وأدهم الشبيبة طرب العنان وورقها خضر مايس الافنان وورقه مطوقة ببدائع الافتنان أرود مساقط الندا حتى علقت به حبل الرجا وأتانى اياب الطلب أتجر فى بضاعة الادب فنزلت بساحته وحططت رحلى على ماسماحته كما قال الكندى

وحططت رحلى فى بنى ثعل * ان الكريم للكريم محل

فوردت منهل افادته الصافى وقرأت عليه علمى العروض والقوافى وهو شفاء الغليل لاسيما فى علم الخليل فقد تخرج به طلابه وضربت به أوتاده وامتدت أسبابه حتى قامت به الادلة وسلمت بلا فاصلة من كل علة وجرت فى بحاره مياه الفضائل حتى كاد أن يكذب القائل (مثل العروض له بحر بلا ماء) فكم وشى رداء الآداب ووشع ورد شمسها من المغرب كما ردت ليوشع ولكل عصر يوشع يرد شمس الفضل بعد الافول وتشرق شمس العصر على القصر والطول يقرى وفود الطلب بيانا ويقر عيون الامل حسنا واحسانا وله فى المعالى أرومه وفى مغارس الفضل جرثومه غذى بلبان الفضل وليدا وعد لبيدا اذ اقيس بفصاحته بليدا راق فى جيد دهره

قلادة الاوصاف وتحلت بعذب مدائحه أفواه الرواة من سائر الاطراف حتى تهادته الدول تهادى لذيذ الكرى للمقل فهو أندى على الا كباد من قطر الندا وألذ فى أفواه الاجفان من كحل الكرى

فالكون اما ناطق فعظم * حرماته أو ناطق فمسبح

ثم ان الدهر اقتطف ثمرة فؤاده وقطع فلذة كبده ببعض أولاده فهاجر الى طيبة وقال بها فى ظلال النعيم الى أن دعاه لجواره الملك الكريم وكنت كتبت اليه أسليه وأصبره فى بنيه وأعزيه

كن المعزى لا المعزى به * ان كان لا بد من الواحد

لعل الله يخلف ما أخذ من بنيك ومالك ويجعل الباقى منهم كما قيل فى المثل فتى ولا كمالك وأنت لا تعدم أجر الصبر على كمالك فكم نبت من غصن غصون وطلع من حبة سنابل حبات هادر مكنون وفى الله الخلف من كل ضائع (وما المال والاهلون الا ودائع) (والسلام) وكان أملى على من أشعاره وبدائع فؤاده وآثاره ما حسدنى عليه الدهر ففرقه أيدى سبا وهجم عليه الضياع والنسيان فنهب وسبى (وسهم الرزايا بالنفائس مولع) *(فائدة مهمة)* فى تفسير هذا المثل قال ابن خالويه فى كتاب ليس أحد سمى نواة النخلة جريعة الا أوس الانصارى فى حديث له وهو أبو أوس ابن حارثة لم يكن له ولد الا مالك ولاخيه خمسة أولاد فلما حضره الموت قال له قومه كنا نامرك بالتزوج فى شبابك فلم تفعل فقال لم يهلك هالك ترك مالك وان كان الخزرج ذا عدد فليس كمالك ولد فلعل الذى استخرج النخلة من الجريعه والنار من الوثيمه أن يجعل لمالك نسلا ورجالا بسلا يا مالك المنيه ولا الدنيه والعتاب قبل لعقاب والتجلد لا التبلد واعلم أن القبر خير من الفقر وشر شارب المشتف وأقبح طاعم المقتعف وذهاب البصر خير من كثير من النظر ومن كرم الكريم الدفاع عن الحريم ومن قل ذل ومن أمر فل وخير الغنى القناعة وشر الفقر الضراعة والدهر يومان فيوم لك ويوم عليك وكلاهما مستحذر وانما تغرمن ترى ويغرك من لا ترى ولو كان الموت يشترى لسلم منه أهل الدنيا الشريف الابلج واللئيم المعلهج والموت المقيت خير من أن يقال هبيت وكيف السلامه لمن ليست له اقامه وشر من المصيبة سوء الخلق وكل مجموع الى تلف (حبالك الملك) قالوا فكان من نسل مالك بعدد الخزرج أو نحوهم (تفسير

الجرعة) الثمرة تسمى بها النواة لانها منها والوثيمة حجر القداحة وأمر يعني كثر والهبيت الضعيف الجبان والابلج السيد الوضاح والمعلهج المختلط النسب انتهى

(خاتمة) اعلم أني كنت في رحلتي متجرا في بضائع الفوائد مغرما بصيد الشوارد وقيد الاوابد واستعلام خبر من لم أر من الادباء والفضلاء فسألت من لقيته من المغرب عمن قرب عهده بهم من الاعيان وعن خبايا لدفائن التي ادخروها وهم أقل من القليل والدهر حسود بخيل فمن تعطرت بطيب أخباره وتفكهت بباكورة ثماره بالمغرب (حسام الدين بن أبي القاسم الدرعي المغربي) أديب حسام طبعه مرهف ومشرفيه بحلى الآداب والعلم مشرف قدره أعلى من النجوم الزاهيه ومسك مداده برخص شذاه الغاليه فاحت الارض السماء بطالع شمسه وعلم قطره به أن يومه خير من أمسه فهو روض تقبل الارض فيه ثغور الزهور وتطرز برود الآداب بما له من المنظوم والمنثور أخبرنا صاحبنا محمد بن ابراهيم الفاسي لازال في روح وريحان ولا برح جدثه روضة من رياض الجنان أنه أنشده لنفسه مضمنا يخاطب محمد بن يعقوب الاندلسي

ولي صاحب قد هذبت لي يد الصفا * مودته في غيبة وعيان
ولكن هواه مع هواه تخالفا * تخالف رؤيا السجن للفتيان
فيهوى بني نجد ولين خصورهم * وأهوى بنات الغور طول زماني
يذكرني حالي واياه قوله * رفيقك قيسي وأنت يماني

(عبد العزيز الفشتالي) أديب عذب اللسان ماضي شبا السنان له دمث أخلاق وشمائل تجرر داءها ذيول الصبا والشمائل ألطف من وجنات وردعذارها الآس وأسحر من عيون الغيد اذا غارلها النعاس ان خط زين برد البلاغة ووشاه وتغاير على أخذ الرقة لفظه ومعناه

فيطرب السمع لالفاظه * ويرقص القلب لمعناه

بهمة هي خدن القضا ولطف طبع ألذ من ذنب محاه الرضى فريد همته الى هضبات الهمة ناظره وحيد تفنى دون اشتهاره الامثال السائره عبث بالبيان راحات فكره الساحره فأيقظت من مهد الالفاظ عيون المعاني الفاتره وكان قبل ما جرعليه الدهر ذيوله قام لاقباله وقربه من الدولة العلوية الاحمدية على أمثاله فمارتشفه فم سمع الآذان وروى بنمير العذب ظامئ الاذهان قوله

حين أزمعت عند خوف البعاد * وعدتني من الفراق العوادي
قال صحبي وقد أطلت التفاتي * أي شيء تركت قلت فؤادي

(عبد السلام بن سوسن المغربي) أديب فاس ومسك غزلان ذلك الكناس وريحانة أهدى نفحه خبره الى الصبا الطيب الانفاس فلله طيب الاخبار وما أهداه لي من المسار من كل حديث هو لعين الفخر قره وفي وجه دهم الليالي غره ألفاظه تضحك على ثغور الانوار الضاحكة لبكاء الامطار أنشدني له بعض الادباء

وبدر لاح من تحت السلاهم * يقول لكل قلب قد سلاهم
لئن خشنت ملابسه عليه * فقد خشنت على الورد الكمائم

السلاهم جمع سلهامة وهي بلغة أهل المغرب برنس أبيض خشن وأنشدني عبد العزيز الثعالبي شعرا له في القمر منه

دع ذا وقل للناس ما طارق * يطرقهم جهرا ولا يتقي
ليس له روح على أنه * يركب ظهر الادهم الابلق
شيخ رأى آدم في عصره * وهو الى الآن بخد نقي
وهو بوسط البحر مع قومه * لا ينثني عن نهجه الضيق
هذا ويمشي الارض في ليلة * أعجب به من موثق مطلق
فتارة ينزل تحت الثرى * وتارة وسط السما يرتقي
وتارة يبصر في مغرب * وتارة يبصر في مشرق
وتارة تبصره سابحا * يجري بشاطىء البحر كالزورق
وتارة تحسبه وهو في * ضعفه والبعض منه بقي
ذبابة من صارم مرهف * بارزة من جفنه المطبق
يدنو الى عرس بها حسنها * يختطف الابصار بالرونق
حتى اذا جامعها يرتدي * بحلة سوداء كالمحرق
وهو على عادته دائما * يجامع الانثى ولا يلتقي
ثم يجوب القفر من أجلها * مشتملا في مطرف أزرق
حتى اذا قابلها ثانيا * تشكه بالرمح في المفرق
وبعد ذا تلبسه خلعة * يا حسنها في لونها المونق

جسمه من ذهب جامد * وجلده صيغ من الزئبق
ثم يرى فى حال اتمامه * مثل مجن الحرب الملتقى
وهو اذا أبصرته هكذا * أحسن من صاحبة المفرق

وقد نسب هذا لغيره

(السيد عبد الهادى الفاسى) أديب تجتنى منه الالباب يانع ثمراتها وسماء لم تخرج بدور كمالها عن هالاتها فرع من شجرة النبوه المسقية بماء الوحى والفتوه فعلا وسما فأصله ثابت وفرعه فى السما قطرازه مذهب على كم المجد لانه من ذؤابة تنوس بين تهامة ونجد عقد على صدر المناقب العليه وتاج معقود برأس العصابة العلويه

تولد بين المصطفى ووصيه * ولا غرو أن تزكو هناك الغرائس

شمامة فى يد الادب وريحانة من رياحين العرب لم تزل سيارة المسائل تلقط أخباره وركبان الاخبار تتزود وتمتار أشعاره فمما أنشدنى له الاديب محمد الفاسى

اذا مارمت نصح الناس طرا * تحر المقبلين ذوى الاياب
فلا تسمع سوى من كان حيا * والا لاخراج على خراب

(السيد يحيى القرطبى) هو فيما بلغنى روض مخصب ربيع من واد بالفضل مريع من فروع الدوحة العلية العلوية وثمرات تلك الشجرة النبوية الباسقة بما سقاها من ماء الندى والمورقة المثمرة بالعلم والهدى

نجار لوان الشمس تكسى سناءه * لما غشيتها المظلمات الدوامس

أسر بالاندلس فى وقعة أسرت أفراح القلوب وشقت قلوب المؤمنين قبل الجيوب فأصبح فى حال تعد المنايا أمانيا ويرى لضعف الدين الموت طبيبا شافيا اذ عثرت خيول الفتن بالنقم بذوى المروءة والنعم فأرسل قصيدة نعى بها الاسلام ونادى ملوك الروم وعلماءها الاعلام فلم يجد بها صفيا يقول له لقد أسمعت لو ناديت حيا وذلك فى عهد السلطان سليمان الذى دخل فى خبر كان وهى هذه

لكل شئ اذا ما تم نقصان * فلا يغر بطيب العيش انسان
هى الامور كما شاهدتها دول * من سره زمن ساءته أزمان
وعالم الكون لا تبقى محاسنه * ولا يدوم على حال لها شان
يمزق الدهر حتما كل سابغة * اذا نبت مشرفيات وخرصان

ويتنضى

وينتضى كل سيف للفناء ولو * كان ابن ذى يزن والغمد غمدان
أين الملوك ذوو التيجان من يمن * وأين منهم أكاليل وتيجان
وأين ما شاده شداد من ارم * وأين ما ساسه فى الفرس ساسان
وأين ما حازه قارون من ذهب * وأين عاد وشداد وقحطان
أتى على الكل أمر لا مرد له * حتى قضوا فكأن الكل ما كانوا
وصار ما كان من ملك ومن ملك * كما حكى عن خيال الطيف وسنان
دار الزمان على دارا وقاتله * وأم كسرى فما آواه ايوان
كأنما الصعب لم يسهل له سبب * يوما ولم يملك الدنيا سليمان
فجائع الدهر أنواع منوّعة * وللزمان مسرات وأحزان
وللمصائب سلوان يهونها * وما لما حل بالاسلام سلوان
دهى الجزيرة خطب لا عزاء له * هوى له أحد وانهد ثهلان
أصابها العين فى الاسلام فامتحنت * حتى خلت منه أقطار وبلدان
فسل بلنسية ما شأن مرسية * وأين قرطبة أم أين جيان
وأين حمص وما تحويه من نزه * ونهرها العذب فياض وملآن
كذا طليطلة دار العلوم فكم * من فاضل قد سما فيها له شان
وأين غرناطة دار الجهاد وكم * أسد بها وهم فى الحرب عقبان
وأين حمراؤها العليا وزخرفها * كأنها من جنان الخلد عدنان
قواعد كن أركان البلاد فما * عسى البقاء اذا لم تبق أركان
والماء يجرى بساحات القصور بها * قد حف جدولها زهر وريحان
ونهرها العذب يحكى فى تسلسله * سيوف هند لها فى الجو لمعان
وأين جامعها المشهور كم تليت * فى كل وقت به آى وفرقان
وعالم كان فيه للجهول هدى * مدرس وله فى العلم تبيان
وعابد خاضع لله مبتهل * والدمع منه على الخدين طوفان
وأين مالقة مرسى المراكب كم * أرست بساحتها فلك وغربان
وكم بداخلها من شاعر فطن * وذى فنون له حذق وتبيان
وكم بخارجها من منزه فرج * وجنة حولها نهر وبستان

وأين جارتها الزهرا وقبتها * وأين ياقوم أبطال وفرسان
وأين بسطة دار الزعفران فهل * رأى شبيهها الباقى الحسن انسان
وكم شجاع زعيم فى الوغى بطل * بداله فى العدا فتك وامعان
كم جدلت يده من كافر فغدا * تبكيه من أرضه أهل وولدان
ووادياً من غدت بالكفر عامرة * ورد توحيدها شرك وطغيان
كذا المرية دار الصالحين فكم * قطب بها علم غوث ماله شان
تبكى الحنيفية البيضاء من أسف * كما بكى لفراق الالف هيمان
حتى المحاريب تبكى وهى جامدة * حتى المنابر تبكى وهى عيدان
على ديار من الاسلام خالية * قد أقفرت ولها بالكفر عمران
حيث المساجد قد أمست كنائس ما * بهن الا نواقيس وصلبان
ياغافلا وله فى الدهر موعظة * ان كنت فى سنة فالدهر يقظان
وماشيا مرحا يلهيه موطنه * أبعد حمص تغر المرء أوطان
تلك المصيبة آنست ماتقدمها * ومالها مع طويل الدهر نسيان
ياراكبين عتاق الخيل ضامرة * كأنها فى مجال السبق عقبان
وحاملين سيوف الهند مرهفة * كأنها فى ظلام الليل نيران
وراتعين وراء النهر من دعة * لهم بأوطانهم عز وسلطان
أعندكم نبأ من أمر أندلس * فقد سرى بحديث القوم ركبان
كم يستغيث صناديد الرجال وهم * أسرى وقتلى فلا يهتز انسان
ماذا التقاطع فى الاسلام بينكم * وأنتم ياعباد الله اخوان
الا نفوس أبيات لها همم * أما على الخير أنصار وأعوان
يامن لنصرة قوم قسموا فرقا * سطا عليهم بها كفر وطغيان
بالامس كانوا ملوكا فى منازلهم * واليوم هم فى قيود الكفر عبدان
فلو تراهم حيارى لادليل لهم * عليهم من ثياب الذل ألوان
فلو رأيت بكاهم عند بيعهم * لهالك الامر واستهوتك أحزان
يارب طفل وأم حيل بينهما * كما تفرق أرواح وأبدان
وطفلة مارأتها الشمس بارزة * كأنما هى ياقوت ومرجان

يقودها

يقودها العلج عند السبي صاغرة * والعين باكية والقلب حيران
لمثل هذا يذوب القلب من كمد * ان كان في القلب اسلام وايمان
هل للجهاد بها من طالب فلقد * تزخرفت جنة المأوى لها شان
وأشرف الحور والولدان من غرف * فازت لعمري بهذا الخير شجعان
ثم الصلاة على المختار من مضر * ماهب ريح الصبا واهتز أغصان

(فصل) هنالك تسكب العبرات لتطفئ نيران الحسرات فهذه الاندلس دار الاسلام ملكها الكفار وبدل نورها بالظلام وجوامعها صارت كنائس وأسودها لكلاب الكفرة فرائس وجامع قرطبة الكبير مملوء بالكتب مسدود الباب ومأوى للحشرات ومرقد للكلاب وأسطول الروم ينفق عليه الاموال فتخرج رؤساؤهم بعدد الحرب والرجال ويأخذون الجزية من فقراء المسلمين فاذا عادوا عدوا أنفسهم غزاة غانمين ولولا أهل الغرب والجزائر لم يكن للدين معين ولا ناصر وقد سلط الله عليهم بني الاصفر فصار عيشهم أسود بالموت الاحمر وسلط على قسطنطينية دوام الطاعون الجارف فقلوبهم راجفة وعيونهم بالدماء ذوارف وترى حريق تلك الديار لا يخمد في ليل ولا نهار لما بها من ظلمة الوزرا وأغاليط علمائها سوء وقضاة عم جهلهم سائر الورى

لعمرك قد عم الحريق ببلدة * بها علماء الروم في الجهل والعمى
ومن مالك وافى رسول حريقهم * دعاهم الى نار الجحيم جهنما
فقال اقفلوها واقبضوا أجرة لها * فان هدمت يبنى بها ما تهدما
فطالبهم خزانها بوقودها * وما صرفوه في زمان تقدما
فافتاهم المفتي بأن ضمانه * عليهم وان الغرم للبطء مغنما
ومن كثرة الدين المحيط عالهم * أباح رشا قد كان رب حرما

فهذه انذارات ثلاث جرت عادة الله بعدها بالخراب واستئصال من بها بأشد العذاب والعقاب كما قال الله تعالى واذا أردنا أن نهلك قرية أمرنا مترفيها ففسقوا فيها فحق عليها القول فدمرناها تدميرا وهذا المعنى في الحريق ظننت اني لم أسبق اليه ثم رأيته في شعر ابي الحسن المنجم حيث قال

أقول وقد عاينت دار ابن صورة * وللنار فيها مارج يتضرم

كذا كل مال أصله من نهاوش * فعما قليل فى نهابر يغرم
وما هو الا كافر طال حبسه * فجاءته لما استبطأته جهنم

ومنه قول الآخر فيمن انكسرت يده

قالوا فلان على ما فيه من عبر * قد أصبحت يده مذمومة الأثر
تأخرا قطع عنها وهى سارقة * فجاءها الكسر يستقصى عن الخبر

وقوله يستقصى الخ فيه لطف يعرفه من له سهم من الادب

ذكر مكة المشرفة ومن بحماها صانها الله وحماها وزادها تشريفا وتكريما وتعظيما لما امتطيت مطايا الهمم ووجهت وجه عزمى الى قبلة الأمم ورعيت بالاحداق حدائق تلك المسارح وقد سالت باعناق المطى الاباطح فى وفد ركب عزمهم غارب السرى وامتطى وهدتهم النجب الى أودية يضل فيها القطا فقطعوا امهامه وأطلال يخاف أن يسرى بها طيف الخيال فكم لاحت جداول موارد النوق جسورها وسارت بهم سفائن السراب بحورها فكأنها أشجار يحركها صبا الاسحار تسقيها من السرى غمائمه وتزهو على نور الحدود كمائمه بليل يتعاطى فيه الركب من خمر النعاس راحا لم تذق نشأتها من راشف كاس والشمال تحدوهم بمسكى الانفاس والسماء حديقة نرجس بين ريحان وآس حتى التقط كف الصباح زهور زهره وقطفت بنفسج الظلماء راحة فجره ووردسرحانه غدير الاصباح ونادى القمرى على منار الدوح حى على الفلاح ولم أزل أدأب فى التسيار الى ان نفضت عن منكب المشقة غبار الاسفار فنزلت بجوار بيت الله الحرام وتطيبت بعسك تراب الحطيم والمقام وقلت

بمكة لى غناء ليس يفنى * جوار الله والبيت المعظم

ففيها كيمياء سعادة قد ظفرت بها من الحجر المكرم فلما أفضت من تلك المناسك بتلك البقاع طفت بها بل بالمسرة طواف الوداع وخرجت من أحب البلاد والله لا يدعو الى داره الامن استخلصه من العباد

وما درى البيت أنى بعد فرقته * ما سرت من حرم الا الى حرم

قاصدا طيبة المطيبة واردا موارد آمالى المستعذبه

وقد قيل فى زرق العيون شامة * وعندى أن اليمن فى عينها الزرقا

فكلما سرى فى الصبا نسر بطاحها وددت لو أعارتنى العقاب خفاف جناحها الى أن

لمعت أنوار الهدى من سماء العلى وقباب الحمى

لهبط الوحى حقا ترحل الكتب * وعندهذا المرجى ينتهى الطلب

فنزلت أعتنق الاراك مسلما وكدت ألثم أخفاف الرواحل اذ أوصلتنى الى أعذب المناهل ولم أقل على قلق الوضين أشرق بدم الوتين

فاذا المطى بنا بلغن محمدا * فظهورهن على الرجال حرام

قربننا من خير من وطئ الثرى * فلها علينا حرمة وذمام

فحللت فى أربع مقام تفاخر فيه الرؤس الاقدام ويشهد نشر المسك بفضل غباره وتقر الجواهر بانها دون حصاه فضلا عن أحجاره (وفاخرت الشهب الحصى والجنادل) فلذا صح رمى الجمار بحصباتها الصغار ولم يصح بالجواهر والدرر وماذاك الالشرف خصه بها خالق القوى والقدر فنزهت عيون أملى فى روضة ذات أنوار وعلمت وهى من رياض الجنة انى لا أدخل بعدها النار وأنا الآن منتظر لألطاف ربى وهو فى كل الامور حسبى أن يعيدنى لجواره واجتلاء نور حبيبه ومختاره به اليه متوسلا وفى نيل رجاءى متوكلا لامتا كلا وقد تأملت دعوة أبى الانبياء ابراهيم وقوله واجعل أفئدة من الناس تهوى اليهم اذ لم يقل اجعل الناس تهوى اليهم لان المراد أن الشوق يجذبهم اليه ويعلق مشكاة قلوبهم بسلاسل أنواره حتى يراهم بغير اختياره له متوجهين وهم على تحمل المشاق بوعثاء السفر غير متضجرين

كأنما هو مغناطيس أنفسنا * فحيثما كان دارت نحوه الصور

ولذا جعل الطائف البيت على يساره لان القلب فى جهة اليسار وقد كان قبل الوصول مائلا اليه فلما وصل دام على ما كان عليه كما قلت

قل لمن لام على سعيى له * قصر اللوم وان شئت لم

من أتى قلبى اليه ساعيا * كيف لا يسعى اليه قدمى

(ذكر الدولة الحسينية ومن بها من بقية العلماء والشعراء والاعيان)

هو بيت أسست عمده على الخلافة وقطرت من شعب شجرته مياه اللطافه وغرست بين أثلاث المجد أعواده فاستراحت عنده الآمال وتعبت حساده قصر معال يرد الطرف كليلا ونسيم الشمال عليلا (أعلى الممالك ما يبنى على الاسل) فهو سور الخطوب وخليفة أخلاق الصبا والجنوب تقصد بتحف المدائح فيشترونها بنقد

المسائح فعندهم محط الركبان من الاطراف وربع المحامد متجر الاشراف فاذا كان الدهر قاتم الاعماق مسود النواحى فوجوههم نجومى ووضاح غررهم صباحى فكم راضوا الزمن بعد الحران فأصبح سهل القياد رخى العنان تحلى بذكرهم الافواه ويفوح نشر الطيب خالطته الافواه وغررهم فى جباه الليالى والايام يعجز عن وصفها أفواه الدوى وألسنة الاقلام فى سماء معال ماء مجرتها مورود ينبت فى حافاته شقائق الشقيق متورد الخدود فاكتحلت بالسحر مقلة دياجيها وقلدت بجواهر النجوم لبات لياليها الى ان أديت أمانة المسلك الى (ابى غنى بن بركات) فوطات منه على رياض الحرمين سحائب البركات وله شعر بليغ نغماته ذكية وفصاحته علية علوية كقوله فى المقام اليوسفى بمصر والأداهم أحجال رالقيود كما قيل خلاخيل الرجال وقد لمع برق الحجاز فكاد يطير شوقا لحى حجبه النوى والهجاز

مايلمع البرق من تلقاد يارهم * الاولى مدمع بالسفح هطال
والله لولا قيود فى قوائمها * من الجميل وفى الاعناق أغلال
لكان لى فى بلاد الله متسع * وفى الملوك لبانات وآمال
لى حرمة البيت والجار القديم ومن * أتاكم وكهول الحى أطفال
أتيتكم فى جلابيب الصبا قشب * فكيف أرحل عنكم وهى أغال

وفى البيت الاخير معنى لطيف وهو كقولى

تالله مافارقت لى وطنا به * بردجررت من الشبيبة زاهى
الا لأنى أستحى من رده * خلقا أرقعه بعذر واهى

ومن فحول شعرائه المطلين جيد محبتهم بطوق ولائه

(شهاب الدين أحمد الفيومى) أديب اتسق من جواهر كلامه أكاليل درما المنظومها سلك وجرى مياه البلاغة فى رياض نظامه فذابت كذوب التبر أخلصه السبك اذا امتد خطوه الى المجد وكرم الحيم فهو أسرع من رجيع يد الذئب وأوسع من خطو الظليم جمعت له الحظوظ من تلادها وهادها وقيدت له القلوب بأزمة ودادها وأنشده يوما قصيدة بائية امتدحه بها فلما وصل الى قوله فيها

يهتز من تحت السلاح كأنه * ريحانة لعبت بها ريح الصبا

جثى على ركبتيه ووثب وتطاير من احداقه شرر الغضب وكاد أن يكلمه بألسنة السيوف ويخلع عليه خلعة حمراء بلا أزرار فصلتها يد الحتوف فلما قال بعده

في كل منبت شعرة من جسمه * أسد يمد الى الفريسة مخلبا

قال عفوت عما فات أولئك يبدل الله سيئاتهم حسنات وديوان شعره مشهور ودر براعته في نادي الادب منثور ولما ارتحل الى القاهره قال متشوقا بأم القرى معاهده ومآثره

يا رب لا وصل ولا سلوة * لا زورة من طيفهم لا لقا

ان لم يكن في وصلهم مطمع * فلا تعذب مهجتي بالبقا

وله فيه مدائح عديمة الامثال سائرة في الآفاق سير الامثال منها قصيدته التي عارض بها قصيدة صفي الدين الحلي التي مطلعها

أذاب التبر في كأس اللجين * رشا بالراح مخضوب اليدين

(وأولها) بدت فأرتك شمس الطالعين * فتاة أسهرت بالمطل عيني

وعلى منوالها قصيدة الشهاب المنصوري أحد الشهب السبعة وأولها

بكيتك يا غزال الاجرعيني * وقد بحت عليك الاجرعيني

(ومن شعره قوله مضمنا)

لقد عذلت فلان الدين حين علا * عليه عبد فقال أقلل من العذل

فان علاني من دوني فلا عجب * لي أسوة بانحطاط الشمس عن زحل

(وله أيضا) أواخر الحمر فيها * على الاوائل فضل

تمر دورا فدورا * وكلما مر يحلو

(وله فيمن اسمه حسين)

تركت جفني واصلا والكرا * راء الجد بالوصل فالوصل زين

ولا تجبني عن سؤالي بلا * فالقلب يخشى كرب لا يا حسين

وفي قوله زين ايهام غير زين لان العامة تقول في حروف الهجاء زين بمعنى زاى والصحيح فيها زاء بالمد والقصر ويقال زى بزنة كى كما قاله ابن جني وأما هذه فتحريف قبيح وله أيضا

ج للبيت اختلاسا * وفساد اللانام

مذرآه الناس قالوا * حج للبيت الحرام

﴿السيد حسن بن أبي نمي﴾ ثم خلفه ابنه حسن ومن حديث مناقبه مستفيض حسن (وما محاسن شيء كله حسن) فقد سارت بمآثره الركبان وتحلى بذكره كل لسان

فالحل يعرفه والحرم والمجد ينطق بمحامده والكرم

وانما المرء حديث بعده * فكن حديثا حسنا لمن وعى

فقد خفقت في الخافقين رايات مكارمه ونصبت على أعلام كأنها بين معالمه وسرت سحائب كرمه ولها من غرته بريق وتفرقت أنهار جوده في كل فريق حتى طفت على هضبات العذيب والعقيق وله فصل قضاء علوى حل بين الرفق والباس وأيس عن ادراك حدسه فيه اياس بين حماسة وسماحه وفصاحة وصباحه

اذا ان قوما بالمناقب واصف * ذكرنا له فضلا يزين المناقبا

وجلالة هيبة لا تريد حاجبا وشيم شم لو تجسمت كانت بوجه الدهر عينا وحاجبا فكم أورد النجيع سيفه المجرد عن العلائق وأصدره ناثرا على غدير لامته من الدماء شقائق من فتية اذا اتصافحوا بالصفاح تهللت ضاحكة بالنجيع ثغور الجراح

حليم اذا ما الحلم فك حزامه * وقوف ولو كان الوقوف على جمر

مع محاضرات لو سمع بها الراغب سعى لها راغبا وأبكار أفكار لا يكافئها الا من كان بمتاع الحياة خاطبا

ماعذر من ضربت به أعراقه * حتى بلغن الى النبي محمد

أن لا يمد الى المكارم باعه * وينال غايات العلا والسودد

متخلقا حتى تكون ذيوله * أبد الزمان عمائما للفرقد

بلغني أن بعض بني عمه وردنديه جار الذيل التيه والحمية الهاشميه فتصدر عليه شخص في ذلك النادي فتجعدت أسارير وسيف حدته من غمد التصبر بادي فالمافطن لذلك قال انه ليقودني زمام العجب ويهز عطف أريحيتي ساعد الطرب بقصيدة المتنبي التي أولها

فؤاد ماتسليه المدام * وعمر مثل ماتهب اللئام

فتسلى بذلك وتعلل وتبسم وجه مسرته بعد القطوب وتهلل اذ فهم تلويحه لقوله فيها

ولو كان المكان له علو * لطار الجيش والمحط القتام

وفى معناقولى من فصل لو كان الشرف بالمكان ماانحطت النار ولا الدخان وقولى من قصيدة

لم أدريوم الحرب هل ثار الثرى * أم خيمة نصبت عليه وقدسرى
أم ناله شرف عس تعاله * فعلا روس عداه حين تكبرا
أم راح مشتكيا الى خلاقه * دوس الجياد عليه حتى ينصرا

ومما يحسن ايراده هنا قول أحمد المعرى

قل للرئيس أبى محمد الرضى * قول امرء أبلاه حسن بلاء
من حول بركتك البهية سادة السعلماء والفضلاء والرؤساء
لو أنصفوك رهم قيام أشبهت * أشخاصهم أمثالها فى الماء

﴿ومنه أخذ الارجانى قوله﴾

هذا الزمان على ما فيه من كدر * يحكى انقلاب لياليه باهليه
غدير ماء ترا أى فى أسافله * خيال قوم تمشوا فى نواحيه
فالرجل تنظر مرفوعا أسافلها * والرأس ينظر منكوسا أعاليه

وقوله على ما فيه من كدر من حشو اللوزنيج أما ترى قول المعرى

والخل كالماء يبدى لى ضمائره * مع الصفاء ويخفيها مع الكدر

﴿وأحسن من هذا كله قولى﴾

خليلى ذى الدنيا الدنية لم تزل * تعادى فتى حر اشريف المناقب
أسافلها تعلو أعاليها كما * يراه لبيب عارف بالعواقب
اذا صورت للناس معكوسة بدت * فلا تعجبن والدهر بحر العجائب

عودا الى سيرة ابن سيد الناس الذى تسير الصبا بعبير لطفه طيبة الانفاس كنت قبل أن تعرى أفراس الصبا ويتفرق شمل الايام أيدى سبا لما ارتحلت مع والدى لذلك المعهد لنجتلى وجه المليحة فى الخمار الاسود رأيته وقد ابيض عنبر لته وثقب الشيب مغفر هامته وقد علا هام الستين وترقى شرف السبعين

وان امرأ قد سار سبعين حجة * الى منهل من ورده لقريب

مشمرا لمضاضها واقفا على حياضها بفكرة ما كانت النسران تحمد لو زفت بعض ذكائها وبكر همة اذا جليت لا يعد غير المجد من أكفائها قد قلمت يد عزائمه أظفار

الخطوب وكادت لا تطأ الحرم بغير اذنه الصبا والجنوب يسوق لاعدائه جنود الحتوف ويرى وجودهم ذنبا لا يعتذر عنه غير ألسنة السيوف فكل حدث صدر منهم وحدث لا يرفعه الا التيمم بتراب الجدث

ولى صوارمه تكذيب قولهم * فهن ألسنة أفواهها القمم

اذا تربع رأيه فى نادواحتبى قامت بين يديه الهمم وحلت الحبى يضطرب لهيبته اذهبت رياح النصر سمر ارماح وسالت بسوابح الجرد وأعناق المطايا الوهاد والبطاح وكان من سنة سلفه ومن خلفهم من خير خلفه أن يقدم للامامة من قدمته الايام وفى المثل أكبر منك بيوم أعرف منك بعام وكان يليه سنا ذو الرأى الصائب أغر السعد والوجه والمناقب

(أخوه السيد الاجل نقبة) من لو وجه لدرالكواكب سنان همته نقبه ومشكاة بصيرته مشرقة بنور اليقين وكلامه ينثر على الفصاحة نثار الجوهر الثمين وكل من نسله يحدث نفسه بالامامه وأن يتلو فى صحفها آيات مجده أمامه فنهم من جعل لذلك وسيلته الدخول فى حواشيه ومصاهرته ولسان حاله ينادى فيما يبدى و يعيد مالنا فى بناتك من حق وانك لتعلم ما نريد فلما برع (حسين) وترعرع ولبس لامة النجابة وتدرع وهو بحر نوال أمواجه الهمم وروض سيادة الفخر والكرم لم يزل يرسل له هدايا وتحف ويتضرع له بعودة بأنواع الخلوص تحف فقال له والده يوما فى أثناء الكلام ائذن لحسين فى أن يلى الرفادة فى هذا العام فقال له تريد أن تضيف السباع وهذه ضباع المخنى جياع فلما علم ما فى هذه الكنايه صرع من النكايه صرح اليأس بجوابه وهجم على قلبه هم أحل تباريح الجوى به فرجع بخفى حنين وشاهد منه كربلاء حسين حتى ذاق بسيف الحسرة طعم الشهاده ولبس عليه الدهر من دياجيه حداده فسقى قبره ريق الغوادى الباسمة البروق وان كان فيه بحر كرم يعذب فى أفواه الامانى ويروق ثم نهض أخوه (مسعود) على قدمه طالع ابدره المسعود بين نجوم أتباعه وخدمه وهو اذ ذاك فى المعرفة علم وفى طريق المجد ثبت القلب ثابت القدم يتبسم لغرته وجه النهار ويناجيه السعد عما فى ضمائره من الاسرار وله حسنات شعر ما خط فى مجموع الدهر مثلها ولا سجعت ورق الفصاحة بلحنة فى ذؤابة هاشمية قبلها ومسعود لو مس عودا بسعده أورق لما جال فى بشر محياه من ماء الندا وترقرق مع

شجاعة يرتعد لها الاسد والاسل ويعد الطعن فى الهيجاء كالقبل كما قلت فيه

قوم غزوتهم رأيت جسومهم * مقلا لهن اشارة المتكلم
من كل مقلة طعنة نجلاء مذ * نظرت فراق الروح تبكى بالدم
رمدت فكحلها مراود سمره * من اثمد النقع المثار المظلم
وكأنما رمدت لخوف قواضب * صلت فتسجد وهى ذات تيمم

فلم يزل يخطب من الملك كواعب أبكاره حتى أدركه الغرق فى حياض عمائه المترعة من بحار أفكاره فاردى بسواحل شعوب وأنشدته الحال بلسان الخطوب (عياء به مات المحبوب من قبل) فبلغ فى سفينة أمله وفاته وسبقه الاجل كما سبق السيف العذل وفاته فرأيت جنازته والدموع حوله طوفان وقد أرست سفينة تابوته على جودى الفناء والاحزان فلما بدل الامنية بالمنيه وسقاه الدهر كأس المنون ربه قام مقامه

(أبو طالب) مترشحا الامرها مترقبا بعد موت ثقبة لاجتلاء بدرها وكان قبل لا يرد موردا من مناهل آماله الاوقد غص بقذى رقبائه وعذاله

لم ترد ماء حسنك العين الا * شرقت قبل ريها برقيب

فاراد والده أن يقلده بصارمها ويجعل هياكل جياده فى أجيادها مقام تمائمها فارسل الامير بهرام قرطا يستسقى له ماء المرام وهو منتظر لها انتظار ليلة القدر راجيا أن يحل منها محل القلب من الصدر فنثر على ذلك الرسول جواهر الاحسان والقبول وأهدى له مع كتاب العهد خلعا حسان أزهى مما توشحت به معاطف الكثبان وألبسته عطايا الربيع قدود الاغصان فكان كما قيل

قرت عيون المجد والفخر * بخلعة الشمس على البدر
زر عليه الملك فضفاضها * واغماز رعلى البحر
ماهو انعام ولكنه * ماخلع الغيث على الزهر

فافيضت عليه خلعة معلمه وأصبحت قلائد الجود فى جيد السيادة منتظمه مما تقر به عين الزهرا ويرفع الله به لآل البيت ذكرا وأمره بالدهر عابث وأغصان المنابر باسمه مورقة أثاثت وأمطر عليه عهاد الكرم وسميا ووليا وتلا منشوره المعرب عن أنه أصبح لابيه وليا فتبوأ صدر الخلافة والجلاله وورثها عن أبيه حيا لا عن كلاله فاقر بعهده

لسانا السيف والقلم ونودي هـذا الذي تعرف البطحاء وطأته والحل والحرم قام فطاف بالبيت شكرا لذلك الانعام الجسيم فكاد يمسكه عرفان راحته لما استلم الركن والحطيم وصورة منشوره وهو مما أنشأته بأمر رئيس الكتاب الحمد لله الذي نشر على الخافقين أعلام عدله وزين حلل الوجود بجوده وفضله ونشكره شكرا تطوف وفود الاخلاص حول كعبته وتقصر الفصاحة بعد التحليق في أفق البلاغة عن أن تكون مزدلفة من شكر نعمته وتسجد له الاقلام في كعبة الطرس المكسوّ بسواد مداده وتسعى للصفي في مواقف اصداره وايراده وصلاة الصلاة المسكية النسيم العنبرية الشميم تتوالى توالي القطر المكرر على تلك الاقطار والمثوى الذي ترابه اثمد البصائر والابصار

حياك يا تربة الهادي الرسول حيا * بمنطق الرعد باد من فم السحب
ضممت أعظم من يدعى بأعظم من * يسعى اليه أخو فضل ولم يخب
وحزت أوضح من يهدي وأفصح من * يبدي وأربح من يعزى الى نسب

محمد المرسل بكتاب تمسك باهداب سحر البلاغة والايجاز واستوثق دون بلغاء العرب بعرى الاعجاز فرمى قلوب المعارضين بجمراته وكحل بصائر المطيعين بميل الهداية فاقروا ببينات آياته وعلى آله وصحبه وجنده وحزبه أولياء عهده والخلفاء من بعده ما حدث صوارم البروق من اغماد الغمائم وسرى نسيم نجد فابتسمت له ثغور النور في الكمائم هذا وقد أظهر الله عز سلطانه كنز سره المكنون بقوله ولقد كتبنا في الزبور من بعد الذكر أن الارض يرثها عبادي الصالحون فعلم به سر الامر في قوله أطيعوا الله وأطيعوا الرسول وأولي الامر فانه ليس بعد النبوة والرسالة الامراتب الصلاح ولهذا كانت الرعايا بلا سلطان كالاجسام بلا أرواح وما الشريعة الا روضة زاهية الثمار متفتحة الانوار تجري من تحتها الانهار والسلطان متعهدها بالحراسة يحميها من كل جان بشوكة السياسه واذا كان ظل الله في أرضه وشمسه المتضح بأنوار سنن سنته وفرضه فعلى من طلعت عليه الشمس أن يجنح لظله ويفيء في دوحة احسانه وفضله فانه الشمس الذي تضيء بدور الكواكب بأنواره والبحر الذي تستمد جداول الامراء من أنهاره والسماء الذي تمنطق الجوزاء لخدمته ويخاف الاسد أن يمد اليها يد سطوته والجنة التي تحت ظلال السيوف والمتقرب اليه بمحاسن الاعمال

والمستجار بعين الصروف والحرم الذى يأمن فيه الخائف وكعبة اللطائف البادية لكل طائف والربيع الذى اعتدلت أيامه بالعدالة فصدحت حمائم الثناء على أغصانها الميادة المياله

وتهتز أعواد المنابر باسمه * فهل ذكرت أيامها وهى أغصان

ومما ينبغى أن يرسم فى صحائف الافكار ويجعل طرازا على كعبة المحاسن والآثار انه من أهم مايتم به من جعل الحجى زيه خدمة طيبة الطيبة ومكة المشرف بها سائر الاقطار الحجازية معدن جوهر النبوه ومهبط آيات الوحى المتلوه ومشرق شموس الانوار المحمديه ومظهر الآثار العلوية العليه ومثوى من شرف الله به نوع الانسان والانموذج الذى صاغه الله تعالى للجنان كما ورد فى السنة مابين قبرى ومنبرى روضة من رياض الجنه وكذلك أول بيت وضع للناس وأسس على التقوى منه الاساس

كأنما هو مغناطيس أنفسنا * فحيثما كان دارت نحوه الصور

وكان أولى مايقلده الانسان عقود جواهر الاحسان ويجتهد فى تقليده وتأبيده تأبيده ويتوجه بتاج التكريم ويعممه بحلل التبجيل والتعظيم ويجزل الصلة لجنابه الموصول ويضمر له فى القلوب القبول بدور فلك السعاده وصدور مسند السياده السادة الاجلاء الاشراف فخر آل عبد مناف وكيف لايزدادون حبا بعد قوله قل لاأسئلكم عليه أجرا الا المودة فى القربى

كل من لم يرفرضاحبهم * فهو فى النار وان صلى وصاما

وبالجملة فان مادحهم كمن قال للاسد ماأشد شجاعتك وللبحر المحيط ماأوسع ساحتك لاسيما طود المجد الشامخ المنيف المرفوع عليه علم العز والنسب الشريف تاج هامة بنى الحسن والحسين الجناب العالى مغرس ثمرات المعانى والمعالى العريق الحسيب الاصيل النسيب ذخر الانام فخر الليالى والايام زهرة الشجرة العلوية فرع الدوحة النبوية

اذا وجهه أو رأيه أو فعاله * تبلجن فى ليل تجلت غياهبه

صارم الخليفة المغمد فى رقاب أعدائه ورحمته الممطرة درر سحابها على أوليائه الحسن الذات والصفات

(أبو المحاسن حسن بن أبى نمى بن بركات) أيده الله بنصر لايبلى جديده ولا

تنتثر بيدا لحوادث عقوده آمين وقد وردمن جنابه رسول تلقاه من سدتنا نسيم القبول اذجاب الفيافي من حزنها وسهلها وأدى الأمانات الى أهلها وكان كالميل سالك بين الجفون فأجاد ومتع العيون باثمد الصلاح والسداد ومعه منشور أرق من نسيم السحر معرب عن العين بالأثر فأخبر أن مرسله أراد الفراغ وما على الرسول الا البلاغ وتضمن منشوره المذكور أنه أراد الاستراحة من نصب المناصب والتقاعد عما بها من المراتب رغبة عن زخرف الحياة الى خدمة سيده ومولاه وان نجله النجيب الجليل الحسيب الأصيل الناشئ في حجر الشرف الباهر المستخرج من أكرم العناصر ليث غابة بيض الصفاح رعمر العسالة الرماح عليه أمارة الامارة ومخايل النجابة والصداره

باغ السيادة في ابتدا شبابه * ان الشباب مطية للسودد

سأل أن يقلده صارم امارة تلك الديار وما يتبعها من البلدان والاقطار على ما جرت عليه عادة سلفه الذى سلف وقانون من خلفهم من الخلف فأجبناه الى مرامه ومراده وأمددناه باسعافه واسعاده لانه انتزع صارمها من يده الاخرى وجعل خاتمها بعد عن اليمنى في يسار اليسرى فسارت الامارة من حرم الى حرم ولم تخرج من جيران نجد وذى سلم فعليه بعدما خلعناعليه حللا تأنق واشيها ورقت على نسيج وحده حواشيها ونظرنا اليه بنظرنا الذى هو اكسير أن يحسن في العمل والتدبير وينظر الى الرعايا بعين الرعايه ويصونهم عن أهل الضلالة والغوايه ويؤمن تلك المناسك ويحرس تلك المسالك ويختار من قومه من يحرس أطرافها من العدا ويحميها من كل قاصر في فعله اعتدى ويبطل ما فيها من المكوس والمظالم ويقيم الحدود على مستحقيها من كل باغ وظالم ليخلد في صحائف تلك البلاد الحسنات ويمحو ما فيها من آثار السيآت ويتصرف في بندر جدة على العهد القديم ومن جاور ذلك المقام فليسعفه بالنعيم المقيم ومن يرد فيه بالحاد بظلم نذقه من عذاب أليم ويحرس الوافدين الى ذلك البلد الامين لاقامة شعائر الدين ويحمى بحمايته من ورد أو صدر ويحرس موارد هم الصافية من الكدر ويلاحظ ما للخليل عليه الصلاة والسلام من صالح الدعوات في قوله رب اجعل هذ بلدا آمنا وارزق أهله من الثمرات ثم ليعلم كل من كحل بصره باثمد منشورنا الكريم وشنف مسامعه بلآلى لفظه النظيم ممن في دارة تلك الديار أو هالة

تلك الاقطار وانتظم فى سلك سكان القرى والامصار من السادات الكرام والقضاة والحكام وولاة الامور والاعيان والوافدين على تلك الديار والسكان أن امارة تلك المعاهد وما فيها من العساكر وما أحاطت به من الاصاغر والاكابر وسائر الوظائف والمناصب والجهات والمراتب مفوضة الى السيد السند أبى طالب ناظرا بعين الانصاف متجنبا سبيل الاعتساف مصرفا جميع المستحقين بحسن التصريف صارفا من لا يستحق برأيه الشريف وقد أقمناه مقام نفسنا فى ذلك المقام وفوضنا اليه النقض والابرام والعلامة السلطانية حجة لما فيه مرقوم محققة لما فيه من منطوق ومفهوم فليتحقق من وقف على هذا الخطاب ومن عنده علم من الكتاب من أهل مكة زادها الله شرفا وما فى جوارها وطيبة الطيبة طيب الله ثراها وسائر أقطارها وبقية الثغور الباسمة لدولتنا عباسم السرور من حاضرها وباديها أنا أعطينا القوس باريها

فلم تك تصلح الا له * ولم يك يصلح الا لها

سدد الله سهام رأيه فى اغراض الصواب وفتح له بمفاتيح اليسر كل مغلق من الابواب ما سقطت من كف الثريا الخواتم ورقت على منابر الاغصان خطباء الحمائم (والسلام) واذا انتهينا الى هذا المقام فاصغ لما نقصه عليك من عجائب الايام فان المصدور لابد له من نفثه ومن جهده المسير يطلب على الطريق مكثه فاعلم اننا رأينا كل ملك له مبتدأ تظهر فائدته وعائدته فى خبره وانتهاء يقف السعد بعدو رده عند صدر صدره ثم يرجع ماجرى الى قراره فينذر الاقبال بادباره ويعود تدميره فى تدبيره ويقدر صانع القدر أديمه على مقدار تقديره والى الله ترجع الامور وعلى محور الارادة يجرى الفلك ويدور وقد تظهر قبيل آخره فيه قوة فيظهر فرعون طغيانه وعتوه وللشمس زوال اذا ارتفعت وللثمرة سقوط اذا زهت وأينعت وقد يزيد قبل الانطفاء نور المصباح ويحصل للمريض افاقة يسمع بعدها الصياح وتسمى هذه الاطباء النعشة الاخيرة فكم من نعشة تقرب من السقيم نعشه وهذا فى غير الخلافة النبويه فانها باقى الذى لا يموت محميه وقد كان انتهاء صعود الشرف فى الحجاز بالسيد حسن وفى المغرب بمولاى أحمد وفى الروم بالسلطان مراد ونحن الآن لا ندرى مايريد ولامايراد فقد ذهب سليمان وانحلت الشياطين ووقف الرجاء على شفا جرف هار بين قوم مجانين فالجواد دون الحمار المصرى وأبو جهل وعظ الحسن البصرى

فقل بعده للدهر يأتي بصرفه * وقل لليالي افعلي ما بدا لك

(وقلت)

قد جن شيخي وفي الامثال من قدم * ان الشباب جنون برؤه كبره

يارب فاعقد بقولنج له دبرا * حتى يعود عليه بعد ذا ضرره

(قطب الدين المكي النهراوني أصلا ومحتدا) قطب مركز دائرة تلك الاقطار والصدر المستودع لما فيها من الاسرار وهو فاضل جرى في بساتين فضله جداول الآداب وتمسك الشعر منه بأعظم الاسباب فوقف دون مداه ضده وحسوده ومن قيده الكلال لا تنفك قيوده

فذاك كمن جاري جوادا بعقرب * قوائمه مشكولة بعران

فسماء مجده مطالعة لكواكب شعره وزهرة عمره سقيت بماء سروره وبشره تنقطع عند كرمه الآمال وتعجز الاماني ويقصر سالك الالفاظ عن نظم ما فيه من درر المعاني وتقبل أفواه الاقلام لي مداده وتهيم سويداء كل لبيب في سواده وتتفتح عيون الانوار لتشاهد ساطع أنواره وتترنم حمائم الحرم بأسجاعه وأشعاره ويهب نسيم نجد انشخه برقته عليلا ويجرعلى ثراه تيها بعضاها ته له ذيلا بليلا لتغذيه بلبان فصاحة نجد وذي سلم واقتناصه أوابد المعارف بم افاعجب ان حل له الصيد في الحرم وقد شحذ مرهف طبعه بيد الكمال وسن أسنة لسانه فانجلى به فرند سحره الحلال حتى تفيأت فتوى تلك الاقطار ظلال براعته وسالت مسائل المسائل في جياد براعته فكان قطب تلك الدائره وعليه مدار فلك الفضل وبه الامثال سائره فعول أمورها عليه ومنصرف وجوه الاقبال اليه حتى أصبح عاطل حاله حاليا ومرتفع حظه عن وهاد الخمول عاليا فلا يرد مكة أحد من أهل العلم والصلاح الا فياء ظلال الكرم والسماح وهز عطف أمله بنشوة الارتياح الى أن تعدى الاجل من القطب دائرة الامل فدارت عليه رحى المنون وطحنت دقيق أفكاره السنون فدعاه الله لجوار الجنان وتلقاه جدثه بروح رحمة وريحان وطافت بمثواه وفود الغفران وقد نعاه الفضل والكرم وناحت لفراقه حمائم الحرم

حمائم أبلت في الحنين لباسها * فلم يبق منها غير طوق بجيدها

فما تهادته الركبان من شوارده وعلق في كعبة الفصاحة من نتفه وقصائده قوله

أقبل كالغصن حين يهتز * فى حلل دون لطفها الخز
مهفهف القد ذو محيا * بعارض الخد قد تطرز
دار بخديه واو صدغ * والصاد من لحظه تلوز
الخمر والجمر فى لماه * وخده ظاهر وملغز
يشكو له الخصر جور ردف * أزعجه حمله وأعجز
طلبت منه شفاء سقمى * فقال لحظى لذاك أعوز
قد غفر الله ذنب دهر * اشل هذا المليح أبرز
حز فؤادى بسيف لحظ * أواه لو دام ذلك الحز
أفديه من أغيد مليح * بالحسن فى عصره تميز
كان نديمى فمذ رآنى * أسيره فى الهوى تعزز
حرم من وصله مباحا * لما أحل القلى وجوز
ياقلب لاتسل عن هواه * واثبت وكن فى الغرام مركز

(وقلت فى عروضه)

من علم الغصن حين يهتز * ميل قدود تميل فى الخز
غيد رماح القدود منها * ليست بغير الفؤاد تركز
وان يكن هزها دلالا * ليس لغير الطعان ذا الهز
كم وعدت بالوصال مضنى * وعوده بالمطال تنجز
وما حسودا ذا اتوارى * تراه من غيظه تميز
فى ألفى القوام لين * بعطفة الصدغ ليس تهمز
خطابه يطرب الامانى * ولو بهزء على طنز
وشتمه كالمديح يطرى * ومسهب القول منه موجز
كم لحظة منه لى بطرف * فيها رضاه على ملغز
له محيا بديع حسن * فيه جميع الجمال يكنز
ولى به مطلب مصون * بقفل صدغ له مرزز
لولم يكن حبه بقلبى * ما كان بين الضلوع يحرز
قضيب آس على كثيب * أزعجه ردفه وأعجز

كأنما خصره خفاه * معنى له ذوا لجمال ألغز
جل الاله البديع صنعا * ومن هذا المليح أبرز
فاغتنم زمان السرور واطرب * ففرصة العمر فيه تنهز
وانظر بساط الربيع يدعو * لصفو عيش عليه قد عز
مهده لاجتماع شمل * مشتت برده مطرز
تمر فيه الرفاق تترا * طبق فيه مفاصل الخز
والورق فى روضة تنادى * من ذل فى الحب فهو قد عز
كذاك قد ذل فى الورى من * بغير ربه تعزز
كطالب الصوف من لئيم * وهو لجرب الكلاب قد جز
وكان من عز بز قدما * واليوم من بز فهو قد عز
وهذه حالة ترقت * عن نسج برد يروق أو قز
لها على القطب دائرات * أضحى لها فى الحضيض مركز

وله فى الوزير سنان لما فتح اليمن

لك الحمد يا مولاى فى السر والجهر * على عزة الاسلام والفتح والنصر
كذا فليكن فتح البلاد اذا سعت * له الهمم العليا الى شرف الذكر
جنود رمت من كوكبان خيامها * وآخرها بالنيل من شاطئ مصر
تجر من الابطال كل غضنفر * بصارمه يسطو على مفرق الدهر
عساكر سلطان الزمان مليكنا * خليفة هذا العصر فى البر والبحر
حمى حوزة الدين الحنيفى بالقنا * وبيض المواضى والمثقفة السمر
(منها) وحين أتاه أن قد اختل جلبنا * من اليمن الاقصى أصر على القهر
وساق لها جيشا خميسا عرمرما * يدك فجاج الارض فى السهل والوعر
لدى أسد شاكى السلاح عرينه * طوال الرماح السمهرية والبتر
وزير عظيم الشأن ثاقب رأيه * يجهز فى آن جيوشا من الفكر

(ومنها)

سنان عزيز المدريوسف عصره * ألم تره فى مصر أحكامه تجرى

(ومنها)

وهل

وهل تطمع الاعداء فى ملك تبع * وتأخذه من آل عثمان بالمكر
أبى الله والاسلام والسيف والقنا * وسر أمير المؤمنين أبى بكر

ومن مشهور شعره قوله

الدن لى والكاس والقرقف * وللفقيه الكتب والمصحف
لن كان ما تعجبه قسمتى * فليقتسمها مثل ما يعرف
كم يزدرى الكاس ويهزو بها * يخشى على هذا الفتى يقصف
يسب شراب الطلا عامدا * أليس فى الحكام من ينصف
فانزع الكاس على غيظه * وعاطنيها أيها الاهيف
وقل هو القطب بحر الهوى * قد عام والله به يلطف

(وله أيضا)

أحبة قلبى أنتم قد وردتم * معى منهل اللذات وهو غزير
و والله ما استغنيت عنكم بغيركم * وانى اليكم ما حييت فقير

(وله أيضا)

أحسن من غفلة الرقيب * ولحظة الوعد من حبيب
وقبلة كانت اختلاسا * فى وجنتى شادن ربيب
كتب أديب الى محب * طالت به مدة المغيب
تترك من سطرت اليه * أهيم من عاشق طروب

(وله أيضا)

بدا عرق فى خده فسألته * اذا ما تبدى قال لى وهو يمزح
ألا ان ماء الورد خدى اناؤه * وكل اناء بالذى فيه ينضح

وهذا مثل أورده الميدانى فى أمثاله ولم يزد فيه على قوله كل اناء يرشح بما فيه ويروى ينضح بما فيه أى يتحلب انتهى وقد سبقه الى هذا مجير الدين بن تميم كما وقفت عليه فى ديوانه بقوله

سقى الله روضا قد تبدى لناظرى * به رشأ كالغصن يلهو ويمرح
وقد نضحت خداه من ماء ورده * وكل اناء بالذى فيه ينضح

وعن الشيخ نصر الله بن مجلى انه رأى فى المنام سيدنا أمير المؤمنين عليا بن أبى طالب كرم

الله وجهه فقال له يا أمير المؤمنين تفتحون مكة وتقولون من دخل دار أبي سفيان فهو آمن وقد تم على ولدك الحسين منهم ما تم فقال له أما سمعت أبيات ابن الصيفي يعني به الحيص بيص فقال لا قال اسمعها منه فلما انتبه ذهب الى داره وذكر له ما رأى في منامه فبكى وحلف أنه نظمها في هذه الليلة ولم يقف عليها سواه وهي هذه وأنشدها له

ملكنا فكان العفو منا سجية * فلما ملكتم سال بالدم أبطح

وحللتم قتل الاسارى وطالما * غدونا على الأسرى نعف ونصفح

وحسبكم هذا التفاوت بيننا * وكل اناء بالذي فيه ينضح

وقد سبقهم الى هذا أبو الفتح كشاجم فقال

وسمتهجن مدحي له ان تكدرت * لنا عقدة الاخلاص والحر يمدح

ويأبى الذي في القلب الا تبينا * وكل اناء بالذي فيه ينضح

(وقلت في الهجاء)

فتى كان من قبل الشباب مؤاجرا * وقد لاط كهلا وهو تيس سينطح

يبيع برأس المال في السوق ما اشترى * وكل اناء بالذي فيه يرشح

وهذا المثل لم أر من شرح مورده ومضربه وهو يحتمل معنيين أحدهما وهو الظاهر المتبادر أن كل أحد يلوح على ظاهره ما في باطنه وان أخفاه كما قيل من أسر سريرة ردأه الله برداثها والثاني أن كل أحد يجازى من جنس عمله وهو الذي قصده الحيص بيص وقد قلت في بعض الفصول وكل عداوة تزول الا عداوة الحسد وكل زارع لما زرع حصد وبيضة ابن داية النعاب وان جثا عليها طاوس عدن لا تفرخ الا الغراب وان كان عشه في سدرة المنتهى وقد غذيتها من ثمار الجنة ومنتها وفي صحيح الخبر الناس مجزيون بأعمالهم ان خيرا فخير وان شرا فشر وقد قيل من قال خيرا قاله ومن يقل شرا فشر وقال قطر الخارجي متمثلا قيل للعقرب أنت محبوسة في الشتاء أفلا تخرجين لمشارق الشمس بالغدوات كما تخرج الناس فقالت ما أحسن أيادي عندهم في الصيف حتى أ أنس بهم في الشتاء ولله در أبي القاسم الدبوسي في قوله

أقول بنصح يا ابن آدم لا تنم * عن الخير مهما دمت انك عادم

وان الذي لم يصنع العرف في غنى * اذا ما علاه الفقر لا شك نادم

فقدم صنيعا عند يسرك واغتنم * فأنت عليه عند عسرك قادم

﴿جمال الدين بن صدر الدين بن عصام الدين العلامة الاسفرايني﴾ فاضل نشأ بمكة بين تهامة ونجد وربي في حجر المعالي والمجد ففاق طبعه رقة وطيبا نسيم النرجس والورد وخلعت عليه الايام جمالها وأفاض الله عليه فضلها وافضالها والله جميل يحب الجمال والدهر قد يسعفه وان كان عدو الاهل الكمال فحاز كرما ومجدا وفاح عنبرا وندا

عطاء ولا من وحكم ولا هوى ✽ وحلم ولا عجز وعز ولا كبر

وهو في الفضل عصامي عريق وله عذب مشرب نشأ بين العذيب والعقيق وأنا وان لم أره فقد صاحبت أخاه عليا ورأيته وقد رفعه الله مكانا عليا ففزت بصحبته وقد طافت وفود الآمال حول كعبته

جمال ذي الارض كانوا في الحياة وهم ✽ بعد الممات جمال الكتب والسير

فمن شعره قوله

فنجان قهوة ذا المليح وعينه الكحلاء حارت فيهما الالباب

فسوادها كسوادها وبياضها ✽ كبياضها ودخانها الاهداب

قال أبو منصور الجواليقي في كتاب المعرب الفنجان معرب وسوابه فنجانة وفيه نظر وتشبيه الدخان بالاهداب تشبيه بديع ومثله في الحسن قول الصنوبري

مجمرة طاف بها الغلمان ✽ أبدع في صنعتها الزمان

كأنها فيما حكى العيان ✽ فوارة وماؤها دخان

في بركة حصباؤها نيران ✽ اذا تبدت حزن الريحان

وسرت الجيوب والاردان

وقلت فيها من أرجوزة أيضا

لله ما أحسنها من مجمرة ✽ أنفاسها طيبة معطرة

كأنها وريحها طياب ✽ نرجسة من فوقها ضباب

وعلى ذكر الاهداب انظر حسن قولي في مليح لبس فروة سمور

وظبي من السمور ألبس فروة ✽ وماس كما هزت صبا سحرة سروا

كأن عيون الناس من دهشة به ✽ تخلف أهدابا فتحسبها فروا

ولشيخنا العناياتي من قصيدة

قهوة لا صداع فيها نعم فيـ ـها مزيل من الصداع مريح

صين في الصين مسكها لحكاها * لعس في بياض ثغر يلوح
ليل وصل في صبح لقيا حبيب * طاب منها غبوقها والصبوح

وللاستاذ محمد البكري أو لمحمد ماماي المعروف بالرومي

أنا المعشوقة السمرا * وأجلى في الفناجين
وعود الهند لي طيب * وذكري شاع في الصين

وكتب جمال الدين القطب المكي يهنيه بشهر رمضان

يا شيخ أهل العلم في أم القرى * رمضان هل ببهجة لم توصف
فتهن وحدك ان ذا تك أصبحت * هي أشرف في أشرف في أشرف

(فأجاب وأجاد وأجاز)

ياواحد الفضلاء أنت جمالنا * فتهن بالشهر الشريف الاشرف
شعر بشعر لا ربا فيه وان * زاد العيار فوزن هذا الاشرفي

الأشرفي في العرف بمعنى الدينار نسبة للملك الأشرف وتوحيده جرته القافية ولابن القاسم وقد مدح من أجابه وأجازه

ولما مدحت الهبرزي بن أحمد * أجاز وكافاني على المدح المدح
فعوضني شعرا بشعر وزادني * عطاء فهذا رأس مالي وذا ربحي
لقطت ملوك الارض حتى لقيته * فكنت كمن شق الظلام الى الصبح

وهذا من قول ابن سنان الخفاجي

طويت الليك الباخلين كأنني * سريت الى شمس الضحى في الغياهب

ومما يشبه هذا قول لمغاء

زمن الورد أشرف الازمان * وأوان الربيع خير أوان
أدرك النرجس الجني وفزنا * منهما بالخدود والأجفان
أشرف الزهر زار في أشرف الدهـ * ـر فصل فيه أشرف الخلان

ومدح البحتري طاهر بن اسماعيل الهاشمي فبعث له بدنانير وكتب معها

لو يكون الحباء حسب الذي أنـ * ـت لدينا له محل وأهل
لحثت اللجين والدر واليا * قوت حثوا وكان ذاك يقل
والشريف الظريف يسمح بالعذ * ر اذا قصر الصديق المقل

(فردها وكتب له)

بأبي أنت للبر أهل * والمساعي بعد وسعيك قبل
والنوال القليل يكثر ان شا * مرجيك والكثير يقل
غير أني وددت برك اذ كا * ن ربا منك والربا لا يحل
واذا ما جزيت شعرا بشعر * يبلغ الحق والدنانير فضل

ومثله قول أبي القاسم الداودي

ربما قصر الصديق المقل * عن حقوق بمن لا يستقل
ولئن قل نائل فصفاه * في وداد ونية لا يقل
أرخ سترا على حقارة برى * هتك بر الصديق ليس يحل

ولنورد هنا ما في الشعر وما قيل فيه فان الحديث شجون وقد قال الصنوبري

لست أستحسن الرياض سوى السـ ـود فأجزى مثلا بمثل وأضعف

ولما هنأ الشعراء ابن طاهر بولاية خراسان وأنشدهم تمام بن أبي تمام

هنالك رب العرش هنا كا * ما من جزيل الملك أعطا كا
قرت بما أعطيت يا ذا الجحا * والباس والانعام عينا كا
أشرقت الارض بما نلته * وأورق العود بجدوا كا

استضعف الحاضرون شعره وقالوا ما أبعد ما بينه و بين أبيه فأجابه بعضهم بقوله

حياك رب الناس حيا كا * ان الذي أملت أخطا كا
مدحت خدنا ما تهما ماله * ولو رأى مدحا لواسا كا
فهاك ان شئت بها مدحة * مثل الذي أعطيت أعطا كا

فقال أعز الله الامير الشعر بالشعر ربا فاجعل بينهما شيأ من الدراهم حتى يحل ضحك وقال ان لم يكن معه شعر أبيه فمعه ظرفه وأجزل جائزته وقال السراج الوراق

وعوضني على شعري بشعر * وجازى بالمحال على المحال
ولست ألومه فيما أتاه * لعادته قديما بالبدال

وكتب دعبل لأبي دلف وقد انقطع عنه

هجرتك لم أهجرك كفران نعمة * وهل يرتجى نيل الزيادة بالكفر
ولكنني لما أتيتك زائرا * فأفرطت في بري عجزت عن الشكر

فاوردتني برا تزايدت جفوة * فلا نلتقي طول الحياة الى الحشر

فوجه له ألف دينار مع رقعة فيها

الارب ضيف زائر قد بسطته * وآثرته قبل الضيافة بالبشر
أتاني بترحيب فما حال بينه * وبين القرى والبشر من نائل نزر
رأيت له فضلا علي بقصده * الى أن يراني موضع الحمد والشكر
فزودته مالا يقل بقاؤه * وزودني حمدا يدوم على الدهر

فرد دعبل الالف وقال الشعر بالشعر والبر بالبر وبامثل قول دعبل لأبي العلاء المعري

لو اختصرتم من الاحسان زرتكم * فالعذب يهجر للافراط في الخصر

وكنت كتبت لبعض الناس شعرا فأجاب عنه بشعر فكتبت له

فديتك قد بعثت الشعر درا * نفيسا عقده متن الرقاب
فجئت بمثله من غير وزن * يعفر في الوجوه ولا يحابي
عملت بسنة المختار لما * مننت به سريعا في جوابي
وقلت بلا رياء وفيت مدحا * بمدح مثل صرت به ترابي

﴿أخوه علي العصامي﴾ كعبة المعالي ومن به حال الكمال حالي لا عيب فيه الا أن لفظه عطل الياقوت والدر ولا عيب في نداه الا أنه يستعبد كل حر فهو غرة الجمال وصورة الكمال اذا نطق فما الروض زاره الحيا واذا تهلل فما النهر حياه برق السما ولعمري ان جده أسعد الله بجمع شمل الفضائل جده

نفس عصام سودت عصاما * وعلمته الكر والاقداما

وهذا الحفيد عقد المناصب به نضيد لم يفتخر بآبائه ولم يبتهج بنضارة أصله وغنائه لما اعتصم بعروة الفضل الوثقى وصعد الى ربوة المجد وترقى وقال أنا عصامي لا عظامي وان كنت لذمار مآثري حامي فألف وصنف ونوع قرى الاسماع وأتحف وأفاد الطلاب وحل باسنان قلمه عقد المشكلات الصعاب وأقام في جوار بيت الله وحماه معتزلا عن الناس ولا بدع أن يعتزل جار الله وكان ممن ورى به زنادي وروى من ورده فؤادي وسعرت بالاستفادة ناري وفك عن ربقة الجهل بفضله أساري ولم يزل يرسل الي وفود أخباره ويهدي نسيم نجد الى نفحات آثاره الى أن صم الخبير وعمي قائد الاثر وبيني وبينه مكاتبات منها ما كتبته اليه مع سهل مولاي أطال الله بقاءك ورفعك

على هام السماك أنهى اليك نائر اللآلى المعذرة بين يديك انى زرت البحر أغالك و يد الرجاء مدت امام تت عيون الشباك فأهدى الى من المسره ما كدت معه أصطاد حوت السماك بشباك المجره وأرسل لى يا رتى أمواجه فأنسانى الدهر وخطبه فلا أدرى أأعرض عنى أم واجه وأهدى الى حيتانا كأنها خناجر قطعت من الجوع العلاصم والمناصر فصير جيد آمالى حاليا وأذكرنى وما كنت ناسيه ابحر عطائك وهو أكبر ولكن الشئ بالشئ يذكر فارسلت وان كنت كمن أهدى للجنان غض الزهر وأرسل الشمع للشمس والقمر الهجر

أرسلت أسماكا الى * من مجده حل الفلك
أرأيت قبلى مهديا * أهدى الى البحر السمك

وذكر مرة فى درسه قول الرئيس ابن سينا فى بعض كتبه حديث ان الحكمة لتنزل من السماء فلا تدخل قلبا فيه هم الغد فقلت انه لم يسنده وهو بكلام النبوة أشبه وقد نظمته فقلت

من يترك الدنيا يسد أهلها * و يقتطف زهرتها باليد
لا تسكن التقوى ولا حكمة * منزل قلب فيه هم الغد

وللامام الشافعى رضى الله عنه قريب منه

كم ضاحك والمنايا فوق هامته * لو كان يعلم غيبا مات من كمد
من كان لم يؤت علما فى بقاء غد * ماذا تفكره فى رزق بعد غد

((أحمد المدنى المعروف باليتيم مصغرا)) درفى حقاق الدهر يتيم ودوحة أدب هزها مرور النسيم بعذب طبع مسلسل و برد فصاحة على الشعر مهلهل اذا نسج حلله على منوالها فهو من الطراز الاول فهو توأم نسيم السحر وشقيق الماء والزهر و ربيب الحسن سقاه ماء الصبا وخدن الخمائل قدم عليها رسول الصبا مع خلاعة ومجون وحديث صبابة كلها شجون فى فتية ينظمهم الطرب نظما يرقص له الحبيب

لا يجمعون على غير الحرام اذا * تجمعوا كحباب الراح وانتظموا

فمن دره اليتيم وعقده النظيم

لله محكم قهوة تجلى لنا * فى أبيض الصينى طاب شرابها
فكأنما هى مقلة مكحولة * ونخالها من فوقها أهدابها

ونحوه ما قلته

زرت روض الحمى الاريض سحيرا * اذ دعاني اليه سجع الطيور
وكأن الشقيق تحت ضباب * مجمر فوقه بخار البخور

وقدمر قريبا نحوه

﴿سراج الدين بن عمر الاشهل المدني﴾ سراج وهاج أشرقت منه أنوار الفصاحة وانجلت أبكار أفكاره في حلل الملاحه حديقة مروحة شجر تقطر منه مياه اللطف الجاريه وتجرى برقة الحجاز وظرف العراق وجزالة الباديه ولم يزل مقيما بجوار الرسول عليه أشرف تحيه حتى أطفأ سراجه صرصر المنيه فمن شعره قوله

أرسلت رسلي لقهوة سحرا * فأتوا سرعة من الكسل
فقيل صفها فقلت مقتبسا * جاءت على فترة من الرسل

(وله أيضا)

ما الحال قالوا صف لنا * فلعل ما بك أن يزاح
فأجبت ما يخفاكم * حال السراج مع الرياح

وقد سبقه لمثله في كثير من شعره السراج الوراق فمن محاسنه قوله

بني اقتدى بالكتاب العزيز * فزدت سرورا وزاد ابتهاجا
فما قال لي أف في عمره * لكوني أبا ولكوني سراجا

(وله أيضا)

الحمى قد جاوزت سبعين حجة * فشكر النعمات التي ليس تكفر
وعمرت في الاسلام فازددت بهجة * ونورا كذا يبدو السراج المعمر
وعم نور الشيب رأسي فسرني * وماساءني أن السراج منور

﴿وللسراج الوراق أيضا﴾

كم قطع الجود من لسان * قلد من نظمه النحورا
فها أنا شاعر سراج * فاقطع لساني ازدك نورا

وللشعراء المتأخرين كثير أشعار تتعلق بأسمائهم وقد نحوت نحوهم لما قلت

قالوا انزل تسقطت من رتب * أترى الزمان بمثل ذا غالطا
قلت الشياطين اللئام علوا * ولذا الشهاب من العلا سقطا

عبد

وعبد الرحمن وعلي ابنا كثير المكيان أديبان هما في وجه الكمال غرة وجوهرتا مايته
سماء كرمهما للعافين سره امتطيا ظهر المجد ونزلا بطن تهامة وظهر نجد بهمة اذا غزتها
النوائب كانت عن حد المرهفات نوائب التجآ في الدولة الحسينية الى طراز الدول وأو يا لها
حيث لا عاصم من طوفان الخطوب الا ذلك الجبل فأصبحت يد الجود لاسباب الغنى
رابطة ونظمت عقود الكرم في جيد أملها بلا واسطة في تلك الاكف بحار تغرق
فيها الآمال ويرشح من عرق الجبل لها جبين السحاب الهطال من كل من مسحت
راحة احسانه قذى الفقر عن عين زمانه فنادى لسان العيان قد وضح الصبح لمن
له عينان فمما أنشد لعبد الرحمن قوله

كبار زماننا أضحوا صغارا * وقد غضب الزمان على الكبار
كأن زماننا من قوم لوط * له ولع بتقديم الصغار

وفي معناه قول المعمار

أرى مغرى باللواط الذي * يقبح لا سيما على مثله
أوقف حالي لا تسل ما جرى * وصرت خلف الناس من أجله

(وقلت) وزمان فيه الصغير تقدم * أتراه لذلك الذنب يندم
لعن الله قوم لوط فهم قد * علموه التقديم حتى تقدم

وقلت أيضا وهو أحسن مما تقدم

أقول لهذا الدهر عتبا على ملا * تقدم من قد قدمته الورى حقا
فهم بتقديم القدم نوبة * فكان الذي قد رام تقديمه علقا

ومما أنشدته لعلي بن كثير قوله

صحبت الأنام فالفيتهم * وكل يميل الى شهوته
وكل يريد رضى نفسه * ويجلب نارا الى برمته
فلله در فتى عارف * يداري الزمان على فطنته
يجازي الصديق باحسانه * ويبقي العدو الى قدرته
ويلبس للدهر أثوابه * ويرقص للقرد في دولته

وقوله يجلب نارا الى برمته البرمة قدر من حجارة بلغة أهل مكة وهذا المثل كقولهم في
مثل آخر كل يحطب في حبله ويجر النار الى قرصه أي رغيفه وما أحسن قول الآخر

ويوم قر زاد أرواحه * يخمش الابدان من قرصها
يوم تود الشمس من برده * لو جرت النار الى قرصها

وفى معنى قوله ويرقص للقرد الخ قول الاهوارى

قل لمن لام لاتلمنى * كل امرئ عالم بشأنه
لاذنب فيما فعلت انى * رقصت للقرد فى زمانه
من كرم النفس ان تراها * تحتمل الذل فى أوانه

(ولابى تمام)

لابد يا نفس من سجود * فى زمن القرد للقرود

وتقدم الصغار داقديم ممن ابتلى به الثعالبى وقد اشتكاه بقوله فى قصيدة له

لك الدنيا ومافيها بلاد * تلاحظها بعينيك احتقارا
تكبر الزمان على بنيه * فعش حتى تعلمه الصغارا
وصار صغارهم فيه كبارا * فدم حتى تردهم صغارا
خدمت لك الملوك أروض نفسى * لآمن تحت خدمتك العثارا
ولو كانت الدنيا جعلنا * لك الدنيا ومافيها نثارا

(محمد أبى الخير بن العلامة ابن حجر الهيتمى المكى منشأ وموطنا)

بليغ عذب البيان نجيب سبط البنان طويل النجاد وسيف اللسان رأيته وأنا بالحجاز وليس بينه وبين الكمال حجاز وأنشدنى له شعرا من خير الامور وقد يقع ما يجلو طيف السرور الا أن أكثره فى الاهاجى ومنه ماهو فى المعميات والاحاجى فمما أنشدنى له قوله

ياذا الذى فى خاله حبة * سوداء فى الخد أسديد الصفا
دعنى أقبلها تزيل الضنى * فالحبة السوداء فيها الشفا

وله فى مليح اسمه على

لعلى محاسن * ماللقط مشبه * ولشامات خده * كرم الله وجهه

والدعاء بكرم الله وجهه مختص بالامام على بن أبى طالب رضى الله عنه فى لسان الناس لانه أسلم صبيا ولم يسجد لغير الله وقد روى الشيعة فيه أثرا وهو ان أمه رضى الله عنه وهى حامل به كانت اذا جاءت لصنم أحست بتحويل وجهه عنه فى بطنها ولم ترفيه

نقلا لغيرهم انتهى

(العلامة شهاب الدين أحمد بن حجر الهيتمي نزيل مكة شرفها الله)
علامة الدهر خصوصا الحجاز فاذا نشرت حلل الفضل فهو طراز الطراز فكم حجت وفود الفضلاء لكعبته وتوجهت وجوه الطلب الى قبلته ان حدث عن الفقه والحديث لم تتقرط الآذان بمثل أخباره في القديم والحديث فهو العلياء والسند ومن تفل سهام أفكاره الزرد غر زمنيرات أضاءت في وجوه دهم المشكلات فكم أغني بتحف أفكاره محتاجا وأوضح للارشاد منهاجا ولود الليالي عن مثله عقيم ودرياق نفثات طبعه السليم شفاء كل سقيم نشرت على الدنيا خلع الفرح وتزينت ببديع صفاته المدح أقلام فتاواه مفاتيح ما ارتج من المسائل المشكلة والعلم باب مغلق مفتاحه المسئلة وهو من أجل مشايخ والدي الذي ورثت من علومه طارفي وتالدي رحمه الله تعالى

(علاء الدين بن عبد الباقي) صاحب كتاب الطراز المنقوش في محاسن الجيوش رأيته فرأيت منه عذب بيان بديع في صورة أديب خليع ورأيت كتابه هذا وهو في وجه أدبه شامه وعينا في محيا عمره نظر به الدهر وشامه وله ربيع أدب وريق وسلافة خلاعة نقلها اقمل وريق وأنشدني من شعره طرفا لم يتعطر كتابي بنشره وكتاب ابن الجوزي في معنا فاح من مسك مداده عرف طيبه وشذاه

مصوّر من حدق الحسان * مركب من ملح الغيلان
كأنه في ناظر الزمان * انسان عين الحسن والاحسان

(القاضي حسين المالكي المكي) سماء سحائب الكرم وصائد قنص المعالي في حمى الحرم اذا نشرت صحف نداه طوى ذكر حاتم طي أو رفعت رايات علاه فليس في غير السودد في أود كر الكرام فهم له خدم أو اينعت رياض محبرة دارت أنهار جوده حولها اخدم ذو همة تنظمت راحتها عقد الكرام وبددت ما تجمع من خطوب الايام بطبع ألذ من محادثة الحبيب وأعذب من مفاكهة الصديق الاريب وغرة أشهر من مثل وعن الملوك فلا تسل شريف النسب سري الحسب اذا أخصبت عياء الندا عذباته الخضر أجدبت ساحته من الحمر والصفر

ان قال يا عنبر جاء الشذا * أو قال يا ياقوت جاء الذهب

يشرق نور النبوة من بارق أسرته وتطلع بدور الهدى من هالة أسرته ثم لم تزل السعود

فى خدمته قائمه وعيون النوائب عن معاليه نائمه راقيا من مطالع الكمال أوجها
يحيا بفيض سنا من بدر التم أوجها الى أن تولى قضاء طيبة الطيبة وأمست خيام
سعده على هام الفلك مطنبه فبدا المحاق بدره وختمت بيد القضاء صحف عمره ويقال
انه هبت عليه شعوب بعواصف السموم وجرعه ساقى أجله كأس السموم وكان فى
شرخ شبيبته واقبال راية طبيعته فى خمول يرى الدهر الصبر كيف يكون ويعز
والخطوب عليه تهون

همم الفتى فى الارض أغصان الغنى * أبدا وليست كل حين تورق

(شيخنا العلامة على بن جار الله المكى الحنفى الخطيب مفتى الحرمين الشريفين)
خطيب مصقع لفظه بالفصاحة موشى موشع اذا انحدر من تلعته ماء بلاغته وسال
لبطحاء أم القرى سلسال براعته شهد بفضله الناس من فاجر ومن بر وكاد يخضر
تحته أعواد كل منبر

فتهتز أعواد المنابر باسمه * فهل ذكرت أيامها وهى أغصان

فعطر المحافل طيبا فلا ندرى أضمخ طيبا أم ضم خطيبا رأيته وقد طعن فى السن
وليس له غير العصا قنا وقد رقى شرف السبعين وهى سلم الفنا وهو ينشر فى ناديه حبر
الربيع الأثيث وترفع له الفتاوى فى عصره وأسانيد الحديث ووردت منهل افادته
رائقا وأخذت من اجازاته ما صرت به على الاقران فائقا وهو فى مذهب النعمان
لشيخنا المقدسى شقيق وأم القرى لم تلد مثله من نجيب عريق

(على الكيزوانى المغربى نزيل مكة المشرفة) صوفى أقام بمكة لابسا برد التقى
حتى أحرم وتجرد من لباس البقا وله شعر على طريقة أرباب الحقيقة كقوله

رق الشراب ورافت الكاسات * وتشابها فأضاءت المشكاة
اشرب هنيئا ان فهمت حديثنا * أنت الكليم وذا تك الميقات

وهو كقول الصاحب ابن عباد

رق الزجاج ورافت الخمر * وتشابها فتشاكل الامر
فكأنما خمر ولا قدح * وكأنما قدح ولا خمر

(معين الدين بن البكاء نزيل مكة المكرمة المعظمة شرفها الله) نديم دمث الاخلاق
متوشح ببرود لطف حواشيها رقائق فهو للادب باصدر وناديه مثله واسع الصدر

نبتت دوحته فى رياض الحسب فأجتنى منها زهرة الحياة وفواكه الادب وله من طيب الانفاس ما تسكر به الحيا والكاس مما هو أحلى من ثمرات الامانى غب مرارة الباس وهو ممن ساجلته وأنا للادب محتاج ونادمته والعمر مورق بالمسرة مثمر بالنجاح

ليالى أعطيت البطالة مقودى * تمر الليالى والشهور ولا أدرى

كان بعد ما وقع له بالروم هاجر لبنى حسن وأقام فى ظلهم بمكة مؤتلفا بهم ائتلاف المقلة بالوسن فأينعت ثمرته بعد الذبول وسقاه صيب كرمهم وهبت له نسمات القبول فلما توفى السيد مسعود تبدل بالنحس السعود فجرد ديباجته وارتحل عملا بقولهم اذا نبا بك منزل فتحول ولأمر ما ثنى القرن عطفه وجدع قصير أنفه وكانت أيامه غضة نضره تكاد فى عصره تقطر منها مياه المسره وكان فى جمع المعارف والنوادر ممن لم ير الدهر نظيره ولم يطن على سمعه حديث كأحاديثه النضيره فهو ذكاء الفلك وما هو بشر بل ملك فما ترشح من قطراته وجرى فى المسامع من عذب كلماته قوله

يا شقيق الروح والجسم ويا * دوحة بالود فضلا أثمرت
بحياة الود الا صنتــه * لمحب روحه قد سعرت
كنت لا أخشى حسودا اولا * عين واش ان بسوء نظرت
وأرى الود وهى بنيانه * ما كان العين الاثرت

ومن شعره تذييل لبيت القاضى الفاضل

تراءت ومرآة السماء صقيلة * فأثر فيها وجهها صورة البدر
ولاحت عليها حليها وعقودها * فأثر فيها صورة الانجم الزهر

(وله أيضا)

حاذر زويلة أن تمر بها * وطعامها كن آيسا من خيره
فوسط القتلى يقول بها انظروا * من لم يمت بالسيف مات بغيره

وهو تضمين لقول ابن نباتة السعدى من قصيدة

ومن لم يمت بالسيف مات بغيره * تعددت الاسباب والموت واحد

ومن شعره قوله فى تقسيم الايام

الدهر أربعة أيامه انحصرت * صحو وغيم وريح ثم أمطار

فالصحو ظرف لاصلاح المآرب اد * تقضى من الصيد يوم الغيم أوطار
ويوم ريح لنوم لا حراك به * ويوم هطل السما للكاس مدرار
واليوم قد نثرت دراسحائبه * على بساط ربى تكسوه أزهار
فبادر الكاس يا بدر الزمان فمن * ضياء وجهك لا فى الافق أقمار

﴿العلامة عبد الرحمن الخيارى نزيل المدينة المنورة على ساكنها أفضل الصلاة والسلام﴾ فاضل اذا جمعت الفضائل فهو منتهى المجموع وكامل كماله كثمر الجنة لا مقطوع ولا ممنوع لما رأى الوقت سيفا لا يقطع الا الاعمار وان المرء قبل فوت الفرصة على أيامه بالخيار لم يمض له وقت فى غير العباده ولا ساعة فى غير الاستفادة والافاده بوجه أبلج وضاح يلوح من غرته نور السداد والصلاح كان الله جمع له المناقب فاختار منها وانتقى ورأى أن أحسنها وأكرمها التقى وآثار أقلامه يحسدها الحور والالما ويعرق منها خجلا خد الروض بالندا

أبدى صنيعك تقصير الزمان ففى * خد الربيع طلوع الورد من خجل

كان فى زمن الطلب ومنافثة اخوانى أولى الادب صديق روحى وشقيقها وريحان مسرتى وشقيقها وعود الزمان خضر وريق ووجه بشره بسام طليق ولما رأى أن الله أوصى بالجار رحل لطيبة الطيبة وسكن فى جوار النبى المختار فدخل روضة من رياض الجنة فى حياته واذا أنعم الله على عبده حباه بنعمة لا يسلبها منه بعد مماته فكتبت له متشوقا للقائه وملتمسا صالح دعائه

يا نسيما من نحو طيبة سارى * مهديا عطر ندها والعرار
مر يا نشره بعنبر سحر * فى حمى جونه الفتى العطار
خذ فؤادى فذاك جمر شوق * وغرام بجمر الوجد وارى
موقدا فيه عنبرا من مديحى * لحبيب المهيمن المختار
لمقام بمقتضاه بليغ * لا يوفى بلاغة الاسرار
وفصيح فصاحة اللفظ فيه * زاد حسنا بكثرة التكرار
ولمن فى ذراه من كل جار * حاز حفظا لعيشه بالجوار
فهم خزرجى وأوسى وان لم * يسعف الدهر بالمنى أنصارى
سيما صنوى الشقيق لروحى * وهو عبد الرحمن حامى الذمار

قد علي بروضة حازفيها * ثمر السعد مزهر الانوار
باع دنيا دنت بأخرى تسامت * فغدا في مبيعه بالخيار
فعساه يعن لي بدعاء * مستجاب في ليله والنهار
ليحوز الشهاب أعظم سؤل * وأمان من مطلع الاقمار
ما ارتدى الليل من برود الدياجي * حلة طرزت من الاسحار

فأجاب سقى الله ثراه

بعد اهداء أسنى السلام الساري * من ربى طيبة أجل الديار
فاتقاطيبه شذا كل مسك * فاتفا نوره دجى الاسحار
لحبيب في الله خل وفي * طيب الاصل ذي الثناء الساري
أحمد الفعل والشهاب المرجى * كاشف المشكلات كنز الفخاري
دام في نعمة وعز ولطف * من اله الورى الكريم الباري
محييا سنة الاولى سبقوه * باتباع الاولى وحسن الوقار
وصلاة مع السلام دواما * للنبي المجيد المختار
ولآل وصحبه ما اضمحلت * ظلم الظلم باجتلا الانوار

فاني أحمد الله تعالى وأصلي واسلم على نبيه صلى الله عليه وسلم وأعرض كثرة الاشواق ومزايد الوداد الذي لم يغيره تعاقب المدد والمعاد ودوام الدعاء المرجو القبول لاسيما بجاه أكرم نبي وأشرف رسول ووصول مكتوبكم الكريم وحصول السرور بلوامع مضمونه وبدائع مكنونه وقد بلغنا حسن سيرتكم في المناصب ومزيد العفة فجزاكم الله تعالى خيرا وأعانكم وسددكم ولا تقطعوا أخباركم السارة جمع الله لنا ولكم خيري الدنيا والآخرة بجاه المصطفى الامين آمين

نفحة من نفحات اليمن ومن بلغنا خبره في هذا الزمن ممن رقي بها من الفضلاء والشعراء وكان قريب العهد فمنهم رحمهم الله تعالى

﴿عبد الله بن شمس الدين بن مطهر اليمني﴾ فرع من ذؤابة هاشم ونبعة من وشيج تلك المكارم من آل مطهر وهم ملوك مكرمون لا يعسوب بجدهم الا المطهرون من حدث البشرية ودنس الهيولى الدنيئة من كل من قضى للعلياء وطرها وتلا آيات المجد وسورها تعبق منهم أنفاس النبوة وتجر على وجه البسيطة

أذيال الفتوه ولم تمح محاسنهم من صحف الليالي والايام ولا تثمر بمثلها أغصان اليراع والاقلام

مغارس طالت في ربى المجد فالتقت * على أنبياء الله والخلفاء
اذا حمل الناس اللواء علامة * كفاهم مثار النقع كل لواء

حتى أغارت عليهم جيوش ابن عثمان فذوى ذلك الثمر واستقت الايام ماء حياتهم فلم يبق الا الكدر فالتجأ الى جبل كوكبان واستظل به من هجير حوادث الحدثان وهو جبل تضيء به قناديل النجوم وتلتف على هامته عصائب الغيوم يزاحم الافلاك بالمناكب وتكاد أن تلتقط سكانه لآلئ الكواكب

عال كأن الجن مذ مردت * جعلته مرقاة الى السمر

وهو الآن تاج على رأس الزمن وخال تتزين به وجنات اليمن كأنما شمخ كبرا بمجاورة من به نزل وصار كبير أناس في بجاد مزمل

وطود على ظهر الفلاة كأنه * طوال الليالي مطرق في العواقب
يلوث عليه الغيم سود عمائم * لها من وميض البرق خضر ذوائب

تحيي به آثار آبائه بعد عفاتها ويرد روح المكارم للآمال بعد وفاتها ووفاتها فمما التقطته من بعض السيارة من أشعاره وأهدته الى تجار اليمن من تحف آثاره قوله من قصيدة مدح بها أخاه عز الدين

خطرت فقال الغصن صل على النبي * وبدت فقالت للشموس تحجبي
وسموطها دارت على لباتها * وزهت فقلنا للنجوم تغيبي
لاحت لنا كالبدر ثم تبرقعت * فرأيت بدراحل قلب العقرب
وبخدها خال أراه عمه * حسنا وناسبه بلون أجنبي
فلطرفها عز انكسار جفونها * ولعطفها تيه المدل المعجب

(ومنها)

مني علي بزورة أحبابها * في أنس قربك أوعديني واكذبي
رفي بعزك يا سعاد لذلتي * مني ومنيني أماني أشعب
ما أحسن الاطماع يرجى نيلها * والصب بين مصدق ومكذب

(ومنها)

ياليت شعرى هل أفوز بعطلبي * من لثم ديباك الحديد المذهبي
من لى بشمس الجمال تمنع * مادونه لمحبه من مذهب
متلون كذا معي فوعوده * لقبتني بالخائف المترقب
ياقلب مالك ما انقلبت عن الهوى * والقلب قد قالوا كثير تقلب
خل النسيب فقد أطلت وعد عن * ذكر الصبابة واشتغل بالانسب
كفر زخارف زورلهو بالثنا * وانشر ملا آت الحديث الاطيب
بصفات عز الدين والدنيا ومن * ماقلت فيه من الثنا لم تكذب
حدث وقل ماشئت فى أوصافه الحسنى وجى * بكل فن معجب
أسد تخاف الاسد ثعلب رمحه * وعجبت من خوف الاسود لثعلب

قوله صل على النبي المراد به التعجب والناس يستعملونه بهذا المعنى كثيرا كقول شيخ الشيوخ الانصارى بحماة فمن رأى ذلك الوشاح الصائم صل على محمد

وقال عرقلة

أقبل يهزفى غلالته * من ليس بشفى لعاشق غله
فقال كل امرء تأمله * ألف صلاة على رسول الله

وقد تابعتهم فقلت فى قصيدة

ظبي على الصب حين سلم * صل على المصطفى وسلم
مدنفه والدموع بحر * بترب أقدامه تيمم

ومثله قولهم الله أكبر كما قال ابن النبيه

الله أكبر ليس الحسن فى العرب * كم تحت كمه ذا التركى من عجب

وهو قد اقتدى بعلى بن الجهم فى قصيدة مدح بها بعض الخلفاء

الله أكبر والنبي محمد * والحق أبلج والخليفة جعفر

وقد عابه شعراء عصره حتى قال فيه مروان ثم يهجوه

لما وصلت الى الامام عشية * وكذبته ومدحته بآذان

(وقال أيضا)

أراد على أن يقول قصيدة * يمدح أميرا لمؤمنين فأذنا
فقلت له لا تعجلن باقامة * فلست على طهر فقال كذا أنا

والامام النووي رحمه الله تعالى صرح في الاذكار بأن الصلاة على النبي صلى الله عليه وسلم في مثله ممنوعة شرعا والوارد في مثله سبحان الله وقال الحليمي من أئمة الشافعية انه جائز بلا كراهة وبينوا وجهه في فقههم (لطيفة) من غريب التمليح ما وقع في مجلس أبي بكر ابن زهر من أن بعض أدباء الاندلس كان عنده فدخل فاضل من أهل خراسان عليهم فأكرمه ابن زهر وأجله فقال الاندلسي ما تقول في علماء الاندلس وأدبائهم وشعرائهم فقال كبرت فلم يفهم جوابه واستبرده فلم يفهم ابن زهر انكاره ثم قال أقرأت شعر المتنبي قال نعم وحفظته قال أما سمعت قوله

كبرت حولى ديارهم لما بدت * تلك الشموس وليس فيها المشرق

فعلى نفسك فلتكبر ولفهمك فأتهم وأنكر فخجل واعتذر أقول هكذا فلتكن محاورة الادباء وأراد أبو الطيب بتكبيره التعجب وقوله في القصيدة أسد الخ فيه ايهام بديع فان الثعلب طرف الرمح الداخل في السنان والحيوان المعروف ومثله قول ابن الساعاتي

ولو علت الملك الاهلة عنده * أبى فخرها الا انتعالا لجرده

اذا مد جيشا للعدو تلاعبت * ثعالب أطراف الرماح بأسده

وقوله أو عديني وا كذبي يقطر منه ماء اللطافة كقول مهيار

يا ماطلي بالدين ماساءني * اليك ترداد المواعيد بي

ان كنت تنجزني ثم لا نلتقي * فدم على المطل وقل وا كذب

(وللشريف الرضي)

يعجبني مطل غريم الهوى * لطول ترداد الى الماطل

ومثله حسن كثير قديما وحديثا كقول الطغرائي

وتعجبني المواعد كاذبات * لترداد اليه على المطال

(ولابن الفارض رضي الله عنه)

عديني بوصل وامطلي بنجازه * فعندي اذا صح الهوى حسن المطل

(السيد حسين بن مطهر اليمني رحمه الله تعالى) هذا أيضا من أشراف العصريين وقد أنشدني له بعض أصحابنا شعرا يفوح منه عرف تهامة ونجد ويترجم عما فيه من المجد كقوله من قصيدة له

من أين يخلق جدك المتجدد * ويزول عنك حنينك المتردد
وقد استفزك بالرحيل مودع * قالوا الرحيل غدا عدمتك يا غد
يا نازلين على العذيب وثهمد * بأبي وبي كيف العذيب وثهمد
أجزاعه وبشامه وأراكه * خضر على ما تعهدون وأعهد

(ومنها)

الحج يقصد كل عام مرة * ولك العوالم كل حين تقصد

وهذا المعنى كثير مسبوق اليه كقول بعض العصريين

كعبة أسست على الفضل لكن * كل حين لها تحج الوفود

أصله قول سعيد بن سلام وقد قال له بعض ندمائه في بستان ما أحسن هذا البستان فقال له أنت أحسن منه لانه يؤتى أكله كل عام وأنت تؤتي أكلك كل حين ومن قرب عهده باليمن

﴿عبد الهادي السودي صاحب الديوان المشهور﴾ فاضل جمع في أغصان الالفاظ ثمار المعاني وعارف بالله جناه في كل حين دانى شيخ الطريقه العابر من قنطرة المجاز الى الحقيقه جمع من بضائع الادب ما راق صنعا وحسدته لرقته نسجه برود صنعا ونسج من مهلهل الاشعار في السلوك ما كان قلمه على منوال طرزه محوك وشعره مطبوع وعلى أكف القبول مرفوع تلذ به الاسماع وتطرب على السماع وأكثره على لسان أهل العرفان الذي هو للحضرة الالهية ترجمان كقوله

كيف حار وافيك واعجبا * يا منى سمعي ويا بصري
أنت لا تخفى على أحد * غير أعشى الفكر والنظر
حيرة عمت فأى فتى * رام عرفانا ولم يحر

وقوله من قصيدة

عاذلي في الحب أو خطره * لست من ليلى ولا سمره
أنا في واد أظنك ما * قلت في الافياء من شجره
لا تطل فيه الملام الى * أن تذوق الحلو من ثمره
يا حلول الشعب من أضم * أنشقوني النشر من زهره

وهذه على منوال قصيدة أبي نواس التي مطلعها

أيها المنتاب من عفره * لست من ليلى ولا سمره
لكن الشنآن فيه لنا * ككمون النار في شجره
لا أذود الطير عن شجر * قد بلوت المر من ثمره

وهي طويلة في ديوانه ومن قرب عهده أيضا

* اسماعيل بن ابراهيم بن اسماعيل بن عبد الله بن عبد الرحمن بن محمد بن يوسف بن عمر بن علي العلوي الزبيدي الشافعي من ذرية اليمني * شارح الكشاف أغر عاني منه تجني ثمار الاماني سحاب فضله أوطف الأهداب أخصبت به رياض المعاني والآداب نقاب محدث تنم أفكاره على أسرار الغيوب وربيع مريع اذا أنبت الربيع البقل أنبت ريحان القلوب ولد بزبيد وبيت شرفه فيها مشيد

ولدت به أم السيادة أوحدا * متضمنا معنى العديد الأكثر

وللدهر فيه عداة لا تعرف المطل ومقدمات مرتبة لنتائج الفضل حتى ظهرت له اليد البيضاء في الفنون العقلية والنقلية لاسيما ما أبدعه في شرح الجامع الصغير من دقائق العربيه فكم شفى افهاما مراضا قلوبها ولا يعرف الادواء الا طبيبها كما قال تلميذه الصدر فيه من قصيدة

وان تكن للنحو أصلا فلا * غروفا سماعيل أصل العرب

مع شرف الحسب وعلو شجرة النسب فهو مكرم مفضل معم مخول والفخار فنون كما أن الحديث عنه شجون والأخبار الصادقة على محاسنه عيون وقد رأيت من آثاره أبكار عرائس وحورا مقصورات في خيام الأفكار أوانس لا ترتضي الثريا عقدا والزهرة قرطا ولا تلبس المجرة رداء ولا مرطا كشرح الجامع الصغير وتعريف البيان في شرح لقطة العجلان للزركشي في المنطق والاصلين والجدل وهو كما قال فيه نسيبه الفاضل عفيف الدين

يا سائلي جهلا عن اسماعيل عن * مقدار رتبته ورفعة شأنه
أنصت تجد تعريفه وبيانه * كافيك عن تعريفه وبيانه
أولا فعذرك فيه عذر واضح * والشيء قد يخفى لبعد مكانه

ولشعراء عصره فيه مدائح كثيرة كقول عامر بن هارون الموزعي

رأوك فضلتهم أدبا وسمتا * فنالوا منك عدوانا وبهتا

ورامو النقص منك فاكذبتهم * ظنونهم وعاد الذم نعتا
حماهم نجم سعدك أن يحلوا * محلك أو يحوموا حيث حمتا
تصرف يا ابن ابراهيم فيما * حويت من المعارف حيث شئتا
وكيف يسومك الحساد خسفا * وأنت أجلهم حظا وبختا
وأبرع من تلفتت المعالى * اليه ومن برى قلما وأفتى
وقد نا ديت لما سرت ربى * بما ناداه ذو النون بن متى
بأن يكفيك عادية الليالى * وتصحبك السلامة حيث كنتا
وقد أدت سؤلى فيك اذلم * تزل فوقا ومن عاداك تحتا
فدونكها عروسا من صديق * تمت بصحبة الآباء متا
وخذها غضة من منطق لا * بألثغ لا يبين ولا أرتا
ربطت بها معالى الشمس قسرا * وقومت القوافى فيك نحتا
يود البدر لو ترضى به أن * يكون لها أخا والشمس أختا

وقد حاز قدرا عاليا وجاهه ونشر من الفضل ما أيد الله به عزه وجاهه مع زهد ليس طرفه لزخرف الدنيا رانى ولا بدع فالحكمة يمانية والايمان يمانى روح الله روحه وزاد من نعيم الجنان فتوحه

﴿القسم الثالث فى مصر وأحوالها وسبب العودة لرسومها وأطلالها﴾

لما كانت مصر القاهره ربوعها بالفضلاء والادباء عامره وهى عشى الذى منه درجت ووكرى الذى به ريشت ومن بيضة بلده خرجت

بلاد بها نيطت على تمائمى * وأول أرض مس جلدى ترابها

رأيت أهنى العيش ما كان فى الوطن والنعيم المقيم انما يكون فى الاهل والسكن الا انها أبدت العقوق من حين عقت التميمة واذاقتنى الاذى وجرعتنى الدم فى المشيمه وأخرجتنى من مضيق لمضيق وشدت فى المهد قيدى الوثيق وما كشفت عن وجهى القناع حتى فطمتنى قبل الرضاع

لما تؤذن الدنيا به من صروفها * يكون بكاء الطفل ساعة يولد
والا فما يبكيه منها وانها * لأوسع مما كان فيه وأرغد
اذا أبصر الدنيا استهل كأنه * بما سوف يلقى من أذاها يهدد

فنفرت من ظلي وأسأت الظن بسميري فكري وعقلي وعادتني نفسي فما ظنك باهلي وأعدى عدوك بين جنبيك فمالك بغيرك ان كان لك أو عليك

قلبي الى ماضرني داعي * يكثر أسقامي وأوجاعي
كيف احتراسي من عدوي اذا * كان عدوي بين أضلاعي

فقلت أهل بأهل وداربدار والعمر فرصة فالبدار البدار فالدهر عقب والعجز صب وكل ماتهواه حسن وليس لما قرت به العين ثمن ومن كان من تراب فالناس كلهم أقاربه وماخاب حر رفيقه الرجا والعزم تجانبه وما أحسن الثبت ان ساعدت الاقدار وما أجمل الصبر لو صبرت الاعمار وما قال الله تعالى أفلا ينظرون الى الابل كيف خلقت والى السماء كيف رفعت والى الجبال كيف نصبت والى الارض كيف سطحت الا أرشادا لك للرحيل وأن كل دار سقفها السماء ظلها ظليل

وكم نبت الاوطان وما بأهلها * فاورثهم عزا الحياة التغرب
وهذا رسول الله فارق مسكة * على جفوة لم ترضها فيه يثرب

ففي كل قوم أوس وخزرج ومن العمود الى العمود فرج وكليم الله آنس نارا ذهب ليأتي منها بقبس فكلمه الله جل جلاله حتى اقتبس من نور النبوة ما اقتبس ولما ارتحلت حمدت السرى ونبهت عيون حظي من سنة الكرى تركت بها من ساداتنا العلماء والادباء والرؤساء عصابة وأي عصابه ﴿أهل السماحة والرجاحة والاصالة والاصابه﴾ كرام اذا أخلفت الانواء خلفوا سحابه واذا استعبد الكرم الاحرار ملكوا رقابه ففارقت من فارقت غير مذمم ويممت من يممت غير ميمم وهكذا الدهر مولع بالبين فكأنه خاف اللحن فلا يجمع بين ساكنين

وعما أعان على الزمان * عفاف يدي وعلو الهمم
فاني من العرب الاكرمين * وفي أول الدهر ضاع الكرم

فممن كان بها في ذلك الزمان ثم دخل بعد ذلك في خبر كان

﴿محمد بن يس المنوفي﴾ فاضل أديب وصديق لي صادق الود نجيب علم أقلامه نفثات السحر وعمها بغالية مدار أرخصت مسك الشعر فما مسك نبت عند نفحة رياض لها ر ياحين العقول نبت فكم حل عرى النوم عن مقلته فاقتنص أوابد المعالي ببازهمته واجتنى ثمرات المعارف من جنان أمله وغصن شبابه معتدل لم تطمع

لحادثات في ميله

أما من الظرف عنده الدهر ثاو * كن الظرف عنده ابن سبيل

وكانت لنا معه أويقات هي في صحائف العمر حسنات وخمائل الشباب دانية القطاف زاهية الزهرات في عنفوان عمري واقبال طليعة أمري وماء الحياة مغدق وغصن الشبيبة مورق متفيئا في هاجرة التحصيل أفياء الصبا نازلا حيث لا عليل الاعيون الغيد ونسيم الصبا ولا باكي غير طرف النرجس بدمع الندى ولا ساهر الاعيون النجوم التي هي للسارين هدى والدهر طلق طيب الأخلاق وسوق الفضائل لا ينفق فيه النفاق لا كهذا الزمان الذي كسد فيه الادب وبار حتى قيل فيه نفق الحمار وبارت الاشعار فما جاد به طبعه المريع وزهابه فكره في كل زمان ربيع قوله من قصيدة يرثي بها الوالد رحمه الله تعالى

مابال أيدي النائبات تخون * وتديم رضف المجد وهو رصين

يادهر لاعتبي عليك ولا رضى * كل المصائب بعد ذاك تهون

تعد الورى البؤسى فتسرع وقعها * واذا وعدت بما يسر تمين

(ومنها)

لو كان يجدي الدوح ميتا قبله * نفعا لناحت أعصر وقرون

ياواعظا بسكونه حركتنا * ولأنت بالوعظ المفيد قمين

(ومنها) وغدا بصميم الرمس الا أنه * في قلب كل موحد مدفون

حفتك رحمة ذي الجلال وعفوه * وسقى ثرى جدث حواك هتون

وسرت محاسن ما صنعت حواملا * حسن الثناء يحثها التأمين

ومما أنشدنيه قوله من قصيدة أخرى

تائهة بالدلال يثنيها * عن حائر في الهوى تثنيها

قرح فيض الدموع مقلته * فاشتبك الماء في مآقيها

ومن غدت في سواد مهجته * لواعج الشوق كيف يخفيها

يبعدها الصد والهوى محن * عن ناظري والغرام يدنيها

هل بارق ما أرى أم ابتسمت * فانتظم الدر في تراقيها

عن فتكها قدها يحذرها * ولحظها بالصدود يغريها

ان سفرت فالهلال طلعتها * أو خطرت فالغصون تحكيها
أو نظرت فالظباء في خجل * أو نكهت فالعبير في فيها
أو يخطف حيها وقل لها * كل صديق عساه يرضيها
لو سمعت بالكرى لأرقني * وهنا من الليل خوف واشيها
أو بعثت طيفها العرفها * ماذاقه الصب من تجنيها
شقة بين لهجرنا نشرت * فلا يكاد الزمان يطويها
جرعني الدهر بعدها غصصا * أكتمها تارة وأبديها
يا بائعا نفسه بلا ثمن * أرخصتها فالهوان يشريها
ما بال هذا الزمان يتحفني * بصعبات الى يهديها
طلائع للشيب ضاحكة * بعارض والشباب يبكيها

(ومنها)

خذ روضة طاب فيك مغرسها * منها ثمار المديح تجنيها
في لهوات الرواة أنبتها * ذكر علاك الذي يرويها

(ومن أهاجيه)

ومسملين على لبس الوقار لحى * يشكو ظلامتها صدر وأكتاف
يشك ناظرهم فيهم اذا ركبوا * حتى كأن وجوه الخيل أرداف

(وله أيضا)

ومن تمسح الايام رأس شبابه * براحة بلواها يشب قبل مسحها
ومن يرع سمعا للنصيحة من عدا * يجد ما تحامى في أسرة نصحها

(وله أيضا)

ساومتني الهموم والحزن عن * كان يرعى على البعاد جواري
كنت أبكي بعد الديار اشتياقا * فدهاني بكاء قرب الديار
أي قلب يقوى على فقد السفين رهين الثرى وناءى الدار

(وقوله أيضا)

ما حال من رمت النوى بعدا الجوى * في عارضيه وقلبه بهموم
فغؤاده في أرض مصر وجسمه * شابت مفارقه بأرض الروم

(وله أيضا)

صحبت الليالى فافنيتها * وعذبت فكرى بطول السهر
وخضت البحار وماخفتها * وأخرجت منها نفيس الدرر
وفصلتها ثم نظمتها * وعلقتها فى رقاب البقر

(وله من قصيدة)

ما العصر الشباب رثت بروده * ولوت جيدها عن الوصل روده
وليباده وما طال عهد * من سقيط الندى ذوى أملوده
وسواد العذار عادمريضا * فأتى ناصع البياض يعوده
ما المحب يخلو عليه ولكن * بزمام الى الحمام يقوده

(وله أيضا)

ومن تخطئه نيران المنايا * فسوف يصيبه ألم الدخان
وابلغ من مذاق الموت بأس * جناه المرء من روض الامانى

وله أيضا

قضيب الربى وافى * نخد الورد فى خجل
وعين النور شاخصة * وشخص الظل لم يمل

(وله فى رأس على رمح)

سامية فى الحياة طاولت الشهب وما نالها هبوب الرياح
أنفت بعد موتها الترب فاختا * رت لها مسكنا رؤس الرماح

وهذا كقول البحترى فى غريق

ولما لم يسعه البر قبرا * غدا البحر المحيط له ضريحا

ومن بدائه الاستاذ البكرى البديعة انه التمس منه بعض الادباء شفاعة لبعض الوزراء فاخذ القلم ليكتب له ما أراد فسقط القلم من يده فقال بديهة

ولما ضاق عنه الطرس وصفا * جعلت له بسيط الارض طرسا

وأصل هذا كله قول ابن الانبارى فى مرثية الوزير ابن بقية لما صلب وهى مشهورة

ولما ضاق بطن الارض عن أن * يضم علاك من بعد الممات
أنابوا الجو قبرك واستنابوا * عن الاكفان ثوب السافيات

وممّا أنشدني بعضهم للنوفي

حلف المتيم أن يوده * بلغ المنى أو نال صده

عكفت عليه العاذلا * ت يلمنه ويردن رده * والله يعلم أنهن بعذلهن يزدن وجده

سلب الفؤاد وليس من * شرط الملاحة أن يرده

وهذا الشعر ليس له وانما هو لشاعر مكي عصري الا أن اسمه نسجت عليه العناكب وهبت على رسمه الصبا والجنائب

(عبد الوهاب المحلي الحنفي) شاب غض الشباب كان لي من أجل الاصدقاء والاحباب لما قدم لمصر في طلب العلم مرتديا برداء الاغتراب وكان في عنفوان شبيبة الامل بالحله اذا رجا من الدهر أملا رآه أهله ومحله وقد نسجت بيد المحاسن شملة شمائله وبهتت عيون الازهار الربيع خمائله وقد غردت في رياض المحامد بلابله وسيف طبعه المشحوذ قد علقت في عاتق المجد حمائله وفصاحته تفعل ما لا يفعله السكران سكر الشباب وسكر الشراب وتخلب بما لا يؤثره السحران سحر النفثات وسحر الكلمات العذاب

هو شرط النبي اذ قال حقا * اطلبوا الخير من حسان الوجوه

وتباشير صبح نجابته باسمة الثنايا تقول ان في الرجال بقايا وظل مجده مجسم وروض فضله مدبج وجوده سحابة وطفاء سقت ظمآن القفار وأيقظ رشاشها أحداق النوار بطلعة ذ الاح سناها فالعيون من بعض أسراها تفديه اذا تقاطر منه ماء الظرف والندا وتقول له امامنا بعدوا ما فدا وقد جرى بيني وبينه في مضمار الصحبه بدهم الليالي والايام طراد خيل اللهو في حلبة المحبه فحاز قصب السبق من الاقلام حيث النسيم عليل والوقت سحر وأصيل حتى قطفت يد الاجل نواره وأطفأت رياح المنية أنواره فبينما بديهته ترشف الاسماع على ظما زلالا فاجأه الاجل فخلنا موته كان ارتجالا فما أملاه وطرز برده ووشاه قوله من قصيدة أهداها لي

أثغر بدا يفتر أم شنب الزهر * زها أم سقيط الطل أم أنجم الزهر

أم القضب في خضر البرود رواقص * لما نقطت أيدي الغمائم بالقطر

فارخين من تلك الكمام معصفرا * ومسن كغيد في ملابسها الخضر

ودبج وشي الروض منها مطارفا * مطرزة منها الكمائم بالزهر *

وولى هزيم الليل مذ سل صارما * عليه ضياء الصبح من معمد الفجر
وبات يعاطيني الغزال مشنفا * من الكاس راحا قد أذيبت من التبر
رخيم من الاتراك هندى لحظه * يصول بقسر وهو فى غاية الكسر
اذا رمت ضما منه بنصب عاملا * غدا ماضيا فينا ويجزم بالهجر
ويبعث خلفا منه شعرا منشرا * ملاح أتى فى الحسن بالبعث والنشر
وتحسد ربات الشنوف وشاحه * ومن قلق قد بات يشكو ظما الخصر
يراضعنى ثدى الليالى من مدامة * براح لنا منه معطرة النشر
نعمنا بها كاسا اذا ما تشعشعت * ولاحت رأيت الشمس فى راحة البدر
كأن نثار الدر فوق كؤوسها * رسائل ذى فضل تنظمن من شعر

وكان ذهب فى يوم نام فيه الحدثان وغفل عن صفوه رقيب الزمان الى روضة طرزها الربيع ووشاها وصحيفة نقطها القطر لما رأى النبات حشاها والطير يبدى فى قراءة أوراقها ولوعه وقد أوقد لها الزنبق فى حافاتها شموعه وهى شاكرة للديم محدثة بلسان النسيم عما لها من النعم ومطرف الجو محلك معنبر والماء فضى القميص وطيلسان الروض أخضر وقد غنت بلابلها وصفقت طربا جداولها وتضرجت خدود أزهارها الجنية وتلفعت أرداف ذوائبها بملاءتها السندسيه وتعذرت أنهارها بعوارض الريحان يكاد السحر يعبدها اذا تحير فى وصفها البيان فكتب لى يدعونى الى التمتع بعبير شميمها وان نعود على فرش الربى عليل نسيمها فقال

مولاى ان الروض من وشى السحب * يختال فى زهو الحلا لا على الكتب
معنبرا ممسك الاذيال * معطر الاردان بالاوصال
مفسوقا آذانه بالدرر * مدبجا أكمامه بالزهر
قد صافحت أزهاره الغمائم * فضاحكتها بالربى الكمائم
وفرك الريح على متن النهر * جيوبه وفك أزرار الزهر
وأظهرت حلا الربى الامطار * وطارحت أشجانها الاطيار
وقام يعلوا منبر الاشجار * خطيبها محرك الاوتار
منمق الديباج قد تتوجا * مطوقا مقرطقا مدمجا
مطرزا أكمامه بالعسجد * مرصعا من معدن الزبرجد

يدعوك شوقا معربا بشجوه * فكن امامى مسرعا لنحوه
وانف الهموم والغموم والترح * واستجلب الانس خليلى والفرح
فهالك أوقات السرور قد دنت * مبشرات بالهنا وأعلنت
ودع مقال كل واش يعذل * فالعذر حقا ليس فى ذا يقبل
ودم تكاتب برفيق الفكر * عبدا على حكم الهوى فى الاسر
قد قيدته غربة الاوطان * عن الدمى وخرد الغزلان
لازال مولانا الشهاب الثاقب * لعبده وقنسه يكاتب
مادبجت بوشيها الاقلام * محبر الاوراق والسلام

ولما فارقنى لوطنه كتب الى يشتكى أمرا أنزل به فأجبته بقولى مولاى يشتكى من الدهر وهو أبو العبر وفى المثل من سابق الدهر عثر فانتظر عقب الزمان عليك وكل الى الله أمر من أساء اليك فان الدهر دول ولله جنود منها العسل وكم أغنت الوحوش عن صدمات الجيوش وما سميت الحال بالحال الا لسرعة التحول والانتقال فأيامه يوم بيوم وحربه سجال فما عبس مساء بوجه أفقه الا وبعده صباح يضحك عليه فم شرقه فأوقد مصباح فكرك ان أظلم الدجا واصبر فان الصبر يفوح منه أرج الرجا وان جفت قريش فلله أنصار وان نبت بك دار فلله ديار واذا كان انتظار الفرج عباده فأوقات الضيق كلها سعاده وقرب الاشرار أعظم مصائب الاحرار ولله در القائل

مرضت من الحمقى فلم أدرك المنى * تمنيت أن أشفى برؤية عاقل

فان لم تجد الشفاء فالزم الاحتماء كما قيل

أرى مرض الحمقى بعدوا مهلكا * فمن لى بذى لب به يشتفى باسى
يئست ولم أنظر حكيما فلا شفا * سوى حميتى بالبعد عن سائر الناس
جزى الله عنى الياس خير جزائه * فانى لم أظفر باعقل من ياسى

وقد قلت فى الفصول القصار فى الترك غنى بلا مَنّ والحمية دواء بلا ثمن والسلام

(عبد المنعم الجلى الطرينى) أديب اجتمع بى وأنشدنى ما تهزله الفصاحة أعطافها من كلمات اذا انتسبن عدد الدر أصدافها من كل عقد تبسم العقود لها كلفة انتظامه وتحيا النفوس بماء الحياة الذى فى مداد أقلامه والدر مختلب من الظلمات ولطيف

شيم ليس للرياض أخلاق كماله ولا للبدر ولو تكلف أن يحكى كماله وقد درس آيات الفضل وتلاها واقتنص شوارد الآداب وما تلاهى والشباب لف شمله بشمله ومراده وبعده أطوع من ظله حتى اقتنصه فى ليل شبابه صياد المنية وضرب سورا بينه وبين الامنية فمن نفثات أسحاره ونسمات أسحاره قوله من قصيدة أنشدنيها

أمولى به روض الفضائل مزهر * ويانع أغصان المآثر مثمر
لك الله من مولى به يفخر العلا * وتشرق شمس الفضل منه وتظهر
بشاطى بحر الطرس منك جواهر * ولا عجب من ذا ففكرك أبحر
وهتان سحب الفكر هل أنت منبت * به أى معنى من معانيه يستر
رفعت اليك الحال ياخير سيد * وان كان رفع الحال لا يتصور
نظمت لخلناه الدرارى تنظمت * نثرت فقلنا النجم فى الافق ينثر
علقت بظبى بابل السحر لحظه * فأجفانه كالبيض والقد أسمر
لئن لاح يوما وجهه متهللا * لهلل كل الناس من دا وكبروا
اذا ماس قال الغصن ما أنا قده * ويكسف بدر التم اذ هو يسفر
ويزرى لعمرى بالغزالة فى الضحى * اذا ما رنا شزرا ولا لاح جؤذر
تجمع كل الحسن طرا بوجهه * ألم تر نقط الخال ختما يخبر
وان اص لحظى رام يسرق نظرة * ففى جنبات الخد تبدو وتظهر
علقت به لا عن مراد واغا * محاسنه نادت فلبيت أعثر
سحرت بلحظ بابلى ولم أكن * أظن من الالحاظ أنى أسحر
تعدت مواضى مقلتيه بمهجتى * بعامل قد كسره ليس يجبر
تنازع فيه عاملا البين والقلى * فأمسى وكل فى الضمير مؤثر
اذا قلت صلنى راح بالهجر جازما * وينصب ماضى الغدو الجفن يكسر
ألين له عطفى فيزداد قسوة * اذل له جهدى يعز ويكبر
بذلت له روحى ابتغاء وصاله * فلم يرضها الذراح منى يسخر
فهل تعلمن وقيت كل كريهة * سبيلا الى ما أبتغيه ييسر
فلا برحت هام العلا لك موطنا * باعلى سماء المجد لازلت تخطر
مدى الدهر ماحن المشوق لاهله * وزمجر رعد الشوق والجفن يقطر

وقوله رفعت اليك الحال فيه اغراب مسبوق اليه كقول الصفي الحلي

رفعت حالى ورفع الحال ممتنع * اليكم وهو للتمييز محتمل

(وأحسن منه قولى)

أأشكو الحال والرزاق أدرى * بها وهو الغني عن السؤال

وانى مخطئ ان عدت يوماً * لنحو شكايتى ورفعت حالى

قوله فلا لاح جؤذر كقول ابن مطروح

وأقول يا أخت الغزال ملاحة * فتقول لا عاش الغزال ولا بقى

وهاهنا نكتة بيانية لم يتفطنوا لها وهو أن التشبيه البليغ له أنواع أدناها أن يدعى اتحاد ما بينهما فيحمل أحدهما على الآخر كزيد بدر ونحوه وأعلاها التجريد وبقى منه نوع أبلغ من كل ماذكر وهو أن ينفى التشبيه فيقال ماهو بحر فانه عذب زلال يقذف الدر فى كل حين والبحر اماماء أجاج وعذب ليس فيه در ثمين ونحوه مما هو كثير فى كلامهم والنفى بحسب الاصل يدل على انه من شأنه أن ينسب له فى الجملة ولذا لا يقال الحائط ليس بعالم فى كلام البلغاء الا لنكتة فلذا كان تشبيها أبلغ مما عداه فاحفظه

وقوله نثرت فقلنا الدر فى الافق ينثر وأحسن منه فى مدح كلام منثور

وفصل من النثر البديع قرأته * فقلت حباب تحته الخمر مسكر

أو الطرس روض زهره متفتح * بلى هو عقد الزهر فى الصبح ينثر

(محمد بن الخياط الحلى) شاب أديب نشأ بالمحله لم يحل أحد فى خياطة حلل السحر محله وكان كعبة ظرفاء ثم ارقبلة ندمائها من سابقه فى طرق الرقه بعدت عليه الشقه فمن شعره قوله

لنا صاحب مازال يتبع بره * بمن وذاك البر بالمن لا يسوى

سلوناه لا بغضا ولا عن ملالة * ولكن لاجل المن تستعمل السلوى

ومثله قول التلمسانى

هوا كم هو المن الذى ماله سلوى * وحبكم عندى هو الغاية القصوى

ومن محاسن الاردبيلى قوله فى غلام يهودى

من آل اسرائيل علقته * أوقعنى بالصد فى التيه

قد أنزل السلوى على قلبه * وأنزل المن على تيه

ومثله ماقلته

يا من لا يوزن احسان من * صرنا على احسانه نقوى
أما ترى الرزاق جل اسمه * قد قرن المن مع السلوى

وقوله يسوى بمعنى يساوى وقال بعضهم انه من خطأ العوام وليس كما قاله ففى تهذيب الازهرى بعد ما ذكر لا يساوى ما نصه لم يعرف الفراء لا يسوى وقال الليث هى نادرة ولا يقال منه يسوى بل لا يسوى وهى لغة أهل الحجاز وأما لا يسوى بالضم فليس بعربى صحيح انتهى وفى الارتشاف لابى حيان عد البهارى فيما لا يتصرف من الافعال يسوى وقال ابن الحاج بمعنى يساوى انتهى أقول قد علم مما نقلناه أن يسوى برتبة يرضى لغة صحيحة فصيحة حجازية وماضعفها الا ابتذالها وهى من الافعال التى لا تتصرف أى لم يسمع منها الا فعل واحد وذلك يكون بالاقتصار على الماضى كعسى وتبارك وقد يكون على المضارع كيسوى وينبغى فى قول وان ترك لفظ من مادة دون غيره فاماته كماضى يدع ويذر على المشهور وهذا مما ينبغى حفظه

﴿القاضى تقى الدين التميمى﴾ بحر تدفق منه أدبه الجارى وتضوع فى طى اردان فصله نشره الدارى فسنت الايام من أسنة لسانه فولاذها وأطعمته المعالى على خوان الدهر من كبدها أفلاذها ولما آل اليه كتاب وقف جده تميم انتظم فى جيده من الفخار عقد نظيم ثم اختلسته منه يد الدهر فاذاقته حنظل الفقر والقهر حتى أضرم فى فؤاده غليلا بعدما ورد من ماء الحياة على ظمأ سلسبيلا وكان فى أول أمره واقبال طلائع عمره حرفته الزهاده وحانوته السجاده ثم ساقه القدر الى القضا فرضى بما قدره الله وقضى بعدما كان يقول

من تمنى القضا فلا تغبطنه * واجعل الموت سابقا للقضا

وقد قالوا من تولى القضاء ولم يفتقر فهو لص والآن قد افتقرت اللصوص لما سرقت الامراء من الحواتم الفصوص والسارق اذا سرق من سارق فقد عامله برأس ماله وقالوا الربح والفائدة السلامة من الخسران ووباله وما يسلب قاطع الطريق العريان بل يهديه للسبيل ويعطيه الامان فكل قاض منقوص أيدى غصبه وأظهر مع كل عامل نصبه ورفعه وجره لم يزل ينوى وحاله لم يطب وان عمت به البلوى ودود النحل يموت اذا رمى فى العسل وطيب الورد فيه هلاك الجعل وله تصانيف سمعناها منه

منها طبقات الحنفيه وهى فى مجلدات جمع فيها من شقائق النعمان كل غرة جنيه وله نظم ونثر كقوله وقد لبس من القضاء خلع المذله وما كتب له الاطماع من نصب المناصب حله

أحبابنا نوب الزمان كثيرة * وأمر منها رفعة السفهاء
فتى يفيق الدهر من سكراته * وأرى اليهود بذلة الفقهاء

وله أيضا

ما أبصرت عين امرئ * فى الدهر يوما مثلنا عشق وحرمان به *
أبدا ترانا فى عنا الدون لانرضى به * والعال لايرضى بنا

والعال بمعنى العالى كقولهم لم نبل الا انها لغة عامية مبتذلة وقيل لابن المقنع لم لا تقول الشعر فقال مايجى ما ارضاه ومارضاه مايجى وله أيضا

اذا أكثر العبد الذنوب ولم يكن * له شافع من حسنه يوجب العذرا
وأبصرت مولاه مع الذنب منعما * عليه فحقق أن بينهما أمرا

وله فى عبد الرحيم القسام

فى مصر قسامان كل يدعى * فى العلم توسعة له ويحاول
فسئلت أيهما أجل فضيلة * فاجبتهم عبد الرحيم الفاضل

وله أيضا

واذا أساء اليك خادم سيد * فاقره فارحل ولا تتوقف
واعلم بانك قد ثقلت وانه * أعطاك اذنا للرحيل مخفف

وله مضمنا

لنا صديق له فى الغانيات هوى * وايره لايزال الدهر طراقا
كانما هو حرباء الهجير ضحى * لايرسل الساق الا ممسكا ساقا

وقد سبقه لهذا ابن نباتة المصرى فقال

لايشغلنك شئ فى زمانك عن * وصل الملاح وحاذر كل ماعاقا
وكن كما قيل فى الحرباء من فطن * لايرسل الساق الا ممسكا ساقا

وهو تضمين من قول بعض شعراء الجاهلية

انى أتيح له حرباء تنضبة * لايرسل الساق الا ممسكا ساقا

والساق فيه غصن الشجرة ومن الانسان معروف وبه قامت التورية وضربه بعض العرب مثلا لألد الخصام الذى كلما انقضت له حجة أقام أخرى والحربا دويبة تسمى أم حبين تتلون ألوانا مع الشمس وتكنى أبا قرة ويقال حرباء تنضب كما قيل ذئب غضا وهو شجر يتخذ منه السهام جمع تنضبة وفى المثل أحزم من حرباء لانه مع تقلبه مع الشمس لا يرسل يده من غصن حتى يمسك آخر وهو الذى عناه الشاعر وضربه ابن الرومى مثلا للقبيح ويضرب به المثل فى كثير التقلب أيضا وكان بينى وبينه مودة أكيدة ومكاتبات ومراسلات بالروم فمما كتبته له

يا روض مجد عباه المكرمات سقى * وجامعا شمل فضل غير مفترق
لا أتقى زمنا أصبحت واحده * فأنت حصن لريب الحادثات تقى

وكتبت له مرة أستدعيه

ولما نزلنا منزلا طله غدا * أنيقا وبستانا من النور حاليا
أجد لنا طيب المكان وحسنه * منى فتمنينا فكنت الامانيا

يا غاية الامانى وسلوة الحزين العانى قد دعانى الربيع بلسان النسيم وصاحت الطيور هلموا الى النعيم المقيم وعيون الازهار شاخصة للطريق وقدود الاغصان واقفة لانتظار الرفيق فبالله عليك الا جعلت يومنا بك عيدا وجددت لنا بك سرورا جديدا والسلام ولم يزل كذلك حتى طلع ثنية الوداع وهبط منها لوادى الفناء وبلغ ساحل الحياة فركب سفينة نعشه واستراح من العناء

(يوسف المغربى) عزيز مصره بنانا وبيانا ويوسف عصره حسنا واحسانا نشأ بمصر يتعاطى صناعة الادب وثبت بأوتاد شعره كل سبب يشارك فى تجارة الفضل بنصيب ويرمى لأغراضها كل سهم مصيب بطبع ألطف من نسمات الشمال سرت سحرة بليلة الاذيال متتابعة الانفاس فنبهت طرف نور فى مهد الرياض نعاس وقد خشت الصبا خد الشقيق وخاضت بحار الدياجى فى كل فج عميق مرتدية برداء السحر معانقة لقدود الشجر حتى ألقى هندى العنبر فى النار نفسه من حسد عليه وتفتتت سويداء المسك حيث لم تصل اليه وكان سابقا فى ميدان التصابى بين العذيب وبارق مجرعوا البنا ومجرى الجياد السوابق فروينا كل حديث حسن صحيح بسنده راوى الزمن حيث الدهر غض الشباب والآمال

المورقة فسيحة الرحاب وله مورد من الادب صفى وديوان سماه الذهب اليوسفى ثما انشدنى منه قوله من قصيدة له

هذى كنوز فتحت أم مبسم * والبرق لاح أم الغوانى تبسم
هذى شمائل قد نزلن جوانحى * وجوارحى يبقى النزيل ويسلم

(وله أيضا)

أوصيك ان تخص غدا * يضحك ان مربكا
لاتغترر بضحكه * فان هذا كالبكا

وله فى العاملى

ان اليهودى غدى عاملا * فى الناس بالجور وبالباطل
يعمل فى الدين كما يشتهى * فلعنة الله على العامل (ى)

(وله من قصيدة أخرى)

اشرب ولا تعتب على عاذل * فثله فى الناس لم يعتب
وان تكن ياسيدى طالبا * دراو ياقوتا من المطلب
فالكاس والصهباء فيها الغنى * فخذ حديث الكنز عن مغربى

((وله من قصيدة))

جعلوا الشعور على الخصور بنودا * والراح ريقا والشقيق خدودا
جعلوا الصباح مباسما ثم الظلا * م ضفائرا ثم الرماح قدودا
والورد خدا والغصون معاطفا * والشمس فرقا والغزالة جيدا
ورأت غصون البان أن قدودهم * فاقت فاضحت ركعا وسجودا

وهذا كقول ابن قلاقس من قصيدة له

عقدوا الشعور معاقد التيجان * وتقلدوا بصوارم الاجفان
وبوجهوا زردا فقلت أراقم * خلعت ملابسها على عقيان

(ومنها أيضا)

وهلال شوال يقول مصدقا * بيدى غصبت النون من رمضان

وله فى مليح اسمه رمضان

رمضان قد جئته رمضانا * وهو بدر يفوق كل الحسان

قلت

قلت صلني فقال وهو مجيب * لا يجوز الوصال في رمضان

وهذا كقول الآخر

بليت به فقيها ذا جدال * يجادل بالدليل وبالدلال
طلبت وصاله والوصل حلو * فقال نهى النبي عن الوصال

واعلم أن هذا كله ليس بشعر ترتضيه الادباء وهو كل شعر أكثر فيه من البديع قالوا وأول من أتلف الشعر العربي بهذا النمط مسلم بن الوليد ثم تبعه أبو تمام وأحسن هذه الصنعة التجنس والتورية وهما في الشعر كالزعفران قليله مفرح وكثيره قاتل ولذا لم تجد في أهل مصر من يعرف الشعر ولا ينظمه ومنهم من غلط في ذلك فأكثر من اللغات الغريبة وتوهم انه بذلك يصير بليغا على أن باب التورية قفله ابن نباتة والقيراطي ثم رميا المفتاح في تلك الناحية وهذا لا يعرفه الا من له سليقة عربية وليوسف المغربي يمدح أستاذه يحيي الاصيلي فانه تخرج عليه

مدحت البحر اذ أضحى يحاكي * علوم البرزي الفخر الجليلي
واني ان مدحت البحر يوما * فمدحي فيه للبر الاصيل (ى)

فكتب له مخمسا ومقرظا حمدا لمن أطلع من الافق الغربي بدر بلاغته مشرقا وشكرا له اذ أبدع جمال دينه بما أودع فيه من الكمالات التي زينت مغربا ومشرقا وصلاة وسلاما لمن أضاء الوجود برسالته متألقا حبيب الله عز وجل الذي متعه بدوام وصلته بلقائه لم يقل متى اللقا وأرشد أمته الى حسن الادب بقوله تعالى فلا تزكوا أنفسكم هو أعلم بمن اتقى وبعد فان الشيخ الاديب الكامل الاريب الكاتب الشاعر الناظم الناثر ذا النظام الجوهري والنثار الذهبي أبا المحاسن يوسف جمال الدين الازهري المغربي أدام الله عز وجل محاسنه ومحاسن كماله وأبد جمال رونقه ورونق جماله ممن جمع الله له بين الحسن والاحسان وبراعة البنان وبراعة البيان فقد أربى بنضارة كلامه على زهر الخميله ورقت دقائق بديعه على درج المعالي الجليلة الجميله حتى صار مع صغر سنه شيخ الآداب وظهر فضله كالشمس وقت الظهيرة في عصر الشباب وكان كثيرا ما يجاملني بحسن المجالسه ويعاملني بلطف المؤانسه وينعم باجتلاء جواهر محاضراته واجتناء زواهر محاوراته فتفضل باهداء بيتين مطربين ولاطرب المثالث والمثاني مغنيين عن أجمل الغواني جلا

فيه ماعرائس صفاته فى مرآتى وأشرق مصباح ذاته فى مشكاتى فأوسعنى أوسعه الله من فضله المزيد مجاراة وتأنيسا والتمس منى حرسه الله بسر التوحيد أن أجعل له تخميسا قاصدا بذلك أنجح الله مقاصده وكثر فوائده تنويه ذكرى فأجبته لذلك مطيعا لامره حافظا ولا أقول مضيعا الطيب ماانطوى فيهما من عاطر نشره معترفا بأن نظمه ثوب لم أكن من بزه ووشى فكرى مقصور على رخيم خزه فأبقاه الله عز وجل لاعلاء أعلام العلوم وتحلية أجياد الآداب بجواهر المنثور والمنظوم والبيتان العامران بل الروضان الزاهران والكوكبان الزاهران قد تقدما والتخميس المذكور هو قولى

رأيت النبى يمدح باشتراك * لآخر فى صفات الفضل زاكى
ألم ترنى بعزم وانهماك * مدحت البحر اذ أضحى يحاكى
* علوم البرذى الفخر الجليل *

أصيلى جفا فى العلم نوما * وبر قد غلا فى المجد سوما
ولجج فى بحار الفضل عوما * وانى ان مدحت البحر يوما
* فمدحى فيه للبر الاصيل * (ى)

أهل مصر تقول لما بلغ الغاية راح للبر الاصيل وهو مشهور ومعناه ظاهر ولما خمس قصيدة البردة بعض المتشاعرين من أهل الروم قلت فتح الله عين بصيرته أتى فى تخميس البردة بما يدل على جود قريحته فخمس بل خمس ودلس بغموض معانيه بل دنس والبردة برد لا يحتاج جديده لترقيع بمثل كلمات هذا الاحمق الرقيع وبالجملة فالاصل درثمين بل جوهر نفيس يجل عن التثمين لما فيه من عظيم التوحيد والتنبيه بمدح النبى المجيد فهو روض فى شباب الربيع لا يحتاج انه غيث مريع وأما الفرع فشوك فى رياضها أودنس يحتاج للتسبيع

اذا خمس الناس القصيد لحسنه * فحق لشعر قاله أن يسبعا

﴿يحيى الاصيلى﴾ أديب ماهر وشاعر ساحر عبقت بالديار المصريه أنفاسه الندية الندية بطبع يعبر عيون الحور بسحره ويفضح رقة الصبا اذا نبهت جفون الانوار بسحره نشأ بدمياط وقد ابتسم بحياه ثغرها ودرت عليه سحائب نعمها فلله درها ثم هاجر لمصر وعود شبابه خضر وروض محاسنه بماء الصبا مع نضر فخرج

بالنور العسيلي حتى حلا في ذوقه شهد آدابه وتزينت حقاق أفكاره بفرائد خطابه وكان يتغنى بالقرآن ويقرى بصوته الحسن الآذان وله أنفاس في الغناء تميت الهموم وتحيي الطرب وترشف منها الآذان ما تسكر منه ابنة العنب فاذا ترنم في نادي سادة أعيان فكأنه نسيم الصبا والقوم أغصان فأنفاسه أطرب من عود وذكره الجميل أطيب من عود

فان العود مشتق * من العود باتقان
فهذا طيب آناف * وهذا طيب آذان

ولم يزل بعد العسيلي يدير سلافة اللطافة ومابرح بديوان في محل خلافة لا يرضى خلافه يقطف ثمرات المنى ويقيل تحت ظلال الهنا حتى مد الغناء له في الغنى مع ماله في فنون العلم والآداب من المآرب

فلله منه جانب لا يضيعه * وللهو منه والخلاعة جانب

مع انه خفيف الروح خفيف الشقة على سائر الناس فمحبته لذلك تجري مع الانفاس

واذا أحب الله يوما عبده * ألقى عليه محبة للناس

ولم يزل كذلك حتى قصد الحج بطلب من شريف مكة أمله وتنويله ولم يدر ما أضمرت له سود الليالي وما تنوي له فلما ألقى العصا بها واستقرت النوى قضى مناسك حجه وأخلص لله ما نوى ودعاه الكريم الى داره فحل متمتعا بالرحمة في جواره واقفا في عرفات احسانه محرما في ازار أكفانه وكان بيني وبينه ود جميل الا أنه لضيق وقته تشمس الشتاء عند الاصيل فما نطق به لسان قلمه وأودعه من نور معانيه في كمام كلمه قوله

من منصفي من ظالم * بيت المظالم بيته
أخفيه خشية بأسه * وأود لو سميته

وهذا كقول السراج الوراق

رزقت بنتا اليتها لم تكن * في ليلة كالدهر قضيتها
فقيل ما سميتها قلت لو * مكنت منها كنت سميتها

وقد قيل عليه ان التورية لم تعقد له لانه انما يقال من السم سممتها وقيل مثله يسمى ايهام

التورية والصحيح انه من باب تفشى البازى بمعنى تفضض وفى كلام بعضهم مايقتضى اطراده وله أيضا

ألا ان لى يا آل صديق أحمد * لشمس هدى منكم به الكرب ينجلى
فلى منه استاذ ولى منه مرشد * ولى منه قطب ذو اتصال ولى ولى

وهذا نوع من البديع زعم ابن الوردى انه اخترعه وسماه ايهام التأكيد وهو فى القرآن كقوله تعالى رسل الله الله أعلم حيث يجعل رسالاته ومثله قول ابن مكانس

نعم نعم محضتهم * صدق الولا تطولا
ومارعوا عهدا ولا * مودة ولا ولا

(وله أيضا)

لى صاحب متعرض * متقلق فى ذاته
يارب صبرنى عسى * أقوى على مرضاته

(وله مماجنا)

لابد يامولاى أن * تسمو لديك مواكب
انى رأيتك كاشفا * وأنا وراءك راكب

(وله أيضا)

وبى عروضى اذا * أبصره البدر احتجب
أعطافه لصبه * فاصلة بلا سبب

(وله أيضا)

ياذا العروضى الذى * أضحى بسيط الحسن كامل
وعن ابن قطاع روى * هلا رويت عن ابن واصل

(وله أيضا)

ياحسن جنان له وجنة * من وردها بالاثم حيانى
أتحفنى يوما عارافنى * من رطب حلو وحيانى

(وله)

أتيت جنينة أستاذنا * وقد جمعت كل معنى كمل
بها أى ورد وآس به * تفرق شمل عداه وفل

والفل

والفل نوع من الياسمين بلغة أهل اليمن ذكى الرائحة ولم يذكره أهل اللغة فهو لغة مولدة وسماه ابن البيطار فى مفرداته بالنمارق وكتب الحاله بثغر الاسكندرية

لحالى بثغر اسكندرية رغبة * ومن بعده قد حال لى فى الهوى حال
فان يك أضحى ثغرها موطنا له * فياحبذا فى ذلك الثغر لى خال

وكتب لشيخنا الصالحى يستأذنه فى الدخول اليه لما قدم مصر

على الباب من كاد من شوقه * يموت وذلك يحيى الاصيلى
أتى يتغنى بأوصافكم * فهل تأذنون له فى دخول

(فأجابه رحمه الله بقوله)

لمولاى يحيى رقيق الطباع * ولطف السماع وحسن القبول
أمولاى هل خارج ضرب بكم * لنحتاج للاذن عند الدخول

والدخول مصدر معروف ويستعمله المولدون بمعنى آخر وهو حسن الصوت الجارى على قانون الموسيقى وضده خروج والضرب النقرات التى توزن بها النغمات ويسمونها أصولا ومنه علم حسن الايهام هنا كما فى قول أبى الحسين الجزار

أمولاى ما من طباعى الخروج * ولكن تعلمته فى خمولى
أتيت لبابك أرجو الغنى * فأخرجنى الضرب عند الدخول

(وللاصيلى أيضا)

قيل لى ان فلانا * قد تعالى وتكبر
وابن قد ساء رأس * قلت لا بل رأس منسر

(وله أيضا)

شفنى فاحم شعر * حسن الجمة سبط
شجنى على عليه * وهو فى الارض يخط

(وهو كقول مهيار)

بعيدة مسقط القرطين تقرا * خطوط ذوائبها فى التراب

(ولابن سنا الملك)

وأشكوا الى ليل الغدائر غدرها * وأملى عليه وهو فى الارض يكتب

(وله أيضا)

مذبان من أهوى همت * عينى بماء منهمر
فقلت للقلب اذا * لم تلق صبرا فاستعر

(وله أيضا)

رب قاض قبل الرشوة لما * أن غلت قال للظالم انى * سأنجيك وأهلك

وله أيضا

رسالة من لطفها أشبهت * ريح الصبا مرت بزهر الربى
ولم يزل ما بين أهل الهوى * رسائل العشاق ريح الصبا

(وقريب منه قولى)

يا يوسف الحسن الذى لم يزل * عذابه للصب مستعذبا
سرى نسيم منك فى طيه * نشر لكرب القلب قد أذهبا
لولم أكن يعقوب حزن لما * أزال أحزانى نسيم الصبا

وله من قصيدة يرثى بها العلامة النحريرى البصير خاتمة المفسرين

ان عصانى شعرى لفقد شعورى * فدموعى ترثيك بالمنثور
يا اماما لما سكنت جنانا * فاض دمعى عليك فيض البحور

ومنها

وبكى الازهر المعمر بحرا * كان فى الله رب دمع غزير
فصابيحه باحشائها النا * رعليه من لوعة التذكير
ومحاريبه لفرقة ذاك الصدر أضحت مقوسات الظهور

وهذا معنى حسن سبقه اليه بلديناابن نباتة فى قوله من قصيدة مطلعها

على مثل ذا فلتبك أعيننا العبرا * وتطلق فى ميدانها الشهب والحمرا

(ومنها)

فقد نابنى الدنيا فلما تلفتت * وجوه أمانينا فقدنا بنى الاخرى
سيعلم كل من ذوى المال فى غد * ذا نصب الميزان من يشتكى الفقرا
كأن المحاريب الهيام بصدره * لفرقة ذاك الصدر قد قوست ظهرا

(وله أيضا)

لايم دين الفتى لصاحبه * آلة قطع كالسيف والنصل
الا ومع ذاك ابرة لتكن * مع آلة القطع آلة الوصل

(شمس الدين محمد النحريرى الحنفى البصير) خاتمة المفسرين والقراء والمحدثين والفقهاء علم فضله مشهور على ماتقى الحادمين منشور ذو بيان عذب طليق وروض فضل هو النعمان شقيق تفجر منه ينبوع الحكمة معينا فنادى لسان حاله

لو

قوله كأن الناس قبله صوابه عيونا والافكار جمع الضمير فى قوله بصدره اه

لو كشف الغطاء ما ازددت يقينا فله فى كل لفظ براعة وفى كل عبارة براعة عليه حلل الفضل سوابغ وبجيد الدهر قلائد من كلمه النوابغ وكان فى ابان أمره واقبال طلائع عمره سعده فى كمن الخمول يراقب فرصة يطلع منها له القبول ان غرس غراس المنى جنى منه ثمر الغنى لا الغنى

ومع العفافة ثروة لو أنها * نوم لما شعرت به الاحداق

وله أخ شقيق وصنو عريق متسربل بسربال الثروة شارب من كل ورد صفوه فاتفق أن زاره الحمام وحياه طارقة لسلام ففرب وجهه لقراه ولم يكن له وارث سواه فبدل فقره بالغنى ونور له رياض الآمال والمنى

بذا قضت الايام ما بين أهلها * مصائب قوم عند قوم فوائد

وقد حضرت ناديه وهو على التفسير يقرى المسامع بالمواعظ والتذكير ثم يكسو الوفود ديباج الحقيقه ويحلى واديه بنور كلماته الانيقه ويجرى أمطار عبرته حتى تعشب ذلك الوادى ويرعى بربيعه المخصب سرح كل حاضر وبادى فتود الاعضاء لو أنها كلها مسامع والاذهان لما عليه عليها لو أنها كلها دفاتر ومجامع وبالجملة فهو فذلكة كتاب الدهر ومنطقه نتيجة مقدمات السحر عن تنقشع بذكره سحائب النقمة وتنبع منه ينابيع الحكمة لا زالت هتانة على جدث حواه هواطل الرحمه ولدانه واترابه وأقرانه وأصحابه

ع (محمد الحنفى القتى المعروف بالذئب) وما هو ذئب بل أسد له رأى فى مذهب النعمان أسد وحبر تكحلت بحبره عيون الفتوى وبحر تروى المسامع بمائه عنه يروى ارتفع من حضيض التقليد الى ذرى الفضائل وسابق فى حلبة العلوم فاز وقصب الفواضل بحره لا تكدره الدلاء ومورده العذب لا تنزحه الركاء وبحله سرى فى ليل الجد فبا كره فلاحا وحط رحله فى نادى الكرم فما ترك من أبيه مغدى ولا مراحا ومن يشابه أبه فما ظلم فأفتى ودرس ونزل فى ساحة الفضل وعرس وكنت قلت فيه فى زمن الشباب وقد اجتنيت من ثمره المستطاب

للذئب نجل فضله * لاح على غير غلط
حاكى أباه فى العلا * فهل رأيت الذئب قط

وهو كقول لؤلؤ   ودى قوام أهيف * بين الندامى قد نشط

قام يقط شمعة * فهل رأيت الظبي قط

وللشهاب الحجازي

وبدر تم قدسي * بكأس راح وانبسط
جي وقط كأسه * فهل رأيت البدر قط

(وقلت أنا)

وكاتب كأنه * غصن النقا اذا انشط يقط أقلامًا له * فهل رأيت الغصن قط

(فائدة) القد والقط متقارب أن معنى وهما نوعان من القطع وفيه لطيفة اتفاقية لان القد قطع الشيء من نصفه أو قطعه نصفين والقط قطع الطرف كما في الشمع والقلم فكأنه لكونه قليلا من القطع نقص منه العين ثم ان هذا النوع من التشبيه غريب بديع تعرض له المبرد في الكامل ونقله الامام المرزوقي في شرح ديوان أبي تمام وأهل المعاني لم يتعرضوا له وسماه المرزوقي بالايماء وهو غريب في بابه ومنه قول المنازي في وصف نهر

تروع حصاه حالية العذارى * فتلمس جانب العقد النظيم

وقد بسطنا الكلام عليه في كتابنا طراز المجالس وفيه فوائد لا توجد في غيره والشيء بالشيء يذكر فلنذكر هنا بعض من أدركناه من العلماء الاعلام الذين هم مسك الختام ولله در من قال

يادهر بع رتب المعالي بعدهم * بيع الكساد ربحت أم لم تربح
قدم وأخر من تشاء من الورى * مات الذي قد كنت منه تستحي

*(فمنهم شيخ الاسلام علي بن غانم المقدسي) امام اقتدت به علماء الامصار وتنزهت من فضائله في حدائق ذات بهجة وأنوار أثمرت أغصان الاقلام في رياض فضائله وسالت في بطاح المكارم بحار فواضله

فالناس كلهم لسان واحد * يتلو الثناء عليه والدنيا فم

فالعلم مدينة وعلى بابها وكعبة حجت اليها آمال الفضلاء وألبابها لو مست راحته السحاب أمطر كرما ومجدا أو النجوم السيارة جرين في الربيع سعدا لو رآه النعمان لقال هذا أخي وشقيقي أو الصاحب لقال له أنت في طريق المعالي رفيقي

صفاته لم تزده معرفة * وانما لذة ذكرناها

وله في كل فن كعب علي وفكر بنقد جواهره حلي مع نباهة تحلت بها الاشعار

وصيت طار بأجنحة الثناء فى الاقطار وقطع كل سهل وجبل كانه بكر معنى سار فى مثل كما قال من قصيدة

لله درك يامن نظمه درر * قلادة النحور الغيد تدخر
أوروض فضل نضير لانظير له * فى دوحه ثمر ماشاله ثمر
مسك الفصاحة من فحواه منتشق * واللؤلؤ الرطب من معناه منتثر

وكنت فى زمن الصبا وأنا مسفون الاسنة حادا الشبا دخلت ناديه والكون متعطر بنشره والدهر مبتسم للقياه بثغر سروره وبشره وقرأت عليه طرفا من العلوم وحديث الرسول نامدنى بدعاء لا أشك أنه على أكف القبول محمول حتى كان ينوه باسمى ويفتح جريدته برسمى وأنا أجتنى باكورة التحصيل فكتبت له عند ورود البشائر بوفاء النيل بيتين هما

قسما لسن نيل كفك كالنيل اذا رايته المكارم تنشر
أنت عند الوفاء طلق المحيا * وأرى النيل فى الوفاء يتكدر

فنثر عليهما نثار الاستحسان وقال هكذا ينبغى ان ننظم عقود الجمان وله شعر كان ينظمه لرياضة الخاطر ولا يرتضى أن يلصق باسمه سمة الشاعر فلذا لم يعتن بتشييد أركانه ولا تمييز ياقوته من مرجانه لاشتغاله بالتأليف والفتوى وتهذيب نفسه القدسية اللابسة حلل التقوى وله شرح نظم الكنز المسمى بالرمز ورسائل كثيرة منها الشمعه فى أحكام الجمعه التى يقول فيها شيخ الاسلام على بن أمر الله الحنائى

لقد آنست عيناى لمعة شمعة * توقد من مشكاة علم واتقان
جلا نورها البادى بصبح كماله * غياهب شك كان فى ليل نقصان

وكتبت عليها أنا لما طالعتها

شمعة تقطع رأس الشمع اذ * سرق الانوار منها والتقط
ضوءها من غير قط ساطع * مارأى شبها لهاذا الدهر قط

واعلم ان ابن بسام قال فى الذخيرة أشعار العلماء على قديم الدهر وحديثه بينة التكليف وشعرهم الذى روى لهم ضعف * حاشا طائفة تخلف الاحمر وقطرب وليس كما قال وعندى انه كدعوة البخيل وحملة الجبان على مايعرفه من له أدنى اذعان

❊ محمد الدمياطي الحنفي تلميذ شيخنا المقدسي المفتي بمصر بعده ❊ فاضل مقدم في نتائج الفضل وغيره التالي ومشيد بنيان المكارم بطبعه العالي بوقار تذل عنده الراسيات الشوامخ ومحكم مجد لا يرد على آياته البينة نواسخ ان خط فما خط الربيع والعذار أو تكلم فما مطربات الاطيار والاوتار ورد على بالروم اذ جاب الفيافي والبوادي وعزمه بعنان مطايا الهمة ثان وحزمه لها حادي وأنابها عديم الانيس حتى اليعافير وحتى العيس وشوقي الى الكرام كما قال أبو تمام

واجد بالخليل من برحاء الشوق وجدان غيره بالحبيب

فأنعم برقيق المكاتبة وجاد على بالمؤانسة والمصاحبة ففزت منه بأوفى نصيب وكل غريب للغريب نسيب فمما كتبته لاستجلاء أنواره واقتطاف جنى ثماره

ايا روض مجد منبتا زهر الحمد * ومن ذكره أزكى من العنبر الورد
ومعدن فضل منه تبدو جواهر * نفائس عزت أن تقابل بالنقد
أرى ثغر دمياط بكم كان باسما * ومذ سرت أمسى عابسا وهو ذو وجد
وكم شرف في الروم من شمس ذاته * بمقدمه قد بدل النحس بالسعد
أحبك حبا لو تقسم في الورى * غدوا في أمان من عدو ومن ضد
وفي القلب جمر من بعادك فوقه * يفوح ثنائي فيك كالعود والند
ومن كان في القلب المتيم حاضرا * يجاورفيه خالص الحب والود
فسيان منه القرب عندي والنوى * على أن قرب الدار خير من البعد
فلا زلت ذا فضل يخلد ذكره * ويظهر في جيد المكارم كالعقد

فأجاب

أفائق أهل العصر في كل ما تبدي * وأوحد هذا الدهر في الحل والعقد
ومن مدحه بانا وقس افصاحة * ومن نظمه المشهور بالجوهر الفرد
نظمت قريضا في حلاوة لفظه * وفي الذوق أزرى بالنباتي والوردي
وضمنته معنى بديعا فمن يرم * لادراك شأو منه يخطىء في القصد
ملكت أساليب الكلام بأسرها * فأنت بارشاد الى طرقها تهدي
لقد كنت في مصر خلاصة أهلها * وفي الروم قد أصبحت واسطة العقد
وحق شهاب أصله الشمس ان يرى * حريا بان يرقى الى غاية البعد

فعذره

فعذرة منى اليك وما ترى * من العجز والتقصير قابله بالسد
فلا زلت فى أوج العلا متنقلا * وشانئك الممقوت فى العكس والطرد
ولا برحت أبياتك الغر فى الذرى * وأبيات من عاداك فى الدك والهد
ودمت فريدا للفرائد راتقا * مناهل فضل منهلا طيب الورد

فقلت لما ورد هذا الجواب

رعى الله اخوانا لنا من ذوى الود * لقد خيموا فى روضة المجد والسعد
أناس كماء النيل صاف ودادهم * بهم أملى الظمآن يروى من الورد
لقد شرب الدهر الخؤن صفاءهم * وأبقى وجوها كدرت مورد المجد
غسلنا بماء النيل مادنس الوفا * وقد صبغوا من مثلهم أزرق الحقد
وعهدى بهم وردا اذا ما تكدرت * مشاربه فيها وفاء لدى العهد
وقالوا الناحد به يذهب الجفا * جفاء فتم الحد بالعكس والطرد

﴿شيخ الاسلام سراج الدين الحانوتى الحنفى المفتى﴾ السراج الوهاج والبحر المتلاطم بالامواج من حاكته الشمس نورا فكانت سراجا وفاحرت البدور فزادت ابتهاجا روض نضير ماله فى سائر العلوم نظير وهو فى فقه أبى حنيفة الجامع الكبير وقور حليم لا يعرف الطيش والخفه وله ثروة عظيمة وعفه حسن اللباس منقطعا عن سائر الناس قائلا لطارق الوسواس ونفسك أكرم عن أمور كثيرة

فمالك نفس غيرها تستعيرها * ولم أر فى عصره من يضاهيه الا الشمس وهيهات لها نيل معاليه وان لم يكن لها ثانيا ولا سيرا فى السماء مدانيا فلله دره ما أعرفه بالزمان وأقدره على الانس بالوحدة وترك الاخوان كما قلت

لا تلمنى على انفرادى وحبى * وحدتى واعتزال أطماع وهمى
علمتنى الايام مذ كنت حملا * خلوة الاربعين فى بطن أمى

لا زالت سحب الرحمة تحدوها له الصبا والجنوب حتى تشق على ثرى جدثه غر السحاب الجيوب آمين

﴿السيد عبد الرحيم العباسى﴾ أنا وان لم أره فهو لقرب عهده سمعت خبره حسيب طرز كم المجد وأعار رقة شمائله نسمات نجد أنجبته أم الفضل كريم الحسب سعيدا فأبى أن يكون على الفضائل الا مأمونا ورشيدا وله رايات فضل عليه نعمت الاقلام

بسواد أنقاسها العباسيه وكتائب ثناء تعطرت الكتب بنفحاته القدسيه طفح سكرا بشميم لطائف الكاس وابتسم فرحا بأن كل زمان عباس

وإذا أردت مديح قوم لم تمن * في مدحهم فامدح بني العباس

فتنبه ناهيك به من نسب وعرف معارفه إذا رآه الروض نادى عليه أصبح الورد يجيب

ابن عم النبي واللابس الفخر بن من نوره ومن برهانه

ولما ارتحل الى الروم وبها بقية من الاعيان أجله علماؤها لما رأوه به من نوادر الزمان وكان المولى عبد الباقي عيبة لطفه وظرفا ترشح منه رشحات ظرفه فانه ممن قد من برد الشمال شماله وارتضعت أخلاف المزن مع طفل النور خلاله يقطر منه ماء البراعه وتثمر بآثاره أغصان البراعه وله تآليف وآثار سطورها سبح اذا رأتها سجدت الاقلام وكبرت محابها ألسنة الخاص والعام اذا قدم معناها على الأسماع برزت لاستقباله طلائع الافهام وتسجد الابصار لرواته وتخضع الرقاب لزهوه وحسن بهائه ولم أر من آثاره غير معاهد التنصيص في شرح شواهد التلخيص وسمعت له شرحا على البخاري ورأيت له شعرا وانشاء ومدائح في المولى المحقق سعدي فما رويناه من شعره قوله

أرعشني الدهر أي رعش * وكنت ذا قوة وبطش
قد كنت أمشي ولست أعيا * فصرت أعيا ولست أمشي

وقوله أيضا

مالي أرى أحبابنا في الناس * صاروا كمثل حبابنا في الكاس
بيناير وقك عند أول نظرة * كاللؤلؤ المتناسق الأجناس
فاذا أعدت الطرف فيهم لم تجد * شيأ وصار رجاؤهم كالياس

وقوله أيضا

من يسع بالفضل معاشا يمت * جوعا وان كان بجميع الزمان
تبغي الحجى ثم تروم الغنى * يا قلما تجتمع الضرتان

وله أيضا

اللؤلؤ نظم هذا الثغر أم حبب * وقرقف طعم ذاك الريق أم ضرب
وما أراه بصحن الخد ورد ها * أم وجنة بدم العشاق تختضب

وله

وله أيضا

لست عن ود صديق سائلا * غير قلبي فهو يدري وده
فكما أعلم ما عندي له * فكذا أعلم ما لي عنده

(وله أيضا)

لو كان ذا الكاشح في بلدتي * لم يستطع بومضني ومضا
وكنت في العز مهابا له * وكان لي من ذله أرضا

وله أيضا

يعقد النقع فوقها سحبا كالليل فيه السيوف أضحت رجوما
ومتى ما رأت سواد شياطين بغات الحروب عادت نجوما

وله أيضا

رأيت لئيم قوم في محل * وبين يديه أشخاص لئام
فسلم من جهالته ابتداء * فقلت له متى كسد السلام

وله أيضا

حال المعل ناطق * عما خفي من عيبه
فان رأيت عاريا * فلا تسل عن ثوبه

وهذا كقول الحريري

فكل ما حلا حين تؤتى به * ولا تسأل الشهد عن نحله

وقول الآخر

كل البقل من حيث تؤتى به * ولا تسئلن عن المبقلة

وأمثاله كثيرة كما بيناها في غير هذا الكتاب وله أيضا

اذا ما كنت في قوم غريبا * فعاملهم بفعل يستطاب
ولا تحزن اذا فاهوا بفحش * غريب الدار تنبحه الكلاب

وهذا اشارة الى ما جرت به العادة من نبح الكلاب على من لم تعرف وكذلك أيضا تنبح على الفقراء وفي أنس الحكمة للزندوسي الكلب ينبح على الفقير دون الغني لانه من جنسه ولانه يرجو منه المواساة بخلاف الفقير ولذا قال الشاعر

حتى الكلاب اذا رأت ذا ثروة * ذلت لديه وحركت أذنابها

واذا رأت يوما فقيرا معدما * هرت عليه وكشرت أنيابها

وقوله أيضا

أرى الدهر يكرم جهاله * وأعظم قدرا به الجاهل
وانظر حظى به ناقصا * أيحسبني انني فاضل

ولما سمعه البدر الغزى أجابه بقوله

أعبد الرحيم سليل العلا * ويا فاضلا دونه الفاضل
أتعتب دهرا غدا موقنا * بانك فى أهله الفاضل

وقرأت فى ديوان الزمخشرى

فلا ترض يا صدر الكفاة بأن ترى * أعالى قوم ألحقوا بالأسافل
والا فوقع للزمان فانه * غلامك يجعلنى كبعض الاراذل

وللدباسى البغدادى

انى رأيت الدهر فى صرفه * يتبع حظ العاقل الجاهلا
لما رآنى نائلا ثروة * أظنه يحسبنى عاقلا

ولمجير الدين بن تميم

الدهر عندى لامحالة أحول * فاسأل به من كان طبا عاقلا
يرنو ليلحظ فاضلا فيرده * حول بعينيه فيلحظ جاهلا

وللباخرزى

كيف لا يعسل عنى برقه * بعد ما أمسك عنى وبله
ساءنى الدهر لانى عاقل * ليت انى مثل غيرى أبله

وأجاد القائل

ومالى لدى دهرى ذنوب أعدها * سوى تهمة الاعداء لى بالفضائل
وانى منه تبت توبة نادم * مقرا بأنى اليوم أجهل جاهل

وفى معناه قول المنجنيقى

ان كان ذنبي أننى شاعر * فاصفح فقد تبت عن الشعر

وقال أبو تمام

ينال الفتى من دهره وهو جاهل * ويكدى الفتى من دهره وهو عالم

ولو كانت الارزاق تأتى على الحجى * هلكن اذن من جهلهن البهائم

وما ألطف قول الوزير ابن زيدون وقد سجن

لم يطو برد شبابى كبر وأرى * برق المشيب اعترى فى عارض الشعر

قبل الثلاثين اذ عهد الصبا كثب * وللشبيبة غصن غير مهتصر

أيهنأ الشامت المرتاح خاطره * أنى معنى الامانى ضائع الخطر

هل الرياح بنجم الارض عاصفة * أم الكسوف لغير الشمس والقمر

ان طال فى السجن ايداعى فلا عجب * قد يودع الجفن حد الصارم الذكر

﴿وله أيضا﴾

أما ترى البدر ان تأملت والشمس هما يكسفان دون النجوم

وهو الدهر ليس ينفك يجو * بالمصاب العظيم نحو العظيم

﴿سراج الدين عمر الفارسكورى﴾ فاضل قلد جيد دهره من فضائله بحليها ونظم عقد محاسنه فى صدر نديمها جنى من ثمرات العلوم الرياضية فواكه ذاقتها الافهام واجتنى من رياضها أنوارا لم تبرز من الاكمام واجتلى أبكارها وعرفها وهى حور مقصورات فى الخيام فلك من ذلك الفن خمائله ورياضه وراض فى مضمار جواد فكره أحسن رياضه وكثيرا ما كنت أستنشق عرف خبره واتحلى من الشقة الفارسكورية برقيق حبره فتكرر من كماله ماثنى الاعجاب وعطفه وحقق أن عمر علم فى العدل والمعرفه وانه مفرد لا يثنى وقد نال من الفضل ما تمنى ورأيت له من الآثار مالم يسمع به الفلك الدوار فكم دار عليه فما رأى له مثلا لديه ككتابه ناشئة الليل ونظم الارتشاف وغيره مما قطعت دونه توابع الاوصاف وله شعر منه قوله

شكل اشتياقى ماله من حد * ونقطة الصبر محاها وجدى

وامتد خط الدمع من محاجرى * بلا تناه فوق سطح الخد

وهيئة الجسم اضمحلت مذ نأى * وانحصرت حياتها بالبعد

وضاق صدرى حرجا لما استدا * رت حركاتى حول قطب الصد

وأصبحت كرات حظى مركزا * مسكنها فى وسط جرم الجهد

ومن قسى الهجر كم من أسهم * تحوى ما شقت جيوب وجدى

والزمن القطاع قد ألفهما * بين مجاري وبين السهد

واعلم ان استعمال ألفاظ اصطلح عليها أرباب العلوم كما هنا قالوا انه مما يخل بالفصاحة لانها كالغريب بالنسب أوضعيف التأليف ولعلهم أرادوا الاكثار منها كقول الجاحظ على لسان طبيب

شرب الوصل دستينج الهجر فاستطلق بطن الوصال بالاسهال

ورماني حبيبي بقولنج بين * جالوس منه بأكسف بال

وابن هذا بيني وبينه مودة وصداقة وهو

(تقي الدين بن عمر الفارسكوري) فاضل عريق وأديب في بحار آدابه حاسده غريق له خلق خليق بالالطاف وفضل تقطع دونه النعوت والاوصاف

ونهى غادرت ضمير القراطيس مصغيا لألسن الاقلام

وهو بالروم صديقي وفي الغربة المارظية رفيقي فكم دار بيني وبينه رحيق مدامة من الكدر صفا (تحكي النسيم لطافة لماسري) وحديث

كتحدث الماء الزلال اذا صفا * لجري النسيم عليه يهمهم ماجري

وللامل فيه عدات يرجى وفاؤها وله على الدهر ديون بينه يحق أداؤها ومما أنشدني لوالده قوله

اذا كانت الافلاك وهي محيطة * علينا قسيا والسهام المصائب

ومرسلها الباري فأين فرارنا * وسهم رماه الله لاشك صائب

وكان انشاده لي لما تذاكرنا أمور الدهر وتصدر الجهلة وأنشدته قول الشريف الرضي رضي الله تعالى عنه

أما تحرك للاقدار نابضة * أما يغير سلطان ولاملك

قد هادن الدهر حتى لاقراع له * وأطرق الخطب حتى ما به حرك

كل يفوت الرزايا أن يقعن به * أما الأيدي المنايا فيهم درك

أقصر الدهر عجزا عن لحاقهم * وأين أين ذميل الدهر والرتك

أخلت السبعة العليا طرائقها * أم أخطأت نهجها أم سمر الفلك

وقلت أنا في ذلك

مدافع بالنجوم وبالصواعق * بروج أرسلت منها شواهق

مصيبات

مصيبات تخرعلى الاعادى * تزمجر بالرعود وبالبوارق
ودارت دائرات قد أحاطت * من الافلاك ماعنهن عائق
ومن كل الجوانب راميات * قسى قرطست هدف الخلائق
قسى فى الركوع لها سهام * أصابعها تشير الى البوائق
ستدرك هذه الاوتار منها * قلوبا قد غدت فى فترخافق
فلا تيأس ستفتح عن قريب * حصون ذا الرخاء لمن طارق
وسهم الله لا يخطى بليل * وان أمسى من الظلمات غاسق

(وأنشدنى له قصيدة مطلعها)

يا من بحياه يستسقى به المطر * وعدله كاد ينسى عنده عمر

(ومنها)

ان كنت تبغى بنار الهجر تجربتى * انى على الحالتين العنبر العطر
وأهجر الماء ان كانت معلقة * به حياتى اذا ماشابه كدر
وسوف ينبيك عن صبرى جفاك على * لظاه هل أنا ياقوت أم الحجر

(ومنها)

أزالك دهرى ما منه تؤمله * حتى نزالك ومن أنصارك القدر

(وأنشدنى له من أخرى)

ماالدر فى حقة الياقوت ان بسما * وما نسيم الصبا والندان نسما

(ومنها)

ماشق سرح عذار روض وجنته * حاشا شقائقها أن لا تكون حمى
فلو سواك غزالى كنت تمنعه * عن ساحتى لو يكون الشيب والهرما

(ومما أنشدنيه قوله مضمنا)

تقول سليمى بعدما بنت تبت عن * هواى وعن ذى الخال لست بتائب
تواصل واوات بخد معذر * وتجفوا بلا ذنب ذوات الذوائب
اليك فانى لست ممن اذا اتقى * عضاض الافاعى نام فوق العقارب

(محمد بن أحمد الحنائى) ريحانة الندمان وفكاهة الخلطاء والاخوان وفاكهة الظرفاء وهدية الزمان مهر فى الفنون فاتى بما تلذ به الاسماع وتقر به العيون

لاسيما فى الطب والحكمه فانه كان فيهما ماذا احمه ولما غلب عليه الهوى سقط نجمه من أفق السعادة وهوى فلم يتنبه حظه بغير قهقهة القنانى ودغدغة المثالث والمثانى الا أن له شعرا يحط قدر الحطيئة ويبلد لبيد اوذهنا يدع اياس من الذكاء فى اياس وبديهة بديعه كأن لها على كمين الغيب طليعه وقد كان كثيرا ما يسامرنى فينشدنى من أشعاره وينثر فى نادى الأدب فوائد نثاره فمن ذلك قوله من قصيدة

نعم أتتك فلا خضاب الموعد * متنصل تبدى اعتذار المجتدى
جاءتك تدرع السعود كأنها * غصن من الياقوت فوق زبرجد

(وقوله أيضا)

فكم ليال كست بدر الدجا شرفا * تمنت الشمس فيه رتبة القمر
أبدى لنا ضوءه لطفا بطائنها * ريح الصبا وافترشنا زهرة الزهر

ويقرب من هذا قول بعض المغاربة

وفتيان صدق عرسوا تحت دوحة * وليس لهم الا الهناء فراش
كأنهم والنور يسقط بينهم * مصابيح يهوى نحوهن فراش

(وقوله أيضا)

أجل الله أعطاف الحبيب * وأينع قامة الغصن الرطيب
وأنبت ورد ها غضا طريا * وسيجه بريحان القلوب
ولازالت شمائله نشاوى * مرنحة كغصن فى كثيب
وعطفها نسيم الشوق حتى * تميل الى معانقة الكثيب
وروى أرضها سحرا مطيرا * بغيث من سما جفن صبيب

(وقوله)

عمر الفتى قالوا زمان الرضى * بالصفو والاحباب واليسر
صدقت ما قالوه كى يقبلوا * لينظروا شيخا بلا عمر

ومنه كقول الامير أسامة بن منقذ

قالوا نهته الاربعون عن الصبا * وأخو المشيب يحار ثمة يهتدى
كم حار فى ليل الشباب فدله * صبح المشيب على الطريق الاقصد

واذا

واذا عددت سني ثم نقصتها * زمن الهموم فتلك ساعة مولدى

وللامير أبى فراس الحمدانى

ما العمر ما طالت به الدهور * العمر ما تم به السرور
أيام عزى ونفاذ أمرى * هى التى أحسبها من عمرى
لو شئت مما قد قللن جدا * عددت أيام السرور عدا

وفى هذا أقول

يقولون أوقات السرور قصيرة * وأوقات عمر الغم قد رزقت طولا
فمن كان بالهم المبرح لابسا * يظن بأن العمر صار طويلا

وللامير أسامة بن منقذ أيضا

لا تحسدن على البقاء معمرا * فالموت أيسر ما يؤول اليه
واذا دعوت بطول عمر لامرئ * فاعلم بأنك قد دعوت عليه

ومن بيوت العلم بالقاهرة العلاقة فنهم

﴿شيخنا العلامة ابراهيم العلقمى وأخوه شمس الملة والدين﴾ أما الشمس صاحب الكوكب المنير فى شرح الجامع الصغير فشيخ الحديث فى القديم والحديث لم تزل سحب افادته فى رياض الفضل ذوارف حتى صار وهو العلم المفرد من أعرف المعارف فهو هضبة مجدو فى التقى جوهر فرد قد تحلى بخدمة الجلال السيوطى كمالا ورقى الى سماء المعالى فازداد جمالا وأما ابراهيم فللفضل خليل وطبعه لطفا يحكيه النسيم لو أنه عليل لازمت القراءة عليه فى أبان الطلب واجتنيت ثمراته الجنية من كتب فتبرجت لى عرائس معانيه وتجملت لى على منصة الكرم معاليه ولعمرى انه روح فضل حلت فى جثمان علاه وسماء مناقب تزينت بكواكب هدايته وحلاه لازالت تهمى على جدثه عيون الغمائم كلما حيته حسان الحور ضاحكة المباسم ومما مدحته به لما حضرت عنده وهو يفتى

أنادرة الزمان بقيت أنعم * باصغاء الى العبد الضعيف
زمانك كله أمسى ربيعا * خصيب الفضل ذا ظل وريف
فما بال الفتاوى فى انتشار * ببابك نثر أوراق الخريف

وله كتاب تهذيب الروضة للنووى سمعته منه بقراءة الفاضل الشيخ منصور الطبلاوى

ع (أحمد بن على العلقمى نزيل الخانقاه السرياقوسية) ق شمس تنجلى به الابصار والبصائر وان كان وجه الشمس يعشى ناظر الناظر وروض فضله نضير وماله فى سعة الحفظ نظير ومع ذلك لم يعرف أستاذه ولم يحتج سيف ذهنه أن يشحذ فولاذه وله طبع بالصلاح زاه زاهد ونقد فكر لم يصرف نقد ناقد وشعره مدام الطل فى كاس الزهر وحلل الربيع المنسوجة بأنامل المطر

عد على الآفاق بيض خيوطة * فينسج منها الثرى حلة خضرا

وكان فى اقبال عمره لمعرفته بكر دهره فان الشهوات أجرة تستخدم بها النفوس فى عمارة عالم الطبيعة لتذهل عما يلزمها من التعب ويلحقها من الكلال كما قال ابن لتلميذا لحكيم اعتزل الناس وارتض من سفر الحياة بغنيمة اليأس فلذا جعل الخانقاه السرياقوسية مألف سكنه ومراتع آماله ومرابع وطره ووطنه ثم انتقل الى مصر فدرس بها وأفاد وترنمت ورق فصاحته بدوحها الميعاد ثم اختار جوار بيت الله المعظم وظفر من كيمياء السعادة بالحجر المكرم وقد طفت بكعبة فضله فى ذلك المقام ووردت صفاء موارده بالصفا والمقام

وملأت السمع منه كل ما * يحسد القلب عليه الاذنا

وعقيب ذلك الاجتماع طافت به المنية طواف الوداع فانتقل لجوار الرحمن واستوطن قصور الجنان فجرعنا فراقه غصصا علقمية وما جرد من لباسه حتى تردى حلل المغفرة السندسية لازال يسقى ربعه ويروى مضجعه

سحاب حكى ثكلى أصيبت بواحد * فعاجت له نحو الرياض على قبر

ومما أنشدنيه من شعره قوله من قصيدة

بأبصارنا وجهك المذهب * يكاد سنا برقه يذهب
وأشواقنا فيك لا تنقضى * وشمس جمالك لا تغرب
وحسنك فى الماء مستودع * وأشربه كل من يشرب
وفى كل قلب وعين به * مشيرالك المنزل الأرحب
وذاتك جنة أهل النهى * ونفسك عنصرها طيب
فمن غير نطقك لا نشتفى * ومن غير ذاتك لا نطرب
وكم لك من رتب فى العلا * تعالى العلا اذ لها ينسب

وله من أخرى

مذ نسيم الصبا على الزند هبا * سحرا نبه الفؤاد ونبا
هز غصن القوام فاهتز حتى * مال شوقا اليه شرقا وغربا
وروى عن عريب نجد حديثا * فدعا قلب من يحب قلبي
وركبنا سفينة الصبر لما * حال وجه دون السفينة غصبا
وقتلنا غلام من عاقنا عن * سيرنا نحوهم فأرث قربا
وأقمنا جدار وجد قديم * بعض ما انقض أو أراد فأربى

شمس الدين البصير ضرير كأن الله أراد أن لا ينظر الا الى جنانه فأغمد صارم طرفه فى قراب أجفانه

والله ما فى الزمان شئ * تأسى على فقده العيون

ذكى لوذعى فطن ألمعى عجنت طينته بماء المعارف وتآخت طبيعته مع العوارف وكان فى غرة العمر رفيقى وفى روض التحصيل شقيقى الى أن اخترمته فى شبابه يد الأجل فقطعت شمس عمره منطقة الأمل وغابت فى عين حمئة من قبره حتى بكى الافق بالشفق دما على أثره فكأن الدهر الحسود لما رآه جمع الكمال جماعبس وتولى ان جاءه الاعمى وكان يسكن الخانقاه وللفضل فيه أمانى وطرف الكمال اليه يرانى الى أن آذنت شمسه بالزوال وغربت بعد ما طلعت من مشرق الاقبال فمن شموس معانيه المشرقة من منازل مبانيه قوله

بين حروب العيون والمهج * دمعى جرى عندما من الوهج
لا حلت والله أو أقطع عن * ريم من الترك كيس غنج
مكحل الناظرين ذى حور * مضرج الوجنتين ذى بلج
أمسيت من محنتى عليه ومن * دمعى بين اللجاج واللجج
لا انتهى عن تهتكى أبدا * ليس عن المستهام من حرج

قلت ولا على الاعمى حرج وأنشدنى له أيضا

قلت لما أراد الله مسكا وخمرا * ذو دلال وأعين سحاره
لك والله نكهة فى رضاب * تلك عطارة وذى خماره

وهذا كقول ابن نباتة المصرى

لاتخف عيلة ولاتخش فقرا * يا كثير المحاسن المختاله
لك عين وقامة فى البرايا * تلك غزالة وذى فتاله

ومما أنشدنيه أيضا قوله

أحبب به قارئا أمسى له نغم * أحلى وأملح من ضرب النواقيس
ياحسنه من مليح راق مبسمه * لكنه قارئ يروى عن السوسى

وهو كقول الفيومى

نسيم من ديار الحل هب على * موتى الفراق يحاكى النفخ فى الصور
يروى أحاديث نشر من ديارکم * ما أحسن النشر اذ يروى عن الدور (ى)

(عبد الله الدنوشرى) جامع التقرير والتحرير الراقى الى ربوة المجد الخطير تآليفه عقائل أصبح الدهر من خطابها وآثاره تتشوق الاسماع الى فواكه آدابها طالما جلاها على وأهدى باكورتها الى الا أنه كان يعد الشعر سهلا ويمزج بالجد منه هزلا فهو فى سماء الفضائل تحسد النجوم سناه وأنى لها أن تشابه علو مجده وعلياه

وهى تخفى عند الصباح وهذا * ظاهر فى صباحه والمساء

وكان بينى وبينه مودة وصداقة وعلاقة محبة حقيقة لاتحتاج لعلاقة كثيرا ما يجاملنى بالمطايبة ويتحفنى بالمكاتبة وهو جوهر نفيس فى خزائن القبول وسر مكتوم مستتر فى ضمائر الخمول ويعرض على تآليف له مفيدة وينشدنى من أشعاره ما عنه القرائح بعيدة كقوله

أرى فى مصر أقواما لئاما * وهم ما بين ذى جهل ونذل
شجاعتهم بألسنة حداد * وعيشهم بجبن وهو مملى

وفى معناه قول الآخر

أقول وقد شنوا الى الحرب غارة * دعونى فانى آكل الخبز بالجبن

ومما كتبه الى بعد المهاجرة من مصر

نوالك ياشهاب الدين زائد * وبحر نداك يامولاى زائد
تركت العبد لم تنظر اليه * وقد عودته أسنى العوائد
متى يأتيه منك جواب كتب * وتأتيه الصلات مع العوائد
ويكحل جفنه ميل التلاقى * ويغمد سيف هجرك عنه غامد

فلابرح الثناء عليك عقدا * نضيد النظم فى جيد المحامد

وله فى موسى قاضى مصر

لقد كان فى مصر الامينة حاكم * تسمى بفرعون وكان لذا موسى

وفى عصرنا هذا القليل قسمنا * لنا ألف فرعون وليس لنا موسى

ومما اتفق لى فى نظيره قولى

يامن أذل النفس من حرصه * جرحك بالمرهم لا يوسى

لا تسأل الناس فأنت الذى * أعطيت فرعون عصا موسى

وركب ثورا بعض الشهود تشهيرا له فكتب له

ان ركوبك الثور فى مصر اذ * جرت بالظلم وبالجور

فاصبر ولا تحزن لما قد جرى * فالناس والدنيا على ثور

قلت وعلى ذكر فرعون فقد ورد فى مناجاة موسى انه قال يارب لم أمهلت فرعون وقد كفر بك فقال انه كان سهل الحجاب فاحببت أن أكافئه على ذلك فى الدنيا وقد قلت أنا

فى مصر جبار علينا اعتدى * حكم فينا بخلاف الصواب

ان كان فرعون فما باله * لم يحكه اذ كان سهل الحجاب

وله شعر كثير لم يعلق بسمعى منه الا اليسير وقد عرفت أن خير الكلام ما دعا بلفظه الاسماع الى حفظه

يستنبط الروح اللطيف نسيمه * أبدا ويؤكل فى الضمير ويشرب

﴿عبد الواحد الرشيدى﴾ شيخ عده بعضهم حسنة بها ذنب الزمان غفر وأصبح به الدهر عما قدم من اساءته يعتذر وعندى ان عذره أقبح من ذنبه وتوبته لا أراها مقبولة عند ربه

والشوق يعمل فى ثيابى مثل ما * عمل الهجاء بعرض عبد الواحد

فمن لؤلؤه الرطب ورشح قلمه العذب قوله

قلت للنائب الذى * قد رأينا معايبه

لست عندى بنائب * انما أنت نائبه

وهذا كقول الآخر

وقاض لنا حكمه باطل * وأحكام زوجته ماضيه

فياليته لم يكن قاضيا * وياليتها كانت القاضيه

وللارّجاني

ومن النوائب انني * في مثل هذا الامر نائب
ومن العجائب أنلي * صبرا على هذي العجائب

وأنشدني له بعضهم

لا تحسبن أن هجوى فيك مكرمة * شعرى بهجو لئيم قط ما سمعا
لكن أجرب طبعي فيك فهو كما * جربت في الكلب سيفا عندما انبجا

وهو كقول الآخر

هجوتك لا لأنك أهل هجو * ولكن كى أجرب فيك سبي
وليس يضر شفرة لهذمي * اذا ما جربت في جلد كلب

وكان مع انه بزي أهل الصلاح تصدر عنه كلمات سخيفة قباح كما أنشدني له بعضهم في رشيد وكثرة أمطارها

كل قطر عند من يدري محاذ * قطعة من فلك من غير شك
فلئن صح مقال الناس ذا * فرشيد تحت سنداس الفلك

وسنداس لفظة عامية معناها بيت الخلاء وهذا مع سخافته وما فيه من رائحة الكفر الكريهة لما سمعته قلت لله دره ما أعرفه لو لم يصدق فيما حوى لم يخرج منها مثل وهذا الخراوأين هذا من قول ابن لؤلؤ الذهبي لما توالت الأمطار

ان أقام الغيث شهرا هكذا * جاء بالطوفان والبحر المحيط
ماهم من قوم نوح يا سما * أقلعي عنهم فهم من قوم لوط

﴿رمضان الهوى﴾ أقبح وأحمق من الشيخ الهوى طال عمره على الأيام وثقل حتى أقلقها ولبس حلل الجديدين حتى أخلقها

وسخ الثوب والعمامة والبر * ذون والوجه والقفا والغلام

ذو أخلاق مجعده وألفاظ محاولة مبدده أثقل من الفهر وأكثر ذنوبا من الدهر وأشأم من طويس وأثقل على الراجي من لا وليس يعتني كثيرا بغريب الكلام والتصرف في أنواع الالتزام حتى عارض المقامات الحريريه فأصمت الاسماع كلماته الحوشيه ولم يزل مبتلى بالفقر لما له من بذاءة لسان وقبح كلمات ولقد أنصف الدهر في

فمته وللبله اصابات فهو على ما به من مكر وكيد كما قال الصاحب فى أبى زيد

انظر الى وجه أبى زيد * أوحش من حبس ومن قيد
وحوشه ترتع فى ثوبه * وظفره يركب للصيد

وهو بلدة بالصعيد لم يخرج منها نجيب ولا سعيد * ومايسوء الفؤاد الاهو

(أحمد بن عبد السلام) رأيت والده وقد أحالت الايام سبجة فضه وقد ذبلت بعواصف الهرم زهرة حياته الغضه متشابهة الصلاح قد خلع حلل الخلاعه واستراح وأماولده فكان فى ريعان عمره يتجر فى بضائع شعره ثم ارتحل الى الروم فلبس حداد فقر كاد لابسه وابتسمت فى وجوه آماله ثغور حظه العابسه اذ أنه مكثار متشدق متفيهق ثرثار ولعدم تهذيبه لا تزال أفكاره تهذى به وربما عزت عليه مطالبه حتى نظم الجزع ثاقبه ولم يزل كذلك حتى اجتثت دوحته بعد ماسقاها ماء الشباب وقطعت يد المنون ثمراتها العذاب ومن شعره قوله من قصيدة له

فى كل حين يطلعون على ذرى * فلك المعالى طالعا مسعودا
لم يمض دون الملك أن ملكوا به * ملكا على مر الجديد جديدا
تجنى لهم ثمرات هذا الملك اذ * غرسوا به لدن القنا أملودا

وثمرات هذه الأغصان من بدائع المعانى الحسان ومما يضاهيه قول البحترى فى السيف

حملت حمائله القديمة بقلة * من عهد تبع غضة لم تذبل

الا أن هذه بقلة حمقاء والاحسن فيه قول ابن هانئ الأندلسى

وجنيتم ثمر الوقائع يانعا * بالنصر من ورق الحديد الأخضر

ولقد أخذ منه عباءه ورد هاديباجه ومن شعره أيضا

قيل شبه لنا الشقيق وقد كنا * نشاوى جميعنا بالرحيق
قلت قضب من الزبرجد يحملن * على الهام أكؤسا من عقيق

وهذا من قول غيره فى النرجس

أنامل من فضة * يحملن كأسا من ذهب

ومن المعانى الغريبة فيه أن العجم والروم فى ليالى الزينة يصبون فى طشت ذهبا ويدور به انسان فى الاسواق يعلنون به الأمان ويشهرون به عدل السلطان فى ذلك الزمان

فقال علي الباخرزي في قصيدة له

انشئت أن تعرف أن عدله * قد فرش الامن فلاق النرجسا
اذحمل التست من التبر على الرأس فلولا أمنه لاحترسا

والمشهور هنا قول الصنوبري في قصيدة له

وكان محمر الشقيق اذا تصوب أو تصعد أعلام ياقوت نشر * ن على رماح من زبرجد

وله وجوه شقائق تبدو وتخفى * على قضب تميس بهن ضعفا
اذا طلعت أرتك الشمس تذكو * وان غربت أرتك السرج تطفى

والقاضي عياض

انظر الى الزرع وخاماته * تحكي وقد ماست أمام الرياح
كتيبة خضراء مهزومة * شقائق النعمان فيها جراح

ونحوه قول ابن الزقاق نثر الورد في الغدير وقد درجه بالهبوب نشر الرياح
مثل درع الكمي مزقه الطعن فسالت به دماء الجراح

وعاقلته هنا

كأس الشقيق امتلأت * خمرندي لم يعصر
كجمر من ذهب * فيه بقايا عنبر
أو مشعل يهدى به * للهوى من لم يشعر

وهذا أمر استطردناه قضاء لحق الآداب ولولا خوف الملل أريناك هنا من السحر الحلال من ثمرات الألباب ما لا عين رأت ولا أذن سمعت لتعلم ما من الله به علينا من الوقوف على كنوز مطالب لم يقف عليها غيرنا

❊محمد بن بدر الدين الزيات❊ شاعر كان في عنفوان شبابه قبل أن يجب عليه زكاة نصابه يحترف بالزيت والاسمان من قوم همهم في أديمهم جفانهم مملوءة للوافدين لحريمهم من أولاد جفنه أترع فيها زيته وسمنه حتى نزعت به همته عن ميزان السعر الى ميزان الشعر والدهر كالميزان يخفض ويرفع ويعطي من يريد ويمنع الا انه كان مولعا بالسرقة ولص البيت لا يؤمن فاذا أنشد شعرا قيل له أحسن الناس ولله در من أحسن

ومن العجائب انه لا يشترى * ويخان فيه مع الكساد ويسرق

فراقت آدابه وان لم تساعده أحسابه فكان كما قيل فى المثل كل العسل ولا تسل فمما أنشدنى قوله فى الفاضل العزى

الى الفاضل العزى وجهت مطلبى * لأظفر منه بالذخيرة والكنز
وقالوا تذال تبلغ المجد والعلا * فقلت لهم قد نلت ذلك بالعز (ى)

وهذا العزى ممن له بيت شرف وفضل بالقاهرة فمنهم

(صفى الدين بن محمد العزى) ماجد اذا تليت آيات أوصافه ركع لها القلم ومجد تفرد بعلو سنده فى الحديث فأصبح دارع لم بين العلياء والسند فحديثه فى الفضل مرفوع وأثر سواه ضعيف ومقطوع فلفظه مما يستحق أن يرسم بنور البصر فى عنوان صحائف الاذهان والفكر وسكر طبعه المصرى مما يحلو مكرره ومعاده ولم يزل بالقاهرة وثناؤه يتلوه لسان الدهر ويحفظه فؤاده وهو أحد شيوخى الذين رويت عنهم السنن * وتشرفت بلقائه ورويت حديثه الحسن فمما أنشدنى له فى مليح نحاس

على رفقا بمن ذابت حشاه ضنى * صب أزال الكرى من مآقيه وصب
حديد قلبك يا نحاس يمنعه * لجين جسمك والنوم المصون ذهب

(وله فى صديقه الصحاف)

يا عاذلى فى هواه * تلاف قبل تلاقى
وهات لى الدن واجمع * بينى وبين الصحاف (ى)

(أحمد بن على العزى) أحد أترابى ولداتى ورفيقى فى اجتناء لذاتى وهو شاب رقيق الجلباب يقطر من اهابه ماء اللطف والشباب تأدب وبرع ووعى ما جمع معتكفا فى زوايا الخمول قانعا بشقاشق آبائه الفحول وكان فى ابان الطلب خدنى يجنى من خمائله كما أجنى حتى قطع عليه الطريق الاجل وناداه مجلا فقال أجل فمما سمعته من شعره قوله

لازال هذا الجمع جمع سلامة * لا نقص يعروه ولا تغيير
والجمع من أعدائكم فى قلة * ونقيض تلك القلة التكثير

وولداه من شيوخ العربية وصدور أنديتها الندية

(عمر العزى) أديب نظم ونثر وشعر بعد ما شعر فى حالة أضيق من فم الحدث

وصدر العاشق اذا حضر الرقيب كمصحف فى بيت زنديق أو سر فى صدر أحمق غير صديق ومن شعره قوله

رب ثقيل امام قوم * يؤم بالناس ثم يجحف
خالف فى الفعل قول طه * من أم بالناس فليخفف

(رجب الشنوانى) ناظم قلائد المدح وخاطب خرائد الملح مضى له بمصر زمن وهو يهدى نثار كلماته ويطلع فى رياضها النضرة غض نباته ويأتى العلوم من أبوابها ويجرد مرهفات ألسنه من قرابها ومولده بشنوان وهى بلدة بالمنوفية صورت بها الجنان كانت مخيم لذاته ومنبت أترابه ولداته ثم ارتحل الى الجامع الازهر فاثمر به غصنه الرطيب وأزهر ولم يزل به معانق الخمول وروضه بطل آدابه مطلول وكنت كثيرا ما أجتلى وجه وداده وأرقد نار الفكر بقدح وارى زناده وأستظل بدوحه المريع وأستمد من بحر فكره السريع وأسامره بمايذكرنا عهود الرقتين وأتنزه من صفات رجب وذاته فى الربيعين كما قيل

وكانت بالعراق لنا ليال * سرقناهن من ريب الزمان
جعلناهن تاريخ الليالى * وعنوان المسرة والا مانى

وكانت مفاكهة أثماره الذعندى من فواكه أشعاره وأخلاقه ونقود آدابه نضة أطوع من الكأس للنديم ومن قدود القضب لايادى النسيم فمن رأى رجبا فقد رأى عجبا وبدى عيد السرور والطرب وقال من شاهده من رأى عيدا فى غرة رجب (ياليت ان شهورى كلها رجب) لازال ضجيع الغفران وجليس ملائكة الرضوان فى حباب مدامه الرائق فى انتظامه قوله

عذار معذبى قد خط خطا * من الريحان فى روض الدلال
كتاب بالامان له أتانا * وعنوان المسرة والوصال

ومما كتبه الى وأنا بالروم

أقبل بالاجفان يا سادتى أرضا * وبالقرب لا بالبعد من حبكم أرضى
وان سار نجم فى السما ذكرتكم * وحنت لكم من بعدكم سائر الاعضا
وان جعل الناس المحبة سنة * جعلت على طول المدى حبكم فرضا
ووالله ان العين من بعد بعدكم * جفاها الكرى عمدا فليست ترى غمضا

وان لم

وان لم نفز منكم برؤية وجهكم * فأرواحنا حتى جوارحنا مرضى
وأنشدني له أيضا

لا تجعلن على الخدود وغيرها مأسفتاً
واعشق مليحا أهيفا * كالرمح ان ماس فتل

وله من قصيدة

تهلل وجه الدهر بالنور والهدى * وأشرق روض الزهر بالقطر والندا
وفتح أحداق الحدائق هاطل * من الطل خد الورد منه تورّدا
ومن لطف خلق النيل جاء مخلقا * ومن عظم غيظ البحر أرغى وأزبدا
وما يستوي البحران هذاك مالح * أجاج وهذا طاب للناس موردا

(القاضي بدر الدين القرافي المالكي) القاضي الفاضل والحاكم العادل الفاصل بدر كماله من أفق المعالي مشرق وغصن دوحه من سحائب الفضل مورق رأيته ولياليه محمرة خدود الشفق وعيون النجم في خدمة سعده لا تكتحل بغير الارق وقد طلع بدره في هالة التدريس وأحاطت به منطقة ناديه المجد جليس وأقلام الفتاوى تسعى لخدمته على رأسها وتجعل وجه الطرس كعبة مستورة بسواد أنقاسها فتحج لها الابصار والبصائر وتعتكف في حرم أدواتها الاسماع والضمائر وآثاره في فقه مالك مدونه وفواضله بموطا أخلاقه معنونه وشرح مختصر خليل شرحا شفى به الغليل وله القول المأنوس في حل مشكلات القاموس كادت له الصحاح الجوهرية تغوص في البحار خجلا من اتساق عقوده الدرية ولم يزل في القضاء على سنن السنة سالكا ولمحرّرقها الموشى بالكتابة مالكا فهو ثالث العمرين ونديم القمرين أظهر فيه اليد البيضاء ولم يلتفت بهمته المسوّدة الى الصفراء والبيضاء

وما سمعنا قط ان امرأ * أهدى له شيأ ولا قدر شاه

والآن قد قام من غلط الدهر بوجوده فاحتاج للحل جهل الحكم والتسجيل فاحتاج للصلّ ولم يزل طالعا في أفق العز حتى غرب بدره وانمحق بسرار الضعف فكسف عمره فبدا زواله وتم كماله

ان فراق الكمال صعب * حتى على البدر في السماء

وله شعر العلماء ونثر طارمع العبقاء تأنق فيه وتصلف ولا عجب للبدر أن يتكلف كقوله

منك البداءة بالاحسان حاصلة * ملكتني الرق فضلا لا مثل لى سارى
ألممتنى بعده عتقا التكرمنى * فاختم بخير به عتق من النار
وفى معناه قول النور ابن حجر العسقلانى
يارب أعضاء السجود عتقتها * من فضلك الوافى وأنت الواقى
والعتق يسرى بالغنى ياذا الغنى * فامنن على الفانى بعتق الباقى
ولغيره فى معناه
ان الكرام اذا شابت عبيدهم * فى رقهم عتقوهم عتق أحرار
وأنت ياخالق أولى بذا كرما * قد شبت فى الرق فاعتقنى من النار
وهو ممن يروى عن خاتمة المحدثين الديمى وفيه يقول
وشيخ حديث طبق الارض علمه * وصار بعلم فى الانام كما العلم
هو الديمى كالغيث منهل فضله * فلا تعجبن فالغيث تأتى به الديم
وأحسن من قولى مضمنا وكتبته على شرحه للبخارى
فاق الورى الديمى الحبر حين أتى * فى خدمة السنة الغراء كالعلم
وكلهم من رسول الله ملتمس * غرفا من البحر أو رشفا من الديم
(أحمد بن عواد) أديب استمر أخلاق الصناعه وجلب الى مدينة العلم المعمورة متاعه الا أنه جعل الشعر له سلاحا وسطا وجاء شعره فى أمته أمة وسطا فما أورد له صاحبنا علاء الدين المكى فى كتابه الطراز المنقوش قوله فى بعض الحبوش
حبشية حسنية أبصرتها * تهتز كالغصن الرطيب المثمر
فسألتها عن جنسها مع ماخفى * قالت فما تبغيه جنسى أم حرى
وهذا كقول الآخر
بى أحورى ناعم الخدين ذو * شرطين فعلهما كفعل السمهرى
لم أدر اذ صافحت صفحة خده * ورد زهى أم خد يد أم حرى (ر)
وللنواجى رمت التغزل فى أجفانه فبدا * عذاره فوق ورد الوجنتين طرى
وقال قلبى لاتحفل بغزلهما * وخص عارضه بالمدح فهو حرى
وههنا أمر لابد من التنبيه عليه وهو أنهم عدوا من أنواع البديع الاكتفا وقد ألف فيه النواجى كتابا سماه الشفاء فى بديع الاكتفاء وقد طالعته وهو كتاب لطيف كما قال

هو فيه من كل معنى بديع لو عرّ على * فهم السقيم ولو فى نومه شفيا
وقلما أبصرته عين ذى أدب * الا وراح بذاك السبر مكتفيا

ومما أفاده فيه أن ابن رشيق حده بقوله وهو أن يدل موجود الكلام على محذوفه واعترض عليه بدر الدين بن الصاحب بأنه يدخل فيه كل حذف وتقدير وقال انه لم يجد له حدا سالما من الاعتراض ألا ترى انه دخل فيه نحو واسأل القرية وليس منه والمشهور من شواهده قوله تعالى سرابيل تقيكم الحرّ وهو على أنواع فمنه مايكون بجملة ومنه مايكون بكلمة ومنه مايكون بكلمتين فأكثر ومنه مايكون ببعض كلمة حرف أو نحوه وهذا اما أن يخرجه الحاقها عن الوزن أولا وكل منهما اما مع التورية أو بدونها واعلم ان فى الآية المستشهد بها نكتة لطيفة لم ينبهوا عليها وهى انه انما اقتصر على الحرّ لانه أهم هنا لما عرف من غلبة الحر على ديار العرب ثم ان ماتقى الحرّ يحصل به برودة فى الهواء فى الجملة فوقاية الحر انما هى لتحصيل البرد وهذا فيه من اللطف ماهو ألطف من النسيم فلله در التنزيل فكم فيه من أسرار لاتتناهى بقى ههنا بحث جليل وهو ان المتأخرين من أصحاب البديعات لما أكثروا من أنواع البديع وفيهم بعض من لاخبرة له بدقائق المعانى والعلوم زادوا فيها أنواعا مدخولة فنها الاكتفاء ببعض الكلمات وتبعهم من بعدهم كالدماميني فى شرح الخزرجية حيث ذكره وأنشد عليه قول ابن نباتة المصرى

بروحى أمر الناس نأيا وجفوة * وأحلاهم ثغرا وأملحهم شكلا
يقولون فى الاحلام يوجد شخصه * فقلت ومن ذا بعده يجد الاحلا (م)

ولابن مكانس

لم أنس بدرا زارنى ليلة * مستوفزا ممتطيا للخطر
فلم يقم الا بمقدار أن * قلت له أهلا وسهلا ومر (حبا)

وللبدر الدماميني

الدمع قاض بافتضاحى فى هوى * رشا يغار الغصن منه اذا مشى
وغدا بوجدى شاهدا وشى بما * أخفى فيالله من قاض وشا (هد)

(وله أيضا)

يقول مصاحبى والروض زاه * وقد بسط الربيع بساط زهر

تعال نباكر الروض المفدى * وقم نسعى الى روض ونسر (ين)

وقال ابن جني في كتاب التعاقب باب الاكتفاء وهو الاكتفاء عن الكلمة بحرف من أولها كقوله * قد وعدتني أم عمرو أن ت * أي ان تسمح وليس منه قلنا لها قفي فقالت قاف لانه اسم لا حرف ومنه قول النبي صلى الله عليه وسلم كفى بالسيف شا يريد شاهدا وقول علقمة

(مقدم بسبا الكتان مختوم) أي بسبائب وقول لبيد (درس المنا عتالع فأبان) أراد المنازل اه وقد ذكر فيه الحديث وذكر انه اكتفاء عن شاهد كقول ابن الرومي (والدم في النصل شاهد عجب) وهو ثقة وقال غيره انه مكتفى به عن شافي وله وجه مع انهم ذكروا أيضا من الاكتفاء ما اكتفي فيه بحرف الجر عن مجروره كقوله (ان غاب عن انسان عيني فهو في) وما حذف منه شرط ومجزوم وصلة موصول ونحوه ويرد عليهم قاطبة ان المحسنات البديعية انما تعد محسنة بعد مراعاة الفصاحة فما خالفها يعد قبيحا ممنوعا عند أهل العربية وقد صرحوا بانه لا يجوز حذف بعض الكلمة الا في ترخيم المنادى على اللغتين بشروطه وما عداه وان سمع من العرب شاذ مناف للفصاحة فعدهم له محسنا لا يصح وكونه مع التورية كما مر لا يسوغه ولو صح كان المحسن له التورية لا هذا الاكتفاء فعدهم له منه اوهم على وهم ثم لو جرى هذا على وفق العربية كان حسنا وقد نظمت له مثالا لم أسبق اليه فقلت

رمت الندا المالك وفرالبكى * بولى الجميل لرقة في الحال

فنهاني الصبر الجميل وقال لي * لا تكيس ناد وقل له يا مال (ك)

ففيه اكتفاء وتورية مستوفية لشروط الترخيم وهذا من السحر الحلال الذي يعرفه من له ذوق فان قلت ما وقع في الحديث من قوله كفى بالسيف شا ان كان صحيحا فصيحا نقض ما قلته والا يلزمك أن يصدر من النبي صلى الله عليه وسلم كلام غير فصيح وهو أفصح الفصحاء قلت أفعاله وأقواله لا يقاس عليها غيرها وكما كان يتكلم مع كل قوم بلغتهم حتى صدر منه احيانا ألفاظ فارسية وحوشية وغيرهما مما لا يوصف بالفصاحة فعدت من معجزاته صلى الله عليه وسلم جاز صدور مثل هذا عنه لسر ظاهر أو خفي وأما ما قاله شارح البردة السيد الغبريني المقري من قوله ان كونه أميا معجزة له كما قرروه حتى لا يرتاب أحد في كلام الله يرد عليه انه لو تم قيل عليه لم خلق أفصح الناس ولم يخلق غير فصيح

حتى

حتى يعلم أن ما يتلوه من الكلام المعجز ببلاغته ليس كلامه فليس بشيء لان الامية شائعة فى أكثر فصحاء العرب وهم فى غناء عن الكتابة وأما عدم الفصاحة فلكنة وعيب عظيم منزه عنه على مقامه وطاهر فطرته وجوهر جبلته ومن هذا علم أن الحروف المقطعة فى أوائل السور ليست من حذف بعض الكلمات المحظور وهذا البحث مما لا تراه فى غير كتابنا هذا * وممن صنف فى جميع أنواع البديع فى عصرنا ولم يهذبه حتى كان بينى وبينه منافاة ومنافسة لاجل هذا

(عبد الرحمن محمد بن الحميدى شيخ أهل الوراقة بالقاهرة)

الاديب الذى تفتحت بصبا اللطف أنوار شمائله ورقت على منابر الآداب خطباء بلابله اذا صدحت بلابل معانيه وتبرجت حدائق معاليه (جلبن الهوى من حيث أدرى ولا أدرى) نظم فى جيد الدهر جمانه وسلم الى يد الشرف عنانه حاملا فى رداء مجد ذى حواش وبطانه ناثرا فرائد بيان ينثرها اللسان فتودع حقاق الآذان وله فى الطب يد مسيحية تحيي ميت الامراض وتبدل جواهر الجواهر بالأعراض

مبارك الطلعة ميمونها * لكن على الحفار والغاسل

وديوان شعره شائع وذائع الا انى استودعته النسيان (ولا بد يوما أن ترد الودائع) ولما نظم بديعيته أرسلها الى فنظرت فيها فى الاوائل والصبا تتنافس على أرجه وقد فاح مسك الليل وكافور الصباح

ولا عقرب الا بصدغ مليحة * ولا جور الا فى ولاية ساقى

ومما اعترضت عليه فيه تشابه الاطراف فانه أخطأ فى حده ومثاله فلما كتبته له ووافقنى فيه بعض الاصحاب لم يعترف بخطائه وكتب أبياتا منها

بكم علمت تشابه الاطراف من * فن البديع ببحثه وجداله

فكتبت له متهكما مولاى أسرفت فى الامتنان وأسأت لنا مقابل الاحسان وعاقبت من غير جناية سابقة وحرمت من ليس له فيك آمال رائقة فكانت حالى معك كما قيل ان هبت ريح شديدة فصاح الناس القيامة القيامة قال بعض المجان ماهذه القيامة على الريق وأين الدجال والمهدى واشراطها وفى ذلك أقول

أسرفت فى الصد خف خالقا * لا يرتضى اسراف مخلوق

ياهاجرا من لم يذق وصله * جرعته الصبر على الريق

(الرئيس داود الحكيم) ضرير بالفضل بصير كأنما ينظر ما خلف ستارة الغيب بعين فكر خبير لم تر العين بل لم تسمع الآذان ولم تحدث بأعجب منه مساءلة الركبان اذا جس نبضا للتشخيص مرض عرض أظهر من أعراض الجواهر كل غرض فيفتن الاسماع والأبصار ويطرب بجس النبض مالا يطرب به جس الأوتار

يكاد من رقة أفكاره * يجول بين الدم واللحم

لو غضبت روح على جسمها * ألف بين الروح والجسم

فسبحان من أطفأ نور بصره وجعل صدره مشكاة نور فانها لا تعمى الأبصار ولكن تعمى القلوب التي في الصدور وله في كل علم سهم مصيب ومنطق محلى بتهذيب التهذيب وكنت قرأت عليه الطب وغيره في سن الصغر فسمعت منه ما يغار له نسيم السحر ويطرب من لطف نغمات الوتر ينثر فيه نثار العلوم على عرائس المنثور والمنظوم وكان يقول لو رآني ابن سينا لوقف ببابي أو ابن دانيال لاكتحل بتراب أعتابي الا أنه على مذهب الحكماء ومشرب الندماء ولذا كثر كلام الناس في اعتقاده ونقل عنه رشح قطرات من خفي الحاده ثم لما كثر اللغط فيه ارتحل للبيت العتيق فطافت به المنية من كل فج عميق فقضى نحبه ولقي ربه ومما سمعته من شعره قوله

من طول ابعاد ودهر جائر * ونسيس حاجات وقلة منصف

ومغيب ألف لا اعتياض بغيره * شط الزمان به فليس بمسعف

أوّاه لو حلت لي الصهباء كي * أنسا فأذهل عن غرام متلف

وهو كقول شيخ المعرة

تمنيت أن الخمر حلت لنشوة * فتذهلني كيف اطمأنت بي الحال

فأذهل اني بالعراق على شفا * ردى الامانى لا أنيس ولا مال

وله تآليف منها شرح قصيدة ابن سينا في الروح والتذكرة الكبرى والصغرى في الطب وغير ذلك رحمه الله تعالى

(محمد بن بدر الدين القوصوني الطبيب) سماء مجد أشرف بدرها ودرت سحائبها فلله درها فياله من بدر في سماء الكمال وحيد صب بعقائل المجد المخدرة عميد قليب كرم لا يرد رشا ماتح فهو لعمري نقلة المستوفز وعلقة لسان المادح وهو في الطب رئيس لم يخرج عن القانون وفارس في حلبته لا تدركه سوابق الظنون فلو راجعه الهلال لأبرأه من المحاق

والدنف بلا تكلف من وصمة السبرص والكلف ارتحل الى فخر آل عثمان المرحوم السلطان سليمان فاعتكف عنده فى حرم الاحسان فاصطاد فى حرمه أوابد الكرم فواعجبا أنى حل له الصيد فى الحرم فداوى سقامه وقد قبل النقرس أقدامه وله ما تزلها الدهر مستزيد والمجد سامع له مستفيد منهاما كتبه لفضل الله الرومى وقد أهدى له شرح الموجز للنفيسى

سطور أودعت بطن الطروس * أم السحر المؤثر فى النفوس
ومكتوب بديع اللفظ وافى * أم الصهباء تجلى فى الكؤس
قرأناه فأنشأنا كأنا * طربنا باحتساء الخندريس
فقبلناه تعظيما وشوقا * لمنشئه الرئيس ابن الرئيس
تفضل ثم كاتب عبد رق * فأعتق رقه من كل بوس
ولم يقنعه اهداء القوافى * تحلت بالجواهر كالعروس
فزاد هدية أخرى فأهلا * وسهلا بالنفيسى من النفيس
أبا الفضل ابن ادريس فأكرم * به نسبا يضىء ضيا الشموس
قبول العذر مأمول فانى * أجبتك عن جليلك بالخسيس
وهل أبكار فكرك لائق أن * تقابل بالعجوز الدربيس
بقيت الدهر مسرورا مهنا * وشانيك المعنى فى عبوس

(ابراهيم بن المبلط) أديب أدار على الالباب رحيقه المصفى ان قصر سواه فابراهيم الذى وفى ملأ بيوته جواهر و ياقوتا وغيره من الشعراء ينحتون من الجبال بيوتا حتى هدم بما بناه من الاشعار ما شيده من قصوره المعمار فالتحق بصناعة الشعر بالاشراف فغاص فى بحوره واستخرج منها لآلى لها الآذان أصداف وكان شيخ سوق الوراقة بالقاهره وثمرات آدابه فى رياضها زاهية الاوراق زاهره الا أنه كان يجيد نسج مقطعات الابيات و يقصر اذا نظم المطولات وقد طالعت ديوانه فمن معمور أبياته ومبانى كلماته قوله من قصيدة له

حدثت بانة الحى عن صباها * عن ثنيات مكة عن صفاها
ان عصر اللقاء آن ووافى * وزمان النوى انقضى وتناهى
ونسيم الصبا يؤدى الامانا * ت الى أهلها كما قد رواها

كم نسيم سرى فسر قلوبا * شفها البعد والنوى فشفاها
تعرف العاشقين منها نسيما * توهم يعرفونها بشذاها
ان أيدى الفراق جارت علينا * فى قضاء فحسبها وكفاها
آه واوحشتى لاحشاء قلبى * وقليل قولى على البعيد آها
كان للبين ساعة بالهامن * ساعة ان نسيت ما أنساها
حملوا العيش بالهوادج حتى * ضل فى ركبها الفؤاد وتاها
واستقلت ظهورها ببدور * طال فى ظلمة الدياجى سراها
وظباء عهدى بها فى قصور * فاذا بالظباء وسط فلاها
وأكام فى غصونها من غصون * قد حلا ثمرها ومر نواها
ما أمر الفراق طعما وأهنى * ساعة الملتقى وما أحلاها
وقسيمى فى الشوق ذات جناح * ظاهر حزنها وباد جواها
فارقت من تحب مثلى ولكن * ما هواى المصون مثل هواها
فعيونى على الدوام دوام * وهى لم تبك مرة عيناها
وكتمت الهوى عن الناس طرا * وهى باحت به لمن فى حماها
وهجرت الرياض وهى ثوتها * ورقت من غصونها أعلاها
فاجتمعنا فى صورة من بعيد * وافترقنا من بعد فيما عداها

وهذا كقول ابن لؤلؤ الذهبى من قصيدة له

وتنبهت ذات الجناح بسحرة * فى الواديين فنبهت أشواقى
ورقاء قد أخذت فنون الحزن عن * يعقوب والالحان عن اسحاق
قامت على ساق تطارحنى الجوى * من دون صحبى بالحمى ورفاقى
أنى تباريني جوى وصبابة * وكآبة وأسى وفيض مآقى
وأنا الذى أملى الهوى من خاطرى * وهى التى تملى من الاوراق

ونظائره كثيرة لا تحصى ولصاحب الترجمة

يا عائبا السواد قهوتنا التى * فيها شفاء النفس من أمراضها
أفلا تراها وهى فى فنجانها * تحكى سواد العين وسط بياضها

* بدر الدين بن الازهرى شاعر عصرى * طلع فى هالة الكمال بدرا وسابق فى حلبة

الآداب نظما ونثرا فصحت معانيه وقويت مبانيه ولذت بأفواه القائلين وساغت بأسماع السامعين لحلاوتها على اللسان وموقعها فى الآذان مواقع ماء المزن فى البلد القفر أورده له بعض أدباء عصرنا شعرا فاخترت منه قوله

شكا الىّ من أحب دملا * فى ردفه وقال قول جازع
يطلع فى كل مكان ضيق * فقلت ذا فى أوسع المواضع

وفيه كناية فيها نكاية مع تلميحه لمثل العوام لمن يجى فى غير محله كالدمل يطلع فى أضيق المواضع وقوله أيضا

لقد عثرت بجنح الليل رجلى * على شخص ولم يك فى حسابى
فقال مجاوبا لى أنت أعمى * فقلت نعم ودوّاس الكلاب

(وله) هذا حشيش أخضر * مخدر للجسد
يقول من يبلعه * يارجلا خذ بيدى

(وله) أمنت من خوف العدا وشرهم * مذجاء نى بخاتم الامان

(وله) لا ترتجى الشفاء الا من الله فان الحكيم رب الوجود
وعجيب فى ذا الزمان غريب * مسلم يرتجى الشفا من يهودى

اشارة الى ما عرف من غش اليهود للمسلمين والى ما خلا يهودى عسلم الاهم بقتله ومما قلته فى معناه

أيعرضنى الدهر الخؤون بدادهى * ويخلف فى وقت المضيق وعودى
فان رمت من يشفى الفؤاد يطمه * فيومى سبت والطبيب يهودى

(وله أيضا فى شبابة)

ياحسنها شبابة لم ينقطع * موصولها لما غدت تترنم
بالرمز تفهمنى اشارات الهوى * أو ما تراها بالعيون تكلم

وهذا كقولى مضمنا

لنا مجلس فيه من اللهو مطرب * وآدابنا ما بيننا تترنم
وناى يناجينا بأسرار ربنا * فنحن سكوت والهوى يتكلم

ومثله قول مجير الدين بن تميم مضمنا

وناطقة بالروح عن أمر ربها * تعبر عما عندها وتترجم

سكتنا وقالت للقلوب فاطربت * ونحن سكوت والهوى يتكلم

(وله أيضا)

عماطلى رجلى شكت * ترددى اليه

وكان لى سرموزة * قطعتها عليه

وسرموزة لفظ فارسى عربوه وهى النعل المعروف والعامة تقول له سرموجة على قاعدة التعريب فانه تبدل فيه الزاى جيما

(محمد الابيارى القبانى) لبيب ان ذكر الحساب فهو أول من يسجد له البيان أو الشعر تلا لسانه أقيموا الوزن بالقسط ولا تخسروا الميزان اهابه ظرف ملئ بالظرف وبوارق فكره أسرع من لمحة الطرف فما نسيم الصبا وما عتب صب صبا ومع ذلك فكوكب سعده لم يزل ساقطا وعاثر جده لم يبرح فى ظلمات الخمول هابطا

والدهر كالميزان يرفع ناقصا * أبدا ويخفض كامل المقدار

فاذا انتحى الانصاف عادل عدله * فى الوزن بين حديده ونضار

ان أنشد الشعر أقام أوزانه وأهدى دره المنظوم من فكره أوزانه فمن دره المكنون وتبره الموزون قوله

وهيفاء تهوى الراح قالت لصبها * بمجلس أنس وهو يخشى ملالها

اذا لم تدر لى الكاس ملأى فانى * أبيتك مهجورا تخاف ملالها

وهو كقول البدر الدماميني

يقول لها هلا حكيت بناظرى * مهاة سبتنى اذ سمعت كلامها

وأعرض عنى ثم وجه عتبه * لها حين لم تشبه غزالا ولامها

وقول ابن مكانس

أقول لحبى قم ومس يا معذبى * كميسة خود حرك السكر راسها

ولا تسمعن شيأ اذا ما حكيتها * فمام كغصن البان لدنا وماسها

وله رونق البدر فى صفا الماء لما * جعدته أيدى الصبا كالاسارير

شبه جام من لؤلؤ يتلألا * فوق صرح ممرد من قوارير

وله من قصيدة

لقد حل فى مصر بلاء من البرش * به عدت الارواح والمال فى أرش

وكان

وكان بها حرث ونسل فرقوا * وأهلك ذاك الحرث والنسل بالبرش

والبرش اسم معجون معروف وأصله برشعثا ومعناه برساعة باليونانية فعرب وهو نوع من الحرائة عند أهل مصر وبه يتم التلفيق والتورية والله أعلم

(يحيى بن الخطيب القبانى) غلام هذا الاديب المقدم ومن صحبه فاصبح طراز مجده به معلم فتفتحت صبا اللطف نور شمائله وسقى ربيع كماله بطل أدبه ووابله وصحبة الالباء صيقل الالباب كما أن الشجاعة صيقل الاحساب وكان كثيرا ما يخصنى بانس مذاكرته ويتحفنى بهدايا مفاكهته فكتب الى مرة يدعونى لبيت له على الخليج

محيط علوم مولانا بانا * على النهر المقابل بالخليج

فان شئتم تفضلتم وجئتم * الى سكن يقول الى الحلى جى

وكتب له بعض أدباء الشام يفاكهة

ما قولكم سادتى فى أهيف خطرا * غصبته قبلة مذ مرت فى خطر

فرام قتلى بلحظ للنهى سحرا * وبت منه أراعى النجم للسحر

هل جائز قتلى أفتوا لمن حضرا * لباب مولى رئيس البدو والحضر

فأجاب بقوله

يا سائلى عن حبيب بدره سفرا * عن برق ثغر هدى الركبان فى السفر

فراح يغصب اثما عندما نظرا * فى عاقبات مراعى ذلك النظر

وغاية الغاصب استرجاع ما صدرا * منه بعذب اللمى فى الورد والصدر

وفى القصاص حياة للذى ظفرا * بلثمه وما آل الصبر للظفر

والله يغفر للجانى الذى شجرا * من اليه سعى جذع من الشجر

وفى ذخيرة ابن بسام روى أن رجلا قبل امرأة فشكته الى النبى صلى الله عليه وسلم فقال له ما تقول فقال صدقت يا رسول الله فاقتصها منى فتبسم النبى صلى الله عليه وسلم وقال لا تعد فقال لا أعود والى هذا نظر ابن نباتة فى قوله

لئن لثمتك يوما * وللسرور اقتناص

فهاك فاقتص منى * ان الجروح قصاص

وللقاضى أبى عامر الجرجانى

ومنتقب بالورد قبلت خده * وما لفؤادى من هواه خلاص

فاعرض عنى مغضبا قلت لا تجر * وقبل فى ان الجروح قصاص

وللقاضى عبد الوهاب المالكى البغدادى

وناعمة قبلتها فتنبهت * وقالت تعالوا فاطلبوا اللص بالحد

فقلت لها انى وحقك غاصب * وما حكموا فى غاصب بسوى الرد

وتلطف من قال

بالردف قد قتلتنى * وقاتل النفس يقتل

قالت فنعمان خدى * نفى قصاص المثقل

(شهاب الدين أحمد السنفى المعروف بقعود) بليغ سحب ذيل بلاغته على سحبان وروض أدب فى كل روضة خطها بستان ألفاظه أرق من دمع السحاب وأطرب من كأس يضحك بثغر الحباب سطور شعره قضب عليها من قوافيه حمام وعصره وان تأخر لمدام الادب مسك ختام ان ورى فالكلمات لحيا تهادات توارى أو زف أبكار أفكاره فالكنس لشهبها جوارى وهو من أعيان مصر فضلا وأدبا وممن مال لرقته كل نسيم وصبا وربما جعل الشعر لكسبه سببا واتخذ سبيله فى البحر عجبا وله مكارم أخلاق تجددها آثار الجود الاخلاق كما قال فيه صاحبنا الأصيلى

لله در شهاب الدين مرتقيا * فى الجود والنسب السامى على السلف

من رام يبغى وفا أو منتقى نسب * قالت فضائله فى ذا وذا سنفى

مع كون طبعه يهزأ بالشمال والشمول أدركته حرفة الأدب فاعتكف فى زوايا الخمول ومن شعره قوله

ياصاحباى اتركا معنى * أوفاعذلاه وعارضاه

فما تطيقان رشد غاو * بما يلاقى وعى رضاه

سباحشاه والعقل منه * عيناغزال وعارضاه

ياجمع من صبر والنصابى * فى الحسن عارا بالعارضاهوا

وله لى حبيب من هجره زاد سكرى * وسلوى هواه أقبح ذنب

جاءنى داعيا وقال أنت انى * أولم اليوم قلت قلب المحب

ولابن مكانس

قال خلى لحبيبى صل فتى * فيك قد أضحى معنى مغرما

(لمى) قال هل يولم ان واصلته * قال ان فاز بشعر أولما

وله وحقك لو أتلفت مالى جميعه * لما رضى الواشون فيك مكارمى
ولو أننى أولمت ألف وليمة * لاجلك لم يشكر عذولى ولائمى

وللصلاح الصفدى
يامن اذا ماأتاه * أهل المحبة أولم أنا محبك حقا * ان كنت فى القوم أولم

(وله من قصيدة)
تفت فؤادك الايام فتا * وتنحت جسمك الساعات نحتا
وتدعوك المنون دعاء صدق * ألا ياصاح أنت أريد أنت

ومنها فى العلم
وكنز لاتخاف عليه لصا * خفيف الحمل يوجد حيث كنتا
ستجنى من ثمار الجهل عجزا * وتصغر فى العيون اذا كبرتا

وله هم بابنة البن فقدودها * للطفها رب الحجى والدها
مذ سادت العنبر لوناشذا * لاتدعنى الا ياعبدها

ونحوه قول القيراطى
فى خدمن أحببته شامة * ماالند فى نكهتها ندها
والعنبر الرطب غدا قائلا * لاتدعنى الا ياعبدها

وهو تضمين لقول الشاعر
لاتدعنى الا ياعبدها * فانه أشرف أسمائى

(محمد البلبيسى) فاضل شافعى المذهب واديب طراز فضله بالآداب مذهب وشمال لطفه سلسل ماء براعته رائق المشرب من القوم الذين هم فى طرق الخيرات ساعون والذين هم لاماناتهم وعهدهم راعون الا انه تجاوز عن رقة النسيب الى كثرة التجنيس والحوشى الغريب فلذا لم أثبت من شعره الا القليل النزر فمنه قوله من قصيدة أولها
أهلا به ملكا فى زى انسان * أهلا ببدر أتى فى شهر نيسان

(ومنها أيضا)
وانما شنى باليد البيضاء سودده * من أسود الخطب لما أن تخطانى
قد كنت غصان بالماء الزلال وهل * يجرى سوى الماء فى ثغر لغصان

(ومنها)

حجبت غيرك عما ظلت تملكه * ارثا من الفضل حجبا حجب حرمانى

وهذا على ما تراه معنى مبذول كقول الشاعر

من غص داوى بشرب الماء غصته * فكيف يصنع من قد غص بالماء

وهو في معنى قوله

كنت في محنتي أفر اليهم * وهم محنتي فاين الفرار

ولابي فراس

غصصت منك بما لا يدفع الماء * وصح حبك حتى ما به داء

وله قد كنت عدتي التي أسطو بها * ويدي اذا اشتد الزمان وساعدي

فرميت منك بضد ما أملته * والمرء يشرق بالزلال البارد

والاصل فيه قول زيد بن عدى

لو بغير الماء حلقي شرق * كنت كالغصان بالماء اعتصاري

ومن كلام ابن المعتز ربما شرق شارب الماء قبل ريه ومن فصولى القصار واعجبا لمن اكتحل بالعمى وغص بالظما وقلت مضمنا

قد كنت أرجوك للجلى اذا طرقت * فصرت عونا لحسادى وأعدائى

من غص داوى بشرب الماء غصته * فكيف يصنع من قد غص بالماء

ومن البديع هنا قولى

يامن أطال مطالى في مضايقتى * المطل في شدة المطول يرديه

اذا المياه أطالت مطل ذى غصص * فمن حياض المنايا المطل يرويه

ع (محمد الاسيوطى التاجر) هو تاجر ربحت بالآداب منه التجاره وبدت وجوه كماله وعليها من رونقه نضاره فنشرت بين يديه بضائع الادب الزاهر وقالت لطف طبعه النقاد على عينك يا تاجر وكان بينه وبين والدى عهود موده وعروة ميثاق أحكمت يد الايام عقده وله شعر محته من صحف الفكر السنون ولم يعلق به الا قوله في المجون والهزل أحيانا جلاء العقول

لنا صديق له في الصلح معرفة * تفضى الى أنه يغنى بغير تعب

اذا رأى أمرد كانوا ردوجنته * تذكر الشام مما قد رأى وحلب

والصلج بصاد مهملة وجيم لغة عامية رديئة معناها النظر بشهوة
(القاضي أحمد المحلي المالكي) فاضل فضائله مدونه ومآثره بأنوار فواضله ملونه لم يزل فيما مضى مرفوعاً بنصب القضاء مع قطع وقته النفيس في أنواع الافادة والتدريس وكان جمعني واياه نطاق الزمان في هالة زاد طلعت فيه بدور الاخوان فرأيته يظن الفهم جهلا ويرى مشهور المسائل مشكلا اذا رأى غيره شيئاً ظنه رجلا فقال لي لم منع صرف أشياء مع صرف أسماء فقلت له ملاطفا يا أيها الذين آمنوا لا تسألوا عن أشياء ثم كتبت له مفهما

أشياء لفعاء في وزن وقد قلبوا * لاما لها وهي قبل القلب شيآء
وقيل أفعال لم تصرف بلا سبب * منهم وهذا لوجه الضعف اعياء
أو أشيئاء وحذف اللام عن فعل * وشيء أصل شيء وهي آراء
وأصل أسماء أسما وكباب كسا * فاصرفه حتما ولا يغررك أسماء
ومنع صرف اذا ما كان في علم * لاجل تأنيثه والاصل وسماء
فقل لمن يدعي في العلم توسعة * حفظت شيئاً وغابت عنك أشياء

(سري الدين بن الصائغ الحنفي) سري طابق اسمه مسماه وكاد أن ينطق بلفظه معناه تدفقت جداول علمه ونبتت في شاطئها حدائق نثره ونظمه ترفع عن صناعة الصياغة لما وصل الى معدن جواهر البلاغة فاصبحت ذاته للمعالي اتفا ولبس حلل الكمال فأين منه السري الرفا أبرز في الطب نفيس جواهر لم يدركها ابن النفيس وجرى في الشفا على قانون الصناعة حتى لقب بالرئيس فأصبح به وشي صناعته مطرزا رعد الكلام المذهب في احصاء أوصافه وجزا وله فرائد أخلاق في سلك الايام ذات اتساق حكت الروضة الغناء اذا وقع قطرها بلا وبلبها غنى في معالم لو رآها ابن جلا ستر وجهه ورأسه خجلا كأنما الصبح تنفس عن محياه والعنبر الرطب فاح منه ريا صاغ بفضله حلى المكارم فهي في سواعد المجد أساور وفي أكفها خواتم

سمح البديهة ليس علك لفظه * فكأنما ألفاظه من ماله

وجرت بينه وبين ابن نجيم مكاتبات معدولة الالفاظ مدنسة المعاني أكثرها من رسائة ابن زيدون منحولة المباني وبما صاغه من تبره وصبه في قالب شعره قوله

ما الناس الا الاحباب * والدهر لجة ماء

فعالم في طفو * وعالم في انطماء

ومنه قوله

اغا الدنيا ظلال * في أو يقات قليله
أو رذاذ متوال * فوق كثبان مهيله

﴿منصور البلبيسي﴾ ندب اتجر في حرفة الأدب واقتطف بيد فكره فواكه الفضة من كثب ثم غلبت عليه السوداء ولعبت به الصفراء والبيضاء فانعكست تلاء الفنون بالجنون والجنون كما يقال فنون فجعل دساكر القهوة رحلة صيفه وشتائه وهوى الأحبة منه في سويدائه فما أنشدنيه قوله في التاج بن الجيعان حيث رماه بمرض أكابر الزمان

قلت لتاج الدين في خلوة * وقد علاه عبده الأكبر
التاج يعلو فوقه غيره * قال نعم ياقوت أو جوهر

﴿عبدا نافع الطرابلسي نزيل مصر﴾ فاضل تود العيون قربه وترى القلوب وده أعظم قربه وأديب هو بديع زمانه وتاج مرصع بجواهر المناقب على رؤس اقرانه يستعير المجد مقامه الرفيع ولا تنكر الاستعارة من صاحب البيان البديع درس وأفتى وصنف في فنون شتى الا انه اقتدى في شعره بابن حجاج كقوله في هجاء من لقب بالتاج

أقبح خلق الله في خلقه * وخلقه وهو خسيس وضيع
لقب بالتاج ولكنه * تاج الخصى ومجاز وسيع

﴿صاحبنا عبد المنعم المالطي﴾ أديب أسكرنا بلفظه العذب لانه جام وأدار علينا من مدام لطفه في مجالس الانس جام وكان في شرخ الشباب والعيش غض أغصانه الرطاب

زماني به كالورد طيبا وبهجة * فياليت ذاك الورد كان نصيبي

ونثر أفكاره داري ومن موارد أنسه لنداري وانه مع ذلك توقد ذكائه لناري وله أخلاق ذات حواش رقاق الا انه على الشعر مقصور وليس له من الاعراب نصيب فطبعه على عاميته يخطئ وقد لا يصيب وأكثر شعره نتف وهجو وهزل وقلما يقع فيها المطبوع الجزل كقوله

اذا رام محفوظ يريني للشرا * من الدون قطرا لانظير لحسنه

فقولا له انى وحق حياته * مرادى أرى تعليقه قبل دفنه

وقوله

وعن كبش الذبيح سألت يوما * خبيرا عالما بعلوم الاحيا
أيحيى الكبش بعد البعث أيضا * فاخبرنى بأن الكبش يحيى

وهاهنا أمر نفيس نمحو به السيئات وبحث عظيم نحيي به عظام الرفات وهو أن الحيوانات هل يحييها الله تعالى وتحشر ويقتص لبعضها من بعض فأكثر أهل الحديث والسنة والاصول على انه كذلك لوروده فى القرآن فى قوله تعالى واذا الوحوش حشرت ولقول سيد المرسلين صلى الله عليه وسلم فى خبر القصاص يوم القيامة يؤخذ للجماء من القرناء وخالفهم الامام أبو الحسن الاشعرى فقال فى كتاب الايجاز ما نصه لا يجب على الله تعالى أن يعوض البهائم والاطفال والمجانين وجميع الخلق الذين خلق فيهم الالم خلافا للقدرية حيث قالوا ان الله تعالى اذا آلم الحيوان لا على سبيل الاستحقاق وجب عليه أن يعوضهم والا يكون ظالما ودليلنا أن العقل لا يوجب على الله شيأ واذا ثبت أن البهائم وغيرها من الحيوان الذى خلق فيه الالم من غير جرم ولا ذنب لا يستحقون ذلك لم تجب اعادتهم ولا نشرهم ولا حشرهم يوم القيامة وقالت القدرية ان لم يعوضهم فى الدنيا فانه يجب عليه حشرهم فى الآخرة وبعثهم كبعث المكلفين فان قالوا قد قال النبى فى خبر القصاص حتى يؤخذ للجماء من القرناء قلنا المراد به حتى يؤخذ للضعيف من القوى فكنى بذلك عنهم لان الدليل قد قام على انهم غير مكلفين ومن لا تكليف عليه لا يعاقب ولا يقتص منه انتهى وفى سراج الملوك اختلف السلف فى هذا فقال ابن عباس رضى الله عنهما حشرها موتها وهو تأويل بعيد لان الحشر الجمع وليس فى موتها جمعها بل تفريقها وتمزيقها ومعظم المفسرين على انها تحشر كلها حتى الذباب يقتص منها ثم يقال لها كونى ترابا وقال بعضهم لا نقطع باعادتها كالمجانين ومن لم تبلغه الدعوة وتوقف بعضهم فى ذلك والدليل عليه الآية واذا الوحوش حشرت والحديث الصحيح عن أبى هريرة رضى الله عنه لتؤدن الحقوق الى أهلها يوم القيامة حتى يقاد للشاة الجلحاء من الشاة القرناء وأنكره الاشعرى لانها غير مكلفة والخبر تمثيل لشدة التقصى فى الحساب وقال الاسفراينى يقتص منها عما تفعله فى الدنيا ورد بأنها ليست مكلفة بل هى فى المشيئة يفعل الله بها ما أراد انتهى أقول قد حصل بهذا التفصيل الوقوف على الاقوال الاربعة وأدلتها والحق الذى تشتفى به

الصدور وأن لا تؤول الآية والحديث بما هو خلاف الظاهر والشبهة الداعية له من انها غير عاقلة ولا مكلفة والحشر والحساب مبني على ذلك فاذا اسقط الاساس سقط ما بني عليه فالجواب عنها أن نسلم انها غير مكلفة لانها لا تعقل ولا نزاع فيه مكابرة الا انها لما كانت في المشيئة يفعل الله بها ما يريد وهو لا يسئل عما يفعل باتفاق أهل السنة بل العقلاء فنقول ان الله تعالى يعيدها وينصف بعضها من بعض عما فعلته بارادتها لادراكها الجزئيات وليس هذا بتكليف ولا مبني عليه لان جزاء التكليف انما يكون في داري الخلود الجنة والنار وهي تعود ترابا قبل دخول أهلهما فيهما وأما فعل الحكيم القدير لذلك فليعرف أهل المحشر أنه عز وجل لا يترك مثقال ذرة من العدل ليتحقق أهل النعيم ما لهم من النعيم المقيم وأهل الجحيم ما أعد لهم من العذاب الاليم تنويرا لهم وارشاد الان يعلموا عظمة كبريائه وتساوي جميع مخلوقاته عنده بالنسبة لذلك ولك أن تقول قول ابن عباس حشرها موتها معناه أن حشرها لاجل أن يفنيها ويقول لها كوني ترابا ولولا بعد كلام الاشعري بتصريحه بما ينافيه حملناه انه تمثيل على ما ذكرا وقلنا انه انما أنكر الوجوب ولكن الحق أحق أن يتبع وهذا مما ينبغي أن يكتب بالنور على صحف خدود الحور وانما ذكرناه هذا مع طوله وعدم مناسبته لموضوع الكتاب تصدقا على من طالعه بجواهر الفرائد ومما ينبغي ايراده هنا ما قلته في عتاب بعض الناس وهو

قل للذي لام ولم يحتشم * لخبث لؤم حشو طبع دني
هب انك الثور تغير على * جم له مرعى فلم يذعن
أما تخاف في غد امالكا * يقتص للجم من الاقران

﴿حسن بن الشامي﴾ ماجد صيغ من معدن السماح وابتسمت في جبينه غرة الصباح اللطف حشو اهابه والفضل لا يلبس غير جلبابه

لو مثل اللطف جسما * لكان للطف روحا

اذا نزل بنادار تحلت الهموم وارتضع من أخلافه أخلاق بنت الكروم فمما أنشدنيه من أبياته ونزهتي في ربي مقطعاته قوله

مصر تفوق على البلاد بحسنها * وبنيلها العالي ورقة ناسها
من كان ينكر فالتحاكم بيننا * في روضة والجمع في مقياسها

اسماعيل

(اسماعيل بن الحسين كاتب السر الخزرجي) تاج مفرق عصره وعقد ترائب نحره اشتعلت لحمة الليل باسماره وسال نهر الصبح في أخباره فتخمرت طينته بالندى وأفرغت في قالب الهدى وسقى عصره صيب الافضال حتى أورقت به رياض الكمال وهو قريب العهد فمن لم يره فقد سمع في بديع الآثار خبره وقد طالعت ديوانه فلم أر فيه ما يلذ به الذوق السليم ويعترف به الطبع المستقيم كقوله في سطل

ضربت وأدخلت نار الجحيم * فنلت بصبري نعيما مقيما
وصيرت بينكم عبرة * لمن شاء منكم أن يستقيما (يستقي ما)

ومثله قولي مضمنا

يقول مؤاجر اغضبا لماذا * أيور الناس أمست لن تقوما
وكنت اذا غمزت قناة قوم * كسرت كعوبها أو تستقيما (تستقي ما)

ومن البيوت بمصر بيوت الغزية

(فمنهم محيي الدين الغزي) بدر سماء الكمال كوكب غرة الاقبال فاح من أخلاقه روح الجنان ونضحت كلماته عقود الدر والمرجان رأيته بمصر ومورد عيشه صافي وبرد نعيمه على معاطف النعمة ضافي وله شعر ردي وربما ورد فيه ما هو ندي ندي فمنه قوله يداعب صديقا له يسمى الخصوصي

يا راكب البغلة الشموص * وقائد المهرة والقلوص
بساحل المرج لا تعرج * وانزل على ساحة الخصوص
أحب مصر التي تسامت * ففضلها جاء بالنصوص
لان مقت الاله ربي * قل حل في الروم بالخصوص

(أحمد الغزي ابنه) شهاب طلع في أفق الكمال غره وجر أذيال همته على ساحل جدول المجره فنثر ونظم ومن يشابه أبه فما ظلم فمن لمعات ذلك الشهاب وقطراته العذاب قوله من قصيدة

الجوهر الفرد من معناك منتثر * والمندل الرطب من رياس منتشر
كل الشهور ربيع عند مقدمه * وكل شهر سوى أيامه صفر

(ومنها)

يا من أياديه أبكار أفوز بها * ومن زماني لديه كله بكر

ومن بيوتها بيوت الطورية

(ومنهم عبد القادر الطوري) والطور وكتاب مسطور لهو الصديق لى تجربه المودة حلل الحبور وروض مجد ناضر وبحر أدب وافر لكن طبعه أم الصقور مقلات نزور ولم يورق حتى احتضر ومضى بأمر عزيز مقتدر فمما أنشدني قوله

تنور بغيتي ببديع صنع * معالى حسنه أضحت غزيره
له قد رشيق ثم جسم * عليه حين لاح رأيت نوره

وفي تحرير التحريف يقولون تنوّر الرجل من النورة والصواب انتور وانتار ولا يقال تنور من النورة بل اذا أبصر النار قال امرؤ القيس

تنورتها من أذرعات وداره * بيثرب أدنى دارها نظر عالى

انتهى وقد صرح بعض أهل اللغة بخلافه وكنا يوما في جمع جم بسفح الجبل المقطم وبعض المشايخ يدعو بالاستسقا والسحاب قد تغطى على وسادة الجو واستلقى فلما دعا ارتفعت حجب السماء بدعائه حتى لا تحول بينه وبين سمائه فأنشدني قول الشاعر وهو لبعض شعراء الاندلس

خرجوا ليستسقوا وقد نشأت * غريبة فمن بها السح
حتى اذا اصطفوا لدعوتهم * وجرى لبعض دموعهم سفح
كشف السحاب اجابة لهم * فكأنما خرجوا ليستصحوا

ثم أنشدته قول التنوخي

خرجنا لنستسقي بيمن دعائه * وقد كاد هدم الغيم أن يبلغ الارضا
فلما ابتدا يدعو تقشعت السما * فما تم الا والغمام قد انفضا

ثم قلت أنا

وولي قطب لرب السما * أسرع الصحو اذا دعا بالماء
في صراخ وأدمع وهو يغني * عن رعود منهلة الانواء
كان في الجو للغمام ازدحام * فاشتفي صدره ببرء الدعاء
فكأن السحاب كان مريضا * مات لما دعا بالاستسقاء

وكان رجل منحوس له قميص واحد اذا غسله يجلس في بيته حتى ينشفه كما قيل

قوم اذا غسلوا الثياب رأيتهم * لبسوا البيوت وزرّروا الابوابا

فاذا انشره لم تزل لسماء مغيمة ماطرة فرأى الناس منصرفين من الاستسقاء وقد أجيب دعاؤهم لما غسل ثوبه فقال

غدا الناس يستسقون من كل وجهة * بكل كريم للدعاء مجاب
فوافاهم الغيث الذى سمحت به * يد المزن هطالا بكل سحاب
وفى ظنهم أن قد أجيب دعاؤهم * وما علموا انى غسلت ثيابى

وما أحسن قول القائل

قام قوم بسنة الدين حتى * غلب النجح بالاجابة ياسا
فكأن الغمام لما أتاهم * ضاحكا ظن الورى عباسا

ومما كتبته له مضمنا

أيا صديقا عرفه ندى * وكفه من الندى ندى
لم يحل من بعدك لى ندى * وبلدة ليس بها طورى

على بن الجزرى شيخ الشيوخ بالسيوفية الضرير) فاضل مكفوف وأديب بالمعروف معروف له شعر وسط وأثر عن علو مرتبته منحط كقوله فيمن عابه بالعمى

ليس العمى داء ولكنه * شطفة تشريف على ضره
ما الهم والداء وكل البلا * الا ابتلاء المرء فى دبره
فالحمد لله الذى صاننا * مما يحار الطب فى أمره

أنشده فى كتاب له سماه نيل المنى فى الكلام على أولاد الزنى وذكر فيه حديثا لا يدخل الجنة ابن زانية وقال فيه ان ولد الزنى فى أصله خبيث وهو فى نفسه خبيث وذلك الخبث يدل على سلب الايمان منه وكذا الملوط وذو الأبنة المستمر على ذلك أقول فى اللآلئ المصنوعة للسيوطى عن أبى هريرة قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم لا يدخل الجنة ولد زنى ولا ولده ولا ولد ولده وفى رواية فرخ الزنى لا يدخل الجنة وفى رواية لا يدخل الجنة ولا شىء من نسله الا سبعة آباء قيل هذا لا يصح وفى الحلية له رواية وقال عبد الرزاق عن ابن التيمى قال حدثنى أبو بكر وكان عندنا مثل وهب عندكم أنه قرأ فى بعض الكتب أن ولد الزنى لا يدخل الجنة الى سبعة آباء فخفف عن هذه الامة فجعلها الى خمسة آباء وسأل بعضهم أبا الخير الطالقانى عن هذا فى جمع من الفقهاء فقال هذا لا يصح لقوله تعالى ولا تزر وازرة وزر أخرى وذكر بعضهم قال فى

معناه أنه اذا أهمل عمل أصليه وارتكب الفاحشة لا يدخل الجنة وزيفه بأنه لا يختص بولد الزنى بل حال ولد الرشدة مثله ثم فتح الله علىّ جوابا شافيا لا أدرى هل سبقت اليه أولا فقلت انه لا يدخل الجنة بعمل أصليه بخلاف ولد الرشدة فانه اذا مات طفلا وأبواه مؤمنان ألحق بهما وبلغ درجتهما بصلاحهما كما قال تعالى وأتبعناهم ذرياتهم بايمان فولد الزنى لا يدخل الجنة بعمل أبويه أما الزانى فنسبه منقطع وأما الزانية فشؤمها يمنع من وصول بركة عملها اليه انتهى وقد يقال انه لخبث طينته ونطفته وفساد بدره يقدر الله ويكتب شقاوته فى الأزل بخلاف ولد الرشدة ولا بعد فى هذا وكونه من الاخبار بالمغيبات ومن كفريات أبى العلاء المعرّى قوله فى لزوم مالا يلزم

اذا ما ذكرنا آدما وفعاله * وتزويجه بنتيه لابنيه فى الخنا
علمنا بأن الناس من نسل فاجر * وان جميع الخلق من عنصر الزنى

وأجابه الحسن بن أبى عقامة اليمنى بقوله

لعمرك أما فيك فالقول صادق * وتكذب فى الباقين من شط أودنا
كذلك اقرار لفتى لازم له * وفى غيره لغو كذا جاء شرعنا

وفى الحديث نكتة وهى انه سمى ولد الزنى فرخا وهو استعارة بديعة وعليها استعمال أهل الحجاز فيقولون فى الشتم هو فرخ يعنى ولد زنى لان الفرخ لا يعرف له أب وانما يعرف الدجاجة التى باضته ففيه لطف لا يخفى وما قلته

كم من كريم قد بات فى دعة * أتاه سيل الصباح بالنكد
ورب فرخ أراشه زمن * فصار بالعز بيضة البلد

(زين الدين محمد الانصارى الخزرجى الحنبلى) زين زمانه وعين أعيانه درة تاجه عقيلة نتاجه كان فى عصره بيت القصيده وعنوان الادب وأوّل الجريده لم تعقد على مثلها الخناصر ولم تحمل بتوأم له بطون الدفاتر ولم يدرعلى نظيره نطاق نادى ولم تحمل كتحف أخباره الركبان من حاضر وبادى تفقه على مذهب أحمد بن حنبل فكان لطلابه سهل الورد عذب المنهل (وللناس فيما يعشقون مذاهب) وهم فى كل عصر أقل من القليل وهكذا الكرام كما قيل

يقولون لى قد قلّ مذهب أحمد * وكل قليل فى الانام ضئيل
فقلت لهم مهلا غلطتم بزعمكم * ألم تعلموا أن الكرام قليل

وما ضرنا أنا قليل وجارنا * عزيز وجار الاكثرين ذليل

وهو جواد لم يهب ان وهب فالذهب عنده كاسمه ذهب وكان له بالقطب المكى صحبة واجتماع حتى كأنه نديم جذيمة وجار القعقاع ولم يزل كذلك حتى أغار عليه الدهر وانتهب ورآه هبة نفيسة فرجع فيما وهب فما كتبه للقطب المكى

يقبل أرضا أشرقت شمس علمها * به شرفت أصلا وفرعا ومحتدا
محب يرى بذل الدعاء فريضة * لمأوى العلا والشوق قد زاد واعتدى
تريحه ذكراكم كل ساعة * على ما به من حر وجد توقدا
يهيم الى مغنا [redacted] كم وفؤاده * أقام وبعد الجسم قد زاد فى المدى
فيا آل ليلى هل أبيت بحبكم * وطائر ليل الوصل يمسى مغردا
وهل تسمح الاقدار يوما بعودة * فأطرب فى تلك المعالم منشدا
أعيناى ناما طالما قد سهرتما * فهذا زمان الوصل أصبح مسعدا
لكم من محب ألف ألف تحية * لها المسك يعنو بالخضوع تعبدا

(فأجابه)

اذا كتبت كفى كتابا اليكم * محته دموع طول أوقاتها تجرى
وان سطرت سطرا تمنيت اننى * أكون من الاشواق فى ذلك السطر
عليكم سلام الله مالاح بارق * وما سارت الركبان فى البر والبحر
وانى محب مستمر على الدعا * لحضرتكم فى الصبح والليل اذ يسرى
وأسألكم ردا الجواب فعاسى * يفرج عما قد تمكن فى صدرى
فأوراقكم عندى أجل من الرضى * وأحلى من الايسار عند ذوى العسر

(نور الدين بن الجزار الشافعى) بدر أشرقت من أفق الكمال أنواره وخطت فى صحائف المحاسن آثاره جنيت اليه ثمرات الالباب فهى زكاتها الفقراء الطلاب عذب المشرب واسع المذهب ضاعف الله حبوره ويأبى الله الا أن يتم نوره دعاه الندا فأجاب ورمى حدق المعانى فقرطس وأصاب فلم تكن الآراء فى فواضله تختلف فابن الجزار يعرف من أين تؤكل الكتف اذا طبق مفاصل الاشعار أنسى محاسن الشواء والجزار نحر الامور نحرا وقتل الدهر خبرا فمن محاسنه قوله فى الوجه وهو منهل معروف بطريق مكة شرفها الله تعالى آمين

ولما رأيت الوجه سال من الحيا * وقد طاب فيه للمهيج مقام
وعاينت ركب الحج حل بسفحه * وقد ضربت فى جانبيه خيام
ومدوا الى الغيث الهطول أكفهم * فجاد عليهم بالعطاء غمام
فقلت على الوجه المليح تحية * من الله ما مح الحيا وسلام

ومثله لابن أبى حجلة

أياسادة فى الوجه فزت بقربهم * ولم أدر أن القرب يوذن بالبعد
سريتم الى أكرى فشردتم الكرى * وخلفتمو فى الوجه دمعى على خدى

ومثله للقطب المكى أيضا

أقول ووادى الوجه سال من الحيا * وقد طاب فيه للمهيج مقام
على ذلك الوجه المليح تحية * مباركة من ربنا وسلام

والقيراطى أيضا

أتيت الى الحجاز فقلت لما * تبدى وجهه لى وارتويت
وكم فى الارض من وجه مليح * ولكن مثل وجهك ما رأيت

وقلت فيه عند قلة مائه

أقول وقد جئنا الى الوجه مرة * عطاشا وكل خاب فيه رجاؤه
اذا قل ماء الوجه قل حياؤه * ولا خير فى وجه اذا قل ماؤه

وللفارضى فى بعض مناهله أيضا

روني من ماء نبط * لو يكن فى العمر مره
ودع الحوراء فانى * أبغض الحوراء وأكره

(ولابن حجر العسقلانى)

أحبتنا لا تنسوا العهد من فتى * غريب أليف الحزن مقلته عبرى
تذكرت فى درب الحجاز عهودكم * فلم يبق سن فى العهود ولا أكرى

وقد جعل أكرى مقصورا وغيره جعله بالهاء فكأنه منقول من الفعل وهو الجارى على الالسنة *(محمد الفارضى)* فاضل جرت فى مضمار الادب سوابقه وتألق فى سماء الفضل من خلال سحائبها بوارقه حتى ترنمت بمآثره ورق الحمائم ومزقت طربا لها جيوب الغمائم وطال عمره حتى لف الدهر على هامته ثلاث عمائم وصفا ماؤه

فتلون بلون اناثه ونفض الزمان عليه صبغ صباحه ومسائه وله سهم عائل فى العربية والفرائض وبديهة فى ارتجالها تسبق لما يعجز عنه ألف رائض فاذا خاطب بالخطابة تهتز له أعواد المنابر ويورق بفضل فضائله روضها الناضر واذا ارتجز فلا يشق رؤية غباره العجاج واذا أحمض بهزله ذهبت مجانا الطاقة ابن حجاج وربما مال الى جعله مقراض الاعراض منهجا سالكا بحروف الهجاء مسالك من هجا وشعره بديار نا يتلوه فم الدهر وتتفكه الاسماع منه بغض الثمر والزهر فمنه قوله فى قصيدة يهنى بوفاء النيل .

أناس بهذا البحر قاسوا نوالكم * وبينكما فرق يحققه الحبر

ففى العام جبر النيل يحصل مرة * وفى كل يوم من ندا كم لنا جبر

وقوله مضمنا

لى جوخة مجرودة ياطالما * قد كنت ألبسها بغير تكلف

كم رمت أقلبها فقالت جهرة * قلبى يحدثنى بأنك متلفى

وهذه الجوخة لو ركب عليها فروة ابن نباتة وابن سارة وأسدل عليها طيلسان ابن حرب كانت أفخر لباس يهدى الملوك الافلاس كما قال ابن سارة

أودت بذات يدى فروة أرنب * كفؤاد عروة فى الضنى والرقة

لو أن ما أنفقت فى اصلاحها * يحصى لزاد على رمال الرقة

ان قلت بسم الله عند لباسها * قرأت على اذا السماء انشقت

ومما أنشدت له أيضا قوله

فى مصر من القضاة قاض وله * فى أكل موارث اليتامى وله

ان رمت عدد الله تقسم عدله * من عدله دراهما عدله

(وله أيضا)

ألا يا أيها القاضى تيقظ * لامرك واحترز من ترجمانك

ألم تنظر يداه كل حين * بعكره وسوء ترجمانك

وهذا مأخوذ من قول الميكالى

صل محبا أعياه وصف هواه * فضناه ينوب عن ترجمانه

كلما راقه سواك تصدت * مقلتاه بدمعه ترجمانه

(وله أيضا)

كونوا على الحق لكي تسلموا * من مغــرم يذهب بالمال
لو سلك الناس سبيل التقى * ما استفتح القاضى ولا الوالى

وله
تزود حكمة مني * وخل القيل والقالا
فساد الدين والدنيا * قبــول الحاكم المالا

وله
يصلح للحكام فى عصرنا * وذاك فى الاحــكام مما يجب
الصلب للوالى على شعبة * والضرب بالدرة للمحتسب

وله فى العلامة صنوش التونسى
توفى التــونسى فقلت بيتــا * يؤرق كل ذى شجن ويونس
أتوحشنا وتونس بطن أرض * ولكن مثلما أوحشت تونس

ونحوه قول الشهاب المنصورى فى مليح اسمه يونس
لست لاغصان انقاما دها * لان حسبي قــده أميس
ولست بالاقمار مستأنســا * لان عندى قمرى يونس

ومن هزلياته قوله
اذا قام فى سوق منادلحاكم * معاشر جمع الناس ينصت من حضر
فغــاية ما يأتى به أن يقــول ما * مقــدم باب اللــوق الا أبو عكر

وله قصيدة مقصورة عارض بها مقصورة ابن دريد وهى
انهض اذا خفت كلالا أو وجا * بعيسجور ألقت جذب البرا
وسربها الوخــد اذا عــللتها * أو الزميل ما تحريت الوجا
مهد لها ظلال شــعب المنحنى * وزد بها ماء غــيرا بالنقــا
ان قصارى العزم حمد وغنى * وقيل جدوا تحمدوا غب السرى
من طلب العلياء يشقى دونها * وعدم السباب أحلى مجتنى
من قعــد الجبن رآثر الســثرا * بجانب المجد فقد أعيى الاسى
فــلا يهــولنــك بقــع بتــلك * ان لحن يورين المنايا فى المنى
يارب خبت جبتــــه فى حالك * بشمجر دون مرماه الحمى
عــورمورا كظليم نافر * أهوج محبوك القرى عبل الشوى
ثم انــبرى يخب فى حزن وما * تمزقت بعــد سرابيل الدجا

أطلب نجداو بنجد شجنى * مهاجرا من الهوى الى الهوى
لله حين سمح الدهر به * فى دارة تم بها شمل المنى
كنت بها لم أخش بينا آمنا * ارفل بين الاخشبين فى منى
بها وفؤادى فاحم همت فما * أسلوا وللشيب برأسى مخطى
لم يثنه العذل ولا يعطفه * طول المدى ولا تداويه الرقى
أقصر أخا اللوم ملاما وأطل * صب صب لا يلتوى عن اللوى
لو جرع الصب كؤسا ماسلا * فاقطع رجاوقل قد انقد السلى
لا يطبيه دون سلع مربع * ولم يرقه للبقا الا النقا

ومنها أين الجهام الخلب البرق من الكنهور الواهى العزالى بالحيا

وهى طويلة عديمة الطول والبعرة تدل على البعير ومن الوافدين عليها من الفضلاء الاعلام وكرام مشايخ الاسلام

﴿العلامة شهاب الدين أحمد بن محمد المقرى المغربى المالكى نزيل مصر﴾ فاضل لغر المناقب مشرق وبدر لعلو همته سار من المغرب للمشرق وهو رفيق السداد وبيت مجده منتظم الاسباب ثابت الاوتاد وهو كما قيل فيه دمث من غير خفر ولين جانب من غير خور وذو رأى برد اللبن فى الضرع والنار فى الزند وله آثار يثنى عليها ثناء النسيم على الند وأدب امتزج باللطف امتزاج الماء بالخمر وفيصل حكم رفع به التنازع بين زيد وعمرو وهو لفقه مالك أكرم سيد مالك وقد بوأه الله فى الحديث تكرمة بين العلياء والسند وجد فى ارث المجد بغير كلالة عن أكرم أب وجد

مضت الدهور وما أتين بمثله * ولقد أتى فعجزن عن نظرائه

أما الشعر فهو أصمعى باديته وسلمان بيته وحسان فصاحته فما مس قصب الاقلام الا وجدت شكرا لذرأته قبلة الآمال وأقسمت ان من البيان لسحرا لكنه السحر الحلال وهو من قوم تعاويذهم الصوارم وآثارهم فى كل جيد تمائم أنفق عمره فى كسب الخير الرابح لما علم أن ما ل المال غاد ورائح ولما رأى ما بمصر من الحسد والنفاق وتجارة الآداب ليس لها بسوقها نفاق ولم يرض بالكساد ومسابقة الحمير للجواد ارتحل للشأم ذات العماد فقال له رائد السداد

من سابق الجواد بالحمار * جنت يداه ثمر الغبار وقد كنت

أستقطر خبره وأستودقه وأومل أن ربيع التلاقي يخضر ورقه ويرد على منه ما يسر الشاكي وينسيها صعاب لأذات والرزايا مما يستنزل العصم للوهاد وتصغى له ' وابدا الايام حتى تصاد وعصر اللئيم لئيم وزمان الكريم كريم

والورد فى زمن الربيع طلوعه * والعقد ليس يزين غير الجيد

فضن على بالاثر والعين لم يرض أن يجمع بين ساكنين فسبقت المنايا الامانى وجاءتنى بنعيه من كنت أرجو به بشير التهانى

فبكيت للظل الذى * لم ينبسط حتى انطوى

وعلى انا مشيبة * فى وقت ما متلأ انكفا

وقد نزهت طرفى فى رياض آثاره وملأت أردان المسامع بجنى أخباره فرأيت له نظما ونثرا ومحاسن تملأ الأفواه والأسماع دراومن تآليفه أزهار الرياض فى أخبار عياض وفتح المتعال فى وصف النعال وغير ذلك ولما مر فى طريقه بمحمد بن يوسف التاولى المغربى كتب له يستدعى منه الاجازة

أموقظ جفن العلم من بعد ما أغفى * وباسط كف البذل من بعد ما كفا

ومحيى رسوم الاكرمين التى عفت * ومجرى معين الفضل من بعد ما جفا

أجزنى بما قد قلته ورويته * ففضلك يا ذا الفضل قد حير الوصفا

فأجابه بقوله سقى الله ثراه وعطر مثواه

أيا فاضلا أعيت محاسنه الوصفا * وانسان عين الود والمنهل الاصفى

ومشكاة أنوار القرا آت والأدا * وساحب أذيال الكمال على الاكفا

وحائز أشتات الفضائل اذ غدت * مفاخرة فى أذن مغرب ما شنفا

بعثتم بطرس بل بروض بلاغة * تعطرت الارجاء من نشره عرفا

وأملتم أعلى الاله مقامكم * وألبسكم من عزه المطرف الاصفى

من القاصر الباع الضعيف اجازة * ألم تعلموا أن الصواب هو الاعفا

ولست باهل أن أجاز فكيف أن * أجيز على أن الحقائق قد تخفى

فأضواء فكرى أظلمتها حوادث * فآونة تبدو وآونة تطفا

ولولا رجائى منكم صالح الدعا * لما سطرت عيناى فى مثل ذا حرفا

فأرجو من الرحمن جل جلاله * ومن فضله أن يقبل العدل والصرفا

وهنا

وها أنا ذا أشهدت أنى أجزتكم * على سنن المألوف والمقصد الاوفى
جميع تآليفى ونظمى وان وهى * ونثرى وان مازال ركاكة والضعفا
وكل الذى أرويه عمن لقيته * من السادة الغر الاولى أحسنوا الوصفا
كسيدنا شيخ الائمة عمنا * سعيد فكم نلنا معارفه قطفا
عن أشياخهم من أهل فاس وغيرهم * كمثل ابن هارون فاعظم بهم كهفا
وهذا هو الشيخ ابن عازى ووصفه * شهير فلم يحتج لتشهيره كشفا
رعى الله عهدا كان فيه امامنا * ووالى على مثواه رحمته عطفا
ولا تغفلونى من دعائكم اذا * مددتم بباب الله سبحانه الكفا
وعند ضريح الاولياء وذكرهم * عسى نرتوى من بحر غفرانهم رشفا
وان جهل الناس الحقوق بعصرنا * فقلائمن راعى الحقوق وما وفى
وكاتبه المقرى أحمد مرتج * من الله جل العون والبر والعطفا
بجاه شفيع الخلق مأملنا الذى * نؤمل يوم الدين من حوضه رشفا
عليه من الرحمن ألف تحية * ننال بها حسن الختام مع الزلفى

وله فى مثال نعل النبى صلى الله عليه وسلم

لك الله من تمثال نعل كريمة * بخير الورى فاقت سنا وسناء
يحق لذى داء يلازم وضعه * على جرحه منه ينال شفاء
وذاك قليل فى مآثر من علا * على كل أوج اذ أجاب نداء
ومن ذا الذى يحصى فضائل أحمد * وقد جود القرآن فيه ثناء
عليه من الرحمن أزكى تحية * تؤسس للمدح الشريف بناء

وله
يا مثل نعال خير فخر العرب * يس أجل واطئ للترب
كم رمت مديحه بقصد القرب * والعذر أجل والمعانى ترب بى

وله
أعظم بمثال نعل عز العرب * من أرشدنا الى أجل القرب
فسله وكن بحقه معتنيا * واجعله وسيلة لدفع الكرب

وله
ومثال نعل عرفه متأرج * فى الخافقين ونوره متبلج
حاكى نعال أجل من وطئ الثرى * وبدت كواعب مجده تتبرج
فاجعله خير وسيلة ترجوا بها * دفع المكاره حين ضاق المخرج

صلى الاله على مشرفه الذى * اشكال منطفه الهدايه تنتج

ولما وقفت على كتابه فتح المتعال قلت مضمنا البيت المعرى

حكى المحراب تمثال فنيه * لنا سجدات تقبيل توالى

أقول لنعل خير الخلق طرا * وقد حاز المهابة والجلالا

وعزبه التراب فكل مسك * لرياه لقد هجر الغزالا

ليهنك فى المكارم والمعالى * كمال علم القمر الكمالا

وانك لو تعلقت الثريا * بشعثك ماقطعت له قبالا

وكتب له صاحبنا عبد العزيز الفشتالى بارك الله فيه

يانسمة عطست بهاريح الصبا * فتمخضت بعبيرها حلل الربى

هبى الى ساحات أحمد واشرحى * شوقى الى لقياه شرحا مطنبا

وصفى له بالمنحنى من أضلعى * قلبا على جمر الغضا متقلبا

بان الأحبة عنه حتى قدثوى * منهم وآخر قد نأى وتغيبا

فعساك تسعد يازمان بقربهم * فأقول أهلا باللقاء ومرحبا

أقول استعارة العطاس للنسيم غير مستحسنة والمعروف فى كلام فصحاء العرب عطس الصبح والفجر وفى شرح الفصيح للمرزوقى يقال عطس اذا اخذته عطسة من غير ارادة ومصدره العطس والعطاس الاسم جعل كالادواء ويقال أرغم الله معطسه أى أنفه وعطس الصبح انفجر على التشبيه ولابى اسحاق الغزى فى قصيدته المشهورة التى أولها

أمط عن الدرر الزهر اليواقيتا * واجعل لحج تلاقينا مواقيتا

كم من بكور الى احراز منصبة * جعلته لعطاس الفجر تشميتا

ومن لطائف بعض المتأخرين قوله

قلت له والدجى مول * ونحن فى الانس بالتلاقى

قد عطس الصبح ياحبيبى * فلا تشمته بالفراق

وكتب أبو عبد الله محمد بن أحمد المكلاتى على كتابه زهر الرياض فى أخبار عياض

أهذه أزهار هذى الرياض * أم هذه غدرانها والحياض

بيت معتل الصبا عندها * يروى حديث الشفا عن عياض

فيا اماما جامعا للعلا * ومن غدا بحرا على الناس فاض
أبكار فكرى بين أبوابكم * تنزه الاحداق بين الرياض
اليكم قد رفعت أمرها * فاقض على الافكار ما أنت قاض
قد بايعت بالحق سلطانكم * توفية للعهد دون انتقاض

ومن البيوت بمصر بيت الجيعان وأولاده وآثارهم تدل عليهم وممن أدركناه منهم وهو آخرهم * القاضى أحمد بن الجيعان * شقيق النسيم ربيب النعيم ريحانة الادب شمامة الطرب طراز كم المكارم خليفة هطال الغمائم جواد طليق غصن فى ساحة المجد عريق ملكى الصفات ملكى السمات بسام العشيات راحته سحابة نداها يروى الاقطار وبرقها اللامع فى أياديه النضار اذا قدمت وفود الحاجات كان رحيب النادى واذا ضاق صدر الدهر فنديه واسع الصدر للحاضر والبادى غض الادب مورق الحسب لم يزل يجنى زهرة الحياة من حدائق الايام ويحسو صفوها من مناهل اللذة والناس صيام حتى كدر الموت ورده وبدد الدهر الحسود بنوائبه عقده وكان كثيرا ما يذكرنى الآداب والمعارف ويأخذ منى على رغم الزمن تحف اللطائف فى أويقات كانت لعين الفضل قره وعلى مكتوب العمر عنوان المسره

اذا ما مضى يوم ولم أصطنع يدا * ولم أقتبس علما فما ذاك من عمرى

والدهر يهم بالاحسان ويلف برد الشمل على أعطافه الحسان وهو لا يحسب من عمره غير أوقات صفوه ولا يسطر فى صحف أعماله غير لذته ولهوه كما قلته له مخاطبا وأنشدته مداعبا

لا تبك هندا ولا تعتب بأسماء * واصرف زمانك فى لهو وأهواء
يوما ببرش ويوما بالحشيش وبالافيون يوما ويوما كأس صهباء

وسألنى يوما أن أصف له الشمعه وأذكر من السمات على لسانها لمعه فقلت له لم يترك الارجانى فى قوس الوصف لها منزعا ولا لاهل البيان لمعانيها مطمعا ثم بدا لى امتثال أمره لما كان له من حقوق ألطافه وبره فقلت

لعسال الشموع سنان نار * اذا ما لاح ينهزم الظلام
أقول له وقد وافى ببشر * كأنك فى فم الدنيا ابتسام

لما لاحت الشمعة وهى صاحب مستقيم ولطفت حتى ضرها مرور النسيم مسامر

أينما طلبت كان معك وصاحب يفر نفسه لينفعك يقنى طول ليله فى خدمة الاصحاب ويؤتمن على الخلوة بالحريم والاحباب

لما رأت أن الظلام يكيدها * ويكاد يؤذن شملها بشتات
أكلت من الغيظ المبرح نفسها * وتلمظت كتلمظ الحيات

فقامت على الكرسى تجلو نفسها فى الظلمات ذات غرة تشق قناتها جيوب الدياجى عن صدر الخلوات لا يرتضى ثالث سواها اذا اختلى المحب بحبيبه فى دجاها

فلئن قضيت لنا بصحبة ثالث * يارب فلتك شمعة فى المجلس

أحببت ان ألذ السمع بوصف محاسن الشمع فأقول هى غصن فضة مثمر بالنضار أو هندية تحرق نفسها بالنار بأنفاس النسيم يدنو مماتها و بقطع رأسها تزداد حياتها تدب النار فى جسمها كما دب فى العمر الاجل وتبكى فما ندرى أذلك لحرقة النار أم لفرقة العسل و يقول لسانها للحوادث لما أذنت بينه وفرقت يد الدهر بينها و بينه

بالنار فرقت الحوادث بيننا * وبها نذرت أعود أقتل روحى

تساقط على معصمها من الدمع سلاسل فضة أو شماريخ طلع كأنها عاشق ناحل ملتهب الاحشاء ذو مدمع سائل وموتها من قلبها وهو عجيب فان القلوب تحيى أجسامها وهذه لها تذيب اذا جن الظلام زادت أشواقها وظهر اشتعالها واحتراقها وكيف تحاكيه وهى تنعم بالنهار وتعذب بالليل وذلك فى كل حين حريق بشجن كالنار وغريق بدمع كالسيل

هيهات ما أنت مثلى أنت فى دعة * طول النهار و يومى كله حرق

لا يرجع عن معشوقه ولو بقطع رأسه و ينشد اذا رفع صدر أمله براحة يأسه

علقت به كالنار فى الشمع فهى لا * تفك يداعنه ولو جز رأسها

وفى معناه قولى و بـلاء مما أقاسى * اذ صرت فى الناس سمعه

قد أحرق القلب منى * حتى كأنى شمعه

وأنى يستوى من عذابه فى عذوبته عن ناره فى أحشائه بعد ما أحاطت بسائر جهاته غصن أثماره تجنى على من يجنيها تميتها الليالى وهى تبيت تحييها (طرة صبح تحت أذيال الدجا) غرة فى وجه أدهم الليل اذا دجا سحارة اذا أخذ منها المقص و رده ردها عنبرا واذا بدت فى محل مظلم جعلته مقمرا

ويقطف من رأسها الجلنار * فيرجع اهليلجا أسودا
أظهرت من قبسها نارا على علم * ونضدت بعصمها درا مثقب

فكيف انتظم نقاة اشتعل بالشيب رأسها وحميت من حرارة القلب أنفاسها

أو ضرة خلقت للشمس حاسدة * فكلما احتجبت قامت تحاكيها

أم يتولد منها سنا لطف فاياك أن تقول لها أف فهي على ما تريد من طرب واقتراح في وقت عبادة أو وقت راح تارة في مجلس شراب وطورا في وسط محراب

فلله منها جانب لا تضيعه * وللهو منها والخلاعة جانب

تبكي في حالة التداني قائلة (من عظم ما قد سرني أبكاني) (فقد تدمع العينان من شدة الضحك) ومن غريب أمورها حرارة دمعها في وقت سرورها ألف عليها همزة من النضار همزة قطع لا تزال تستفهم عما خفي من الاسرار شجرة تسقي أسافلها من أعاليها أطلعت وردة لا شوك لها تجتني على يد جانيها قامة هيفاء لو لمحت صبغ الدجى لمحت ولولا خوف نارها الغنت الورق عليها وصدحت

فالوجنة الورد الا في تناولها * والقامة الغصن الا في تثنيها

ظلت على مشابهة الخدود تجتري فقطع لسانها وهذا جزاء المفتري اذا أشارت الى الظلام بلسان أفعى شمر ذيله وهرب واذا وافت النار حاسر قرأسها أعادته بتاج من ذهب واذا أرخت الليالي أستارها السود أمست بنورها مطرزه ولو رام المتنبي وصفها بكافوريانه كانت له معجزه صدقت رأى المانوية المشهور في القول بأن الخير مخلوق من النور

وأظنها لما الهب قلبها * حسدا أسالت دمعها مدرارا
وغدت لفرط الغيظ تغطي كل من * وافى ليقطع رأسها دينارا

سرقت ما في وجنات الغيد من الاشراق وما في قلب الصب الكئيب من الاحتراق فألزمها بحكم الهوى جناية السراق فانتدب المقص ونشط وقام لقطع رأسها فقط فواعجبا والسارق يقطع منه اليد والبنان فلم قطعوا منها الرأس واللسان فكأن ذلك الجلم رأس غراب أسحم أو فراش رفرف على اللظى أو طائر بلتذ يقطف شقيق السنا (كأنه نعامة يقطف منها الهبا) وما قصها عند ظهور لهيبها الا لظنه أنها ذوائب اشتعلت بشيبها فزاد ذلك القطع في الانوار كما تنمو بالتقليم الغصون ذات الانوار

فمحياها مبتسم مسرور ومن لم يجعل الله له نورا فماله من نور كما قلت

وترى الشمع اذا زاد السنا * ضاحكا مبتسما من بشره
كالفتى قد سره أوقاته * وهى نقص زائد من عمره

تغني الندامى عن الغلق أضواءها وان مرضت فضرب العنق شفاؤها فطرفها من اللهب قطعة سبج ملبسة بذهب أو بنفسج تحت ورد أو كافور على جنى ندأ واصبع يشير الى الصباح أو لسان أخرس يتحرك ولا يقدر على الصياح مشعبذة تلعب بالريح فتصيره أغله ثم تسبله على يدها فتبدى منه سلسله وتارة تجوفه فتصيره مدهنه وطورا تنشره فتراه أو راق سوسنه وآونة تنشره منديلا وترفعه فوق رأسها اكليلا وطورا تسدده سنانا ثم تحركه فتراه لسانا وتارة تطويه ثعبانا ثم تدقه ابرة ذهب أو تجعله حمة عقرب فاذا طلع الصباح انطفأ منها المصباح فهى صب أظهر ما فى سويدائه وأفنا ما تقطر من دموع بكائه وليس معذب بنار عدمائه كعذب ناره فى احشائه

يقول لسان الشمع للنار عندما * بكى بدموع عقدها ظل ينثر
ترفق فما هذى دموع التى ترى * ولكنها نفس تذوب فتقطر

فى أول عمرها ترى فرقها شاب ثم اذا اطفئت يرجع اليها سواد الشباب واذا أسبل الليل أذياله تراها واقفة كأنها تريد صيد الغزاله لكنها اذا دنت تهرب فكأنها خافت من الصبح اذ تخرج خائفا يترقب واذا أوقدت بجانب الغدران تخالها بانعكاسها خياما على عمد من المرجان وكأنما الخليج وسناها النهب صرح زجاج على عمد من ذهب

والشمع فوق البحر تحسب أنه * من لجة قد أطلع المرجان
والماء درع والشموع أسنة * ولها اذا خفق النسيم طعان

تارة تبدو سافرة كالعروس وتارة تحتجب فى خدر الفانوس فتراه حانيا ضلوعه على النيران متنفسا من حرارة الاشجان متصبرا على الاوصاب تعد ضلوعه من تحت الثياب فى حالة لست تنكر لكنه لسكتمانه يتستر

أنظر الى الفانوس تلق متيما * زرفت على فقد الحبيب دموعه
يبدو تلهب قلبه لنحوله * وتعد من تحت القميص ضلوعه

فهو رواق النور ونديم السرور والشمعة منه فى حجاب كنجم خلف رقيق سحاب كليم لا يخاف الردى اذا وجد على النار هدى يستر نور الشمع بكاتمه ويفنى قلبه

فيجد قلبا آخر من منامه وقد جنت القناديل لغيرتها منه فهي مسلسله وصارت بنار الهوى مشتغله مشتعله فاشتعلت النار على رأسها معلنة بالشكوى متظلمة الى عالم السر والنجوى وقال لسانها وهي بخضاب السنا مخلقه ولا تميلوا كل الميل فتذروها كالمعلقه وكيف لا وقد أفنت نفسها في خدمة من أشرقت ببهجة ذاته واشتعل رأس الشمس وحاجب الهلال شيبا وما أبصر انظر السنا صفاته وانى لأعجب كيف لقب بالجيعان والدهر من موائد كرمه يذوق ألوان الاحسان وكل ظمآن من موارد نداه ريان ومن قام في مجلسه منتصبا لم لا ينثني من سروره برؤياه طربا

كأن الشموع وقد أظهرت * من النار في كل رأس سنانا
أصابع أعدائك الخائفين * تضرع تطلب منك الامانا

كما أعجب من قلم مسه بأنامله كيف لا يورق وقد سقته بحور فضائله وأظن الشموع ما أدرت دموعها وأطالت ولهها وولوعها الا لانها قد علمت فراقها رؤياه وبعدها عن وجه تستمد من سناه ويعوض الليل عن الشمس محياه

ليس فيه عيب يعد سوى أن * أياديه تجعل الحر عبدا
فهل ناديه سماء طلعت فيها الدراري أم النجوم هوت ترجو سعد اقباله الساري
أم أنت يوسف موعودا وقد سجدت * لك النجوم وهذا كله حلم

ولو كان الشمع استجار ماقدرت تسطو عليه يد النار فان حماه جنة من الجنان فكيف يعذب فيه بالنيران كما أني لما لذت بجنابه وانتظمت في سلك أحبابه اعتذرالى الزمان مما جني ولم أعرف من أحواله الا الغنى فخلص روحي من يد الاجل وتركني أصحب الدنيا بلا أمل وقد اهتديت لسدته بأضوائه ولولا نداه خفت عليه نار ذكائه

كن محسنا مهما استطعت فهذه * الدنيا وان طالت فقصير عمرها
ان المآثر في الورى ذرية * يفنى مؤثرها ويبقى ذكرها
فترى الكريم كشمعة من عنبر * ضاءت فان طفئت تضوع نشرها

لازال حماه روضا تقطف منه زهرات الاماني ولا تصل الى سياج حمايته يد الجاني ماتلا لسان الشمع صورة النور ونسخ سورة الليل من صحائف الديجور وجلى كف الصباح نور النجوم وانحل من جيد الدجى عقدها المنظوم وأراها ما أهلكت نفسها بالنار الا لانها لم تقف بين يدي النبي المختار حتى تقتبس من أنواره وتقتطف من روضته معطر

أنواره صلى الله عليه وعلى آله وأصحابه مادامت الشموع معتكفة بين مرقده ومحرابه قولي انها لم تقف بين يدي النبي المختار اشارة الى أن النبي صلى الله عليه وسلم لم يوقد في مجلسه شمع أصلا وان كان الشمع موجودا في عصره وقبله وقد سئل خاتمة الحفاظ الجلال السيوطي عن ذلك فأجاب بأنه كان في القديم وقبل عصر النبوة وأول من أوقده من العرب جذيمة الابرش وكان موجودا في زمنه صلى الله عليه وسلم ولم ينه عنه فهو مباح وقد روي في حديث أنه أوقد للنبي صلى الله عليه وسلم عند دفنه عبد الله ذا البجادين وله فيه مؤلف سماه مسامرة السموع في ضوء الشموع وقد نحونا في هذه الشمعة نحو القاضي ناصح الدين الارجاني في قصيدته الشمعية وهي من بدائعه وهي هذه

نمت بأسرار ليل كان يخفيها * وأظهرت قلبها للناس من فيها
قلبت لها لم يرعنا وهو مكمن * الا ترقيه نارا من تراقيها
سفيهة لم يزل طول اللسان لها * في الحي يجني عليها ضرب هاديها
غريقة في دموع وهي تحرقها * أنفاسها بدوام من تلظيها
تنفست نفس المهجور اذ ذكرت * عهد الخليط فبات الوجد يبكيها
يخشى عليها الردى مهما ألم بها * نسيم ريح اذا وافى يحييها
بدت كنجم هوى في اثر عفرية * في الارض فاشتعلت منه نواصيها
نجم رأى الارض أولى أن ينورها * من السماء فأمسى طوع أهليها
كأنها غرة قد سال شادخها * في وجه دهماء يزهيها تجليها
أو ضرة خلقت للشمس حاسدة * فكلما احتجبت قامت تحاكيها
وحيدة بسنان الرمح هازمة * عساكر الليل اذ حلت بواديها
ما طنبت قط في أرض مخيمة * الا وأقمر للابصار داجيها
لها غرائب تبدو من محاسنها * اذا تفكرت يوما في معانيها
فالوجنة الورد الا في تناولها * والقامة الغصن الا في تثنيها
قد أثمرت وردة حمراء طالعة * تجني على الكف ان أهويت تجنيها
ورد تشاك به الايدي اذا قطفت * وما على غصنها شوك يوقيها
صفر غلائلها حمر عمائمها * سود ذوائبها بيض لياليها
كصعدة في حشا الظلماء طاعنة * تسقي أسافلها غيثا أعاليها

كمكوة الليل مهما أقبلت ظلم * امست لها لحظة للصبح تذكيها
وصيفة لست منها قاضيا وطرا * ان أنت لم تكسها تاجا يحليها
صفراء هندية في اللون ان نعتت * والقد واللين ان أعمت تشبيها
فالهند تقتل في النيران أنفسها * وعندها ان ذاك القتل يحييها
ما ان تزال بيت الله لاهية * وما بها علة في الصدر تلهيها
تحيي الليالي نورا وهي تقتلها * بئس الجزاء لعمر الله تجزيها
قدت على قدر ثوب قد تبطنها * ولم يقد عليه الثوب كاسيها
حمراء فرعاء ماتنفك فاليه * تقص لمتها طورا و تغليها
شيباء شعثاء لا تكسى غدائرها * ليل الشبيبة الا حين تبليها
فتاة خلماء ماتنفك يأكلها * سنانها طول طعن اذ يشظيها
مفتوحة العين تفنى ليلها سهرا * نعم وافناؤها اياه يفنيها
و ربما نال من أطرافها مرض * لم يشف منه بغير القطع شافيها
أهلا بها في سواد الليل مسعدة * اذا الهموم دعت قلبي دواعيها
لولا اختلاف طبائعنا بواحدة * وللطباع اختلاف في مبانيها
بانها في سواد الليل مظهرة * تلك التي في سواد القلب أخفيها
و بيننا عبرات ان هم نظروا * غيضتها خوف واش وهي تجريها
ماعاندتها الليالي في مطالبها * ولا عدتها العوادي في مباغيها
ولا رمتها ببعد من أحبتها * كما رمتني بقرب من أعاديها
ولا تكابد حسادا أكابدها * ولا تداجي بني دهر أداجيها
أبدت الي ابتساما في خلال بكى * وغرني ان محض الحزن عريها
فقلت في جنح ليلي وهي واقفة * ونحن في حضرة جلت أياديها
لو أنها علمت في قرب من نصبت * من الورى لثنت أعطافها تيها
ترى المصابيح زهرا من جوانبها * وقد جلى صفحة الغبراء ذاكيها
كأنهن نجوم الافق نازلة * جاءت تقبل أرضا أنت واطيها

وللصابي فيها أيضا

غصن من الذهب الابريز أثمر في * أعلاه ياقوتة حمراء تستعر

ترنو بعين لها نور تقلبه * ليلا وتغمضه والصبح ينفجر
حتى اذا قذيت كان الجلاء لها * قلع السواد فعاد النور ينتشر
تأتيك ليلا كما يأتي المريب فان * لاح الصباح طواها دونك الحذر

(نور الدين على العسيلى) نور حدقة الزمان ونور حديقة الحسن والاحسان وكحل عيون الفضلاء والاعيان وانسان طرف الظرف . وعارض وجنات اللطف وقبلة مقود الفضلاء وفاكهة تتنقل بحديثه الندماء ألفاظه ريحانة الأدب وشمامة الطرب وكان فى عنفوان عمره يقطف بالجامع الازهر من رياض العلم غض زهره فى ربوة ذات قرار وجنة تجرى من تحتها الانهار حتى عبقت من شمائله نسمات الند وقطرت من سلسبيل أوصافه مياه المجد ومازال يشترى متاع الحياة بجوهر عمره النفيس معتكفا فى حرم التأليف والتدريس حتى جذبه ساعد الافتقار الى مخالطة دهماء الامصار فاندرج فى مقولة الكيف وحاكت ذاته بالنحول ضيف الطيف حتى قاسى الامرين الفقر والهرم وهما أسوأ من الفضيحتين المعصية والندم

وما كل افضال وان جل قدره * يخف على ظهر المروءة حمله
وأكثر من تلقى يسرك قوله * ولكن قليل من يسرك فعله
وقد كان حسن الظن بعض مذاهبي * فأدبنى هذا الزمان وأهله

فما كل ثمرة تحلو على غمائمها ولا كل بارقة تجود دعبائمها فلما يئس من الدهر والكرم حط رحل أمله عند الاستاذ البكرى فى أجل حرم وصيرته لركاب أمله حادى ونور غرته فى ظلم الخطوب له هادى ففتح عادى الكنوز بزرقة أمهاته ومندل ذكره وعطر آلائه فحل منه محل النوم من الاحداق والمدام من الاقداح وتوجه وجه أمله بعدما أحرم من الرجاء الى كعبة المجد والسماح وله به وله المحب بالحبيب ونظرت اليه عيون أمانيه نظر المريض للطبيب فقابله الدهر بوجه طليق واهتز فى روض كرمه غصنه الوريق فكانت غرر أزمانه تحت طراز حلله واحسانه

عقود لآلى طلى الايام تحلى * وطرز افوق أكمام الليالى

حتى تم عليه الكمال غيم ثغر النور بلسان النسيم ونثر كف الدهر حسدا عقد ذلك الاجتماع النظيم فاطفأ صرصر الموت أنواره بمحاعينه وماقدر أن يمحو آثاره وله شعر رائق ونثر فائق فمنه قوله من قصيدة له

كسل بالحى من بدور التم امكان * أم فى خلال بيوت الحى غزلان
أم الغوانى تهادى وهى سافرة * أم الشموس أقلتهن أغصان
سقى الحمى ولياليه التى سلفت * من أدمعى ومن الوسمى هتان
حيث الرقيب عم والضد ذو صمم * والحب ذو كرم والوقت امكان
وحيث نرفل فى برد الشباب الى * تيك القباب وغصن العيش ريان
ياصاح ان لم تمت من بعدها أسفا * فان عيشك بعد اليوم خسران
لى فى الديار سقاها المزن صيبه * غزال حسن بديع الخلق فتان
يارب الحسن قد بالغت فى تلفى * أما لهجرك بالميعاد هجران
هلا نظرت الى مضناك راحمة * فكان يشفع مثلك الحسن احسان
ولائم ظل يبدى لى نصيحته * لولم تمج أجاج اللوم آذان
وكان ظاهره عنوان باطنه * والوجه للقلب فيما قيل عنوان

(ومنها)

انى امرؤ ما حييت الدهر أمدحكم * لعل جائزتى عفو وغفران
حسنت ظنى ومدحى فيكم فعسى * يقال انى على الحالين حسان

ومن مقاطعاته قوله

كأن الخال فى شفة الذى قد * كسانى الشيب قبل أوان شيبى
قطاة أفردت من بين سرب * تروم الورد من ماء العذيب

وقوله

كل فعال الحب محمودة * وان تجافى وتجنى وتاه
فوصله قطع لداء الاسى * وهجره قطع لقول الوشاه

(وقوله)

دبت له ذؤابة * كحية من خلفه تحمى ضعيف خصره * من خارجى ردفه

(وقوله)

كأن الذى أهوى على نفسه جنى * فقال على تلك المحاسن بالفتك
فأغرق خديه بماء جماله * وأوقع فى الظلماء ناظره التركى
وألقى بنار الخد خالا كأنه * من المسك مطبوع تناديت يا مسكى
وها جفنه يبكى عليه من الضنى * وها خصره من ثقل أردافه يشكى

(وقوله) صحيفة الخد التى * للحسن فيها سور
مذ حشيت بعارض * لم يبق فيها نظر

وفيه توجيه وجيه وفى معناه قول ابن النبيه

كأن ذاك العذار حاشية * خرجها كاتب لنسيانه

ومما قلته من الرباعيات فى معناه

غصن غض له المعانى ثمر * يجنى فيظل دائما يعتذر
لم ألق شبيه وجهه فى أحد * الا المرآة صفت وفيها نظروا

(وقوله) وفاعل يتركنى عامدا * وهو لرقى فى الهوى مالكى
أقول للناس ألا فاعجبوا * من صنع هذا الفاعل التارك

الفاعل بلغة أهل مصر خادم البناء ويقال الفاعل التارك عندهم كناية عن القبائح ففيه ايهام ظاهر وله

بكفك طوفان ترى به الورى * وعهدى بالطوفان يأتى بتنكيد
ولا غرو أن أرست بناسفن الرجا * ببابك يا مولى النوال على الجودى (د)

وله فى عبد له يسمى فرجا

انى ابتليت بزنجى قبائحه * ليست تعد على ما فيه من عوج
كل الامور اذا ضاقت لها فرج * الا أمورى اذا ضاقت فمن فرج

وله يا بحر جود نوال * نداه للناس مطمع
لا تخش فى الدهر سوأ * ان المجداف يقلع

وفيه تورية على متعارف أهل مصر يعرفها من له خبرة باللسان وله فى دولاب

ودولاب مررت به سحيرا * يئن كأنه الصب المروع
غدت أضلاعه تنعد سقما * ويفنى جسمه صب الدموع
يدور كأن أضل الالف منه * وذاق تشتت الشمل الجميع
فقلت له فديتك من كئيب * كساه الهم أثواب الخشوع
علام أراك تبكى كل وقت * وتهتف فى المنازل والربوع
فقد قربت لى حزنا بعيدا * ونحاتى نواحك عن هجوعى
فقال أما علمت بأن مثلى * خليق بالصبابة والولوع

فانى

فانى كنت فى روض رفيعا * أبيت من الازاهر فى جموع
ولى فى المنتمى أعراق صدق * أصول أنجبت أزكى فروع
اذا ما الورد قابلنى وحيا * تضرج وجنتاه بالنجيع
ويصفر البهار لدى خوفا * كصفرة عاشق صب مروع
وان قصدت بنوا الآداب ربعى * أجود من النثار على الجميع
فقيضنى الشقاء الى غبى * شديد البطش جبار قطوع
فألقانى على رأسى سريعا * وأنت مشاهد حال الصريع
وقطع لطف أوصالى بعنف * وصار يدق عظمى فى ضلوعى
فصرت أرى الذى قد كان دونى * أمامى وصار ذا شأو رفيع
على قلبى أدور عنى وأبكى * عليه أسى كمقلات هلوع
فكيف ألام ان أدمنت نوحى * وجدت بدمع الطرف الهموع
وحالى ناصح أبناء جنسى * فلا تعتد بالجذع المنيع
فان الدهر كالصياد كيدا * وأسباب القضا شرك الوقوع

والدولاب لفظة معربة لها معان منها الساقية وهو المراد وللشعراء فيه معان كثيرة من بديعها قول الامير مجير الدين بن تميم رحمه الله تعالى

ودولاب روض كان قبل أغصنا * تميس فلما فرقتها يد الدهر
تذكر عهد بالرياض فكله * عيون على أيام عهد الصبا تجرى

وله مضمنا

اذا حمل الشيخ الكبير له عصا * فقد رحلت عنه اللذاذة والهوى
وعممه الدهر اللئيم عمامة * ثلاثة ألوان بها تكسف القوى
وجاءت له الاحزان من كل جانب * وألقت عصاها واستقر بها النوى

والمصراع الاخير مضمن من قصيدة معقر بن الحارث البارقى وقبله

تهيبك الاسفار من خشية الردى * وكم قد رأينا من ردى لا يسافر
وألقت عصاها واستقر بها النوى * كما قر عينا بالاياب المسافر

والقاء العصا تجعله العرب كناية عن الاقامة وقد يجعل عبارة عن الظفر والمسرة ولقد أجاد الباخرزى فى قوله

حمل العصا للمبتلى * بالشيب عنوان البلى
وصف المسافر أنه * ألقى العصا كي ينزلا
فعلى القياس سبيل من حمل العصا أن يرحلا

ولعمر بن أبي جبلة الدمشقي وينسب لغيره

ولي عصا من جريد النخل أحملها * فما أقدم في نقل الخطا قدمي
ولي مآرب أخرى أن أهش بها * على ثمانين عاما لا على غنمي
كأنني قوس رام وهي لي وتر * أرمي عليها بريد الشيب والهرم

ولابي العلاء المعري

رمح أبي سعد حملت وقد أرى * واني يلدن السمهري لرامح

أبو سعد كنية الهرم ورمح أبي سعد عصا الشيخ الهرم وقال صدر الافاضل وهو أبو سعد ابن عاد وكان من المعمرين وهو أول من اتكأ على العصا وقال بعض المعمرين

أعار أبو زيد عيني سلاحه * وبعض سلاح الدهر للمرء كالم

وأبو زيد كنية الدهر ويقال له أبو سعد أيضا وسلاحه العصا التي يتوكأ عليها الشيخ وقيل انه كنية الهرم وقال أبو الأصبع العدوي المعمر

أما ترى شكتي رمح * أبي سعد فقد أحمل السلاح معا

وفي شرح أبيات الكتاب أبو سعد لقيم بن لقمان وكان كبر حتى مشى على العصا وقال الجاحظ رمحه عصاه ولذا صغرت وقلت أنا

رمح أبي سعد اذا حملت يد * وفي السن طعن ليس عنه يحول
فقد حارب الايام في حومة الفنا * ومن نازل الايام فهو قتيل

وقلت أيضا

اذا حمل العصا شيخ فأمسى * ولا يكفيه رجلان اثنتان
فسوف يزيدها حتى تراها * وقد تمت ثلاثتها ثمان

كناية عن الموت فان تابوته يرفع بأربعة رجال ومما قيل فيها

قوس الدهر قامتي * فاتخذت العصا وتر

وقال اسامة بن منقذ

جفاني الدهر وابلتني الليالي والعبر

فصرت كالقوس ومن * عصاى للقوس وتر
أهدج فى مشى وفى * خطوى فتور وقصر

﴿وقال الشريشى﴾

لما تقوس منى الظهر من كبر * وابيض ما كان مسودا من الشعر
جعلت أمشى كأنى نصف دائرة * لاحت على الارض أو قوس بلا وتر

وقوله وعمه الدهر ثلاث عمائم وثلاثة ألوان هى عبارة عن ألوان الشعر فانه يكون أسود ثم يصير أشمط ثم يصير أبيض وهذا معنى وقع فى كلام العرب قديما كما قال بعض العرب

قصر الليالى خطوه فتدانى * وحنون قائم صلبه فتحانى
يامن لشيخ قد تخدد لحمه * أفنى ثلاث عمائم ألوانا
سوداء حالكة وسحق مفوف * وأجد لونا بعد ذا الـ هجانا
والموت يأتى بعد ذلك كله * وكأنما يعنى بذاك سوانا

وله تآليف كثيرة أجلها شرح المغنى وهو تأليف جليل عما سواه مغنى وقال فيه انه هذب معانيه وأودع فيه حور اعينا فى جنة أبوابها ثمانية يشير الى قول لبدر الدين الدمامينى

ألا انما مغنى اللبيب مصنف * جليل به النحوى يحوى أمانيه
فما هو الا جنة قد تزخرفت * ألم تنظر الابواب فيه ثمانيه

وهو من قول الحسين بن صدق الواسطى من شعراء الخريدة

دمشق فى أوصافها * جنة خلد راضيه
أما ترى أبوابها * قد جعلت ثمانيه

وقلت أنا

مغنى اللبيب جنة * أبوابها ثمانيه
أما تراها وهى لا * تسمع فيها لاغيه

ومن البيوت العامرة بمصر بيت السادة الوفائية

﴿فمنهم السيد على وفاء وأولاده المعلق على عاتق السيادة نجاده﴾ سادات السادات لهم المجد والزهد عادات لهم أنفس قدسيه أفيضت عليها العلوم اللدنيه لم يخالف أحد منهم ملة جده المختار الا انه نظم جواهر الاشعار ولهم شوارد مقال لما

السمع مناخ والعقل عقال تخالها ترب في سويداء البطاح وآباط الجبال بحار طمت وعلت ربى المعالى والقلل فتوارت البحار في منخفض الوهاد من الجبل وبيتهم الآن معمور ولواء فضلهم على كاهل الدهر منشور ولهم مساع ومآثر ورثوها كابرا عن كابر وورى زندهم ولم يقدح فيه قادح فضربت لهم آباط المفاوز (وسالت بأعناق المطى الاباطح) وتوقدت من مشكاة الحقيقة مصابيحهم ذات اللألاء نور على نور يهدى الله لنوره من يشاء ما منهم الا صاحب ديوان نافذ في سبيل البلاغة بسلطان ألطف من الامطار اذا وسمت بالنبت شفاه الانهار فمن ديوان السيد على وفا قوله

تغيبت عن عيني فغيبك شاهدى * ووجهك مشهودى وما عنك عائق
فان غبت فالاشباح مني مغارب * وان لحت فالارواح مني مشارق

ولابي اليقظان الوفاءى

كأن وجهك مغناطيس أنفسنا * فحيثما درت دارت نحوه الصور

ولابي التدانى الوفاءى

كل ما في الوجود منك مليح * ليس فيه نور عينى قبيح
مذهبي فيك يا وجودى وعيني * مذهب صادق قويم صحيح
لم تزل قائلا لكل محب * كلما يفعل المليح مليح

ولسيدى محمد بن أبي الفضل الوفاءى من قصيدة له

ألا صاحب كالسيف حلو شمائله * يسائلني عن فتيتى وأسائله
يدور غرام بيننا كلما انقضت * أواخره عادت الينا أوائله
رعى الله أياما أهاج بلابلى * اليهن روض قد تناجت بلابله
فما راقني في الماء الا صفاؤه * ولا شاقني في الغصن الا تمايله
كأن به القمرى صب له الصبا * رسول وأوراق الغصون رسائله
مصارف همى في مناجاة طيره * اذا أنفذت ما حوته حواصله

(ومنها)

رشافيه قد أملت مالا أناله * مغالطة حتى كأنى نائله
وكان حسابي أن غلطات خاطرى * فصح اذا بالجبر منه يقابله

ولـه

(وله أيضا)

على وجنتيه جنة ذات بهجة * ترى لعيون الناس فيها تزاحما
حمى ورد خديه حماة عذاره * فيا حسن ريحان العذار حما حما

(حمى حمى)

والحماحم نوع من الريحان معروف فى اللغة والعرف وله أيضا قدس الله سره

يا من يبالغ فى سقية خده * ماء الحيا ولذاك قيل مورد
فى خدك الراح التى بكؤسها * سكرت لحاظك فهى فى تعربد
سدت الانام غداة خدك أبيض * واليوم خدك بالعذار مسود
نسخ العذار ملاحة علاحة * قلم بسعدك لا يزال يجود
قلب يميل الى حديثك هل له * فيما يؤمل من ورائك مسعد
عكفت على مضناك أرواح الضنى * فلأنت للطرب المحرك مبعد
فعلى محياك السلام فديته * بالنفس بل بالعين فهو مؤكد
وعلى فؤادى المستجير تحية * ما طار نحو ربى الرياض مغرد

وفيه مع التورية مراعاة النظير التى ليس لها فى الحسن نظير لما فيه من الجمع بين التبييض والتسويد المعروف بين المصنفين وكذا التجويد فان معناه تحسين ويطلق فى العرف العام على تحسين الخط وفى عرف أهل الاداء على تحسين مخارج الحروف وهيآتها ومما يعجبنى هنا قول القاضى الفاضل فى وصف المسودات المسودات للاقوال كالاجنة للاجنة والحجور للاطفال ان خرج منها مالم تنضجه الارحام لم يبلغ التمام وان فطم قبل بلوغ أشد الفطام فربما كان عرضة للسقام وما جعلت الا ليستند لها صاحبها الا انها بذلة الخاطر تارة يخلع الثياب فيكون عريانا وتارة يأخذ معول قلمه فينقب من الناس جدرانا

(ومنهم الآن شيخ السالكين ورأس العلماء العاملين)

(شيخنا أبو المكارم وأبو الاسعاد قدس الله سره) ولما عاد من الحج أدركه الاجل فقلت أرثيه

قضى نحبه والحج قطب لروحه * دعا ربه نحو الجنان فلبت
فمن حج البيت العتيق على تقى * فروح أبى الاسعاد لله حجت

وقد أحرمت لله احرام حجة * مجردة عن جسمه دون موقت
فلا برحت سحب الرضى فوق قبره * مظللة هطالة سحب رحمة

ومن البيوت التي كانت بالفضائل آهله ومن مياه النعيم المقيم ناهله بيت الطبلاوي فمنهم

﴿العلامة ناصر الدين﴾ وقد أدركته في زمن الطفوليه فرأيت له رتبة عليه وآثارا في التحقيق والتدقيق جليه وحفيده صديقي وفي زمن التحصيل رفيقي وهو

﴿العلامة منصور﴾ حامل علم المجد وناشره وجالب متاع الفضل وتاجره وكان ممن شدت اليه مسألة الفضل رحالها اذا ورث من سماء المعالي بدرها وهلالها وحوى طارفها وتليدها وأرضع من در العلوم كهلها ووليدها ووضع الهناء مواضع النقب وسفرت له خرائد العلوم رافعة النقب وتزينت بمنظومه ومنثوره صدور المجالس والكتب معرباض مكارم عطرة نفحاتها عليل من فرط الدل نسماتها وكانت تهب علي بالكاتبة نسمات أسحاره ولم أزل أتلق الركبان لاشتراء أخباره حتى طن نعيه على آذاني فكدر على مشرب الحياة وآذاني ومن أتباعه ومواليه الواردين لماء الحياة بناديه

﴿السيد محمد وأخوه عبد الله﴾ هما روضا فضل وبيان فيهما من الفضل عينان تجريان وبحرا مجد يحفهما مرجان ويخرج منهما اللؤلؤ والمرجان وهما زهرتان من شجرة النبوه ونبعتان من وشيج الفتوة سقيا بماء المكارم وسحت على رياض محبتهما غر الغمائم حتى تدفقت جنباتهما واخضرت بالندى عذباتهما وكسيا من سندس الجنات ونشرا بخصيب أوديتهما الحسنات فاخضل بهما وادي الهدى حتى أثقلته ثمار المكارم والندى

تكاد يدي تندى اذا ما لمسته * وينبت في أطرافها الورق الخضر

مصابيح فكرهما مشارق الانوار وأحاديث كالهما صحيحة الآثار ومطارف ناديهما موشاة بالحبور ورياض نداهما مبتسمة الثغور وطرف هماتهما في مضمار العلياء سابق وخيم علاهما له على الاثير سرادق ولسان براعتهما بالبلاغة ناطق وجعفر فضلهما اذا ورد وارد اعليه فياله من جعفر صادق وشعرهما ونثرهما مأثور ولواء

حمدهم على كاهل الدهر منشور وقصيدة السيد عبدالله التى مدح بها أستاذه ناصر الدين والتزم فى قوافيها تجنيس الخال التى مطلعها

ياسلسلة الصدغ من لوائك على الخال * مشهور ذو عمار وبناه للسيد محمد قوله

لم أنس يا روضة المحاسن اذ * خلى بك الصب والخلى جمعا
ونحن فى روضة مخنعة * يروقنا البحر والخليج معا

(وقوله)

لم أدر أيهما أحرى برحمة * قلبي وعيني على الاحراق والسهر
حتى أنار فؤادى صبح جبهته * وقال انى على طول الزمان حرى (يق)

وقوله
يا ربة الخال كفي * عمدا بك عما أمرت
فقد سلبت البرايا * بأنحسرى ومحرت

(وقوله رحمه الله تعالى)

يارب أطلبها وتنفر دائما * لما ترى منى تعلق صائد
ان رمت أنظرها يقول عواذلى * أورمت أمدحها تل قصائدى

(وقوله)

سرقت نومى بعيد بين * فعز صبرى وقد تعسر
وسرضتنى بطول صدى * فكنت فى ذا الرأس منسر

وهذا كقول صاحبنا يحيى الاصيلى

قيل لى ان فلانا * قد تعالى وتكبر
ولمن قد ساء رأس * قلت لا بل رأس منسر

والمنسر قوم من المكابرين السراقين معروفون ومن البيوت بمصر بيت السادة البكرية وهو البيت المعمور

ان الذى سمك السماء بنى لنا * بيتا دعائمه أعز وأطول

(الاستاذ أبو الحسن البكرى) وهو جامع الفضائل والمحاسن ومظهر اسم الظاهر والباطن الذى شيد لهم منار الطريقه وجاز من قنطرة المجاز الى الحقيقه وتآليفه وآثاره وكلماته التامة وأخباره غنية عن البيان مسطرة فى صحف الامكان ثم خلفه من بعده ونشر فى الخافقين لواء حمده

(الاستاذ محمد بن أبي الحسن) وله فروع بسقت من دوحة المجد وربت في رباء بين تهامة ونجد من كل من لبس رداء النجابة في صباه ولاح عنوان المكارم على صحائف علاه ولم تقصر عليه أثواب مجده التي ورثها عن أبيه وجده فعلى جبينه نور نسب يخبر أن خلف الدخان لهب وتحت الرغوة الفصيح من اللبن الصريح غادة دولته سابغة المرط بعيدة مهوى القرط يصغي له الدهر اذا نهى رأى اصغاء نشوان الى صوت وتر

مستيقظ الحزم واري العزم ثاقبه * وصدحين تدلوهن همات

صافي الطوية من غل يكدرها * وأول المجدان تصفو الطويات

وقد جرت بينهم منافسات وأمور تسكب عندها العبرات فلم يزل كل منهم ينقص أخاه وينقص منه ويقول لسان حاله أخوك البكري لا تأمنه كما قال الصنوبري

أحمد الله قد ألاح بروق * منك بالود لا تزال ملحه

حسن قول وسوء فعل كما سمى المسمى في وقت ذبح الذبيحه

ومنه أخذ ابن الوردي قوله

قد بلينا بأمير * ظلم الناس وسبح

فهو كالجزار فيهم * يذكر الله ويذبح

(والاستاذ زين العابدين) زينهم ونور غرتهم وقائد جيش أسرتهم وحامل لواء عزتهم لم يزل سمح السجيه بسام العشيه لم تلن لغامز قناته ولم تغص عباء بشره عداته الى ان أصابته الرزايا ورمت فؤاده بسهام المنايا فنضبت جداوله واستراحت حساده وعواذله وصم صداه وسرت عداه وله نظم ونثر وفضل طيب النشر وخلفه (الاستاذ الامام أبو المواهب البكري) بدر لاح في سماء المناقب وسما شرفا على الكواكب فأورق روض نداه وأثمر ونادم العيش والعيش أخضر وله شعر منه قوله

عبد النبي قاتلي * بعينه وحاجبه

واعجبا لعبده * يقتل نجل صاحبه

ما أصل هذه الشجرة فهو نادرة الدهر * وغرة وجه العصر انسان عين الاقاليم فريد عقد المجد النظيم مورد فضل عذبت مناهل ورده ورييع كرم تقطف أيدي الآمال غض ورده سائله يرفل في برود الغنى حاليا ويكفيه تسليمه عليه تقاضيا فالنيل

يشير بالاصابع الى وفائه والعنبر الرطب عبد لحر جوده وثنائه

من ليس يشرق بالسؤال * لولا يغص من الندامه

جامع ما تفرق من شمل الفضائل تهزه الاريحية بشمائل الشمائل مالك أزمة البيان سابق لمن يجاريه فى مضماره من الفرسان أوحد الفضلاء مجدا وأصفاهم من قذا الرياء وردا حديث أخلاقه الغر وغرر سماته الزهر عنوان كتاب المكارم ورياض فضائله الخضر ورقيق نائله الحر لما ثر حاتم خاتم ناظم ما انتثر من المآثر فقد لمكة دفتر كل الاوائل والاواخر ترب الحدائق جر عليها النسيم أذياله فتنبهت عيون أزهارها وتثنت قدودها المياده المياله والشمس وضحاها والقمر اذا تلاها للارض عس نعاله يفاخر العنبر الرطب ثراها فعله حدث عن البحر ولا حرج وبراعة منقطه تنتج سلب الالباب والمهج مع حسن منظر تزاحم عليه وفود الابصار وفيض نوال تضطرب لغيرتها منه البحار كم سارت الصبا معطرة بنشره ونشرت له صيت كرم طوى ذكر حاتم طي بنشره سار سيرة الملوك ونثر فرائد النصائح من اسلاك السلوك ليحسن نظمها فى عقد العلم والعمل وتصان فى حقاق الآذان ذخيرة للامل فلو فهمت الورق سجعه فى الخطب خلعت عليه أطواقها من الطرب وقد اجتمع فيه من الكمال ما تضرب به الامثال ان ذكر جوده فما الطائى أو فصاحته فما أبو تمام الطائى أو حدة ذكائه فما اياس أو همته الهاشمية فما أبو فراس وزمانه كان عرس الفلك فكم قال له الدهر وما الكمال فلك

بحر من الفضل الغزير خضمه * طامى العباب وماله من ساحل

لم يزل كذلك حتى غربت شمسه وواراها فى عين حمئة رمسه وقد رأيته وقد شدت بالصبا أمراسى وطيلسان الذوائب عباسى وتمائم الصبا فى جيد عمرى وما شب عن طوق الصبا عمرى ودخلت فى اجازته العامه مع جملة الخاصة والعامه فمما رويته من آثاره وخبأت فى حقيبة الفكر من متاع أشعاره قوله

يايوم بولاق وأنسى به * حكاك من شوال يوم الهلال

وأقبل النيل جزو باوما * عارض الا النسيم الشمال

ياعارضا أوجب للنيل ما * سلسله وهو طليق المجال

وقهوة تنفح مسكا ولا * بدع ففى الفنجان شكل الغزال

حبابها من فوقها مانع * نفاره فهو شباك اللآل
تديرها هيفاء ممشوقة * خود تثنت فى برود الدلال
كاد يجبى من أقبلت نحوه * يذهب من رنات تلك الحجال
بغـرة أو طرة زعت * أفكارنا بين الهدى والضلال
تقول للشمس وقد أقبلت * تلتمس ما أنت الا خيال

وبيت الغزال من السحر الحلال وهو بيت القصيد وقد قلت فى معناه

أقول وقد دارت بنادى قهوة * وقد سرنى منها الغداة صبوح
أصورة غزلان بفنجان قهوة * اذا زفها ساق الى صبيح
أم الظبى حقا قد تردى به فمن * دم طفح المسك الذكى يفوح

وقوله حبابها الى آخره كقول ابن حمديس

بكر حصان اذا اما الماء واقعها * أبدت لنا زبدا من شـدة الغضب
كادت تطير وقد طرنا بها فرحا * لولا الشباك التى صيغت من الحبب

ومنه أخذ القيراطى قوله

صب فى الكاس عقيق خمرى * وطفا الدر عليـه فطفح
نصب الساقى عـلى حافاته * شبك الفضة فاصطاد الفرح

وله أيضا

ماأرسل الرحمن أو يرسل * من رحمـة تصعد أو تنزل
فى ملكوت الله أو ملكه * من كل ما يختص أو يشمل
الا وطه المصطفى عبده * نبيـه مختاره المرسل
واسـطة فيها وأصل لها * يعلم هذا كل من يعقل
فلذ به فى كل ما ترتجى * فهو شفيع دائما يقبل
وعذ به فى كل ما تختشى * فانه المرجـع والموئل
وحط أحمال الرجا عنـده * فانه المأمـل والمعقل
وناده ان أزمـة أنشبت * أظفارها واستحكم المعضل
يا أكرم الخلق على ربه * وخـير من فيهم به يسأل
قد مسنى الكرب وكم مرة * فرجت كربا بعضه يذهل

ولن

ولن ترى أعجز مني فما * لشدة أقوى ولا أحمل
فيا الذي خصك بين الورى * برتبة عنها العلا ينزل
عجل باذهاب الذي أشتكي * وان توقفت فمن أسأل
فحيلتي ضاقت وصبري انقضى * ولست أدري ما الذي أفعل
فأنت باب الله أي امرئ * أتاه من غيرك لا يدخل
صلى عليك الله ما صافحت * زهر الروابي نسمة شمأل
مسلما ما فاح عطر الحمى * وطاب منه الندو المندل
والآل والأصحاب ما غردت * قمرية أملودها مخضل

ومما يقطر منه ماء الفصاحة ويمسح وجه جواده راحة الملاحة من السهل الممتنع والعذب السائغ في مذاق كل مستمع قوله في مناجاته وظهر أنوار التجلي بمشكاته

ان يوما يعز كرك فيه * ذاك عندي لأي يوم مبارك
رب اني عبد ذليل ضعيف * فلحالي باللطف منك تدارك
كل قطر أصابني منك بحر * كيف والحال في تجري بحارك
كل جزء مني لسرك دار * عمر الله يا حبيبي ديارك
من رآني رآك من غير شك * أي شك وقد جعلت مزارك

وقوله

أقول وقد قيل لي كم مضى * أديب له حسن نظم جليل
دعوا كل ذي أدب ينقضي * ويحيي العسيلي ويحيي الاصيلي

وكان يوما في منتزه نضر تلاقى في شاطئه ماء الحياة والخضر في منازه منازل انتظمت انتظام النجوم في نهر المجرة والنيل يجري مضطربا بالما في مفارقة أوطانه من المسره ولسان النسيم يصف نشره ويعطر بالثناء عليه بره وبحره وحصباؤه تفوق الجوهر ومسود طينه يفاخر المسك والعنبر فكتب الى النور العسيلي ليتحلى بعنا كهته ويجتني من أدبه غض فاكهته يستدعيه الى أن ينزل بدره في بروج تلك المنازل ويسليه عن عرض ألم بجوهر ذاته من الدمامل (رقعة صورتها) سيدنا البر الذي يجري بحر الفضائل من بره ويعذب الورد والصدر بما يصدر من صدره ويفيض احسانه نهر الراجيه وآمله وتبتدر الانام لتلقي تيار أنامله وتتزاحم على سيف زخار

علومه تزاحم رقاب أعدائه على سيفه وخصومه ويخضر خضارة الدو وقد أسبل عليها من صوب مدده برد الجو لينام الانام من ظله بوريفه وتأمن من صروف الدهر وحيفه أبقاك الله وبحر افضالك فى مزيد يشار اليه بالاصابع والوفاء طبائع فغير المخلق برده اذا تخلق بعقيانك لكل أصفر فاقع والجبر متاح من كسر عدوك تعامل الجر من الرفع الى الخفض فالمد والاطناب والوصل بهمز القطع بالطول والعرض عالم يدركه فلكى ولو طرح فى نهر المجرة شباك الجداول ولارصدى ولو تجاوز السرطان والسماك من المنازل اعلم سيدنا لازالت أمواج فضله تنثر لآلئ الاحسان وتنثل ولا فى نهر الله اذا كان غيره نهر معقل أن مدينة بولاق هى مجتمع البحور ومدار فلك السرور بفلك الحبور طفحت النيل لاجزع عن الجزر مده المديد واستلت سيف النهر لقطع حروف الجروف من أقصى الصعيد والمنتهى سعيد رشيد غير انها على طمو بحارها اشتاقت الى مدد تلك العين وقالت استفت قلبك هل مد يشغل عن هذا البحر الذى تقصر عنه الانهار من أين الى اين على انى أقسم بالفيران الفرج الحاصل وان معدل السطح لا يظهر فيه للكرة أثر هائل والله جل كبرياؤه مصغر الكبير بفضله فلاحاجة للمعونة بعصره وأهله وعلينا أن نلقى دلو الطلب ولو الى ماتحت الحوت عسى يفيض فتجرى البحور فى البيوت ويحصل توشيع هذا البيت بكل خرجة داخلة فى الطرب نادرة على لزومها المقيس ولا يقاس عليها وهذا من العجب (والسلام) وهذا تسلية له عن دملة اصابته واليه أشار بقلب هل مدو بالبحر ومثله فى التورية قول ابن نباتة

لاتخش من هم كغيم عارض * فلسوف يسفر عن اضاءة بدره
ان تمس عن عباس حالك راويا * فكانى بك راو ياعن بشره
ولقد تعثر الحادثات على الفتى * وتزول حتى ماتمر بفكره
ولرب ليل فى الهموم كدمل * صابرته حتى ظفرت بفجره

ونهر معقل الذى ذكره بالبصرة وهو معقل بن يسار المزنى البصرى الصحابى واليه ينسب التمر المعقلى وفى المثل اذا جاء نهر الله بطل نهر معقل والمراد بنهر الله المطر والسيل فانه يغلب سائر المياه ويطم على الانهار كلها وله أيضا سقى الله ثراه

ياظباء بقاعة الوعساء * وملاحا بأعين الجرعاء

نزلوا بالعقيق أذفر روض * نسجت برده يد الانواء
باكرته هواطل المزن فافتر يرينا لآلئ الانداء
ما خيام على النقا والمصلى * وقباب بالحلة الفيحاء
ما ارتقاء من العلا لمقام * دون علياء أنجم الجوزاء
ما سليمى وزينب وسعاد * الغوانى عن الحلا بالبهاء

(ومنها)

أنه العبد لو غلا ثار وحا * كان أعطى هدية الفقراء

وله من أخرى

لا يعجبنك منه زخرف لهوه * أحواله أين الهبات من الهبا
فبعزتي آليت ما بعدا مرؤ * عن نفسه الاوكان مقربا

وله من أخرى

ولى رتبة تقضي بأن مشاهدى * جميعا بها قلبي اليه منيب
فأيان يممت المعاهد يلتقي * حبيب الى كل القلوب حبيب
تفاوحت الازهار من روض وصله * فرق نسيم بينها ونسيب

(وله أيضا)

يانسيم الصبا و ياعبقة الزهر أفاحت لنا شميم الحبيب
كيف قالت حمامة الايك لما * غردت فوق بانة بالكثيب
هل ترى بلغت حديث غرامى * واشتياقى لمنيتى ونصيبي
أو تراها تخوفت من عذول * وعدو وحاسد ورقيب
لست أخشى اذا ذكرت لدى الحب مقالا للائم ومريب
أنا فى خطة السقام ولكن * عرض حالى على الحبيب طبيبي
عمرك الله ياحمامة جرعى * ان يقل كيف حالتى فأجيبي
ذاب من لوعة وفرط غرام * واشتياق وانة و وجيب
هل لليلى تمن بعد التجافى * ببلوغ المنى وفتح قريب
ليس والله بالعجيب انعطاف * من حبيب قوامه كالقضيب
لا ولا بالعجيب أيضا تلظى * مهجتى والخدود نار اللهيب

وله من أخرى

حبيبك دان رقيب قريب * فماذا البكاء وماذا النحيب
نعم هو دان ولكنني * بعيد فقيد طريد غريب
بكائي على أنني بليت * بداء الصدود وعز الطبيب
وفاز المحبون دوني بما * به كل وقت لديهم يطيب
فهمي وفهمي زادا فما * بقائي في النقص أمر عجيب
فياهل ترى بعد هذا البعاد * يزول الصدود ويرضى الحبيب
نعم هو ذاك ستعطى منالك * بأوفر حظ وأوفى نصيب
وتهتز بالبسط في مربع * به مرتع للاماني خصيب
وحبس الكواعب عيدانها * وجس رباب الغزال الربيب
وتقضي حقوق الفؤاد المشوق * بخمر بروق وساق أريب
يهز من التيه أعطافه * فتحسبه بانة في كثيب
ونحن عكوف على لهونا * وليس سوى القبض عنا يغيب

وله استغاثات يعجبني منها قوله

الى كم نحن في ظما * وهذا المنهل الاعذب
وهذا المشرع الاحلى * وهذا المورد الاطيب
وهذا باب مولانا * وهذا بيته الاعجب
وهذا سره الاعلى * وهذا فتحه الاقرب
وهذا السؤل والمأمو * ل والمقصود والمأرب
حبيب الله نور النو * ر كنز السر والمطلب
ومن في لوح حضرته * بدائع سره تكتب
ومن في تاج غسرته * مرامات النهى تخطب
جمال عصابة الرسل الكرام طرازها المذهب
ألا يا خير مبعوث * له مولاه قد قرب
ومن بالعين أبصره * فعنه قط لا يحجب
ويامن لا يفي شخص * بمدحته ولو أطنب

أقلني عثرة عظمت * فاني ضاق بي المذهب
وخلصني وخصصني * بسر منه لا أسلب
أغث ياسيدي لهفي * والامن له أذهب
وقل لي أنت في جاهي * فلا تخش ولا تتعب
بك استنصرت فانصرني * فمن تنصره لا يغلب
بك استشفعت فاشفع لي * فمن ذنبي لك المهرب

ومن اشاراته قوله

فيه تجردت عن وهم وعن شبه * لله أحرمت والتوحيد ميقاتي

(وله أيضا)

لست أنسى يوم اللقا اخذوهات * وأدرها بأكؤس اللذات
فاجلها الشمس في بروج زجاج * من سناها تألق المزهرات
واسقنيها فدا لنفسك نفسي * بين صحبي وفتيتي ولداتي
لاتبالي بعاذليك عليها * وأدرها رغم الانف العصاة
كيف أنسى وكيف تنسى حياة * فتدانيك ياحبيبي حياتي
يوم لقياك عيد روحي ومغنى * فيه ألقاك أشرف الجنات
فبحق الجمال أقسام صب * أحرقته لواعج الزفرات
أرسل الدمع من جفان قا المز * ن استهلت بهاطل المنشآت
وبكى مذ بكى الحمام عليه * نائحا من تواتر الآفات
فكاني مع الحمام تحكي * نائحات لمادها نائبات
لا أذوق الكرى وسل أنجم الليل وهذا السقام من بيناتي
فاغثني فهل أتى خبر العين أفاضت سحائب المرسلات
أو أتاك النبأ بأن فؤادي * لم يزل في اللهيب والنازعات
لم تزل من كنانة الجفن ترمي * قرشيا بأسهم صائبات
* انا ياه فاربح الاجر في نفس نفيس الآباء والامهات
وتدارك فدتك روحي بروحي * أي شئ تناله من مماتي
ان لي في الغرام خير خلال * باقيات من الهوى صالحات

أنا فيه من ألطف الناس طبعا * وصفاتي به أجل الصفات
بي يفتر ثغر وقتي سرورا * ونسيم الصبا شقيق لذاتي
قم فهذا الشمال هب بشيرا * بتداني اللقا وجمع الشتات
ثم من بعد لمحة شمت برقا * لاح للعين من جميع الجهات
قلت ما البارق المضي وما نفحة هذا العبير في النسمات
قيل سلمى أتت وهذا بشير * بالتداني فقلت طابت حياتي
وابتدرت الطريق أسعى وأدعو * يا أصحابي ليهنكم لذاتي
أدركتني عناية الله حتى * وصلتني سلمى وتمت هباتي

(وله أيضا)

أما ونسيم الروض ينفح عن ند * وريح الصبا تهفو بأعطافه الملد
لقد نعمت نفسي بعزة ليلة * تحدث عما تختار عن زمن السعد
وباتت تعاطيني المدام وتارة * حديثا كما هب النسيم من الورد
وأجني مذاب الاقحوانة من فم * وأثني رشيق الخيزرانة من قد
وقد مالت الصهباء سكرا بها وبي * فوسدتها زندي وألحفتها بردي
وألقت ذراعيها على حمائلا * فعانقت منها السيف جرد من غمد
وما صدني طيب الوصال عن العلا * ولم يلهني هزل عن الجد في المجد
فعزمي كما زاحمت منكب يذبل * وبأسي كما أنبئت عن أسد ورد
أنازل بالعضب الصقيل بواسلا * شدوا اللوغى من فوق سابحة جرد
وليتك شاهدت الرقاب تطايرت * بسيفي كما طار الشرار من الزند
ونظمي في رمح الرؤس قلائدا * وناهيك من نظم وناهيك من عقد
فكن واثقا أني وان كنت مفردا * اذا ما لقيت الجيش أهزمه وحدي
وأني فتى الحي العزيز صحابه * وطالع من أهواه في فلك السعد

وله من أخرى

رب ورد قطفته بيد اللثم من الوجنتين ورد الخدود
وقضيب عطفته بيد الضم رشيق مهفهف أملود
يا سقى الله يومنا والاماني * منجزات لنا جميع الوعود

اذ بدت أنجم السعادة تزهو * طالعات لنا بسعد السعود
حيث كنا ولا رقيب ونلنا * كلما نبتغي بغيظ الحسود
برياض مكللات بدر الدر تزهوا على لآل العقود
كم بنات الدنان زوجن بالما * ء لدينا وكنت بعض الشهود
وأقمالهن عرس التهاني * بوريف من المنا ممدود

(وله أيضا)

يا أهيف القد جاوز * ت في التمايل حدك
كم ذا تتيه على من * يرعى لك الدهر ودك
والله مذ مال قلبي * اليك ما خنت عهدك
كم بت عندي أجني * من روض خدك وردك
وبت تشرب نفسي * وبت أشرب خدك

(وله أيضا)

وحياة العيون تنفث سحرا * وغصون القدود تثمر بدرا
وجمال سبي عيون البرايا * فهي سكرى به وليست بسكرى
وعيشا عنطق ينثر الدر على مفرق البلاغة نثرا
ما أرى في الورى سواك وأني * ملت أشهدتني جمالك جهرا
لا ولا في الفؤاد غيرك فاشهد * يا حبيبي فصاحب الدار أدرى
أنت رب الجمال حسا ومعنى * ومليك الجمال نهيا وأمرا
رب صب يبيت حيران حرا * نبه في الغرام أشعلت جمرا
ذل في وجده لديك ولكن * بتصابيه عز قدرا وصبرا
فتداركه واربح الاجر أولا * أعظم الله فيه عندك أجرا

(وقال أيضا)

هل المجد الا عزمة قرشية * تطاطا رضوى دونها وثبير
وصولة فتاك هزبر تطاولت * به رتب عنها السماك قصير
اذا استل ما بين السماطين سيفه * ترى الهام فوق الهام منه يطير
وان هز أعطاف القناة بكفه * ترى ذلة الشجعان كيف تصير

حليف المعالى ربها وامامها الخليق بها والمدعون كثير
فتى لا يؤم المجد غير جنابه * ونحو سواه المجد ليس يسير
مليك سرير العز حاكمه الذى * له النصر جند والفخار وزير

(وله أيضا)

ان فى الشاروخ معنى * لذوى الالباب عبره
ان تعالى فهو فرد * أو تدلى فهو كثره

قلت والشاروخ لفظة مصرية وهى نوع من ملاعب النيران معروف وله أيضا

خليلى اما جئتما حى قاتلى * فقولا له مضناك ملتمس نظره
فان تريا فى الوجه ما بشاشة * فانى لا أخشى خليلى ما أكره

(وله أيضا)

أنظر الى ثمر الخيار الشنبر * كاغيد تخطر فى قباء أخضر
أكمامهن معصفرات أسدلت * للرقص فى روض الجنان المزهر

وقال من قصيدة يتشوق بها الى الكعبة المشرفة

أودعتك الله سلاما على * وجه سليمى أيها البرقع
فليت اذ أدعو وقد شط بى * عنها مزارى للدعا تسمع
أستغفر الله لقد أنجمت * عما أرجيه وما أطمع
حتى بذكرى حولها دائما * حمائم فى حيها تسجع

وقال من قصيدة أخرى

ان قلت فالدر الثمين قلائدى * شرفت به الاعناق والاطواق
أو قلت فى شرح الغيوب فاننى * ثمر القلوب وغيرى الاوراق
هذا لسان محمد المجد الذى * من وصفه تتعلم الاخلاق

(وله أيضا)

أأكون وافد ساحتك * ونزيل دار كرامتك
ويصيبنى أدنى أذى * كلا وحق سيادتك

(وقال أيضا)

صوح النبت فاسقه * قطرة من سحائبك

واغنينا فاننا * فى ترجى مواهبك

(وله أيضا)

بين أهل القلوب والحق حال * وهو سر يدق عنه المقال
ما لشخص الى علاهم طريق * بل ولا فى ميدانهم ذا اجال
احذر احذر أهل القلوب وسلم * أمرهم انهم فحول رجال
لا يكن منك ذرة بنكير * فسيوف الاحوال فيها صقال
فاذا ما رأيت نكرا فأول * ليزول الانكار والاشكال
لا تردوسعة المقال بحال * رب حال يضيق عنها المقال
لو ترى القوم فى الدياجى سكارى * وعليهم أديرت الجريال
كل بسط من بسطهم مستفاد * كل عطف بسكرهم ميال
شاهدوا الحق من مرايا نفوس * جل عن كشفها الرفيع المثال
انما العين بالحقيقة للعين تجلت فما هناك خيال
تحت استار عزة وجلال * ما سواها جميعها أمثال
يا لقومى من سكرة بمدام * ما لعقل الندمان منها خبال
هاتها هاتها على كل حال * واسقنيها فما عليك وبال
كل ذنب لشاربيها مباح * وعثار لمحتسيها يقال
لا تبالى بعاذل فى هواها * لم يذقها فقوله بطال
فشمال والكأس فيها يمين * ويمين لم يحظ منها شمال

(وله أيضا)

سربى الى حيهم ودعنى * فى أى طورفلا أبالى
فان مولى الكرام منهم * فابشروا أيها الموالى

(وله أيضا)

حدثنا نفح عبير الخزام * عن وجنة الوردة ذات الكمام
عن عذبات الرند مسدولة * عن قامة الغصن رشيق القوام
عن ناظر الاعين من نرجس * من ضاحك الزهر بدمع الغمام
عن سائل الجدول فى روضة * بدوحها الأملد غنى الحمام

عن فتيات الحي وقت الضحى * فنادت الشمس هبوا الى لثام
عن نعس الأعين مكحولة * عن لعس فوق حباب المدام
ان سليمى أسعفت بالمنى * وأسعدتني ببلوغ المرام

(وله أيضا)

ألا قل لربات الربا والمعالم * عقائل خدر الحي من آل هاشم
أيا ساكنات المنحنى من أضالعى * هوا كن حرزى فى الورى وتمائمى
فلا افتتحت الأبكن فواتحى * ولا ختمت الأبكن خواتمى

وله أيضا من قصيدة

أزال من نوره حجب الجفا وجلا * من بعدما ذبت من ذاك الجفا وجلا
كم عاذل قد لحانى فى محبته * ومادرى اننى لم أسمع العذلا
تالله ما خطر السلوان فى خلدى * أعيذ بالله قلبى أن يقال سلا
وبى مليح كغصن البان ذو هيف * سقيته الدمع حتى أثمر القبلا
أهوى هواه ولو ذقت الهوان به * وكيف والعز يهوى من به اشتغلا

(وله من أخرى)

جريح ظبا تلك العيون النواعس * طعين قنا تلك القدود الموائس
تزايد فى لبى هواه وبشه * فصير قيسا ضحكه فى المجالس
رأى والهوى يولى الفتى كل محنة * شموسا تجلت فى رواق الحنادس
دمى صانها عز الجلال توشحت * برود جمال من أرق الملابس

(القسم الرابع فى ذكر الروم وما اتفق لى فيها وذكر من لقيته بها من رؤسائها وعلمائها وبقية دهمائها)

لما رأيت الدنيا ميدانا والأجساد فيها خيل عتاق والمسابقة فيها الى الخيرات من أجل السباق والله الملك الجواد المجازى كما قال تعالى والذين يسارعون فى الخيرات ويدعوننا رغبا ورهبا ونبت بى الأوطان وعادانى الزمان والأرض واسعة ان ضاقت صدور الرجال ولا يصلح النفس ان كانت مصرفة الا التنقل من حال الى حال

وأقسم ان لم يحظنى الدهر بالغنى * لأمتطين الصبر اذ حزن الدهر

قت لعنان العزم ثانيا والأمل حادى وارتحلت الروم والقضاء والقدر سائق لى

وهادي وقلت اذا كان أصلي من تراب فكل الانام أقاربي وكل البلاد بلادي فان ضاق على ناقتي مرعى الغضى فزمامها بيدي وماضاق الفضا وان ضاق الفضا على الركاب فلله سفن تجري وبحر عباب فلم يكفني البين حتى ابتليت بالبين والغراب

وقالوا اركبت البحر شرقا ومغربا * وقاسيت في الاسفار هول قيامة

فحدث بما لاقيته من عجائب * وأغرب مالاقيت قلت سلامتي

وهو مركب كثير المعاطب والانسان مخلوق من طين والطين في الماء ذائب ولكن الله تعالى من علينا بالسلامه وأنعم بلا كدر للوصول لدار الاقامه فرأيت فيها من العلماء والاشراف ماتنقطع دون بيانه النعوت والاوصاف فثافنتهم في مدارسة العلوم واستفدت منهم ماتسهر لسامرته عيون النجوم لاسيما العلوم الطبيعية والرياضيه ومقاطع الانظار المنطقية والكلاميه فظفرت ولله الحمد بما حمدت به عقبى السرى وربحت فيما أنفقته من رأس مال العمر أنفس مشترى وقلت نور على نور وتجارة لمن تبور فكان ممن لاقيته وأدرت معه كؤس المذاكرة فعاطاني وعاطيته علي بن الحناءي وهم بيت علم وأدب فيه شرف نسب علي وحسب وعماد ذلك البيت الذي ليس فيه لو وليت

﴿علي بن الحناءي بن أمر الله الحميدي﴾ كامل أخلاقه توأم نسيم السحر وعيون آثاره منازل عيون النوار غب المطر فهي في مذاق النهى ألذ من الامل وأحلى من الحياة المقتنصة من يد الاجل وأشعاره بالالسنة الملائة في وجوه الطروس تفضح اللئلي والحور وتجذب بأيادي لطفها عنان الفؤاد والبصر تشابهت معانيه الدقيقه بكاسات كلماته الرقيقه فسر الدهر ذكره وعطر برد الوجود نشره

وأرى الحجيج اذا أرادوا ليلة * ذكراه أخرج فدية من أحرما

أدار في الروم من الادب كاس حمياه ونشر بارجائها أرج أنفاسه حتى تعطرت برياه ببراعة يصف لسان يراعها نفثات السحر وفضائل أرخصت صنائعها بضائع الشعر وعلو قدر يعم هامة الراسيات وسوابق عزم تقف دون مداه أصناف الصافنات تشرف قضاء العسكرين بحكم أحكامه ونشرت على أعلام تلك الاقطار خافقات أعلامه وله رحلة لمصر ألبس فيها أعطاف مجده برودا ونظم بها من الشعر العربي في جيد الدهر عقودا فما صدحت به حمائم فصاحته على قضب البراع وتلت ألسن

براعته ما ثنى اليه أعنة الابصار والاسماع قوله

أرى فى صدغك المعوج دالا * عليها نقطة من مسك خالك
فصارت داله بالنقط ذالا * فها أنا هائم من أجل ذلك

وهو أحسن من قول الخوارزمى

وأراك خديه ولاح عليهما * صدغان ذو خال وآخر خالى
فكأن ذا ذال خلت من نقطة * وكأن ذا دال ونقطة خال

ومن قول أبى بكر الزوزنى

نقطت صدغك دالا * قالوا بل من شكل ذلك
لو أن ذالك ذالى * سجدت شكرا لذلك

(وله أيضا)

أسروه من ثغر العدو فأصبحوا * أسرى بمبسمه الشهى وثغره
أسروه كى يعسى أمير جمالة * فهو الذى ملك الفؤاد بأسره

(وله أيضا)

قالوا تبدى وجه من أحببته * فى عارض بخيال وجهك فارضى
شمس الجمال تسترت فى عارض * دع عنك دمعا مثل بحر فائض
فأجبتهم ياقوم ان محبتى * ذاتية ليست تزول بعارض

وهو كقول أبى حيان

راض حبيبى عارض قد بدا * ياحسنه من عارض رائض
فظن قوم أن قلبى سلا * والاصل لا يفقد بالعارض

(وله أيضا)

ولائم لام فى حبى لذى غنج * لما رأى فى حواشى خده لاما
فقلت ذى لام تعليل بوجنته * تبين علة من فى حبه لاما

وهو كقول ابن نباتة

لام العذار أطالت فيك تسهيدى * كأنها الغرامى لام توكيد

وقول ابن رشيق

يارب أحور أحوى فى مراشفه * لو جادلى بارتشاف برء اسقامى

خط العذار له لا مابعارضه * من أجلها يستغيث الناس باللام

وله وان لم يكن مما نحن فيه

لاك تدريس ولكن * عين تدريسك لام

ولصاحب الترجمة

وافى وأنفاسى تصعد من جوى * فقال أمن كأس الصبابة تغتبق
وهل تحت رق الحب قلبك فى لظى * فقلت أجل ان القلوب لتحترق

ونحوه لابن المبلط

يا نائما وقته * من فوقه كحل جفن
يحفظه عباته * مالى أراك تحتقن

وللشهاب المنصورى

قلبى بحبك قد علق * فامنن له وصلا ورق
يامن يحمل مهجتى * فى حبه مالم تطق
ها قد ملكت جوانحى * فانظر بعبدك اذ رزق
عيناك تسترق الحشا * ولكل حرٍ سترق

ولعلى الحناءى فى شرح الكشاف للسعد

لقد قلت لما أن تملكت ذهنه * لفاضل تفتازان من شرح كساف
عليك سلام الله يا سعدا ننا * نداوى عليل الجهل من شرحك الشافى

وله من قصيدة أخرى

سقى الله عيشا فى ظلال ربوعهم * حلا ذكره فى الذوق وهو مدام
ليال لنا فى مصر وصل كأنها * على وجنة الدهر المنيع شام
يحين حمامى من حنينى ولوعتى * اذا ناح فوق الايكتين حمام

وتشبيه الليالى بالشامات هنا لا بأس به ولكن أين هذا من قولى لمن لا داء به وله اذن واعيه

سقى الغمام وحيا صفو منتسه * عصرا تقضى مع الاحباب ألوانا
سود الليالى به شامات لو ظهرت * فى حسن وجه زمان كن خيلانا

وله رساله قلمية منها

لك الحمد يا من أكرم الناس بعدما ٭ هداهم الى التقوى وعلم بالقلم
يؤلف بين الكاف والنون آمرا ٭ وينقش لوح الكون من ذلك الرقم
ويحجب من التسليم يسكب وبلها ٭ على مرقد فيه المروأة والكرم
تجافى عن الاقلام طرف بنانه ٭ وقد نسخت من دونه كتب الامم

صلاة الصلاة والسلام عليه وعلى آله الكرام وصحبه العظام مالاحت علائم الاعلام فى وجوه الاماثل وناحت حمائم الاقلام من غصون الانامل (وبعد) فان بعض الموصوفين بالبراعه اعتنى بوصف البراعه وأحرز قصبات السبق فى مضماره وحرم على مصليه أن يؤم شف غباره ورسم بدائع المعانى على لوح البيان فصار ماسطرته أنامله يشار اليه بالبنان وهذا نسج على منواله ونسج على منواله وشتان بين من ادارك القلم أنامله خضعت رقاب الانام له وبين من يكتب فيامى ويقول فلا يصغى والله المستعان وعليه التكلان ياسائلى عن صفة القلم انه فى العلم علم يتراءى فى بيداء لنور والطور وكتاب مسطور فى رق منشور يعجز عن بيان غرر وصفه بنان الافهام ولو أن مافى الارض من شجرة أقلام ذو اللسانين واللسن والبيان العذب الحسن فقيه فائق سرح فى رياض الهمه فاقتطف شقائق النعمان حكيم حاذق جلس على خوان الحكمه فالتقم حقائق لقمان درس العلوم الرسمية فهو المعلم الاول وجدد مادرس منها وما على رسم دارس من معول مد باعه فى العلوم وقده قيد شبر حبر ماهر اذا رأيت أثره تقول ما أحسن هذا الحبر قادر على تحرير العلم وتحبيره يتكلم فيذر على الكافور عنبرا فيا حسن تعبيره اذا أنشأ أغرب واذا أنشد أطرب واذا أعجم أعرب واذا أشكل رفع الاشكال واذا قيد أطلق العقول من العقال يترجم عن الوحى والالهام واذا رفعه الامام رفع الابهام ضرب منه شآبيب العلوم واكفه غصن عليه طيور النهى عاكفه طالما جال وجاب وسأل وأجاب فأبدى العجب العجاب طورا يشرب من كؤس المحابر فيتمايل كشارب ثمل وطورا يخطب على رؤس المنابر فتراه كشيخ عبراته تنهمل وتارة يجلس فى الدست مثل الكرام الصيد ويبيت على كهف المحبرة باسط كفيه بالوصيد متجرد خلى نفسه للتزهد متعبد رافع أصبعه للتشهد يحدث بأحاديث الليالى للانام ويظهر ماجرى على لسانه فى صفحات الايام كأنما يتنزه فى مراتع الطرب ويتخترق

ملابس القصب اذ انشطمداره فشط عنه مزاره فهو يبكي كالغمامه وينوح كالحمامه يتذكر لداته وأترابه ويحن الى أول أرض مس جلده ترابه

ينوح على رسوم دارسات * كنوح حمامة بازرقتين
وقد ينعي الى أهل التصابي * نوى الاحباب مثل غراب بين

ضربوا عنقه فطال عناؤه وشجوا رأسه فسال دماؤه أولج نفسه في المهالك وأدلج في ظلام حالك فارتعد من خوف ذلك صب ناحل متى بلبل الفراق ترنح وهلها أو كريم اجتداه معدم ماحل فهو يهتز لها على منبر الاصابع خطيب مصقع ألف تراه تارة في الدواة وأخرى على الاصبع بث مصونات السرائر فأشير اليه بالسيف والنطع وسرق مخزونات الضمائر فحكم عليه بالقطع يصبر مثل أيوب على البوسى ويصير كليما اذا مر على رأسه موسى غريب هجر هنده وواسطه وصار بين الهند والروم واسطه يقوم في خدمة الناس فاذا قلت له أجر يقول على الرأس يتعيش بكسب يمينه و يقتات من عرق جبينه

أرضعه الجدول من بعدما * رباه في منزلة شسطه
ماطر الشعر على وجهه * فاعجب له كيف بدا وخطه

يوسع كالاحرار جودا وطولا ورقبته كالعبيد في يد لمولى فهو على ما يقاسيه من الحزن والكآبه لا يطلب من مولاه الا الكتابه مداح لكنه لا يفارق الهجا يسترطرة الصبح تحت أذيال الدجى معدل معروف بالاستقامة أمين مجرد لا يميل الى اليسار فهو من أصحاب اليمين بطل يطأ في الطعان على الرؤس علم يأتيها الفتح والظفر وهو منكوس رمح من رماح الخط يمارس الطعن وما انفل عنه قط طرف يجري في الميدان وهو معقود اذا قصدته لا يحصل المقصود وسهم في الاغراض مصيب وليس له منها سهم ولا نصيب ثعبان لا يزال يحرق ما مر عليه بأنفاسه تمشي الثعابين على بطونها وهذا يمشي على رأسه أرقم يبلغ الاساود أدهم تقيد به الاوابد حية تنغمس في بحر رتق الماء وتخرج منها وفي فها دودة سوداء بلدغ الاكباد كأنه عسال ذابل و يشفي الفؤاد كأن فيه أرباب الشتارة أيدعواسل أكمل أمره في السياحه وأفنى عمره في السياحه يقطع الفيافي وهو رجلان حافي تارة يخرج الفرائد من البحور ويجعلها قلائد بيض النحور عليه من السواد عمامه كأنه عباسي طالب للامامه

سفاح ذو خلاعة ومجون رشيد أمين الا أن طغيانه غير مأمون يجر من الجند جحفلا كالبحر ماجت راياته ولا تنقطع عن عمالك الروم دقائقه وماجرياته يرتب الكتائب في المصاف ويدرعنه بارمح الرعاف شادا اذا غنى شنف المفؤود كأنه أوتى مزمارا من مزامير داود أشقر يحب أن يخب في المرج ألف القطع الا أنه لا يثبت في الدرج ألف اذا فارق النون فهو صاد حرف نفى كل دال عن عينه الرقاد مطلق لا يعتريه الاسر مرفوع الا أنه يدخل عليه الكسر يستعمل مفردا ويجمع ويكسر على قلة أجوف ويعد ناقصا اذا كان في حرفه علة ثلاثى عينه لام صحيح الا أن فاءه عين السقام مشتق يصدر من حرفه الافعال عامل اذا كسر يبطل عن العمل في الحال لسانه ذلق وقلبه ملق لفظوا باسمه فصيحا وهو محرف وأراد أن يصحفوه فلم يصحف ميزاب عين الحكمة منه نابع مقياس يبصر العلم عليه بالاصابع أخرس لكن لسانه قارى يتكلم بعدما جز رأسه وهذه حكمة البارى تتعجب من أمره العقول ويسأل عنه الملغز ويقول

ما أمرد منه القوام مقوم * والرأس منكوس كشيخ فانى
أبصرته فرأيت منه عجائبا * حدث ترعرع سنه اثنان

كفى من رتبه أن الله أقسم به جل لو لم يكن قدره أجل لما قبل يد المولى الهمام ولما طوقت أياديه رقبة الحمام مولى عيون ذوى الانظار الى مرود قلمه ميل وذرور تربة قدمه يجلو جفون أولى الابصار من رأس ميل اذا سح سحاب كماله ترى سحبان في روض الفصاحة باقلا واذا أفاض معين افضاله ترى معنا لحوض السماحة مادرا بالخلا اذ انثر نثر الدرر واذا نظم نظم الغرر حرف من ذلك البنان وطرف من سحر البيان سطر من تلك الأنامل وشطر من حقائق المسائل

فى طرفه أدهم يجرى على سنن * من رأس أصبعه الغراء غرته
أبو العلاء اذا أضحى يعارضه * يبين عنه وقد بانت معرته

اذا ألقى الدروس يحيى رباع العلوم بعد الدروس واذا تعب براحته قلم الفتيا تصل الى كل راحة الدنيا وتعلو كلمة الله العليا قلمه في بنانه المدرار كأنه قضيب نبت في الانهار يسعى قدم العلم في مداد محاسنه وهو كسير وينقلب بصر البصير خاسئا وهو حسير وانى وان أعمل صوارم البراعة ومضاها وأبلغ من مسالك البراعة مداها

وألمع من غرف الابداع وغوانى المغانى وأصمى بظبى الاقلام ظباء المعانى لو رمت تعديد نجوم بروج فضائله التى تتنافس بها الاماثل وتتباهى وتتناهى الايام وهى لا تتناهى لعرفت أنى محصور فى غير محصور ولاعترفت بأنى من جنان مدائحه فى قصور لقد غدا سابقا فى حلبة العلياء أمثاله اذا تناولت الاقلام راحته تقول ماقصبات السبق الا له لا زالت خمائل الفضائل برشحات أقلامه مخضله ونسائم الاصائل بنسمات أنفاسه معتله ولا برحت تضحك ببكاء أقلامه الطروس ويرى فى صورة خطوطه حظوظ النفوس ماتغنت الاقلام بصريرها والانهار بخريرها وضحكت الاسحار بشروقه والامطار ببروقه بحرمة من لولاه لم يخلق اللوح والقلم ولم يعلم الانسان مالم يعلم (وله رسالة سيفية) منها وبعد فان السيف فى حنادس الوقائع شهاب ساطع والى ممالك المعالى صراط واسع وعلى مسائل العزائم بيان قاطع وان كان فى أواسط الناس بالتقليد مشهورا فأردت أن ارصعه بجواهر التوصيف وأحليه بعلائق التعريف ومنها

يعرف ضروبا من فنون الحرب * وهو مجد فى كل كر وكرب

اذا اشهر يشرق النور من غربه فهو المشهور بالشرق والغرب ذو علائق لكن اذا جرد يكون من أصحاب اليمين وقد يعتكف فى خلوة القراب فيكون من المقربين جدول ربما يشق من الدروع بحرا موا جا يفتح باب النصر فترى الناس يدخلون فى دين الله أفواجا ذو وجهين له طبع حديد وبأس شديد جدول ماهب عليه نسيم النصر شعلة نار ترمى بشرر كالقصر نار يؤججه ضاربه ماء يغص به شاربه نهر ملآن تسقى به حمى الابدان فيجعلها حدائق ذات ورد وشقائق عالم لا ينظر الى متن الا ويشرحه حاكم لا يحضره شاهد الا ويجرحه شارح له متن متين يتلى فى صحائفه سورة الفتح المبين حده ذاتى وقوله قول شارح يبين بدقائق فرقه وجلى شرحه مشكلات المطارح عالم فى الضرب والتفريق ماهر فى العلوم القطعية على التحقيق اذا طلب منه شرح الخفايا ينشرح لها ويهتز طالما طبق المفصل فى الابانة وأصاب المحز مرآة ينطبع عليها صورة الحتف ومنها * شروق غربه يسفر عن جريوم الحرب * كأنه جدول ماء جرى فى ساحة روض فظهر منه رؤس نباته أو لمعة ضياء دخلت من كوة بيت فبدت على صورة ذاته النبل له كالخدم والرمح يقوم فى خدمته على القدم بل الرمح من

حبسه ذابل فهو كالملك الجليل والرمح نه عامل اذا رآه القوس يقول مالى من جنس بسالتك سهم واذا الافاه الدرع يدخل حلقه بعضها فى بعض من الوهم نهر من بحر الحرب تسقى به قصبات الرماح لم تبد على غدير الدرع أمواجه حتى هبت من شطيه لانصر رياح ذكر له حيضه طائر يقع على البيضه أغرق اطلال وجود العدا بسيل أقطار السهام وأنهار الصفاح ونزح حماة أرواحهم بدلاء المغافر وارشاء الرماح يجرى بحارا من العساكر فيها أمواج الدروع وفواقع المغافر ومنها الازالت ألف سهمه مع نون قوسه المشدده لجلة خبر بسالته وايالته مؤكده ولا برح شكل دوسه همزة لقطع الآجال وسين سيفه مفر بة عمر العدو من الاستقبال الى الحال ومنها هذه جواهر مدح ترصع بها هذه السيفيه وحمائل تشد فى جيد الحمية الأدبيه (ومما يحسن هنا ايراده الرسالة السكينية) وهى لابن حجة

يقبل الارض التى قامت حدود مكارمها وقطعت عنا مكروه الفقر بسنون عزائمها وينهى وصول السكين التى قطع المملوك بها أوصال الجفا واضافها الى الادوية لحصل بها البرء والشفا زرقاء كم شاهدت البيض منها ألوان خرساء ومن العجائب أنها لسان لكل عنوان ماشاهدها موسى الا هجد فى محراب النصاب وذل بعد ما خضعت له الرؤس والرقاب كم أيقظت طرف القلم بعد ما خط وعلى الحقيقة مارؤى مثلها قط كم وجد بها الصاحب فى المضائق نفعا وأحكم بحسن صحبتها قطعا ماضية العزم قاطعة السن فيها حدة الشباب من وجهين لانها بالناب والنصاب معلمة الطرفين أغلة صبح تقنعت بسواد الدجا معوذتها بالضحى والليل اذا سجا ولسان برقت لمعته فى لهوات الليل فتنكرت أشعة الانجم حتى ماعرف منها سهيل هذا وتقطيعها موزون اذا لم يتجاوز فى عروض ضربها الحد ومعلوم أن السيف والرمح لم يعرفا غير الجزر والمد

من أجلها تدخل فى مضائق * ليس لسيف قط فيها مدخل
وكلما تقطعه توجزه * والرمح فى تعقيده يطول

ان هجعت بجفنها كانت أمضى من الطيف وكم لها من خاصة جازت بها الحد على السيف تنسى حلاوة العسال فلا يظهر لطوله طائل وتغنى على آلة الحرب بايقاع ضربها الداخل ان مرت بشكلها المحلى تركت المعادن عاطله ولم يسمع للحديد فى هذه الواقعة

بحالة

مجادله شهد الرمح بعد التمه أنها أقرب منه الى الصواب وحكم بصحة ذلك قبل أن يتكمل لها النصاب ماطال فى رأس القلم شعرة لا مرحتها باحسان ولا طالعت كتابا الا أزالت غالطه بالكشط من رأس اللسان تعقد عليها الخناصر لانها عمدة من العدد وعده وتالله ماوقعت فى قبضة الا أطالت لسانها وكانت بحده ان دخلت الى القراب كانت قد بكت على الدخول أو أبرزت من عمة كان على طلعتها الهلالية قبول تطرف بأشعتها الباهرة عين الشمس وباقامتها الحد حافظت الاقلام على الخمس وكم لها من عجائب تركت جدول السيف فى بحر الغمد وهو غريق ولو سمع بها من قبل ضربه ماحمل التطريق فلو عاصرها الكمال لعرك من فرسه الاذنين وقال له جدت رسالتك ياذا القرنين فان جذبت الى مقاومتها وكان ذلك يعتقد وصلت السكين الى العظم وصار عليك قطع وانتهى أمرك الى هذا الحد وهل تعاند السكين صورة ليس لها من تركيب النظم الا ماحملت ظهورها أو الحوايا أو مااختلط بعظم ولو لحها الفاضل لحقق قوله أن خاطر سكينه كل أو أدركه ابن نباتة لما أقر برسالة السيف وفل وقال لعلم رسالته أطلق لسانك بشكر مواليك وأخلص الطاعة لمارد لك لم يقصد المملوك الايجاز فى رسالة السكين ونظمها الا لتكون مختصرة كحجمها لازالت صدقات مهديها تتحف بما يذبح نحر فقرى وتأتى فى كل حين بما يشفى داء الفقر ويبرى عنه وكرمه (تتمة) قوله بنان الافهام استعارة ركيكة فيها الكنة زرمية والطبع نزاع ولما قال الشاعر

نوائب غالتنى فأبدت فضائلى * فكانت وكنت النار والعنبر الوردا

فلولا علاء عشت دهرى كله * وكيس كلامى لا أحل له عقدا

قال ابن بسام كيس الكلام يضحك من برده ماء الملام وقد قال الصاحب كأ عجب من ماء الملام فى بيت أبى تمام حتى عذب عندنا بحلواء البنين فى قول المتنبى

وقد ذقت حلواء البنين على الصبا * فلا تحسبنى قلت ماقلت عن جهل

فكيف لو سمع استعارات هذا العصر كقوله (بقراط حسنك لا يزال على عالى)

وقول المصيصى

اذا كانت جفانك من لجين * فلا شك الغنى فيها ثريد

وقول ابن برد

يا شاعر الحسن بى ترفق * لا تقتلنى كذا بديها

وابن عمروان تبعه فعد ضعفه فى قوله

روى ليضرب وابتدهت بضربة * ان الطعان بداية الفرسان

انتهى وقوله حتى يتوارى بعضها فى بعض هو كقول الآخر فى كرسى المصحف

حملت على ضعفى الذى كلماته * لهيبتها ينصدع الجبل الراسى

تداخل منى البعض فى البعض هيبة * لان كتاب الله أضحى على راسى

ولظافر الحداد

انظر بعينك فى بديع صنائعى * وعجيب تركيبى وحكمة صانعى

فكأنما كفا محب شبكت * يوم الفراق أصابعا بأصابع

ونحوه قول ابن رشيق فى الدرع

كلما دارت بها أبصارنا * صورت فيها امثال الحدق

أوجست فى الحرب من وخز القنا * فتوارت حلقا فى حلق

وعكسه قوله فى سبحة

ومنظومة الشمل يخلو بها اللبيب فيجمع من همته

اذا ذكر الله جل اسمه * عليها تفرق من هيبته

ولابن عبد الظاهر فيها

وسبحة أناملى * قد شغفت بحبها * مثل مناقير غدت * ملتقطات حبها

وأما ذكره الحيض مع الذكورة فمعنى مشهور قديم كقوله

ومن العجائب أن بيض سيوفهم * تلد المنايا السود وهى ذكور

وممن تشرفت به متنبى ذلك الزمان

(عبد الباقى) ربيع مجد هطلت سحائب فضله وبحر شعر استخرج جواهره غواص ذكائه ونبله مشحوذ أسل العزمات مصقول حد همة تكل عندها ألسنة المرهفات تضيق عن جيد معاليه عقود التفاصيل والجمل ويلقى ظامئ المسامع منه ورداً عذباً لا يسأمه العلل والنهل وهو معجزة تحدى بها آل يافث وساحر ألقى العصا لكل من كان فى عقد البيان نافث أخلاقه تفضح نسيم الصبا فى الصباح وتسكر بنشأة شمولها أرواح الاقداح فيضحك حبابها على ثغور الكؤس المملوءة برضاب الراح

وهمته

قوله حتى يتوارى الذى تقدم [illegible]

وهمته لم تغمد صوارمها الا فى اجياد المطالب ولم تطأ أقدام أقدامه وعزائمه الا على هامات المناصب

قد حكى الصارم المحلى سوى * أن حلاه جواهر الآداب

وكان فى عنفوان عمره يحسن صناعة السروج وهو رخى اللبب طلق العنان لاعبه فى مضمارها الغب حتى رمقه ناظر السعد وابتسمت له مباسم المعالى والجد فتشرف بخدمة خاتمة المفسرين أبى السعود فرنا اليه الدهر بعين الرضى وعيون الخطب رقود فانتبه طرف سعده من نومة الخمول وتيقظ وقال الدهر انظر الى البخت والحظ فى قصة شرحها مطول وعلى الجد بعد معونة الله المعول فاظهرت ضمائر الايام ما كانت تنويه وصرفت له الجدود العاثرة كل رفعة وتنويه حتى تولى قضاء العساكر وراقت له من مشارب آماله الموارد والمصادر ولله فى تصريف الدهر ما يجعل الآمال أموالا ويقلب الامور حالا وحالا وكنت لما ألقيت بسدة الملك عصا التسيار ونفضت عن وجه الهمة قتير الاسفار رأيته وقد أحالت الليالى بنفسجه ياسمينا وبدلت سبج شعره المسود لجينا

صبغة الله الذى جل ومن يصبغ السود مبيضا سواه

وأنا بالروم أسير وفى قيود الغربة أسرح وأسير

ملاعب جنة لو سار فيها * سليمان لسار بترجمان

وبها من الشعر كل مصقول أطراف الحديث مشحوذ شبا اللسان اذا تليت لطائفه سجد لها اليراع وركع البنان مما هو أشهر من الامثال السائرة وأزهى من عيون أنوار الرياض الساهره عيون ناضرة الى ربها ناظرة ممن لبست بمسامرته حلل المسره وأخرجت بفاكهة العشرة من العسرة ثم انقشعت تلك الغمامة وانجلت وتلا لسان الدهر تلك امة قد خلت

ان الكرام قصيرة * أعمارهم مثل الشباب
وأرى اللئام تجاوزت * أعمارهم حد الحساب
باليتهم اذ يمرضوا * شمع تجسد فى التهاب
فاذا اعترتهم مرضة * فشفاؤها ضرب الرقاب

والديار اروم بالفضلاء والاشراف معمورة الاقطار بالأعيان والاطراف ومن

أجلهم استاذى زبدة المحققين ونتيجة مقدمات البراهين
(فخر الزمان سعد الدين بن حسن خان) كانت أيامه ربيع الافاضل وسدته محط رحال الآمال وسائلة المسائل تلقى عنده عصا التسيار وتنزل بحرم سعادته قوافل الأسفار والاسفار فهى قرارة ماء سالت به الاباطح وميعاد تلاقى كل سانح وبارح وقد جمع فيه من الكمال ما ليس له مثال وان ضربت به الأمثال أما خطه فابن مقلة بعينه وأما فصاحة لغاته فالابن دريد بجمهرته والخليل بعينه فلو رآه قس بن ساعده والاسود رابضة لديه ألقى له يد التسليم وساعده أيامه تواريخ النعم ومواسم الفضل والكرم فهو مجموعة عطارد ونسخة محاسنه التى قيد فيها شرر الاوابد جمع له من زهرة الدنيا من المال والبنين ما ملأ الملا والباقيات الصالحات خير عند ربك ثوابا وخير أملا فاجتمع فيه وفى نسله مالم تكتحل بمثله العيون حتى دلا الم غلبت الروم فى أدنى الارض وهم من غلبهم سيغلبون فهم ختام مسك العلوم والآداب (رب خير يجىء فى الخاتمات) ومقدمات هى نتائج العقول والالباب فهو مثل السلام فى الصلوات فتم به وبنيه السعد حتى أصابتهم عين الكمال ونزلت نجوم سعدهم من سماء المعالى الى حضيض الزوال ففاجأتهم أم قشعم بغتة بلا اعتدال فقلت فى ذلك وهو معنى لم أسبق اليه

مات من كان يستحى الدهر منه * وله السعد خادم فى المنازل
والمنايا تهابه فلهذا * جاءه الموت فجأة وهو غافل

وكان ممن أخذ عن المولى أبى السعود بن محمد بن مصطفى العمادى الاسكليبى ولد بقرية قرب القسطنطينية سنة ثمان وتسعين وتسعمائة ودفن بجوار أبى أيوب الانصارى وكان طويل القامة خفيف العارضين وتربى فى حجر والده يرضعه در فضله ويسقيه من منهل كماله حتى علا فرعه على أصله حتى رقى لمرتبة الافتاء بعد قضاء العسكرين فتزين الدهر برشحات أقلامه وأثمرت رياض الفضل بثمرات أرقامه وعيون سعده ناظره ورياض مجده ناضره الا أنه أفرط فى محبة المال والجاه قائلا فى ظل الملك وبارد هواه يهز نخلات تساقطت عليه رطبا جنيا وتناثرت نضير نضار مليا وهو أول من جعل تقديم الاطفال سنه فبقيت تلك السيرة كما سنه فصارت سببا لانطفاء نبراس العلم ودروسه وتعطيل أطلال رسومه ودروسه مع افتتانه بآثار دور وانع

كتبه وأشعاره

والمرء يفتن بابنه وبشعره * لكن ذلك فتنة العقلاء

على أنه لو قيل انه أشعر أهل جلدته فالرائد لا يكذب أهله فانه أدرى بشعاب حلته

فمن جز رمده الذى رواه طالع سعده قصيدته الميمية التى عارض بها المعرى

وأين الثريا من يد المتناول) وهيهات هيهات العقيق ومن سم الجنادل وأولها

(أبعد سليمى مطلب ومرام) وستأتى ان شاء الله تعالى بتمامها ومن صحبته بالروم

ابان الشباب فكان عونا لى على الزمان

(عبد الكريم بن سنان) فكنا نتراضع ثدى الكؤس ونتجاذب أهداب الانس

فى الدروس وهو اذ ذاك ناشر أودية الفضل والكرم وعامر أبنية الآداب والحكم

فكان كما قلت فى خطابه مثنيا على غرر آدابه

وأنت الذى عرفتنى طرق العلا * وأنت الذى أهديتنى كل مقصد

وأنت الذى بلغتنى كل رتبة * مشيت اليها فوق أعناق حسدى

وكان ينظم وينثر الالسنة ويكتب من الخط المنسوب أحسنه وله رسائل مشهورة

وكلمات على لسان الدهر مأثورة منها قوله فى ذى بطنه أخمدت نار الفطنة فلان

ضاعت أوقاته وغلبت على حسناته سيئاته متمحضا للفحص عن أحوال الناس

وأخبارهم متفرغا للنبش خبايا أسرارهم يسأل كل داخل عن الحوادث ويكثر

من البحث عن الناس وفيه مباحث فليته يعرف أن من غربل الناس نخلوه وان

من أظهر لهم الصعو بتدللوه فلهفى على اضاعة أوقاته فى حديث غث وكلام بارد رث

تمجه نفس السامع وتتلوث به المسامع ولو أكل لقمان عاد نجسا من التخم وألقاه

الى حيث ألقت رحلها أم قشعم وله اخوان تخالهم كلاب أو ذئاب عليها ثياب وكان

يتحرش بى حين سخنت عينه وحان حينه وقد قيل اذا جاء أجل البعير حام حول

البير

ياسالكا بين الاسنة والظبا انى أشم عليك رائحة الدم

ومن صحبته بالروم

(السيد محمد بن برهان الحميدى) كان أخى شقيقى وصنو روحى ورفيقى فاضل

حماه للمجد حوم وكريم يجلى بغرته صدأ الخطوب وتكشف الظلم وكان يوما عزلى

مع الاخوان فارادوا الجرى على العادة فى الدخان فأبى ذلك لانه يراه من منكرات الزمان فقلت له بديها

فديتك جد باذن للندامى * ليأتوا بالدخان بلا توانى
تريد مهذبا لاعيب فيه * وهل عود يفوح بلا دخان

فقال بديها وأجاد

اذا شرب الدخان فلا تلمنى * على لومى لابناء الزمان
من الاخوان أهوى طيب خلق * كمثل المسك فاح بلا دخان

﴿بيان أحوال الروم وانقراض علمائها ونشر الظلم والعدوان بين أمرائها﴾

لما انهدم من الفضل بنيانه وانقضت عمده وأركانه وقوضت خيامه واندرست رسومه وأعلامه وصار أمر الفتوى والقضاء والمناصب العلميه بعد العلامة شيخ الاسلام أسعد ملعبة وشعبذة وسخريه والمدارس مأوى الحمير وقلد القضاء من ليس فى العير ولا فى النفير ظهرت اشراط القيامه ولبس لباس الجهل من النعل الى العمامة وولى الامارة الفجار الاشرار فصار واأقسى من الحجارة وان من الحجارة لما يتفجر منه الانهار وقد قال أفلاطون اذا تسامح فى القضاة والأطباء دولة فقد أدبرت وقرب انحلالها قلت وكذا كثرة العزل والنصب وقد قيل آخر الدور سماجى فما حدث بها لما هجد الزمان فارتفع كل أسفل واتبعت نتيجة هذه الدولة الاخس الارزل أن فوضت صدارة العلماء ووجهت قيادة الفضلاء لشخص ملقب بأسود الحصى يفنى دون عدد معائبه الرمل والحصى فجرت بينى وبينه مخاصمه أدت الى المكابرة والمحاكمة فقلت فى وصفه مقامة هذه صورتها

اللهم انى أعوذ بك من الخبث والخبائث وألوذ بك يانور النور اذا دجت ظلمات الحوادث يوم تبيض وجوه وتسود وجوه ويبين كل منقوص حتى يفر منه أبوه وأخوه فانه عصاب من المصائب أن حمل على كاهل الدهر عيبة المعائب نسخة القبائح مسودة الفحش والفضائح جريدة العيوب تمثال السيآت والذنوب اكسير الفساد وشماتة الاعداء والحساد أنموذج الهموم أظلم من ليل المرض والغموم خط الرجال قائد جيش الدجال قبيح الفعل والقول اذا اعتذر عن اساءته غسل

الغائط بالبول لئيم غير ملوم أجور من قاضي سدوم فصدارته هجو الزمان واظهار لعداوة الأحرار والاعيان فلو لم يخسف بأهاليه لما ارتفعت أسافله على أعاليه

كالبحر يرسب في أسافله * درر وتعلو فوقه جيفه

جعل في بستان مزبل اذا أثمر البساتين حنظل ان لاح انسان جهول فهو لعينه أو ابليس تلبيس فذاك أستاذه وقرينه فلو عاين أحمد خداعه لحياه وأنشد

فلما نظرت الى عقله * رأيت النهى كلها في الخصا

ريقه الزقوم وأنفاسه السموم فهو لعين الدهر قذى لا ينطق بغير فحش وأذى الجهل رداؤه والجذام حليته وبهاؤه والجنون جنة له من الاعداء فذاته المكروهة عين السوداء ليس في خلقه من الحكم والاعراض الا أن تقف الاطباء على ما جهل من الامراض وتتضح به دقائق التشريح ويكثر رائيه من الاستعاذة والتسبيح تخرق منه الجسد فسكانه عيون تنظر من الحسد عرضه دنس مشقق ووجهه قرطاس الرماة مخرق أقبح من عسر بعد يسر لا يعرف انه انسان الا انه في خسر كانه منتن الافاه فاستتنه بخلا وكله بلاء لو سئل عنه ابليس لقال بلى يغلب بسلاح الوقاحة في المبارزه ويظن أن الرشوة مباحة لانها تسمى جائزه ويزعم لنفوذ أمره في الانام ان القول ما قالت حذام لا ما قالت أشأم من طويس وأثقل في السمع من ليس ومعنى يحمل لحية التيس يا عين الشوم وخليفة البوم وسلحة الزمان ونجاسة الديوان ألم يدر من صدرك ولم يخش عجرك وبجرك ان زوال الدول باصطناع السفل

ومن يكن الغراب له دليلا * يمر به على جيف الكلاب

يا خيبة الامل ومجمع السفل ونتيجة السقم وضن اليتم والعقم وعدو الادب وأسود اللقب أما استحى زمان حل في صدره الحصى وأصبح لصدر العلم والمعالي مرخصا ما در لديه حاتم والحجاج أعدل حاكم

لو كان يدري جده انه * يخرج من احليله لاختصى

قربه أقبح من الحرمان وبعده ألذ من وصل الحور والحسان قد نجس الأرض نجاسة لا يطهرها الطوفان قرة عين أبي جهل فهو ينشد له بكل لسان

نعلاي أطهر منه * والكلب أطهر مني

لايهتدى الى الصواب * حتى يشيب الغراب أو يستضئ شيطان بشهاب سفيه الذم حليته فيه وكل اناء يرشح بما فيه أمجد من هدهد فى خاوته خبير بأن يجنى العصا لسائر خدمته تحوى كم نصب وجر ودرام على مذاكرة مشتقة من الذكر رئيس ليس له صيت وسمعه لم يبت الاوفى دهليزه شمعه أنف بالعجب فى السماء وأست من الابنة فى الماء

كأنه فرعون الاأنه * من جانب الوجعاء ذو الاوتاد

كذاب فانظر وجهه وسواده كاغما ألبس الدين به حداد ء على السلف والخلف أكذب ما يكون اذا حلف حرافه فساد قدح شرر شره فساد فان كان أصله البار فهذا الخلف رماد مفلس من دينه وعقله يقول ابليس انما تركت السجود لآدم لانه من نسله أقبح من النقم وأسوء من زوال النعم أزنى من ظلمه وأمر من غمة على غمه لم يزل يبدى بانتقاصه الافاضل غرضا لانه من قوم فى قلوبهم مرض فزادهم الله مرضا لاخير فيه الاأنه لا يأثم له مغتاب بل يحمد ويجازى بجزيل الثواب لم يثلب وهو بهجر القول مغرم صب ومن ذا يعض الكلب اذا عضه الكلب

ان هجيه تهجو من فى الارض قاطبة * لانه من مياه الخلق قد جمعا

فان كان ذم الناس جل مناه فما الناس الا هو لاسواه لم تبقه لصحة مزاجه السنون واغا ذلك لانه عافته المنون وقد رفع عن هذه الامة المسخ فما باله عاد ممسوخا وتناهى النسخ للشرع فما باله عاد بصدارته منسوخا قاض لم يدرجه فما أحوجه الى الصلح وجوده غلط فى مصحف الدهر مفتقر الى المحو والحك نوريد المانوية الكلام على أن موجد الشر هو الظلام والتناسخية البيان على أن روح الحيوان تحل فى الانسان فلو لم ينقرض نسل آدم لما حكم هذا القرد فى العالم

فان لقبوه بالرئيس سفاهة ، فان الخصى تدعى رئيسا من الاعضا

واذا كان من الدين اعلان النصيحة لعامة المسلمين فعليك بالرأى الاسد فر من المجذوم فرارك من الاسد لانه محروم مجذوم ليس فيه من صفات العلماء الاأن لحمه مسموم حمى الله مزاج العصر من سارى مرضه وصان جوهر هذا الدهر عن عرضه وأنار بالزوال كسوفه وصرف بيد نفاد المنية زيوفه (والسلام)

(فصل) وقد أدى تصدر هذا وأمثاله الى اختلال فى الملك ونتن كان ما كان حتى

تضعضع الزمان ووهن وآل ذلك الى حصاد العلم والدين وان ورد فى الحديث لا تكرهوا الفتن فان فيها احصاد المنافقين فظهرت أشراط الساعة وصارت كلمة الفحش والشح مطاعه وفشا العجب والغرور وتقدمت أطفال صدرتهم أعجازهم فى الصدور واختلطت لا حساب والانساب وعمر ربوع المعالى ذو والعقول الخراب وسدت تكرمة الشرع للاطباء وأهل النجوم وباد الصقور الضاربة الغراب والبوم وصار شيخ السلوك طبيبا يحقن من أتاه والطبيب شيخا يقرب من أتاه الى الله وعلت الجند المنابر والكراسي وقال العبد للحر رأسك كراسي وولدت الامة ربتها وحاضت الدولة بعد اليأس فقضت عدتها وصار من فدى دينه بعبد العجل الذى حرث فداد ينه واستترت الاقطاب والابدال والنجبا واغترب أرباب العلياء واتخذوا سبيلهم فى البحر عجبا واعتمد بقية منهم الى ركن شديد اليه آوى وزكت القرود الشهود لما تولى القضاء ابن آوى

اذا ابتليت بسلطان يرى حسنا * عبادة العجل قدم نحوه العلفا

(عجيبة) لما نام الرأى والهوى يقظان ووسد الامر لغير أهله تصدر امرؤ رتب العجان كالاقحوان غداة غب سمائه * جفت أعاليه وأسفله ندى

فولى ابنه قضاء لتحت واذا انفتح الحانوت بان العطار من البيطار وقال للملك اذا سأله عنه نعم القاضى قاضى جبول فانه من السادة لا خيار وقد كانوا يشددون على القضاة فى اثبات غرة رمضان ولا يبالون فى غيره بزيادة ولا نقصان فلما هل شعبان وانقضى رجب خالف المثل وقال فى شعبان ترى العجب فأمر الناس بالامساك والصيام وقدم الغرة على المستهل بأيام ولم يكتف بذلك حتى أثبت غرة رمضان بشهود زور وبهتان فحار الناس فى أمره وسكتوا لخوفهم من شر أبيه ومكره فكتبت فى ذلك قصة رفعت للملك فى قصره وهى على لسان شهر رمضان

قصتى قد أتت اماما هماما تشتكى الظلم حين صرت مضاما
رقعة فى يد الهلال طواها * ليراها الملك فى العز داما
أنا شوال الفقير الذى قد * خص بالعيد والصلاة مداما
بعد شهر الصيام قد زرت قوما * جائعا أبتغى لهم اكراما
ولى العبد حلة وهلالى * لى طوق من فوق جيدى تسامى

(قوله على لسان الخ) كذا فى النسخ والذى تقدم القصة أن المشتكى شوال اه

رمضان اعتدى على وأمسى * سارقا ذاك لا يخاف ملاما
أتقاضى ما كان شعبان منه * سارقا فاعتدى على انتقاما
أختشي ذبحه بنصل هلالى * ثم سلخانه وتركى العظاما
ان دعوا الطول قيل ذا بركات * أنا شهر مبارك صرت عاما
غرقوا زورق الهلال بشهرى * وبحر الدجا لقد كان عاما
لا تضيع حقى بشاهد زور * هو أعمى بصيرة أو تعامى
جبهة الشاهد اكوها فهو رسم * لكذوب عن زوره ما تحامى
ان كى الخسوف للشمس ظلم * وكذا الدهر لم يزل ظلاما
دمت فى مطلع السعادة بدرا * يمحق الظلم نوره والظلاما

وكتبت بعد هذا

يا سيدا أفضى الزما * ن بانسه منه ربيعا
أيام دهرك لم تزل * للناس أعيادا جميعا
حتى لا وشك بعدها * عيدا لحقيقة أن يضيعا

أسبغ الله ظل الخلافة حتى يأوى اليها كل مظلوم وينتصف هلال شوال من رمضان فيعطيه حقه وينقد له دنانير النجوم فان ما جرى عليه فى هذا العام ما سمعت بمثله الليالى والايام ولكنه ما جار واعتدى وانما القاضى المنقوص أتى يبدل غلطه بدل بدا وقد أساء عليه كما أساء ابن الرومى فى قوله لما ضل وما اهتدى

شهر الصيام وان عظمت حرمته * شهر طويل ثقيل الظل والحركه
يمشى الهوينا فاما حين يطلبنا * فلا السليك يدانيه ولا السلكه
كأنه طالب ثأرا على فرس * أجد فى أثره طلوب على رمكه
أذمه غير وقت فيه أحمده * من العشاء الى أن تصدح الديكه
يا صدق من قال أيام مباركة * ان كان يكنى عن اسم الطول بالبركه
لو كان مولى وكنا كالعبيد له * لكان مولى بخيلا سيئ الملكه

(ولبعض الظرفاء)

أترى القاضى أعمى * أم تراه يتعامى
سرق العيد كأن العيد أموال اليتامى

وقلت

(وقلت)

سرق النجم والهلال أناس * فشكى الناس فرط جور القضاة
رب سلم شمس النهار فانهم * سرقوها نتيه فى الظلمات

وكانت هذه سبب الهلاكه وهلاك أبيه ووقع بعدها حريق اشتغل به الدهر وشابت نواصيه وعم ذلك بيوت علمائها فلم ينتبهوا من نوم الغفلة فى ظلمة بلائها وكم قرع لهم الدهر العصا وأمطرت السماء عليهم حجارة البلا وصب عليهم ربهم سوط عذاب فما رجع أحد منهم ولا تاب كما قلت

لعمرك قدعم الحريق بلدة * بها علماء السوء والجهل أظلما
ومن مالك وافى رسول حريقهم * دعاهم الى نار الجحيم جهنما
فقال اقفلوها واقبضوا اجرة لها * فان هدمت يبنى الذى قدتهدما
فطالبهم خزانها بوقودها * وماصرفوه فى زمان تقدما
فقال لهم رأس الضلال ضمانه * عليهم وان الغرم قدصار مغنما
ومن كثرة الدين المحيط بمالهم * أباح رشاقىد كان ربى حرما

(فصل) من طرف الاخبار وتحف هذه الديار التى لم ير مثلها أبو العجب وهو الفلك الدوار ماجرى على النسب العلوى من البليه وماعم من دخول أولاد النصارى فى فروع هذه الشجرة العليه من كل مكروه وغير مكره أمه معروفة وأبوه نكره غراب خرج من عش بلبل علوى صح نسبه عن الدلدل على أنه وحرمة البيت لوصح هذا الشرف لم يتسر و رقلبى على هذا النسب الطاهر من الاسف وكنت أتجاوز عن قولهم مولى القوم منهم فأقول حمار القوم منهم ولله در بشار فما أبصره مع عماه اذ قال فى دعى نسب ادعاه

أن عمرا فاعرفوه * عربى من زجاج
مظلم النسبة لا * يعرف الا بالسراج

(وله أيضا)

ارفق بنسبة عمرو حين تنسبه * فانه عربى من قوارير
مازال فى كير حداد يردده * حتى تداعى بناء مظلم نور

(وله أيضا)

هم قعدوا فانتقوا لهم حسبا * يدخل بعد العشاء فى العربه

حتى اذا ما الصباح لاح لهم * بين زيف لهم من الذهب

والناس قد أصبحوا صيارفة * أعلم شئ بزايف النسب

وأغرب ما فى هذا أن هذه الانساب المجهوله والدعاوى التى لا تقوم عليها أدلة مقبوله كان منشؤها من الفرى وقد قيل لاهلها أطرق كرا ووظفت عليهم الوظائف السلطانية وقد عم هذا سائر الناس الا العصابة العلية العلوية فالهرب من هذه الغرامه تعصبوا بهذه العصابة والعلامه والعلامة شأن من لم يشهر ونور النبوة يغنى الشريف عن الطراز الاخضر وأكثر هؤلاء الاتراك لو طلب منهم الحسن والحسين درهما ما أعطوه وتبرأوا من نسبه وقطعوا سببهم من سببه

وحق لمن قد صح تمييز عقله * اذا ما رأى الدينار أن يترك الفلسا

وقد جعلوا اخضرة العمامه علامة للسيادة المستلزمة للعدم والامامه وربما جعلوا فيها شطفه تدل على أن فيهم من النبوة والرسالة نطفه وقد يفرقون بين أولاد البنين والبنات ولم يفهموا مشاركة حطب الاغصان لهم والنبات ولم يدروا أنه حجة للنواصب وعدة لمصائب الدهر والنوائب

كأن الله لم يخلقه الا * لتنعطف القلوب على يزيد

وقد قال أصحاب التواريخ ان أول حدوث هذه العلامة كان فى سنة ثلاث وسبعين وسبعمائة لما أمر الملك الاشرف بمصر أن يميز الاشراف عن الناس بعصائب خضر فى العمائم فقال فيه عبد الله بن جابر الاندلسى

جعلوا لابناء الرسول علامة * ان العلامة شأن من لم يشهر

نور النبوة فى كريم وجوههم * يغنى الشريف عن الطراز الاخضر

وقال شمس الدين بن المزين

أطراف تيجان أتت من سندس * خضر باعلام على الاشراف

والاشرف السلطان خصهم بها * شرفا ليمتازوا من الاطراف

وفى الطبقات الكبرى للامام السبكى من أئمة الشافعية أحمد بن عيسى شارح التنبيه استنبط من قوله تعالى يا أيها النبى قل لازواجك وبناتك ونساء المؤمنين يدنين عليهن من جلابيبهن ذلك أدنى أن يعرفن فلا يؤذين ان ما يفعله علماء هذا الزمان فى

ملابسهم من سعة الاكمام والعمة ولبس الطيلسان حسن وان لم يفعله السلف لان فيه
تمييزا لهم وبذلك يعرفون فيلتفت الى فتاويهم وأقوالهم اه ومنه يعلم أن تمييز الاشراف
بعلامة أمر مشروع أيضا لما سمعته آنفا أقول فيه أمران الاول ان قولهم ان أول
ما جعل لباس الاخضر شعار العلويين فى زمن الملك الاشرف يرد عليه ما نقله السخاوى
فى كتابه مناقب العباس من أن عليا الرضى بن موسى الكاظم ابن جعفر الصادق بن
محمد بن على زين العابدين بن الحسين بن على بن أبى طالب رضى الله عنه عهد له الخليفة
العباسى وجعله ولى عهده بعده وبويع فغير لباس العباسيين وهو السواد بلبس
الاخضر فساء ذلك العباسيين ولكنه عوجل فانه مات سنة ثلاث ومائتين فى حياة
المأمون وعد ذلك من الالطاف لما فيه من سد باب الفتنة انتهى الثانى ما نقل من أن
زى العلماء والاشراف سنة رده ابن الحاج فى المدخل بأنه مخالف لزيهم فى زمن النبى
صلى الله عليه وسلم وزمن الخلفاء الراشدين ومن بعدهم من خير القرون فان قيل انهم به
يعرفون قيل انهم لو بقوا على الزى الاول عرفوا به أيضا لمخالفته لما عليه غيرهم الآن
وأطال فى انكار ما قالوه وقد يجاب عنه فتأمل فيه (تنبيه) العلامة التى توضع فى
فى العمامة تسمى شطفة وهو لفظ محدث لم يذكره أهل اللغة وكأنه بمعنى خرقة صغيرة من
قولهم فى شطف من العيش أى فى قلة وضيق فاعرفه فانى لم أر من تعرض له

﴿فصل﴾ فى أمراء الدولة وحكامها وما انتهى اليه حالها فى عهد السلطان مراد
فاعلم أن قسطنطينية بها حصون عالية البنيان محفوفة بالبساتين الرائقة والجنان
والحب ذو العصف والريحان والاوصاف التى تمزق برود الامكان وقصور عالية
البناء فيها أناس على مراتب الهمم مضمخة بعبير الثناء يفيض منها مياه الكرم وتجعل
بث ثر الشمر للجود أتم سلم وحولها أنهار جاريه ومعادن بأنواع الجواهر حاليه ذات
غور وأخاديد وأرحام حاملة أطفال الفلزات والمواليد تنبت اللجين والنضار وتبعث
خواتيم الله فى أرضه لاخذ كل درهم ودينار الا أن بها أسدا ضاريا غير مقلم الاظفار يمنع
يد كل جان من قطف تلك الازهار والتفكه بما فى جنانها من لذيذ الثمار ويحمى من
بتلك المساكن من أن يحوم حول جواهر المعادن الا اذا غنمت فرصة لبعض شطارها
على حين غفلة من الاسد اذا ذهب لبعض أقطارها اذا رام اقتناص الصيد أو ورد
غير أنهارها فيختلس من تلك الجواهر ويقتطف من أيادى الروض غصن الثمر

والازاهر فبينماهم على تلك الحال واقفين بين الآمال والاهوال رجفت الراجفة وجاءت سحابة تسوقها ريح عاصفه فيها وعيد ووعود غامرة بالبروق منادية بالرعود فدت ستائر السحاب وصبت على الارض سوط عذاب وظلت بالرعد صاعقه ورمت ذلك الضيغم بأعظم صاعقه فانشبت المنية فيه أظفارها وأخذت الايام منه ثارها فلم يزل جاثما بغنائمها باركا فى حومة فنائها والناس تهابه كلما عاينت جثته وتهرب منه وتخاف سطوته فلما راوه وقد طال جثومه وقعوده طال انتظارهم لمضيه لصيده وما كان يروده فدنوا منه قليلا قليلا فلم يروا له حركة تنفرهم فدنوا منه فرأوه قتيلا فجاسوا خلال الديار ووردوا الانهار واقتطفوا الزهور والثمار وأخذوا نفيس الجواهر والاحجار ومكث شطارهم زمنا طويلا يأخذون تلك المغانم آمنين من بطش الاسود الضراغم فلما علم ذلك من بالحصن من دهماء الاراذل لكثرة ترداده م آمنين فى هاتيك المنازل خرجوا جميعا لتلك الرياض واستولوا على البساتين والمعادن والغياض واقتطفوا جميع أزهارها وتجاوزوا عن اجتناء ثمارها القطع أشجارها وكان ما كان ان لم يدل على الحوادث ففيها النقصان ولله الامر من قبل ومن بعد واذا استولى النحس على قطرنفى السعد فما قام للدين عمود ولا اخضر للاعيان عود فبدت أهوال المحشر وقال قائلهم انما أكلت يوم أكل الثور الاحمر

من حلقت لحية جاره * فليسكب الماء على لحيته

ولما مرض التخت وكان الطبيب يود يا واليوم يوم سبت قلت

عندك فؤادى وحفك ارتحلا * وكان بالقصر قبل ذا نزلا
يا عادلا عن رضاء خالفه * صدقت ان قلت انه عدلا
لست لعذل أصيح مرتقبا * أن سبق السيف عنده العذلا
فانه قد أتى به مثل * ولست ممن يكذب المثلا
سررت من دولة ظفرت بها * ومن سرور النفوس ماقتلا
مات مراد الورى ومالكهم * تبا لدهر بمثله بخلا
أبعده زهرة الحياة زهت * أو أثمرت فى رياضها أملا
قالوا الليالى حبلى فعلت لهم * قد وضعت يومة ببيت خلا

مابال مولاى فى وزارته * يرفع فوق الافاضل السفلا
يأذن لى حاجب بسدته * وهولباب الدخول قدقفلا
ولى انصراف عنه بلاسبب * فماله قدتكلف العللا
مودة تشتهى مزورة * عنها حتى ذا المريض حين قلى
كم جنب كنت قبل تخدمه * عادية اليوم ما الذى فعلا
ان أجنب الملك اذدعاك الى * خدمته هل أراه مغتسلا

ولما انتهت الرحله وساق الامل الى الوطن رحله شغرت ماجناه على الزمان وعلمت أن الدهر قدهم بالاحسان وعملت بقول أبى العلاء المعرى أمافساد الزمان والناس فاحلف ماحلم الاديم وان ذلك لداء قديم والهرة بنت النمره والسمرة أخت السمره وبقول البديع لماشكى له ابن فارس فى رسالة له الاستاذ يقول فسد الزمان وأنا أقول متى كان صالحا فى الدولة العباسية وقد رأينا آخرها وسمعنا أولها أم فى الدولة المروانية وفى أخبارها لاتكسع الشول بأغبارها أم فى السنين الحربية والسيف يغمد فى الطلا والرمح يركز فى الكلا والحرتان وكربلا أم فى الهاشمية والعشرة تراس من بنى فراس والامام والبعير فى الحجاز والمبعوث على الأعجاز أم فى الامارة العدوية وصاحبها يقول هل بعد الركوب الا النزول أم فى الخلافة التيمية وهو يقول طوبى لمن مات فى أناة الاسلام أم على عهد الرساله ويوم الفتح قيل اسكتى يافلانه فقد ذهبت الامانه أم فى الجاهلية ولبيد يقول

ذهب الذين يعاش فى أكنافهم * وبقيت فى خلف كجلد الاجرب

أم قبل ذلك وأخو عاد يقول

بلاد بها كنا ونحن من أهلها * اذ الناس ناس والزمان زمان

أم قبل ذلك وقد يروى عن آدم

تغيرت البلاد ومن عليها * فوجه الارض مغبر قبيح

أم قبل ذلك وقد قالت الملائكة أتجعل فيها من يفسد فيها ويسفك الدماء مافسد الناس وانما اطرد القياس وما أظلمت الايام وانما امتد الظلام وهل يفسد الشئ الا بعد الصلاح ويمسى المرء الا عند الاصباح وهذا مأخوذ من قول على كرم الله وجهه فى بعض خطبه أيها الذام للدنيا المغتر بغرورها تذمها وأنت المتجرم عليها أم

هي المجرمة عليك متى استهوتك أم متى غرتك أبمصارع آبائك من البلى أم بمضاجع امهاتك تحت الثرى كم علات بكفيك ومرضت بيديك ان الدنيا دار صدق لمن صدقها ودار عافية لمن فهم عنها ودار غنى لمن تزودمنها ودار موعظة لمن اتعظ بها مسجد عباد الله ومهبط ملائكة الله ومتجر أولياء الله اكتسبوا فيها الرحمه * وربحوا بها الجنه فمن ذا يذمها وقد آذنت ببينها ونادت لفراقها ونعت نفسها وأهلها فمثلت لهم ببلائها البلى وشوقتهم بسرورها الى السرور وهي خطبة طويلة وقد حذا هذا الحذو صاحبنا الفاضل الكامل جامع شمل الفضائل القاضي أويس الرومي فانه لما ظهر الخوارج في زمن السلطان أحمد سلاه كتب له رؤيا واقعة باللغة التركية ولكونها ليست على شرطنا تركناها (تنبيه) قولي مزورة هي اسم طعام يطبخ من غير لحم للمريض الذي يحتمي ولهذا تظرف كشاجم في هجو من ادعى الشرف فقال

شيخ لنا من مشايخ الكوفه * نسبته للمريض موصوفه
لو مسخ الله قمله غنما * لم يعط منها السائل صوفه

فقوله نسبته الخ كناية فيها نكاية

(سانحة) سميت هذه الرحلة ريحانة الندماء وشمامة الادباء الظرفاء وفاكهة الاعيان والفضلاء لاني ذكرت فيها الاحباب ممن هو موجود فكاني بذكره أستنشق بالآذان طيب عطره وممن هو مفقود فبالثناء عليه والدعاء كأني أهدى له ريحانا وأضع في القلوب من طيب أحواله طيبا لان قلوب الاحرار قبور الاسرار بل قبور الاخيار لانهم سر من أسرار الله وفي كلام بعض الكبار اذا تحيرتم في الامور فاستعينوا بأصحاب القبور وليس بحديث كما زعمه ابن كمال باشا في أربعينياته وفيها موضوعات أخر فلا تغفل عنه كجهلة الاروام وقد قال لي بعض من رأيته من أرباب الاحوال المراد بالقبور فيه القلوب لما مر وانما خصصتها بالريحانة لانها يشبه بها المحبوب وقد قال النبي صلى الله عليه وسلم في الحسن والحسين هما ريحانتاى وسأل أبرويز بعض ندمائه عن روائح الرياحين فقال رائحة النرجس كرائحة الشباب ورائحة الورد كرائحة الاحباب ورائحة الريحان كرائحة الاولاد ورائحة المنثور كرائحة الاصدقاء وانما خص هؤلاء بالريحان لان الله أنبته نباتا حسنا غضا طريا سريع

الزوال ولا يتمتع به كغيره فاذن أقول (أمن ريحانة الداعي السميع) أو أقول قول محمد ابن المعدل

من يهدريحانا فاني مهدى * ريحانة الحمد لاهل الحمد

أو كقوله

وريحان النبات يعيش يوما * وليس يموت ريحان المقال
فلاتك موثرا ريحان شم * على ريحان أسماع الرجال

(تتمة) لم يزل الناس على وضع الريحان ونحوه من الخضر على القبور وقد وردهذا في الحديث وفي الاشعار كقول العتبي في مرثية ابن له

كان ريحاني فأمسى * وهو ريحان القبور
غرسته في بساتين البلى أيدي الدهور

وعليه عمل الناس الى الآن حتى وقفوا الثلث أوقافا وأنكره ابن الحاج في المدخل والخطابي فقال شق النبي صلى الله عليه وسلم له والقاؤه على القبر وقوله لعله يخفف عنهما مالم ييبسا كما في البخاري وغيره انما هو ببركة مس يده له وجعل بقاء الرطوبة حدا لما رفع به المسألة من تخفيف العذاب لان في الجريد الرطب معنى ليس في اليابس والعامة يفرشون الخوص على القبور فكأنهم ذهبوا الى هذا ليس له وجه انتهى ورده العلامة ابن حجر في شرح البخاري فقال انه عليه الصلاة والسلام أخذ جريدة رطبة فشقها نصفين فغرز في كل قبر واحدة الى آخره وأنكره الخطابي وغيره وقال انما هو ببركة يده أولا مر مغيب علل في قوله ليعذبان الى آخره ولا يلزم من كوننا لا نعلم تعذيبه وغيره انا لا نتسبب في أمر يخفف عذابه كما ندعو له بالرحمة ولم يصرح في الحديث بمسه له وقد تأسى به بريدة الصحابي فأوصى بوضع الجريدة على قبره وهو أولى أن يتأسى به انتهى ولك ان تقول انه معقول المعنى أيضا ومما قلت في هذا

غصن من الريحان رطب اذا * عاينته حزت نعيم الصفا
ولو على قبر امرئ عاشق * مر لاضحى قائما واشتفى
كذا رطيب الغصن من غرسه * يرى عذاب القبر قد خففا

وأنشد بن عربي في المسامرة ما يدل لما قلناه وهو قوله

في القبر أسرار يراها الذي * عنه غطاء الحسن مكشوف

عاينت قوما عذبوا في الصدى * كان لهم نقص وتطفيف
فهل لغصن البان من غارس * بقبرهم اذ فيه تخفيف
مادام رطبا يانعا أخضرا * ولم يعم الغصن تجفيف
وفي تأسينا به عصمة * منجية منه وتشريف

وفي هذا تأييد لما قاله ابن حجر تغمده الله برحمته

(فصل) عزم عزمي على شد الرحال وزم مطي الاماني والآمال والهجرة عن مصر لما افتقد فيها الدين والدنيا والكمال فثبطني قول عبد المحسن الصوري لاسعد الفخري لما كتب اليه

أعبد المحسن المرجو لم قد * جشمت جثوم منهاض كسير
فان قلت العيالة أقعدتني * على مضض وعاقت عن مسيري
فهذا الدهر يحمل هضب رضوى * ويستغني بركن من ثبير
اذا استحيا أخوك ولا تظلما * فتل أخيك موجود النظير
ففارقه لكي تلقي كريما * تزول بقربه احن الضمير
فما كل البرية من تراه * وما كل البلاد بلاد صور

(فأجابه)

جزاك الله عن ذا النصح خيرا * ولكن جاء في الزمن الاخير
وقد حدث لي السبعون حدا * نهاني عما أمرت من الامور
ومذ صارت نفوس الناس حولي * قصارا عدت بالامل القصير

فقلت لما حل العقل مبرم عقاله وقطع العزم شكال أشكاله لست برجل قصعة وثريد ولا حلسا يعهد للعجائز والعبيد وهذا رأي فطير والارض واسعة ولست بعاجز ولا كسير ومن النواصح ليت ولعل وكل كنتي عل وقد قلت

ترحلت عن أرض يهان بها العلا * فقالت أبعد الشيب تنأى عن الاهل
فقلت مشيبي وقد فوق هامتي * مشاعل أسفاري وقد قربت رحلي
فان خفت طعن السن فالطعن قاتل * لفقري محي لما ترى والفضل

فسمعنى النجائب اني على طي آفاته لجسور وسيدري الدهر اني على كثرة مكائده صبور ألم تسمع قول البرقعي

رأت عزماتي وطول انكماشي * وطول التململ فوق الفراش
وقالت أراك أخاهمة * ستبلغها فترى ذا انتعاش
فهلا أقمت ولم تغترب * فعلت القناعة طبع المواشي

(فصل) لما بنى بهذه الدولة المدارس الجليله ورتبت الوظائف والعوائد الجميلة ليرتفع منار العلم والدين وتشرق شمس الفضل من مطالع اليقين قالت الدنيا الدنيه عكس القضيه قضيه فكان ذلك سبب اندراس معالم العلوم ومحو آثار اطلالها والرسوم ودروس الدروس وتقدم الجهلة بشفاعة الرهبان والقسوس حتى آلت الى الاطفال والعبيد لما انتصب للتميز كل جبار عنيد حتى تولى قضاء العسكرين بعض العلوج وقام على رؤس الرؤس الموالى والزنوج

ولو كان عبدالله مولى هجوته * ولكن عبدالله مولى مواليا

فكان اذا مر في الطرقات قالوا عبد لبس ثياب مولاه فلو رآه مولاه أوجعه سبا ونفاه فتذكرت بهذا قول علي بن محمد يهجو العباس بن الحسن لما تولى الوزارة

وزارة العباس من نحسها * تستملح الدولة من أسها
شبهته حين بدا مقبلا * في خلع تخجل من لبسها
جارية الكسوة قد قدرت * ثياب مولاها على نفسها

وفي تاريخ الاندلس في اختلال دولة المنصور بن أبي عامر وقد تربص أعداؤه في كل مركز أن تدور عليه الدوائر وظل سعده مقعدا بعدما كان المثل السائر أن بعض الشعراء هجا دولته ووجدها المدبر عاثر فقال

اقترب الوعد وحان الهلاك * وكل ما تحذره قد أتاك
خليفة يلعب في مكتب * وأمه حبلى وقاض يناك

حتى آلت الخلافة ببغاء في قفص اذا رأى نقد الرشا نهق ورقص ولم يدر أنه من بني أساس داره أعلاه قصارى قصره أن يهوى به في الهاوية ما بناه حتى تجبر وطغا وقال أنا ربكم الاعلى فأهلكه الله أشد الهلاك وأنزله الى حضيض المذلة بعد ماسما السماك ورد غربته في دنياه الى الهاوية التي هي مقره ومأواه وخذل من كان أغواه كما قلت

ياعلماء السوء لي مشكل * بقادح الاحزان يرديني

مالذة الكفرفتردونه * لاجل شهوات الشياطين
وغربة الدين كما قدبدا * وفقده الآن يعنيني
ومدة المفقودقد كملت * فرحمة الله على الدين

ونقلت من خط خاتمة العلماء الاعلام نورالدين العسيلي مما أنشدنيه غير واحد من أعيان الفضلاء وفضلاء الاعيان قصيدة واحد الزمان انسان العين وعين الانسان خاتمة المحققين ومسك ختام المدققين مولانا خوجاجلبي أفندي مفتي الممالك الروميه وقاضي العساكر الاسلاميه المترجم من قبل اسناذنا جوهر الكمال المكنون وعالم الربع المسكون العلامة شمس الدين محمد المعوسي التونسي بسماعي منه غير مرة بما لفظه ماأحسب أن بعد السيد الجرجاني مثله وناهيك بمثل هذا التقريظ الغالي من مثل هذا الجناب العالي ولعمري انه بمثل ذلك لجدير وانه على ذلك لقدير وهذه الميمية من أدل دليل على صحة هذا المدعى وأوضح سبيل لسلوك هذا المبتغى اذ مثل هذا النفس الذي لو وقع لمثل المتنبي لاقر الناس بمعجزته أولابي تمام ماأمكن لحاسديه الحاق النقص بمرتبته أوللبحتري لتبصر الاعمى خطأ من وسم شعره بعبث الوليد ولساعده غير لبيد أولو أخطأه عبيد لساعد مع جر الكلام الامع العميد خصوصا من لم يسلك ديار العرب ولا أطله بيت شعر ولا شرق ولاغرب ولامضغ شيحها وقيصومها ولا أجتنى أراكها وتنومها أوضح برهان على رسوخ القدم في فنون الادب وابين تبيان على بذل الجد والدأب حتى انقاد الأبي ودنى القصي وأطاع العصي

وليس على الله بمستنكر * أن يجمع العالم في واحد

وهذه الميمية المشار اليها

أبعد سليمى مطلب ومرام * وغير هواها لوعة وغرام
وفوق حماها ملجأ ومثابة * ودون دارها موقف ومقام
وهيهات أن يثني الى غير بابها * عنان المطايا أو يشد حزام
هي الغاية القصوى فان فات نيلها * فكل من الدنيا على حرام
سلا النفس عنها واطمأنت لنأيها * سلو رضيع قد عراه فطام
وصب سقاه الدهر سلوان رشده * فأمسى ومافي القلب منه هيام

صحا عن سلاف الغي بعد انهماكه * عليه فبان الكاس عنه وجام
محوت نقوش الجاه عن لوح خاطري * فأضحى كأن لم يجر فيه قلام
كدأب ديار قد عفتها يد البلى * فلم يبق فيها أرسم وعلام
نسيت أساطير الفخار كأنها * حديث ليال قد محاه عبام
أنست بلأواء الزمان وذله * فيا عزة الدنيا عليك سلام
الى كم أعاني تيهها ودلالها * ألم يأن عنها سلوة وسآم
وقد أخلق الأيام خلعة حسنها * فأضحت وديباج البهاء رمام
على حين شيب قد ألم بمفرقي * وعاد دهام الشعر وهو ثغام
طلائع ضعف قد أغارت على القوى * وثار عبيدان المزاج قتام
فلا هي في برج الجمال مقيمة * ولا أنا في عهد المجون مدام
تقطعت الاسباب بيني وبينها * ولم يبق فينا نسبة ولئام
وعادت قلوص العزم عنها كليلة * وقد جب منها غارب وسنام
كأني بها والقلب زمت ركابه * وقوض أبيات له وخيام
وسيقت الى دار الخمول حموله * يحن اليها والدموع رهام
حنين عجول غرها البو فانثنت * اليه وفيها أنة وبغام
وما مستهام تاه في تيه حيرة * فلم يستبن خلف له وأمام
غريب عن الاوطان ناء عن الورى * مباءته عرض الفلا وأكام
يروح ويغدو في دموع وغصة * وليس سواها مشرب وطعام
بأقطع حالا منه ان بلاءه * عظيم جسيم لا يطاق عقام
يسيح بتيماء التحير مفردا * ولي مع صحبي عشرة وندام
أعاشرهم والقلب ليس بحاضر * وهل هو الا محنة وغرام
فكم عشرة ما أورثت غير عسرة * ورب كلام في القلوب كلام
لقد تمت أزمان المسرة وانقضت * لكل زمان غاية وتمام
فسرعان ما زالت وولت وليتها * تدوم ولكن ما لهن دوام
عصور وأحقاب تمر وتنقضي * وليس لها في الانقضاء نظام
دهور تقضت بالمسرة ساعة * وان تتولى بالمساءة عام

فلله در الـغم حيث أمـدنى * بطول حياتى والغموم همام
أرى عمـر نوح كل آن يمـربى * وما حام حام حول ذاك وسام
فما عشت لا أنسى حقوق صنيعه * وهيهات أن ينسى لدى ذمام
كما اعتاد أبناء الزمان وأجمعت * عليه فئام اثر ذاك فئام
تبدلت الاوطار والحل عقدها * وزال عن أدوار الزمان نظام
وراح عن الايام نور ورونق * وطبق أكناف البلاد ظلام
خبت نار أعلام المعارف والهدى * وشب لنيران الضلال ضرام
وكان سرير العـلم صرحا مردا * يناغى القباب السبع وهى عظام
متينا رفيعا لا يطـار غـرابه * عـزيز امنيعا لا يكاد يرام
مهيبا ومحمى للـكـريم وأهـله * أعزة أهـل العالمين كرام
محط رحال للاجـلـة قبـلة * لكل امام يقتـديه امام
مطافا لارباب الفضائل والعـلا * فهـم جثوم حوله وقيـام
يلوح سنا برق الهدى من بروجه * كبرق بدا بين السحاب يشام
له شرف قـد جـل عن أن يناله * غوائل أيدى الحادثات قدام
فجرت عليـه الرامسات ذيولهـا * فخرت عروش منه ثم دعام
محى الذاريات الهوج آيات حسنه * فـلم يبق منهـا آية ووسام
وسيق الى دار المهـانة أهـله * مساق أسير لا يزال يضـام
كذا تحـكم الايام بين الورى عـلى * طرائق منهـا جائر وقوام
فما كل قيـل قيـل علم وحكمة * وما كل أفراد الحديد حسام
فللدهر تارات تمر عـلى الورى * نعـيم وبوس صحـة وسقام
ومن يك فى الدنيـا فـلا يعتبنها * فليس عليهـا معتب وملام
أجـدك ما الدنيـا وماذا متاعها * وماذا الذى تبغيه وهو حطام
وما هى الا زحمـة ومشقـة * ولم ير فيها راحـة وجمام
تشكل فيها كل شئ بشكل ما * يعانده والناس عنـه نيام
فعـز بهون والهوان بعـزة * تنبـه فهاتيك الحياة منـام
وجانب عن اللذات واهجر زلالهـا * وأيقن بان الرى منـه أوام

يرى النقص فى زى الكمال كأنما * على رأس ربات الجمال عمام
ولو زاحت استارا لحقائق لانجلت * لديهم كنوز أبرزته كمام
وظلوا حيارى قارعى سن نادم * على مامضى والغافلون ندام
فما كان فيها غب مامر وانقضى * حلوم أراها للنيام نيام
وما هو عند السالكين الى الهدى * حقيقا بان يلوى اليه زمام
فدعها وما فيها هنيئا لاهلها * ولا يك فيها رغبة وسوام
يعاف العرانين السماط على الخوى * اذا ماتصدى للطعام طغام
على انها لا يستطاع منالها * لما ليس فيها عروة وعصام
ولو أنت تسعى اثرها ألف حجة * وقد جاوز الطيبين منك حزام
رجعت وقد ضلت مساعيك كلها * بخفى حنين لا تزال تلام
هب أن مقاليد الامور ملكتها * ودانت لك الدنيا وأنت همام
جبيت خراج الخافقين بسطوة * وفزت بما لم يستطعه امام
ومتعت باللذات دهرا بغبطة * أليس بحتم بعد ذلك حمام
فبين البرايا والخلود تباين * وبين المنايا والنفوس لزام
قضية انقاد الانام لحكمها * وما حاد عنها سيد وغلام
ضرورية تقضى العقول بصدقها * سل ان كان فيها مرية وخصام
سل الارض عن حال الملوك التى خلت * لهم فوق فرق الفرقدين مقام
أساطين معروفون فى كل مشهد * صناديد عز طاط كون كرام
مشاهير فى الآفاق شرقا ومغربا * يشير اليهم حاجب وبنام
بابوابهم للوافدين تراكم * باعتابهم للعاكفين زحام
لديهم ألوف من خميس عرمرم * له شوكة تسبى النهى وعرام
ترد عيون الناظرين كليلة * وان كان فيها حدة وزعام
فهل هم على ماهم عليه وحولهم * من العز جند يحضرون لهام
وما بال ذى الاوتاد ما خطب قومه * وما صنعت عاد وأين ارام
وما شاد شداد فهل هو خالد * بجنته والعيش منه مدام
وطف بالاد خف عنها قطينها * فأوطنها يوم يصيح وهام

وناد قصور راق دعفت غرفاتها * كأن بفنا رسمهن رجام
تحدث عن أسرار الشؤون التى جرت * عليهم جوابا ليس فيه كلام
بان المنايا أقصدتهم نبالها * وماطاش من مرميالهن سهام
فسيقوا مساق الغابرين الى الردى * فأقفر عنهم منزل ومقام
وحلوا محلا غير ما يعهدونه * وليس لهم حتى القيام قيام
ألم بهم ريب المنون فغالهم * فهم تحت أطباق الرغام رغام
وأمسوا أحاديثا وأصبح ملكهم * هباء وباد التاج ثم وهام
فسبحان رب العرش ليس لملكه * فناء وحد مبدأ وختام

﴿ بيان حالى فى خبر المبتدا وسبب اقتدائى بالهجرة النبوية وما عدا فيما بدا ﴾

سألتنى أعزك الله عن ابتداء حالى وما آل اليه أمرى مما لم يجر على أمثالى ولولا الالحاح فى طلب الجواب لما كان لهذه الجملة محل من الاعراب فها أنا رافع اليك القصة ومسيغ بماء البشر هذه الغصه

ولا بد من شكوى الى ذى مروءة * يواسيك أو يسليك أو يتوجع

قد كنت بعد سن التمييز فى مغرس طيب النبات عزيز فى حجر والدى متعانا بذخائر طريفى وتالدى مربى بغذاء على الظاهر والباطن فى النعيم المقيم بارفع المساكن ومعام والدى غنى عن المدح والوارق بأوكارها لا تعلم الصدح فلما درجت من عشى قرأت على خالى سيبويه زمانه علوم العربية فجثوت بين يديه على الركب ونافست اخوانى فى الجد والطلب ثم ترقيت فقرأت المعانى والمنطق وبقية علوم الادب الاثنى عشر ونظرت كتب المذهبين مذهب أبى حنيفة والشافعى مؤسسا على الاصلين من مشايخ العصر متنزها فى حدائق السحر موشحا آدابى بحلل النظم والنثر

فلولا الشعر بالعلماء يزرى * لكنت الآن أشعر من لبيد

ومن أجل من أخذت عنه شيخ الاسلام ابن شيخ الاسلام الشمس الرملى حضرت دروسه الفرعية وقرأت عليه شيأ من مسلم فأجازنى بذلك وبجميع مؤلفاته ومرو ياته بروايته عن شيخ الاسلام القاضى ذكريا الانصارى وعن والده وجلالة قدره أشهر من الشمس كما قلت فيه

فضائله عد الرمال ومن يكن * ليحصره معشار الذى فيه من فضل

فصل

فعل لفتى قد رام احصاء مجده * تربت استرح من جهد عدك للرمل

ومنهم شافعي زمانه القطب العارف بالله تعالى الشيخ نور الدين الزيادى زاد الله حسناته حضرت دروسه زمانا طويلا وهو كما قلت فيه

لنور الدين فضل ليس يخفى * تضيء به الليالى المدلهمه

يريد الحاسدون ليطفئوه * ويأبى الله الا أن يتمه

ومنهم العلامة فى سائر الفنون على ابن غانم المقدسي الحنفي حضرت دروسه وقرأت عليه الحديث وكتب لى اجازة بخطه ومنهم العلامة الفهامة خاتمة حفاظ المحدثين ابراهيم العلقمى قرأت عليه الشفا بتمامه وأجازنى به وبغيره وشملنى نظره وبركة دعائه لى وغير ذلك مما لا يعد ومن أخذت عنه الأدب والشعر شيخنا العلامة أحمد العلقمى والعلامة محمد الصالحى الشامى والعناياتى ومن أخذت عنه العروض الشيخ محمد المغربى المعروف بركروك ومن أخذت عنه الطب الشيخ داود البصير ثم ارتحلت مع والدى للحرمين الشريفين وقرأت ثمة على الشيخ على بن جار الله وعلى حفيد العصام وغيره ثم ارتحلت الى القسطنطينية فتشرفت بمن فيها من الفضلاء والمصنفين واستفدت منهم وتخرجت عليهم وهى اذ ذاك مشحونة بالفضلاء الأذكياء كابن عبد الغنى ومصطفى بن عربى والحبرداود وهو ممن أخذت عنه الرياضات وقرأت عليه اقليدس وغيره وأجلهم اذ ذاك أستاذى سعد الملة والدين ابن حسن ولما توفى قام مقامه صنع الله ثم ولداه ثم انقرضوا فى مدة يسيرة فلم يبق بها عين ولا أثر وصار الدين ملعبة ومسخرية وآل الأمر الى اجتراء السلاطين والوزراء بقتل العلماء واهانتهم ولما عدت اليها ثانيا بعد ما توليت قضاء العساكر بمصر رأيت تفاقم الامر وغلبة الجهل فذكرت ذلك للوزير ظننا بأن النصح يفيد فاذا هو كما قيل

هو الوزير ولا أزر يشد به * مثل العروض له بحر بلا ماء

فكان ذلك سببا لعزلى وأمرى بالخروج من تلك المدينة واظهار العداوة ممن هو فى زى العلماء مع انه لم يبق بها أحد يحسن قراءة الفاتحة وفى أثناء ذلك بعد أن من الله تعالى على بالسلامة من كيدهم ومكرهم كتبت رسالة لبعض رؤسائهم وهذه صورتها

رأيت الدهر يرفع كل وغد * ويخفض كل ذى شيم شريفه

كمثل البحر يغرق فيه حى * ولا ينفك تطفو فيه جيفه
أو الميزان يخفض كل واف * ويرفع كل ذى زنة خفيفه

الحمد لله الذى جعل الدنيا الخافضة الرافعة للسفل الانذال لا تستقر على حال تتسلم من القذاء والزوال والصلاة والسلام على من لم يرض شيء منها يصطفيه وعلى آله وصحبه الذين اقتدوا به فى كل ما يرتضيه وقد قيل ان الدهر معلم اذا لم يتعلم منه عقب واذا تعلم أدب وهذب ولم نر معلما أحسن تعليما من زمان ولا متعلما أسوء تعلما من انسان وكم ذا بنى وقرع لى العصا فغشنى رائد الأمل وعصى وأنسانى عظته أمراض لا تحس وعلل نبضها بتبيان البيان لا يجس حتى لزمت حمية الحميه ولازمت الازم عن ذوق نعمها الشميه ولكل شيء حمية فحسن الاعتقاد حمية الجنان ولزوم الصمت حمية اللسان كما أن التوقى من الطعام والشراب حمية الأبدان فان أكثر العلل والأوصاب يكون من الطعام والشراب

ومن يلق ما لاقيت فى كل مجتنى * من الشوك يزهد فى الثمار الاطائب

والاخدان والخلان وان كانوا فاكهة الزمان فهى سريعة الاستحاله شديدة الضرر لا محالة وعما يعين على الداء الذى لا ينفع معه الدواء البعد عن الارض الوخيم الهواء كالمدينة الخضراء معدن البلاء والاسواء وكم كنت أتمنى البعد عنها وأود الخلاص من أهلها ومنها حتى اتصلت بولى امتنى بالحرمان وقد كان الناس يعنون بروائع الاحسان فعاقبنى بالبعد عن سدته ولم يا رأن من أعظم المنن عدم رؤيته ولم أر مثلى ومثله الامثل اعرابى بواسط بال فيها فحبسه لذلك الحجاج مع مجرميها فلما انطلق خرج منها وقال بديها

اذا نحن جاوزنا مدينة واسط * خرأنا وبلنا لا نخاف عقابا

ومؤمل النفع من اللئام كزارع السمسم فى الحمام وكنت منتفعا من دونه انتفاع ناكح عروس فى الأحلام هب من نومه بجنابة واجرة الحمام فكأنى لم أسمع قول القائل

اذا ما الليالى جاورتك بناقص * وقدرك مرفوع فعنه تحول
ألم تر ما لاقاه فى جنب جاره * كبير اناس فى بجاد مزمل

فكما أن الكامل بصحبة الناقص ينقص (بجيرانها تغلو الديار وترخص) ولكن الذى غر آمالى فى الترقى والصعود لرتب المعالى ما عهدناه من الشرف الباذخ فى صميم الموالى

من كل صحيح النسب فسيح الادب من أى أقطاره أتيت انثنى اليك بكرم المقال وحسن الفعال

جميل المحيا والفعال كأنما * تمنته أم المجد لما تمنت

من ركب مطايا الامل لشكره رأى وراءه حاديا من بره ظاهر الفضل والآداب سالم من دنس الجهل ووسخ الاحساب وقد كان هذا اذا أوعد وقعقع سنه وأبرق وأرعد أقول برق خلب و(سحابة صيف عن قريب تقشع) وما كل ذنب تسمع أعداره ولا كل مجنون تصيب أحجاره وان كان قيل

واذا المجنون قال سأرميك فهي للرأس منك عصابه

وقد سمع النحاة الاوائل يقولون اذا اجتمع فى لفظ عاقل وغير عاقل غلب العاقل فانتقضت الاحكام حتى فى الكلام فغلب غير العقلاء من الجهله وارتفع العدل مع السلسله وعلا قطاع الطريق وملك السيد الرقيق وسار الرعاة ذئابا والغنم والشياه كلابا وقد كان بعض الحكماء قال لسلطان لو جعلت حكماءك وزراءك ووزراءك حكماءك أصبت لان حكماءك يحكمون القتل ووزراءك لا يقدرون على ذلك وبرأى هكذا الحكيم عمل الناس الآن فجعل المجنون والحكماء حكام شريعة المصطفى وطرد رئيسهم العلماء ونفى

انفوا المؤذن من بلادكم * ان كان ينفى كل من صدقا

فصار المدعى ينظر فى قاروره فان صفت قبل قوله وقيل ان القول الاصح فى مسألة الخنثى أن يحكم ببوله وكان الشاهد يسأل عن الصلاة والقنوت والواجبات فصار يسأل عن القضايا والمختلطات فاذا زكى امرؤ بدعوة الجن سئل عنه من الجن والبن وكان الامتحان من كتب التفسير وشروح الهدايه فصار بالزايرجة السبتية ونقاية الحكيم الكندى للغواية وكان القانون يرجع فيه الى الطغراءى مقتبسه فصار أمره لكل بناء وغواص سفيه وقيل لمن قرأ عيون الحقائق فى صنعة الدك والطرائق محقق أدرك السلف ومسخ الله به علم الخلف ونقب له سد يأجوج ومأجوج فقرأ فى داخله على الاكراد والزنوج فنقب القواعد وجدد رسوم الاوابد وكذب أهل المعانى فى أن الصدق مطابقة الاعتقاد أو الواقع وقال هو مطابقة النفاق ورأى الامر القاطع وعاب قصائد امرئ القيس وجهل فى النجوم بطليموس وفى مجربات الطب جالينوس وقال

بالشعوبيه وفضل اللغة النبطية على العربيه وزهد فى الحسن البصري والابدال السائحين بالباديه وقال لو كانت رابعة زوجتي طلقتها ثلاثا ولم أرضها جاريه وجدد رصد الـ[illegible]عام بالديوان وبنى مدرسة يشكح فيها الغلمان وقال الدرس العام لا يعرفه غير العوام وشرح ديوان المتنبي باعجاز اللغة الكرديه وشرح لطافة اللغة الفارسية بالنوبيه وزاد فى اشكال اقليدس على الشكل الحمارى الشكل البغلى وصحح نسب السادات بالانتهاء للدلدل لا لعلى وزاد فى براهين المجطى وعلم المناظر والمرايا وزاد راويد رابعة وكم خبايا فى الزوايا وادعى أن الجذر الاصم منطق وقال الارتماطيقى ومساحة جغرافيا حساب يستخرج من الزئبق وحكمة الاشراق وهيئات افلاطون المريخ تؤخذ من كتاب سيبويه وخاطريات ابن جني ومقتضب المبرد وزاد فى العروض ضروبا وأعاريض لم يعرفها الخليل وحكم فى المسألة الزنبورية بين سيبويه والكسائى فطرد نحلها وفرق على الاكراد عسلها وسأل عن مسألة الكحل العميان وسأل عن المناسخة وطرقها الثلاث حسان وفضل الصحابة بقول الحاج وقرأ تهذيب المنطق على الحجاج وخطأ الاطباء فقال اذا مرضت الامعاء لسبعة يحقن الغلام كأنه اذا اضرط المقتدى فسدت صلاة الامام وقال ما يسر الله هذا كله الا ببقاء المولى أطال الله عمره وبنى نهيه وأعرب أمره وطلب من عزرائيل حجة شرعية على طول الاجل ودين المنيه فعجز عن الاثبات وقال له انك من المنظرين فعمل له دعوة وضيافة قرب له فيها أرواح الضعفاء والمساكين لحمده على ما أولاه ومدحه على أن خلصه من تعبه وعناه وأنشده

قد شاب رأس الزمان واكتهل الدهر وأثواب عمره جدد
فقل له ان رأيت طلعته * قد ضج من طول عمرك الابد
يا بكر حواء كم تعيش وكم * تسحب ذيل الحياة يا لبد
قد أصبحت دار آدم خربة * وأنت فيها كأنك الوتد
تسأل غربانها اذا نعبت * كيف يكون الصداع والرمد

وجاءته ملائكة العذاب وقالت له استرحنا وأغلقنا الابواب وأنشدته

معمر كأنه * صالح صرف النوب * قد انقضى الدهر وما
كان به من عجب * فالناس جسم واحد * وأنت عجب الذنب

ثم جاءه الملكان وقالا له أثبت دليل من قال بقدم الزمان وقالا لا كور بعد الحور تحكم بصحة التسلسل والدور فالحمد لله الذي حمانا من سؤالك وأقرأعيننا بسماع شعرك وضروب أمثالك وأنشداه قول الخوارزمي

لم أره الاخشيت الردى * وقلت يا روح عليك السلام

يبقى ويفنى الناس من شؤمه * قوموا انظروا كيف تموت الكرام

كيف نراه سالما بيننا * يامالك الموت الى كم تنام

فقلت له ليس بطول الاعمار يتم الشرف والافتخار فقد سمعنا من سادة الناس وأوائلها نجاح الامور وسعادتها باوائلها وفي أمثال العامة ليلة العيد من العصر ماتخفى واليوم المبارك من أوله يبين والديك الفصيح من البيضة يصيح قال باهل

اذا بلغ الفتى عشرين عاما * ولم يفخر فليس له افتخار

فدع الجدال وكثرة القيل والقال فان حياة الفاجر فضيحة الدهر وعلو الغثاء غير ضائر للنهر ولكل حزن سهل ولكل أحمد أبو جهل وما كنت أظن الشمس تخفى وان مثلي ينفى ويهان ويجفى حتى تجاوز الدهر الحد وعم تعريبي بالعكس والطرد فبعدا وسحقا للدار لاأجد فيها للمعالي طرقا ولا يلمع فيها جوها للفضل برقا

وكل امرئ يولي الجميل محبب * وكل مكان ينبت العز طيب

وقدما قيل الرفيق قبل الطريق والجار ثم الدار ولذا قالت آسية رب ابن لي عندك بيتا في الجنة فقدمت عندك لهذه المنة وقال صلى الله عليه وسلم اذا رأى الدار الآخرة به أولى اللهم في الرفيق الاعلى فطلب الرفيق في الجنان ذ غما الدار بالسكان ثم بعد السكان بالجيران

وليس بعار أن أهان وأغما * على الدهر عاري والعلا والمناصب

ولا خير في دار مهان كريمها * ولم يرعوا من خليل وصاحب

بها الاسد الضرغام في غابه اختشى * كلا با قد اعتادت بصيد الثعالب

﴿تمت الرسالة﴾

وها أنا أتم الجواب فان أردت مالي من المآثر فن تآليفي الرسائل الاربعون وحاشية تفسير القاضي في مجلدات وحاشية شرح الفرائض وشرح الدرة وطراز المجالس وحديقة السحر وكتاب السوانح والرحلة وحواشي الرضي والجامي وشرح الشفاء وغير

ذلك ولى من النظم ما هو مسطور فى ديوانى فلا حاجة لذكره وقد مر منه كثير فى هذا الكتاب ومن المنثور رسائل ومكاتيب لم أجمعها وها أنا أذكر لك منها هنا الفصول القصار والمقامة الرومية التى ذكرت فيها أحوال أهل الروم وعلمائها وهى هذه

أنبأنا النعمان بن ماء السماء عن شقيق وقد نظمنى وإياه سلك المحبة بوادى العقيق قال خرجت مختبطا ورق الكرم وقد صوح ربيع الآمال والهمم حتى عز الحطيم ورعى الهشيم فطوحتنى الطوائح بأرجوحة الامانى وهزتنى الاشعبية الى ماجد يبارز الزمن الجانى سمح السجية بسام العشيات رحب النادى اذا ضاق لبب العيش والتقت حلقتا الملمات جناه ليد الامل دانى اذا اقتطف ثمر اللهو وريحان التهانى نزهة النفس وشمامة الانس تعصر من شمائله شمول الفرح على رغم أنف الابريق والقدح فيا روض الجمال الرائع وماء ورد الخدود فى أكمام البراقع وما جاء در الاعاريب وشمس الحسن فى سحب الجلابيب

ولقد دعوت ندا الكرام فلم يجب * فلأشكرن ندا أجاب وما دعى

فلم أزل أدأب فى الاصاد والاعناق واقلد خلافة الحضر ومساحة الآفاق ولا أبرح فى ملاعب الفضاء كرة لصولجان القدر والقضاء

يخيل لى أن البلاد مسامع * وأنى فيها ما تقول العواذل

أقدح بيد الجياد زند عزم وارى وأذرع شقة المهامه بأيدى المهارى أتلفع برود الاسحار والاصائل وأشمر عن ساق الجد لخوض بحر دجى ماله غير الفجر ساحل على أن يفتح عينه عما تثنى عليه الحقائب ويبتسم فم الافق عن صبح وعد صادق أو كاذب

قيل لى ترضى بوعد كاذب * قلت ان لم يك شحم فمرق

ولما بعدت شقة الالتماس وعميت عيون الاخبار تابعت جواسيس الحواس تقفو أثر بريد الانتظار فأتى جهينة خبرها بعد حين من سبأ بنبأ يقين رافعا عقيرة نذير عريان ساحبا ذيلى برد وحرمان صائحا ارتحلت الاظعان وأقفرت الديار من السكان والجيران والكرم أفل نجمه وركدت ريحه وقل عزمه وتضعضع ركنه فما ثم أنيس ولا اليعافير ولا العيس ولم يبق من أثافيها الاثلاث نقط يشك الشك فيها

خلت الديار فلا كريم يرتجى * منه النوال ولا مليح يعشق

فخللنا عقدة الحزم بأضراس الندم عن الجياد وامتطينا غارب العزم وما لنا غير المنى

ماء وزاد ما بين ثمل من خمر السرى وراكع وساجد في مسجد الكرى مختبر عسبار عصا التسيار غور الاطلال والرسوم حتى حططت رحال الترحال بقسطنطينية الروم لما قالوا جاور ملكا أو بحرا وهما ما خبرا وخبرا والبحر قد مد لعناقها ساعديه والامواج تقبل الارض بين يديه فاسمت في رياضها سوامي النظر وأجلت في حلبة الذهن قداح الفكر فاذا هي جنة ملئت بالحور والولدان وحفت بالشهوات اذ حفت بالمكاره الجنان من كل شادن سرق التفاتة الغزال وتسيلت لترى لطفه الصبا والشمال لولا خوف الوشاة والعدا تساقطت القبل على ورد خده سقوط الندى جرى فيه ماء النعيم والهيف وحار فيه الرأى فلو رآه سيل تلعة لوقف فاق ذكاء سناء وسناء فلو حاكته حازت الشرف صيفا وشتاء اذا جاده صيب الحياء والخجل أنبت وردا يجتنى بأنامل أهداب المقل في كتيبة حسن ان غزا القلوب كمينها (هزوا القدود وأرهفوا الاجفانا) وان هجمت على الصب عيونها (فاطلب لنفسك ان قدرت أمانا) يوسف حسن ودلال ليس له أخ يحسده على الجمال

ما قد فيه القميص من دبر * بل قد فيه الفؤاد من قبل
ان قطع النسوة الاكف فقد * قطع قلبي بطرفه الكحل

يستعير منه الورد خدا استعارة مرشحة بالندا والسيف منه فتكا استعارة مجردة للردى ومن وراء تلك الظباء العين ملائكة من الكرام الكاتبين غالية سم المداد وعبير نشرهم يفوح على جمر الذكاء الوقاد اذا راشوا بالبنان سهام البراعه أصابت قراطيس البلاغة والبراعه واذا افتخرت الرماح السمهريه انتسبت الى أقلامهم السمر فكانت حطيه وفرسان هم احلاس الجياد وغصون رباها اذا حمى وطيس الجلاد كم ولجوا الغمرات على زوارق سروج السوابح التي هي قيد أوابد البوارح والسوانح سيل ينحط من صبب سيفه العنان وقور اللبب ان صعد فمستجاب دعاء أو هبط فبرم قضاء يسبق لمح البصر ويكل دونه حديد النظر اذا جرى على مهله لم يسابقه غير ظله

ويكاد يخرج سرعة من ظله * لو كان يرغب في فراق رفيق

أسود غارب الرماح بدور غمام القتام وبروق الصفاح ما ترفع بطل عن لثم أعتابهم الا بادر رأسه لتقبيل ترابهم نبلهم رسل المنون وبيضهم بايدي النصر مفاتيح الحصون وسمر الرماح أرشية لامتياح من قلب الابدان غير الارواح وسادة

متصوفه عن الصدق متعففه حرفتهم بيع الزهاده وحانوت تجارتهم السجاده من كل متكبر كان يد الثريا اليه تشير فيه شرطويل تحت ذيل قصير لايمس زهدا أوانى الفضة والذهب ولو وجدها فى خلوة بلعها وكم مضغها منه فم الطلب له جند كالبراغيث أكل ورقص ودب

مشوا على الخبز ومن عادة الزهاد أن يمشوا على الماء

ثم عجبت على معاهد ذلك الحمى فاذا دساكر وقصور وهى سلم السما وقباب قناديلها الزهر الدرارى فقلت لعل هنا بدورا يهتدى بها فى ظلم الخطوب السارى هى من الكرام بقايا فكم فى الزوايا خبايا فاذا فى تلك المعالم برود وعمائم وأذيال تقبل التراب بين لدات جهل وأتراب والدهر قد أرخص كل غالى وقال كل من ضرب العير لنا موالى فقلت فتى ولا كمالك وماء ولا كصداء ومرعى ولا كالسعدان وفيات نادت كل رائد لاقربة ورا عبادان فالشاشية قبة على قبر مأثم والحلة غطاء ميت جهل خلفه مأتم من كل سفلة لو بات حاس داره أقفر منه المنزل والجوف وأذاقه الله لباس الجوع والخوف لايخشى لومة نصيح ولا ثم فضحكة أعراس وقطرب ولاثم كأمر الله يدخل كل دار حتى يصير قتيل أضراسه شهيد قصعته وكاسه وعند جهينة منه الخبر اليقين وفى الصحن له أياد عند القدور وتستبين يسر نا منه الفراق سرور زورة صب على يأس من التلاق اذ هو أمر من البين وفى ثقل الروح ثانى اثنين

يودى بلا مال * وأعمى ماله صوت

اذا سلم على أهل نادرقيع فحيتهم ضرب وجيع تستعذب الايدى مذاقه صفعة المكرر حتى كان قذاله من سكر غضب الله على المشاهد والمجالس لامشخص له غير جنس البرود وفضل القلانس حمار على فرس له من تقعير المخارج جرس كأنما كلامه دعوة الكواكب أورقية الحيات والعقارب

برذونه صائم حكى فرس الشطرنج والصدق غير ملتبس

فكل يوم عليه يدرس منصوبة عند البيوت بالفرس

وأطفال كأنما زينوا الجنان أولا ستقبال دهقان سدوم اذ كان له مع الملائكة ماكان مولود تقول قوابله هذا امام يسم فاعله لو درى الحكماء ان ماهيتهم على ذلك مجبوله ماوقع بينهم اختلاف فى أن الماهيات مجعوله وقالوا ان الهيولى والصورة يتبادلان

وان

وان العناصر متنا لحمة قبل حلول الابدان وان الكيفيات ما بين فاعل ومفعول ولولاه كان تركيب الامزجة غير معقول ولذا كان ميزان الخليل بين فاعل ومفاعيل

فات زماننا من قوم لوط * له ولع بتقديم الصغار

وشبان وكهول فيهم بلا فضل فضول جفاة أجلاف بنو علات وأخياف ورثوا علم السلف والخلف فأوصى لهم بتراث العربية سيبويه وخلف

خاطر يصفع الفرزدق فى الشعر ونحو يشبك أم الكسائى

ومشايخ فى الطراز الآخر من السفل كم فيهم من نادرة المريخ وزحل كانما يحمل غاشيته دارا وزحل أشرف الكواكب دارا وقارنه السعد الاكبر فى أعلى عليين حملته بنات نعش الى أسفل سافلين أعمى البصيرة والبصر عار على آدم أبى البشر انما خلق اعتذار الابليس فى ترك السجود وأنى يقبل له عذر وهو كفور جحود وهو أول من حسد والحسد أدوأ داء فى الجسد داحس والبسوس ان نسبا الشومه براق يتبرك بسعادة قدمه وقدومه والبوم وابن داية الاعور يتيمن بسوانحها ولا يتطير والزقوم عنده يهزأ بالسكر المكرر

قلت له لم هوالك فى سفل الناس وشر الامور سافلها

قال وجدت الكعوب من قصب السكر مختارها أسافلها

فربما يضىء لمح البصر اذا دار قوراء يسافر فيها النظر يردها الناس أفواجا أفواجا هى برج ثور ولا يرضى الشمس والقمر سراجا فى جنة عاليه قطوفها غير دانيه جرى فيها سلسبيل معين كدموع اليتامى فى عهده والمساكين تفتحت عيون أنوارها وهى الحور بها ناظره وامتدت أوراق أشجارها داعية على من أعاد صفقة الدين خاسره عرض فى كل يوم سنه ويرجو عيادة مزمنه مقعد أعدى زمانه بالزمانه وسطيح نام فى عهده شق عن السحر والكهانه مشؤم منحوس اذا علا نسبه انتهى للمجوس فبيته بيت نار تعبده الفجار والاشرار

غدا عالما يؤتى فيأتى بحجة * على ذاك من أخبار علم وآيات

تقول له الاسلام يعلو ولم يكن * ليعلى فقال العلم يؤتى ولا يأتى

فلما من الله على شمسه بالزوال عاد لحله من هو أسوأ منه فى الاقوال والافعال فى قوم يعرف مالهم موصول من الفصول عبا على رؤس الحمر وأعجاز الخيول كما يعرف الطبيب

صحة الابدان بما فى قارورة البول من الالوان

لو بال هذا الدهر فى قارورة * بان الذى يشكوه للمتطبب

كأنما أوحى الله اليه والى ذويه تمتعوا بأيامكم فانما خلقت متاعا لكم ولانعامكم فاجتثت عروق النسب مبدأ ومنتهى فالطحلب عنده سدرة المنتهى فرفعته بلا طائل وعلو قدره له قائل

لقد خوى الزمان عليك حتى * علوت وكنت أسفل سافلينا

كرقم كان فى الاعداد فردا * بذرق ذبابة أضحى مئينا

فلو درى الكافر اذ حلت به الندامة وقد سيرت الجبال فكانت سرابا انه خلق من تراب لاستحيى أن يقول لأهل القيامة ياليتنى كنت ترابا فما أحسنه فى زوال النعم وأقبحه اذا قضى له الدهر بدولة وحكم فكم سعد له رفيق بحجة وبرهان لزنديق ان ذكر له الفقه والحديث ومافيه من الغريب اهتز عجبا وأجاب بغزل رائق ونسيب أو أنشد له حوليات زهير وقلائد المتنبى وزهديات أبى العتاهيه نظر فى خزانة الفتوى والخلاصة وقال تلك أمة خاليه

هو فى الفقه شاعر لايبارى * وهو فى الشعر أوحد الفقهاء

لاالى هؤلاء ان نسبوه * وجدوه ولاالى هؤلاء

فكان الله أمره بتقديم الاجهل فالاجهل اذ قال ان الله يأمركم أن تؤدوا الامانات الى أهلها وكان الرسول وكله أن جعل الدين ملعبة بنسخ الشريعة فرعها وأصلها

قل لى أما ترهب رب الورى * ولست تستحيى من المصطفى

اذا لم تستح فاصنع ماشئت قدمات من كنت منه تستحى وأهيل عليه التراب ليحد الدهر ماضاع من جواهره فى غابر الاحقاب (ومات من لا عمره ماتا) وقد سئمت عتاب الدهر والشكوى ونفضت جراب الطمع عما جف من زاد المن والسلوى فلا يلام من أودع كيسه عند طرار ولا يركب من سأل عن البراق الحمار فانصح السائل بغشه واجعله دارجا فى عشه وبدل سعوده بالنحوس فان نقشه نقش الفصوص صحيحها المعكوس وقد أخرسنى العجز فما أقنع فأغير الله أبتغى حكما (اذا كان خصمى حاكمى كيف أصنع) وقد قنعت من صبغ الادام بعض السلامى والسلام حتى متى أنا من سكرة الحيرة لا أستفيق كأنى مصحف فى بيت زنديق

فان

• فان تسألاني م دوائي فانني * بمنزلة أعيى الطبيب سقامها

كجرذ بني يوسف في دار ذي متربة يأكل بالقرض لازمار بضه فاذا انفد القرض وسد اليأس مذهبه أكات كتبي كانني أرضه) رضيت من الغنيمة بالاياب وعدت الى طلب تمائم لي ضيعها الشباب بين العذيب وبارق (مجر العوالي ومجرى السوابق) وقلت تعللا اذا اسمت الشيم وترفعت من حضيض المذلة الى أوج الشمم

ان جيدا اسقطت من عقده * درة مثلي حقيق بالعطل

وعقدت أهداب النية بأهداب الظعن اذ هتف بي شق الكهانه (أصم أم تسمع غطريف اليمن) لما تجاذبت الآمال الداعية للنفس الى حب الوطن فانعا بأحسن الراحتين وان عدت بخفي حنين

وان من أصعب ما ربي * شماتة الحاسد والجاهل

فقلت لامل غير مستريح أنا أنبائك شق وسطيح فدع كل لو وعسى وليت وتمسك بأذيال الهمم تمسك الزوار بأستار البيت ولا تكن كمن أراني عذب الشراب لما تراءى له لمع السراب فقال شكر الله مسعاك وجعل أبي وأمي فداك الكريم يغر ويخدع ولست بأول ذي حلم له العصا تقرع وتنفس الاعمار تغبن فانه قد يهدى لعلم اليقين فمن انغمس في ماء حياته طهر من أحداث شبهاته والعلم نعمة من نشرها شكرها ومن كتمها عن أهلها كفرها وكم من ذنب عقابه فيه وكم عبد أبق من مواليه ثم آب ملتفتا بستر ضميره من غيابة غيبته لحضوره فعج على سدة مخصبة للرواد وانزل في ظل كرمها تظفر بكل مراد

وقلما أملت عيناك من رجل * الا ومعناه ان فتشت في لقبه

فناهيك به من ملك ينقاد له السعد والاسعاد وتهوى الافئدة طائعة خاضعة له قبل الاجساد فسدته كعبة الآمال ومقصد الهمم فاذا حجت لها الاماني تلاقت في أمن حرم عمري الذات والصفات فاورق حكمه درياق السموم والآفات

أرى الدهر أن يبطش فملك عينه * وان تبسم الدنيا فأنت لها ثغر

عطاء ولا من وحكم ولا هوى * وحلم ولا عجز وعز ولا كبر

فورده عذب غير وبشره ندا روضة وغدير بشاشته الروض الانيق ورفيف الغصن الوريق وكم له سجية وهزة أريحية وثبات ووقار خيم فيه الحلم والسداد تود

الراسيات انها الخيام له أوتاد ومساواة أحساب وأنساب تحير فيها المعاني لمساواة
الايجاز والاطناب وطيب أصول وفروع زكى طيها ونشرها قد فطمت عن النقائص
بعد رضاع بان المعالى فالله درها رقة يقى حواشيه نسيج وحده من الطراز الاول معلم برده
نسخة مجده مقابلة الاصول منمنة الطراز بنتائج العقول فذلكة مناقب السلاطين
حامى حمى الحرمين جامع شمل الدين فاذا نزلت بى كربة سئمها القلب وملها قلت ان
الذى عقد عقدة المكاره يحسن حلها ولعلها ان تنجلى بهبوب رياح اقباله ولعلها

ماقد قضى سيكون فاصطبر له * ولك الامان من الذى لم يقدر

وها أنا ذا أحمد فى صباح الظفر السرى وأنبه حظى من رقدة الخمول لا سنة الكرى
بعدما وقفت على حبه فؤادى ورتبت فى جامع أمانيه وظائف ودادى ولست لندا
مستميحا ولا لنيل نوال أهدى مديحا فسكاب طبعى لا يباع ولا يعار ولو نقدت له
دراهم النجوم بكف الثريا فهو خسر وبوار على مذهب أبى الطيب فى قوله

ومارغبتى فى عسجد أستفيده * ولكنها فى مفخر استجده

ومذهب الطائى حيث قال

ومن خدم الاقوام يرجون نوالهم * فانى لم أخدمك الا لاخدما

فالحمد لله الذى أذهب عنا الحزن عن أقرلنا عين المنى وأخذلنا الثار من الزمن تمت
المقامة المسمات بعتاب الزمان فى سبب حجب بنى الاعيان حجب حرمان ونقصان
واستغناء الكرام فى مشكل الليالى والايام

(وهذه فصول فيها حكم ونصائح سميتها بالفصول القصار فى نتائج الاعمار) منسوجة
على منوال ابن المعتز فى فصوله وهى هذه اقدار الله العبد على حمده وشكر احسانه من
من جملة انعامه على عبده وامتنانه شكر المنعم من الكرم لانه قرى لضيف النعم
ساعد زينته بسوار المنائح حرى بأن يعرى للتضروع الثناء والمدائح من كان وارف
الظلال تقبل عنده القلوب والآمال نعم بها الالسن تقربها العيون والقلوب تقر
رب موقد نار بها يحترق ومحسن السبح فى اللجة غرق خلك أحلى من عسل غيرك
كم طرق دون هضاب بلغت السماء وارتدت حلل السحاب اذا ملك زار البلاد ألبسها
برودا من القتام مزرورة بالجياد مشدودة العرى بيد الحزم والسداد طلع البدر من
أزراره ولم يعلق الوزر بأزراره كيف يخرج من ظلمة الجهل المدلهمة ويبغى نسل الفضل

والحكمه من كان مقعد العزم عقيم الطلب عنين الهمه فلان أخلق الدهر قشيب ديباجته وشرب اليأس من ماء بشاشته شجاعة الملوك الثبات وشجاعة الجند اقدام وثبات أخلاق الخلطاء ساريه والعادة طبيعة ثانيه الكيس يفتح الكيس كما يكسر الدين الدين فى اغماض العين واغماد اللسان عقاب العقلاء وبلسانى السوط والسيف عتاب السفهاء سلوة الاحزان تسليم مقاليد الامور للديان وقد روينا فى حديث حسن الايمان بالقدر يذهب الهم والحزن الشروع ملزم ومن تطوع لزمه أن يتم المعالى تملى المعانى بأفصح لسان والندى ينبت الشكر فى حدائق الاذهان ذنب الحر الى ليال مدت اليه يدها وساعدها ذنب صدار ثكلى فقدت واحدها كيف لا يشق مطرف سفر والسفر بنقطه سقر هل أنا فى الاعمال السلطانية الدارس رسمها الا كالحمر نسخت منافعها وبقى خمارها واثمها أو الحالم رأى أنه خرئ لثقل ما حمل من العين فلما انتبه وجد روثه ولم يجد لسواه أثرا لا عين أو كداخل بعروس فى المنام لزمته فى السحر جنابة واجرة الحمام ما الربيع الاحسناء فى حلة خضراء فتحت يد الشمال أزرار زهورها لتشاهد عيون الانوار من الغدران حسن ترائبها وبياض صدورها الصديق والسكن من تأنس به أنس العين بالوسن شتان بين من عنوان أخلاقه يصدق مخائله وصحيفة أحسابه الصحيحة مقابله وبين لئيم اذا نظرت الى أحسابه فالطحلب أعرق من أنسابه من أمثال العامة حمار نزلت عنه لا تبال بمن يركبه وشهر لا خير لك فيه لا تعد أيامه قلت

وكل شهر لا خير فيه * عدك أيامه جنون

فلان لو تغنى لاهل الجحيم لصارت نار ابراهيم كثرة الاتباع عز ومن يكن مفردا يحقر ولذا قال النحاة ان الجمع لا يصغر ما كل جندب يدعى لحيس ولا كل مهاجر أم قيس اياك أن تطلب عزيز الوجود فان الوجود بذل الموجود وضيف السقاء انما يكرم بالماء وقد قيل ان حمار القصار ان جاع شرب وان عطش شرب قال خليل لى خليل قبيح مؤاجر خير من مليح خلف الستائر وشتان بين درهم النقد ودينار الوعد اذا اضطربت أمواج المقادير لم تنفع سباحة رأى وتدبير فمن عارض تيارها بالسباحه لم يصل لساحل سلامة ولا قرار راحه (فى الاثر) مداومة أكل اللحم عشية وغدوه تورث القلب غلظة وقسوه وفلان يأكل ليلا من أيور الغلمان ونهارا

قوله وكل شهر الخ كذا فى النسخ وشطره الاخير البسيط وشطره الاول مكسور ولو قال بدله مثلا شهر أتى ليس فيه خير لسلم من ذلك اهـ

بغيبة الاخوان انطلاق ألسن البرايا جاسوس النوائب والرزايا احذر أيدى الدعاء اذا قرعت أبواب السماء فلان مع بخله شقيق ابليس اللعين وان المبذرين كانوا اخوان الشياطين لكل قلب هوى كما أن لكل داء دوا فما اعتلال نسيم الصبا الا لحب زهور الربا الغنى مسك لا يكتم شذاه فلان احتضر وأمسى له مع الملائكة شأن مستمر أسلمته ملائكة الموت لمنكر ونكير وهما أديا أمانتهما الى مالك خازن السعير كتاب تتنفس خطه عن بنفسج البطاح ولفظه عن رياحين الارواح ومعناه عن سر الراح فى ضمائر الاقداح فلولا ذبوله بجس يد الدهر وحلاوة ذوقه خلتنى منه نشوان بين روض ونهر ان دعت الضرورة الى مدح غير ذى شرف فالشعر بحور لا تكدرها الجيف اذا خلت ضمائر الاكياس خلت من المسرة قلوب الاكياس اذا رفت أهداب النبات واختلجت عيون الازهار بشرتنا بقدوم نسمات الاسحار ان كان الابط مزبلة الباطن فاللسان مزبلة القلب كم أخليت فؤاد القنانى فأخلت فؤدى من اخوانى لله كرم زمان أقرضت أسحاره والآصال هواجره برد النسيم على يد الشمال اذا جر ذيل الغناء على القباب والبيوت تساوت قصور الجنان وبيوت العنكبوت أنا فى مفارقة من أريد وصحبة من لم أرد كواجد مالا يشتهى ومشتهٍ مالم يجد أنتم ببارق رعود يتلوه وابل جود فالمع وأشرق حتى اخضر الامل وأورق كريم جعل الله طول عمره كحياة ذكره وشكره وعمر أعاديه كعمر مواعيد أياديه رطب عود الدهر بماله من الآثار حتى كادت تجرى الصخور والاحجار لو هم الفلك برفعة ماجد فى الابد ماقدم الثور فى منازله على الاسد من باع الجزع بالاصطبار فله على الزمن الاختيار نصح البليد عناء لا يفيد

وثقل السيوف بلا جوهر * يبين من عيبها ماخفى

من قال الشر بالشر يطفا فكانه عطر النار بالحلفا لابد لكل امرء من صديق وسالك بادية العمر لا يستغنى عن الرفيق الصديق شريك عنان فى حالتى السرور والاحزان

بقدر المثوبة عند الرضى * تكون العقوبة عند السخط

من لم يعرف زمانه عد الخمول زمانه ما سمى الزمن زمنا الا لانه يقول لك اقعد كم فرخ من بيضه يلد وزماد بان خلف الجمر وقد وقد ما انصف الشيب من ستر وقاره فسود وجهه وأطفأ أنواره الدهر خصم ألد وبلوغ الاشد البلاء الاشد أتبنى بالاساس

علو الدار وترقع الجيب بأذيال الازار الفحل البازل لايفزع من صوت الجلاجل والحوت لايهدد بالغرق والبحر لايخاف من الشرق ظن المرء قطعة من عقله ومحسن الرمى أدرى بمواقع نبله السعد من غير دوام نحوس والضحك من غير سرور عبوس الشهم لايجود التقية وقطع سهم المؤلفة شهرة عمر يه من سلم عنان اختياره للقدير انقاد له الدهر بزمام التقدير وصرف الدهر قد يبدل الباء ميا فيحد التدبير والتدمير أنا فى شرط الوفاء للاخوان وهم فى جزم جزائه بالهوان كالواو والنون صانتا الاسم عن التكثير فخصهما من بين حروفه بالنقص والتغيير هدايا اللئام تجارة وقبولها منهم خسارة المعروف والصنيعة عند الاحرار وديعة أول هراش الخيل شمام وأول الحرب كلام كما ان ود اللئام مقدمة الخصام أيادى الاحسان تحل عقد الاضغان من الشتم نصح غير الاكفاء وربما كان أمر من الداء الدواء من الامراض روائح العقاقير لاشرب الدواء وطول جلوس العواد والثقلاء الحكماء الجهال رسل عزرائيل للاستعجال المطل طليعة جيش الحرمان وسوء التدبير كمين الخسران وسع الله على الايام حتى تقضى دين المكارم وتنجز عدات تكفل بها الدهر والكفيل غارم الحر اذا استدان جميلا قضاه فالسهم طار بريش الطيور فأطعمها قتلاه ليس الصديق من اذا رآك قام بل من اذا أقعدك الحظ أقام من كان فصيح الشيم بليغ الكرم أوجز مقاله وأطنب أفعاله طرفا الجسر برّ فهو كالمعبر انا من قوارض اللوم سليم ولولا الصبر أخلق الاديم اذا فرت الغزالة الى كناس المغارب ألفت فى سرور البطاح مسك الغياهب من كان بغير نفع فى نفيس الملابس كان كالصور المنقوشة فى الكنائس تسر الفجار وتسوء عقلاء الابرار

ياساترا للشيب اذ خضبه * هلا خضبت الذبول والحدبه

المحبوب مسجون ذنبه وجوده حاجبه وأذن لمن يريده ويحجب من لايريده ليس باتحاد الاسماء تتحد ذات المسمى حمرة الخد جمال وحمرة العين اعتلال قد يحتجب الحر لقلة اليسار كما احتجب البدر عند السرار

وقد يكره الضيف لاضنة * ولكن مخافة سوء القرى

من كان دليله الغراب رضى بالمنزل الخراب ومن كان طباخه الجعل فلا يسأل عما أكل من كان خياطه الخنافس كيف يكون حال الملابس اعتبر باسم البشر

فان أكثره شر فى الترك غنى بلامن والحمية دواء بلا ثمن

(فصل) أتحفتنى بتحفة ابن حرموز وبئست التحفه فهو أهون من ضرطة عنز بالجحفة فلو طحنت لى حبوب النجوم الزاهره برحا الافلاك الدائره وخبزت منها قرص الشمس وشويت لى جدى البروج وحملها وقرنت ثورها وفرشت ببساط كسرى منزلها لم أجب دعوتك ولم أتحمل ثقالة ورؤيتك الاغترار بفاكهة الحياة جهاله وشم زهرة الدنيا ضلاله فان الزهر سريعة الذبول والفوا كه سريعة الاستحالة اذا تشيخ الصبي ضاع واستعجل الفطام قبل الرضاع لا يقوم مقعد الايام الا بمساعدة أيادى الكرام عنوان اللئيم خادمه وصاحبه والعقرب بواب الضب وحاجبه

اعتبر الارض بأسمائها * واختبر الصاحب بالصاحب

تعريف البخل عين اللئيم الواضع لانه الجامع المانع من لى بجليل همة أترك له كل حقير وأصرف الناس به صرف الفلوس بالدنانير مضى السابقون الى منازل العدم فظن المتخلفون أن السبق فى مضمار الكرم ومن جرى وحده مغرور وكل من يجرى بالحلاء مسرور نسمات اللطف تفتح أبواب المنى بأيادى احسانها كما تفتح عيون الازهار بلطف الشمائل قبل أوانها الالحاح فى الامور ربح تجارة لن تبور ترك الجماعة عقوق للمؤمنين وقطع لرحم وصلة الدين اذا نزلت أرضا فلا تمدح زهرها حتى تشم رائحتها وعطرها أنا فى زمانى يتيم حضر مائدة جبار لئيم الجاه زكاة الشرف ومن أحسن لمن أساء اليه فقد انتصف مقابلة من لا تقاومه خرف ولولا مقابلة القمر للشمس ما انكسف اذا جن أميرك فتذكيره بالحجارة عطب وان عبد النار فقدم له الحطب

(فصل) قالوا الحركة بركة وهذا اذا رافقها السعد وهداها اثر الجد والا فهى حركة النشوان وقتال الحبال وبنى اسرائيل فى التيه

قالوا ارتحل تظفر بفضل المنى * وأينما سافرت حظى معى

الكرم حبله رخيم والظلم مرتعه وخيم

(فصل) ماذا أقول لقوم اجتنوا منى ثمار مقال دانية القطاف وقالوا فى ظلال الرأفة والالطاف فاذا عطف الدهر وهو لهم مساعد كنت لديهم ككف بغير ساعد فحالى معهم فى الابره كحال الناس والابره

كست قيصر اثوب الجمال وتبعا * وكسرى و باتت وهى عارية الجسم

وكنت أعيب على الخوارزمى قوله

كفى حزنا أن لا صديق ولا أخ * يفيد غنى الا داخله كبر
فما نال فوق القوت مثقال ذرة * صديق ولا وافى على عسره اليسر
وما ذاك الا رغبة فى وصاله * والا حذار أن يميل به الدهر

ظنا منى انه يدل على خبث الطويه وفساد العقيدة والنيه فاذا هو قد حلب الدهر أشطره وذاق بلسان التجربة حلوه ومره فلله دره ما أخبره

(فصل) رب معنى سار بلباس آخر ضار فهذا الرشيد رأى فى منامه انه قلعت جميع أسنانه فطلب لها معبرا فقال ترى مصيبة فى جميع أهلك وموت أحبابك فأمر بنزع جميع أسنانه واستدعى آخر وقص ذلك عليه فقال عمر الخليفة أطال الله بقاه أطول من عمر كل من يلوذ به ويهواه فقال املأوا فاه درا وخلع عليه خلعا كسبته فخرا ولما جعل أحد ابنائه وهو طفل ولى عهده وفوض اليه الخلافة من بعده جلس للتهنئة فقال له رجل مهنئا أقر الله عين كل عزيز بخلافة من لم يبلغ سن التمييز فساءه ذلك فقام أبو يوسف بعده مهنئا وقال الحمد لله الذى شرف منابر الخليفة لم يكتب عليه شئ من الاوزار ولم يتعب كتاب أعماله بليل ولا نهار فأكرمه وأدناه وتهلل بالبشر محياه وقال هلا أحسنت اذ خاطبتنى العباره واحترست عما يكدر مشرب السياره ألا ترى أن من قال لآخر أطال الله عمره أعجبه ذلك وسره ولو قال له أذهب الله شبابك وجعلك شيخا متغير الهيئة والقوى ساءه ذلك وقال أبو العيناء لم أر أحسن أدبا من ابن أبى دؤاد كنت اذا انصرفت من عند غيره يقول يا غلام خذ بيده فاذا قمت من مجلسه يقول يا فتى امض معه فكان مما يعجبنى من حسن أدبه وهكذا يحسن المعنى ويقبح كثيرا فى المركبات والمفردات كما ستراه ان شاء الله تعالى

وقد اقتديت فى ذكر أحوالى بابن الخطيب فى الاحاطة اذ ترجم نفسه فى آخره وقد أعجبنى قوله فى ذلك لما فرغت من تأليفه التفت اليه فراقنى منه صنوان درر ومطلع غرر خلد مآثرهم بعد ذهاب أعيانهم ونشر مفاخرهم بعد انطواء زمانهم فنافستهم فى اقتحام تلك الابواب وقنعت باجتماع الشمل معهم ولو فى الكتاب وحرصت على أن نال منهم قربا فجريت على عقبهم أدبا وحبا كما قيل ساقى القوم آخرهم شربا انتهى

قوله قنعت باجتماع الشمل معهم ولوفى الكتاب معنى لطيف قريب من قول الآخر

فاتنى أن أرى الديار بطرفى * فلعلى أرى الديار بسمعى

وقلت أنافى معناه

ذهب الكرام وجلدتى الحزب الاولى * من قبل عهد القارظين تغيرا

فاذا دعا داعى الغرام لقربهم * فى ظل أنس بالسرور تأزرا

أرضى تلاقى ذكرنا سمع ذكرهم * فى روض طرس بالمعانى أثمرا

ويوجد هنا فى بعض النسخ زيادة لا بأس بها وهى

صورة ما كتبه مؤلفه من الاجازة لعبد القادر المذكور فيه تبارك اسم ربك ذى الجلال والاكرام المحيى مآثر الاعيان بنشر ثنائهم المخلد فى صحف الايام والصلاة والسلام على أفضل الرسل الكرام وعلى آله وصحبه ماطرز البرق برود الغمام أما بعد فان الفاضل الاريب والماجد المهذب الاديب خليل روحى الشقيق ومن هو فى سبيل الطلب سمير ورفيق حاوى المفاخر الاخ الاعز عبد القادر لما قرأ على كتاب الرحله وغيره مما سودت به وجه الصحف وأخذته عن الاجله ومنى بسمة العلم ولست أهله

اذا كان الزمان زمان سوء * فيوم صالح منه غنيه

فأجزته بجمالى من التآليف والآثار وما رويته عن مشايخى الاخيار صانه الله فى عين الكمال وحماه وقلد جيد مجده بفرائد حلاه

(فصل) هذه ورقة من رياحين الالباب طارت باجنحة النسيم من وكر رياض الآداب فاهدت لناسنا نفحة ذكيه عرفتها من بين أصحابى وهزت معاطف الاريحيه فأعادت على غصن شبابى فما كان أعطر تلك الصبا وأندى معاطف قضب تلك الربا فذكرنا بقديم العهود من قدم علينا من الوفود فأتى من سبأ اليأس بنبا وحديث يحل بيد النشاط الحبا ونقدم بين يدى هذه الهمة السنيه مقامات نسجت على منوال المقامات الحريريه فمنها مقامة الغربه المسماة بدفع الكربه بسلوة الغربه حدثنا الربيع بن ريان عن شقيق بن النعمان قال لما هزتنى أريحية الشباب الى اقتعاد سنام الارض على غارب الاغتراب وقد أجدبت الارض من كل ماجد يجتنى جنى المجد وتجنى له ثمار المحامد وتعطلت من كريم تلتف عليه المحافل وتسير فى ظلال أعلامه الجحافل وتبدلت بانسها وحشا فلا ترى غير جائع يتحشا أقسمت ببيت سالت ببطحائه أعناق

المطايا وغل ركبانه بكؤس السرى فى الغدايا والعشايا لاغتر بن غربة قارظية
يخفق منها قلب الخافقين وتدبغ أديم الجسد على عمر الجديدين وتنسي صخرة السؤال
عن حصين وتنسي غطفان غربة سنان فقال لى خبير الايام الهجرة من سنن
الكرام كما فر موسى حين هم به القبط وقد كنت قرأت فى بعض الاسفار اذا أراد الله
سعة رزق عبد حبب له الاسفار وروين فى حديث حسن انه صلى الله عليه وسلم
كان يحب الفأل الحسن فزجرت السانح والبارح والطائر الغادى والرائح حتى رأيت
الصبح انبلج ومر بى طائر أغر من البلج فتمسكت بذيل الحزم وصممت على العزم وقلت

بقرلك طه سافر واتخفو القصد * بدالى فأل فى المطالب رابح
فاخط فى رمل ولا طرق الحصى * كأيدى جياد فى السراب سوابح

وجنبت الجياد الى المهارى ولبست حلة دجا مزررة بالدرارى مع صقور على متون
اعوجيات وركاب باقدام أقدام ترف بين غرز وركاب على سفن ذود وزوارق
وسروج سوابح فى بحار السراب غوارق فلم يزل يرفعنا الآل بين رفاق قضب وآل
على عيس ما الهاغير النصب عقال وظهور سوابح ما لها غير الكلال شكال حتى
نزلنا على الخورنق والسدير وأنخنا مطايا العزم بين روضة وغدير فسألنا عن بيضة
البلد وطودها الذى له بسفحها أرفع سند فقالوا هو النضر بن كنانة المقرطس سهام
آرائه من أعز كنانة شيخ لابس عمائم هرم الثلاث فهى على هامة همته ثلاث من شجرة
مورقة النسب مثمرة بيانع ثمار الحسب جاهه عريض طويل فائض على العدو والخليل
وطيب شمائله فى كل نادٍ انتشر فغمة روضات تزدرى الزهر هيجها النضح من نضح السحر
فقلت بخ بخ الجاه زكاة الشرف ومن أحسن الى من أساء اليه فقد انتصف ومن تردى
بساطع الانوار واحتبى بحباء الوقار ولم يبق له ليل يصيح بجانبيه نهار فالسعادة له
شعار ودثار فقالوا ان فيه عيبة اعرابية ولوثة عنجهية قد تعربد نفسه الابيه
فقلت مقاومة من لا تقدر عليه خرف ولولا مقابلة البدر للشمس ما انكسف واذا
جن أمرك فتذكره بالحجارة عطب وان عبد النار فقدم له الحطب وسأفيض له
وعلى أجمل ردا واذهب اليه فى رفقتى غدا فلما عطس الصباح وشمتته كل ذات
جناح ورفعت ذكاء رأسها من مشرق الانوار فأشرقت على عالم الكون والفساد
لنشاهد ما فيه من الاسرار أتيت داره فرأيت بدورا لها المنازل داره دار

يسافر بها النظر ويتسابق فى محاسنها السمع والبصر داخلها بهو وقصور وسرادق لا يعرف كماله القصور فى صدرها همام خلفه وساده أحدق به وجوه أعيان وساده يتنفسون بأنفاس النعامى بين أوراق ريحان وخزامى

قطفوا الحلم من شماريخ رضوى * وجنوا اللين من قنا الخيزران

حذاء بركة صفت كأخلاق أوداته وعذبت عذوبة خدمه وندمائه

لو أنصفوه لقاموا فى مجالسه * على الرؤس قيام الظل فى الماء

فقلت له حياك الله وبياك ولازالت مشكاة أنسك مشرقة بمحياك فرد التحية بأحسن منها وما اردها وأمدها بطلاقة بشر كانت سلما الكرامة أعدها وحوله من حواشيه نمام وأغصان غلمان بناديه قيام كأن على رؤسهم الطير يتهال بشرهم بكل خير وميز فى روض ناد مثمر مورق عليه مخائل جود جود مغدق فتجاذبنا أهداب الحديث وأتى بنوادر حارة من كل تليد وحديث حتى فاض المقال الى السؤال عن الداعى لشد رحال الترحال فقلت لحط الديار من الاعيان وعتو الدهر وكلب الزمان وفقد كل خل رقت شمائله ان سألته تهلل حتى (كأنك تعطيه الذى أنت سائله)

انا لفى زمن ترك القبيح به * من أكثر الناس احسان واقبال

فلما صحا القلب وأقصر باطله (وعرى افراس الصبا ورواحله) وقوض بنيان المكارم وقعقع منه العمد والدعائم قلت لم يقل الله ان أرضى واسعه الالنسير فى مناكبها الى حوم الدين والدعه وفى المثل اذا ضربتم فى الارض أميالا وجدتم بلالا فدعا بالدواة والقلم وأنعم بجزيل النعم حتى سد طرق الآمال والمطالب وملأ المنازل والحقائب

فلو كانت له الدنيا * لأعطاها وما بالى

فأغنى عن السؤال وأراح الامانى والآمال ثم تأوه أهة الحزين وأجاب نفثة المصدور منها الحنين وقال هذه نائبة نابت ومصيبة عمت وما طابت وسيوف الله ما أزمت أفواه أغمادها وخيل الله اذا قيل لها اركبى يركب سابق جيادها وكم بين عودين كمين نار يورى بالقدح ويبدوله أوار وقد يأتى من الاحرار من يقول النار ولا العار الا أن خوف المنية قد يدفع صدر الامنية وربما أطفأ نار الحميه أما ترى عمر ابارز عليا وجدلت شعوب كشف سوأته ولبس عار اشق عليه الجيوب كما قال أبو فراس

ولا خير فى رد الردى بمساءة * كما ردها يوما بسوأته عمرو

واصابه

وأصابه مرتداء الذرب فاستناب عنه خارجة ففاجأته المنية لقضاء وجب كما قال

وليتها اذفدت عمرا بخارجة * فدت عليا بما شاءت من البشر

وثالثة الاثافي ما في الاستيعاب من أن بسر بن أرطاة وهو من ابطال الأصحاب كان مع معاوية بصفين وعليه تدور رحا حربها كل حين فقال له لو بارزت عليا وسقيته كاس الحمام نلت مقاما عليا وصار يعده ويمنيه ويدليه بحبل الغرور في قليب أمانيه حتى صرعه أبو تراب في تراب تربته ولم ينج منه الا كما نجا عمرو بكشف سوأته فأعرض ضاحكا من فضيحته وقال فيه الحر بن النضر السهمي

أفي كل يوم فارس ليس ينتهي * وعورته وسط العجاجة باديه
يكف بها عنه علي سنانه * ويضحك منها في الخلاء معاويه
بدت أمس من عمرو فقنع رأسه * وعورة بسر مثلها حذو حاذيه
فقولا لعمرو ثم بسر ألا انظرا * سبيلكما لا تلقيا الليث ثانيه
ولا تحمدا الا الحيا وخصاكما * هما كانتا والله للنفس واقيه
ولولاهما لم تنجوا من سنانه * وتلك بما فيها عن العود ناهيه
متى تلقيا الخيل المشيحة صبحة * وفيها علي فاتركا الخيل ناحيه
وكونا بعيدا حيث لا يبلغ القنا * نحوركما ان التجارب كافيه

فلما قصصت عليه القصص سقاه ما بشر يسيغ جريض الغصص ثم قال لي لو حدثتني بحديثك مع الشيخ النجدي بدار الندوه وصعوده متوكئا على عصا رأيه كل ربوه فقلت هذا وقع فلتة وقانا الله خوف شرها وقضى بلبل من كيد طائفة وقع كيدها في نحرها رأى ظن انه جذيله المحكك وعذيقه المرجب فلم ينتج له صوابا فتصعد فيه وتصوب فسولت له نفسه كل أمر غريب تارة يخطئ وتارة لا يصيب وغره سن علا فنزل أسفل سافلين ولم يقل أنا ابن جلا فلما عزت منه الحيل قلت لله جنود منها العسل وهو وان أظهر العداوة فالقلب مع هواه وهو حبيب تشفع له الود حتى ترضاه فلما خضنا لجة الحديث ووقفت الاقلام على ساحل النمام قال لي هات من هناتك وأنشدني ما قلته من أبياتك فأنشدته منها

عقارب منكم لا تزال لنا تسري * تدب ولا تدري بأني بها أدري
وتأكل لحما لم يكن ثم نضجه * على نار حقد لا تنى بها قدري

وعندي نعل قد أعدت لمثلها * تعاهدها أن لا تدب الى الخوم
ولي همة لا ترتضي دفع شدة * بكشفي سوآتي لحمل سوى صبري
كعمرو وطليق السوأتين وماله * سبيل الى غير السبيلين من شكر
وما أزمت منه سيوف بها ارتدى * ابو حسن والخارجون من مصر
اذا اعتقلوا الخطي من فوق لامهم * ترى غصن الدنا على شاطئ النهر
أو الحية الرقشاء ألقت قشيبها * بمعترك حامي الوطيس على بدر
وما طلعاء الفتح مثل الذي اغتدى * رضيعا بدر الوحي من محكم الذكر
وليس يطيب العرق من ظربانه * اذا ما اصطلى بالعنبر الرطب في الشحر
أبا حسن قد طبت حيا وميتا * وفي نجف أشرقت كالكوكب الدري
فاجدث طافت ملائكة الرضى * به وله الزوار تسعى مدى الدهر
كمثل ضريح ليس يعرفه امرؤ * وليس سوى زيد النجاة به يدري
فيا صاح لا تذكر أوابد معشر * اذا ذكرت فاضت دموعي على صدري
وقل لابن هند من لسان مهند * أآكلة الاكباد أغررتك بالوتر
وريحانة الزهراء قد فاح عرفها * وهبت بها النفحات طيبة النشر
عليهم سلام الله ما طنبت على * مضاجعهم سحب تحل عرى القطر
فحبهم في منزل القلب جارهم * ومن جاور الاشراف لم يخش من ضر
ومن كان خير الخلق في ملجأ المنى * له فرطا يظفر بآماله الغر

فلما ارتوى الحديث من أعذب الموارد والمصادر ورجع الحوار حار النوادر بارد الموادر قال لا فض الله فاك ولا أقض في مهد الهناء مثواك فقد تركت بنيات الطريق وجلوت خرائد فكرك في معرض أنيق ولم تنثر درر المدامع الا من در مودع في صدف المسامع وما أقصر الليل على الراقد وأهون السقم على العائد وقد أصبت دار المقامه فأنت جار أبي داود بدار الكرامه فالزمه لزوم الطوق جيد الحمامه فما لك لا تظمأ بهذا المقام وكيف يظمأ من كان جار الغمام

مابين عصر سابق متلفت * شوقا اليك ولاحق يتطلع

(فصل) في فوائد تتعلق بهذه المقامة قوله سنام الارض هو خصيها كما في أساس البلاغة قوله غربة قارظية الى آخره كان ناس في الجاهلية تغربوا افافتقدوا ولم يسمع لها

بخبر منهم القارظي خرج ليأتي بقرظ الدباغة ففقد وضرب به المثل ومنهم سنان بن حارثة الغطفاني من بني مرة وفي المثل أضل من سنان ولا أفعل كذا حتى ترجع ضالة غطفان وإياه عني زهير بقوله

ان الرزية لا رزية مثلها * ما تبتغي غطفان يوم أضلت

قوله أغر من البلج هو طائر يتيمن به يقال له بالفارسية همای وتمثاله ظله كذا في الاساس قوله غرز بغين معجمة وراء مهملة وزاي معجمة هو للإبل كالركاب للخيل قوله بيضة البلد رئيسها قوله عمائم دهره الثلاث هي سواد شعر اللمة والرأس ثم اختلاطه بالبياض ثم بياضه كله قال

يا من لشيخ قد تجرد لحمه * أفنى ثلاث عمائم ألوانا

سوداء حالكة وسحق مفوف * وأجد لونا بعد ذاك هجانا

والموت يأتي بعد ذلك كله * وكأنما يعني بذاك سوانا

قوله ولم يبق له ليل يصيح الى آخره هو حل لقول الفرزدق

والشيب ينهض في السواد كأنه * ليل يصيح بجانبيه نهار

قال ابن السيد في شرح أدب الكاتب الليل هنا معناه المعروف وقيل الليل فرخ الكروان والنهار الحباري وهو وإن كان صحيحا في اللغة غير مناسب هنا وهو مجاز لأنه جعل الليل كمنهزم يصيح خلفه من يهزمه كما جعله المتنبي قتيلا في قوله

لقيت بدرب القلة الليل لقية * شفت كبدي والليل فيه قتيل

وأحسن منه قول ابن هانئ المغربي

خليلي هبا فانصراها على الدجى * كتائب حتى يهزم الليل هازم

وحتى نرى الجوزاء تنثر عقدها * وتسقط من كف الثريا الخواتم

وسهله سبق الشماخ في قوله

ولاقت بأرجاء البسيطة أبلقا * من الصبح لما صاح بالليل نفرا

قوله كأنما على رؤسهم الطير تمثيل لسكونهم بمن على رأسه طائر يريد أن يأخذه وقيل انهم شبهوا بأصحاب نبي الله سليمان الذين كانوا معه يظلهم الطير قوله لو أنصفوه لقاموا الى آخره هو معنى بديع من قول البحتري

قل للامام أبي محمد ارضي * قول امرئ أبلاه حسن بلاه

من حول بركتك الشهية سادة العلماء والفضلاء والرؤساء

لو أنصفوك وهم قيام أشبهت * أشخاصهم أمثالها فى الماء

ومنه أخذ الارجانى قوله

هذا الزمان على ما فيه من كدر * يحكى انقلاب لياليه بأهليه

غدير ماء تراءى فى أسافله * خيال قوم تمشوا فى نواحيه

فالرجل ينظر مرفوعا أسافلها * والرأس ينظر منكوسا أعاليه

قوله ولم تنتثر درر المدامع الا من درمودع فى صدف المسامع معنى بديع أصله قول الزمخشرى يرثى شيخه أبا مضر

وقائلة ما هذه الدرر التى * تساقطها عيناك سمطين سمطين

فقلت لها الدر الذى كان قد حشا * أبو مضر أذنى تساقط من عينى

وتوارد معه الارجانى فى قوله

لم يبكنى الا حديث فراقهم * لما أسر به الى مسودعى

هو ذلك الدر الذى أودعتم * فى مسمعى ألقيته من مدمعى

ومما قلته مما نسجته على هذا المنوال

ما أنس لا أنس روض الانس والسحر * فعن حديثى به سل نسمة السحر

وقائل قال ما الشهب قد غربت * أمن حياء لما فى الحى من غرر

فقلت غاصت بنهر الفجر حين جرى * حتى طلعن بروض الانس فى الزهر

ولما قلت هذا رأيت فى شعر ابن اللبانة الاندلسى ما يناسبه وهو قوله

أديراها على الروض المندى * وحكم الصبح فى الظلماء ماض

وكأس الراح تنظر من حباب * تنوب به عن الحدق المراض

وما غربت نجوم الافق لكن * نقلن من السماء الى الرياض

وقد وقع مثله فى الشعر الفارسى الا انى لم أر أحدا من علماء الادب بين وجه لطافته مع انه من المعانى البديعة فلما أمعنت النظر فيه رأيته مبنيا على تشبيه بليغ أو استعارة لانه جعل ما سمعه من أبى مضر درر اذات نظم فائق وجعل ما جرى من دموعه أيضا درا فى نسق رائق وهو كثير فى كلامهم مشهور الا أنه بنى عليه ما صيره بديعا مستغربا حيث صير الدر الذى كان مودعا فى صدف الآذان لرقته مدمعا جرى من

العيون والاجفان وتصيف فيه تصرفا آخر أخرجه من باب آخر وهذا هو المحتاج للبيان فالظاهر انه من قلب الاعيان الجوهريه كقلب عصى موسى حيه فلنسمه سحر الشعراء وقلب أعيان المعانى ومنه قولى فى بعض الفتوحات العمريه

﴿فصل﴾ لما أتى عمر كنوز كسرى وجواهر النوبهار لم يعبأ عافيها من زخارف الكفار فكان درها حن لاوطانه فأتاه لانه أعظم البحار بل مدائحه والثناء عليه فى سائر الاقطار صارت مجسمة فصيرها نثارا على خرائد الحصون والامصار فتمثلت لتقبل ثرى أقدامه بتلك الديار

مخلد فخرها اذ تلك قد فنيت * لا الدرر در ولا الاحجار أحجار

وفى معناه ماقلت فيمن أهدى له سبحة مرجان ودر

أحبب بسبحة مرجان مفصلة * بالدر تلثم بحر الجود أحيانا
كانت جواهر مدح فيك قد نظمت * والآن قد جسمت درا ومرجانا
كيما تقبل كفا فيه بحر ندى * والحر يشتاق بعد النأى أوطانا

ومثله وقع فى شعر فارسى

﴿المقامة الساسانية﴾

حدثنا مالك بن دينار عن مسافر بن يسار قال كنت والشباب غرابه لابطار وغراته الجنية تجنى من رياض الاخبار أهوى السياحة والناس ناس والديار ديار والدهر غر لم يفطن لتلون الليل والنهار

ولم أر يوما فى ظلام مفارق * شهابا مشيب لاح فى الاثر منقضا

لقول الله (سيروا فى الارض) أنظر آثار رحمته وأرى مآثر الطراز الاول فى أعلام حلته فان من جد وجد ومن توانى فقد فقد رافعا عصا التسيار على كاهل الاعتبار رافض الاستراحه فى نهد الدعه مشيعا قلبا فارق حبيبا ودعه فاطما أملاعن در أنس ارتضعه لابن الرومى طالما التفت الى الصبح له ساق بساق فى نقاب ورداء * من لثام وعناق أضرب كرة الارض بصولجان الهمه لا أعبأ بقامة غير قاعة وهمة همه أتدرع برد الليل لانه أخفى للويل وأشق أديم النهار للسير ولم أقل ليس للعصا سير كهشيم ترفعه أعاصير ريح تدور وورق جف فألوت به الصبا والديور كانى على غصن بانة خضل تثنيه ريح الصبا هنا وهنا أو قذى فى عيون البلاد أوعير شرد ترميه

الروابي للوهاد أوعذل وامق في مسامع صب شرقت بماء الوداد

كأني بن الوجناء في متن موجة * رمتني بحار ما لهن سواحل

حتى أتيت كورة خراسان فإذا بها نبيل نصب عرضه لسهام الهوان مقلدا في ترجيح البخل مذهب سهل بن هارون كأنه لم يسمع قوله ومن يوق شح نفسه فأولئك هم المفلحون فطويت حديثه على غره وأتيته لاقف على جلية أمره فلما جست خلال ابوابه قرأت عنوان حاله على وجوه غلمانه وسمعته يقول لمن امترى اخلاف درته وشبع من خلته وحمضه بروية تجربته يا هذا اصنعا عتنا واحده لولم تدرج من عشك كانت الراحة فانه ألم تسمع نصح ناصح ولم تزجر سانح وبارح

قال الحكيم في قديم العهد * سواء السلطان ثم المكدى

كلاهما يطلب أموال الورى * لكن ذا يقهره والجند

وذا بألطاف الدعا ضارعا * لما يرجيه بعض الزبد

فلما رأى اليأس أغلق باب الرجا وسده سد ابن بيض بناقته مسالك الارجا

أتى بجفينة لاخير فيها * فأجلسها عائدة الكلام

ثم قال لي أي البلاد تهدي سلامها وأي زهرة تحية تحت تلك النسمات أكمامها قلت الكنانة المعزيه والخطة التي هي في حضانة نيلها محميه رياضها تحيي بأنهاره وأصابعه تشير لكنوز خصب تستخرج من معادن أقطاره الا أن أصابع الناس في الراحة والايادى وفي أصابعه أيادو راحة لكل حاضر وبادى فان سألت عن حالي ففؤادي بها فؤاد أم موسى فارغ من آمالي وما حال وردة فارقت نسمات القبول لحداها السموم وقادها الذبول

فتأمل كيف يغشى * مقلة المجد نعاس

فأما حال سكانها ومن ألقى جرانه بأعطانها فقد ذهب أرباب الهمم العاليه ولم يبق الامن يفتخر بالرمم الباليه روح الشوم ونتيجة اللوم وخليفة البوم وبعين الله ما يصنع الليل والنهار ويستر الثوب والجدار وما يستتر في ضمائر البيوت وان طال التحمل والسكوت فكم بكت السماء أرضا فقدت حبيبا وساعدتها سحب انتحبت بها نحيبا

ولطمت الخدود بها بروق * وشققت الرعود بها جيوبا

فقل لمن افتخر بالعظام ماوراءك ياعصام

اذا ما افتخرت بفضل الجدود * وما فيك شئ يسر النفوسا

فكل ماحواه كنيف الكرام * فقد كان أمس طعاما نفيسا

ولنعطف على هذا النسق لبيان من بقي منهم طبق على طبق من أصناف لاتعد وأجناس لاترسم ولا تحد كرعاع بني درزة بن ساسان كلاب سلوقية تصيد مع كل جعد البنان من كل سائل بالالحاح الحجف أودار بمزمار ودف أو تغنى بانكر الاصوات فنهق اذ رأى شيطانا يدعى الكرامات يقيم به المعتزلي دليل انكار الكرامة ويقول هل على بعد هذا ملامه أوحامل راية وعلم جعل القناعة علما لسقوط الهمم ومنهم من كبر وتكسرت قواريره وخبا نوره حين هبت أعاصيره وأعظمهم جرما وأقلهم دينا وحزما حرص تنفره يقرأون القرآن في بقاع مستقذره بين رهط لايتدبرون ولا يستمعون ولا يمتثلون قول الله واذا قرئ القرآن فاستمعوا له وأنصتوا لعلكم ترحمون وتجار رأس مالهم الافلاس يضربون الاخماس في الاسداس يزكون كذبهم بالايمان الفاجره فيربحون خسارة الدنيا والآخره ان ناقشت أحدهم في تقاضيه بادر بالحلف على دينه فيقضيه

يقول استمع حلفتي كاذبا * اذا ما اضطررت وفي الحال ضيق

وهل من جناح على مسلم * يدافع بالله مالا يطيق

ورؤساء الفقهاء والكتاب الراضين من الغنيمة بالاياب وسعوا الاكمام وطولوا الذيول ومشوا في ظلمات الجهل والعلم مصباح العقول قباب عمائمهم على قبور الاجسام دنيات منكوسة اهراقت الالباب والافهام أثقل من الامانة التي أبى حملها الجبال من خوف سقوطها لم يدن منهم كاتب الشمال حتى كاد لايجد لاحصاء عمله سبيلا وحملها الانسان انه كان ظلوما جهولا اتخذوا سعة الاكمام زنبيلا للخزي والملام وطول الذيول مكانس لطرق الغلول اذا جلسوا يلقون دروسا رأيت عنز الاخفش تقابل تيوسا فمبدي ويعيد ثم يقول من يحلب التيس عليه يبول فاذا كبر وتكسرت قواريره هبت لتخريب الاوقاف دبوره وأعاصيره اذا صام عن الخبز أفطر بأكل أموالها وتم بعد ببيع أحجارها واستبدالها انما يعمر مساجد الله من آمن بالله واليوم الآخر لامن كان ضب العشيات وحرباء الظهائر وقضاة بلغ سيل الظلم بهم

الزبى وشرقت أفواه التلاع والربى من كل منقوص لا يظهر رقعه ازرق دينه وجفا طبعه أحول عقله يرى الواحد مع الرشا اثنين ويبيع دينه نسيئة بالدين ويستفتى فرعون فى قسمة الاحياء قبل الاموات يحكى أبا جهل علما ولو كان له بقليب بدر عظام رفات ويفوق قاضى معز الدولة الملقب بفسوة الكلاب فى الهوان وقد أحسن ابن شرف فى هجوه غاية الاحسان فقال

انا الى الله راجعون فقد * هان على الله أهل ذا البلد
وفسوة الكلاب صار قاضينا * فكيف لو كان ضرطة الأسد

فكم ركب بحر الاهوال حتى وصل الى ساحل الضلال وأمعن السير فى تيهه فلم يجد للهداية طرقا والمنبت لا أرضا قطع ولا ظهرا أبقى وفقيه تحت ابطه أجزاء رثة بها أفطر الجرذان وتعشت العثة أعمى العين والجنان وأبا زير العمى شم الصنان له أوراق تفرقت أيدى سبا براو بحراوهن صنانه بها تأبط شرا لئيم اذا شبع من الذم بات غرثانا من الكرم فهو ينادى بكل حى ونادى

هى كتبى فليس تصلح من بعدى لغير العطار والاسكاف
هى اما مزاود للعقا قير واما بطاين للخفاف

وقد فقد العلم لولا نفحة أنس من نفر بقايا فتح الله بهم خزائن كنوز هى خبايا فى الزوايا من كل نقى العرض أبيض السجايا اذا تدنست الاعراض فاعراضهم من العار عرايا

أبدت مآثرهم نقص الزمان فقى * خد الربيع طلوع الورد من خجل

حمت شوكتهم رياض فى ربى الدين العوالى وأحيا الله بانفاسهم العيسوية موات المعالى ولما شرح الله بهم صدر الدين وفتح ببصائرهم عين اليقين أيدهم بابناء الاعيان من أمرائها فمالت الخلافة تحت أفياء لوائها حتى حموهم من نوائب الحتوف وزهت جنة مثواهم تحت ظلال السيوف فصارت بهم الاطراف من منازه منازل الاشراف ولهذا أيشر البديع بقوله فى معنى بديع

قيل لى لم جلست فى طرف القو * م وأنت البديع رب القوافى
قلت آثرته لأن المناديل يرى طرزها على الاطراف
وكفانى من المفاخر انى * نازل فى منازل الاشراف

فأووا من ذلك الظل الى ركن معتمد ونزلوا فيه بين العلياء والسند متعنا الله بهذه الدولة وجعلها أطول الدول عمرا وأرفعها منارا وأعظمها قدرا سماء مجدهم مكالمة بنجوم تهتدى بها الاماني ويستقر رجاء كل قلب عاني والدهر لسعدهم من الخدم وفيض أياديهم يغني عن الديم وسحبهم مغدقة على الراجين بالكرم

قلت للبرق اذ تألق فيها * يازناد السماء من أوراك

ان تشبهت بالكرام وماقد * كان من جودهم فلست هناك

ومذعي لسان برقهم الخلب وقال لاخلابه وكلت دهم الاقلام من المشي في الكتابة شكرت مشيها على الرؤس وقلت لاعطر بعد عروس فقد جف القلم وكل شيء بلغ الحد انتهى وتم

﴿مقامة عارضت بها مقامة الوطواط وهي هذه﴾

حدثنا مبارك بن سعد العشيره وكان حسن السيره سليم السريره قال لما هزتني الاريحية ودعتني دواعي الهمم والحميه الى تقلد صوارم الاعمال وجهت وجه الطلب الى قبلة الآمال سدة الوزاره ومسند ظهور الصداره فأتيت المآرب من بابها وقبلت الحجر المكرم من أعتابها فلم أجد المقاليد بيد حر رشيد فزاغ البصر وقال كلا لا وزر

من آلة الدست ماعند الوزير سوى * تحريك لحيته في حال ايماء

فهو الوزير ولا أزر يشد به * مثل العروض له بحر بلا ماء

ثم حللت عقدة من لساني ومددت حبل بياني قائلا لم تؤد الامانات الى أهاليها وترم سهام الاغراض نحو مراميها ألم تدر أن زوال الدول باصطناع السفل هلا وليت قارها من تولى حارها فاعتذر بابرام الشفيع ودعوى استحقاق من قلده الصنيع وان كانوا أنعاما بلا أذناب لم يعرف أنهم من الناس حتى علاهم التراب

ومن الجد كيمياء اذا ما * مس كلبا أحاله انسانا

ثم احتج في المحافل لمن قدمه من الاراذل بأن قصب السكر أحلاه كعوب الاسافل وما على المحسنين من سبيل قلت لابس ثوبي زور مكشوف السبيل وما مثلي ومثلك الا كمثل فاتك أمير الحرم والنعمان هاتك الحرم لجمعه بين الرجال والنساء في عكاظ الفجور صباحا ومساء فلما سمع ماوشوا به أحضره ونفاه بعد ما هدده وزجره فذهب

بوادى الاراك وأقام مليا هناك ثم أتى لزيارة البيت والمقام فلتى من كان يرضع معه ثدى المدام فتذا كرمع ذلك النديم عهد أنسه القديم ثم قال ان أردت أعدتم اجذعة بدرهمين فى أحسن نزهة وقرة عين كما قلت

ياصاح قدزار الربيع فقم الى * صفو المدام ونزهة الابصار

فلقد دعاك الى الرياض وطيبها * سجع البلابل دعوة الاسحار

فاستحسن ذلك المقال وأجاب دعوة اللهو فى الحال مقيما السوق الفسوق قائلا من فرص اللصوص فجة السوق فاعلم به الامير ثانيا فحمله على الادهم بخلاخيل الرجال حاليا وأبرق له وأرعد وأنذره صواعق عقابه الاشد فأنكر وطلب منه بينه أوحجة على ماقالوا بينه وقال الانكار من حصون الفجار ثم قال قائل للامير أرسل بواديه الحمير فان أتت داره لم تسمع انكاره فلما أسمعوا ذلك فاتكا تبسم ثغر القبول ضاحكا فقلت للوزير قبول هذه الشفاعة كقبول الامير شهادة الحمير فترك دقيق الاراء لرأى فطير وأراق ماء سقائه لما رأى السراب وأطفأ السراج لما رأى بوارق السحاب ومن كان كذلك لا أقبل له عملا ولا أوجه نحو سدته أملا فقد استراح الامل ومل البأس من الملل ونام العمل فى مهد البطاله واهتدى سارى الطلب بالضلاله .

لاخيل عندك تهديها ولامال * فليسعد النطق ان لم تسعد الحال

وهذا ما نسجته على منوال رسالة رشيد الدين محمد بن محمد العمرى المعروف بالوطواط التى عملها الكاتب كان يزاحمه فى أداته ودواته (وهى هذه) عذلتنى أدام الله بمجدك وحرس مهجتك على اعتكافى فى الزاويه والتجافى بالعافيه وقلت لم تركت الاعمال وفوائدها والاشغال وعوائدها فاعلم أدام الله سعادتك وزين بالكرم عادتك انى ماطلقت منافع الديوان ولا ودعت مجامع الاخوان الاهربا من الحاقك فى الاستفاحه وفجرا من اسرافك فى الوقاحه كم أصبر على نهبك دواتى وقلمى واستهزائك بحاشيتى وخدمى أيها الكاتب أين دواتك وقلمك بل أيها الغاصب أين حياؤك وكرمك لاشئ أقبح من ذى صناعة لا تكون معه أداته ولا اخزى أفضح من ذى كتابة لا يصحبه قلمه ودواته سمعت فيما بلغنى من النوادر المطربه والحكايات المضحكه انه كان بنيسابور مكار يعرف بأبى سعيد المعتوه كثير الجنون قليل

السكون يغضب من الذباب اذ يطير و يضجر من الشرار المستطير وله حمار كحمار قبان
بل أضعف قوه وأنحف بنيــه أضناه مس الآفات وأفناه قطع المسافات لم يبق من
لحمه الا اليسير ومن عظمه الا الكسير فاتفق أنه اكترى حماره هـذا بعض التجار
القاسية قلوبهم والغاشية عيوبهم الى بغداد وحمله من أصناف بضائعه وأنواع
بدائعه حملا ثقيلا تفرق الجمال من ثقله وتشفق الجبال من حمله ثم علق على أحد
جانبيه مطهرة مملوءة بالماء ومن الجانب الآخر سفرة محشوة بالخبز والحلواء وألقى عليه
فروة رلباده وحشية ووساده ولا تسـل عن القـدر والمغرفه والفاس والمجرفه
والنخ الذي يفرشه اذا نام والخف الذي يلبسه اذا قام وغير ذلك مما يحتاج اليه التاجر
لمرمة أحواله ويفتقر اليه المسافر في حله وترحاله ثم بعد هذا كله استوى التاجر عليه
وأدلى منه رجليه كانه أصاب ملك تفليس أو استوى على عرش بلقيس والحمار تحت
هذه الاثقال لا يمكنه السير ولا يرجى منـه الخير اذا ضرب ضرط واذا حرك سـقط
والمكاري يبكي طول الطريق دما و يتنفس الصـعداء ندما ويقاسي من وعثاء
السفر ولاواء الخطر وجور المكترى وجفائه وتكدر العيش بعـد صـفائه ما يطيل
العنا و يزيل الهنا الى أن وصل بمهجته الحزينه وحشاشته المسكينه بعد اللتيا
والتي الى بغـداد ودخلها وقت السحر وطلب محـلة يسكنها طوائف التجار و ينزلها
الواردون من الاقطار تحط فيها الرحال وتطرح الاحمـال وشـد الحمـار ونفض
عن عطفيه الغبار وتوضأ في الساعـه وصـلى مع الجماعـه وما أرغب الملهوف في
الصلوات وأحرص المظلوم عـلى الدعوات فلما فرغ من صـلاته ودعائه وهـدأ من
تضرعه وبكائه وهم بالخروج من المسجد سمع صيحة هائلة من ناحية درب المحلة كادت
تنعط لهولها الجيوب وتنشق من فزعها القلوب فعـمد الى الدرب ليسأل عن المهم
والامر الملم فاذا المحتسب عنـد باب الدرب بدرته وصاحب الشرطة لابس ثوب شرته
والعامة أكثر من أن يحصي عددهم والنظارة أزيد من أن يستقصي عددهم فقال
المكاري ماذا حدث فقالوا في هذه المحلة تاجر قد أخذ البارحة مع غلام للخطيب كالغصن
الرطيب يشرب المدام و يقبل الغـلام فانتزعوا التاجر من داره واستخرجوه من
وجاره وتضاعفت عليه الصفعات المعمية والجلدات المدميـة وسودوا محياه وطلبوا
حمارا يركبونه اياه ليطاف به حول البلده للنكال والعبره وكان حمار المكارى

عرائى من عيون العامة فتتعادوا اليه وأجلسوا التاجر عليه والمكارى يعدو ويصيح حيث لا ينفع الصياح وقامت القيامة فى السوق والمعن على أهل الفسوق والعامة يرمون التاجر بالبعره ويشيعونه بالنعره الى أن طيف به فى جميع محال البلد والبلد بلد بغداد فلما حان وقت المساء وانسدل سجف الظلماء خلى عن التاجر ورد الحمار الى المكارى ساغباً لاغباً جائعاً يكاد يسلمه الطوى الى التوى ويسوقه الصدا الى الردا فأخذه المكارى أخذ المترحم ومد أذنيه ومسح عينيه وقرأ فاتحة الكتاب وتفل عليه وزاد فى علفه خوفاً من تلفه وبات تلك الليلة كما قال النابغة

فبت كأنى ساورتنى ضئيلة * من الرقش فى أنيابها السم ناقع

فلم يفزع سحابة الليل من الحرب والويل فلما نعر ديك الصباح وصاح وزهر كوكب الصباح ولاح قام المكارى من مهجعه ووثب من مضجعه وكاد يشتغل بالوضوء اذ قرعت سمعه صيحة أشد من الصيحة الامسية فترك الوضوء وأسرع الى الدرب ليفتش عن الامر الحادث والخطب الكارث فاذا المحتسب بالباب وصاحب الشرطة كاشر الانياب والعامة أشد هجمه وأكثر وجمه مما كانوا بالامس فقال المكارى ماذا وقع قالوا ان ذلك التاجر أخذ كرة أخرى مع غلام القاضى كالسيف الماضى يشرب القهوه ويصعد الجهوه فقال المكارى انا لله وانا اليه راجعون قطع الله أثره وأزال خبره ورزقنا جاراً غيره ثم عدا الى حماره ليواريه فى بيت جاره فسبقه بعض العامة اليه وأجلسوا التاجر عليه فشق المكارى جيبه ولطم وجهه وشج رأسه وتمرغ فى التراب من فرط الحزن والاكتئاب وقال لا مرحباً بهذه السفرة المنحوسه والحركة المعكوسه فما أشد نحسها للعود وأبعد نجمها عن السعود وكان على هذه الصفة الى أن مد الليل رواقه وضرب الظلام طراقه فخلى عن التاجر ورد الحمار الى المكارى وقد تمزق اهابه واسترخت أعصابه وصار لا يقدر على الحراك وأتى وقد أنشبت به اظفار الهلاك فأخذه المكارى كالمجنون ومحى برذعته واكافه ومرخ أعضاءه وأطرافه وسقاه الماء وترك بين يديه الاناء وكان من صدر الليل الى عجزه مستلب القرار فى مداواة الحمار فلما انتشرت أعلام الضوء فى أقطار الجو أصاب أذنه صيحة أهول من الصيحتين الاوليين فوثب من مرقده ليتفحص عن الحال والداء العضال فاذا المحتسب عند الدرب وصاحب

الشرطة

الشرطة مشمر للضرب والعامة مجتمعة والاصوات مرتفعه فقال المكارى ماذا طرأ قالوا اذ لك التاجر أخذ كرة ثالثة مع غلام للرئيس كالدر النفيس يشرب الخمر ويفعل ذلك الامر فقال المكارى استأصل الله شافته ودفع عنا آفته وقفز اليه وعض الاغلة عليه وأخذ باحدى يديه فلببه ولكمه بالاخرى لكمة ضعضعت أركانه وقعقعت أسنانه وقال بقلب حنق وصوت مختنق ياخبيث الفرج ان كنت لاتتوب من هذه الحالة القبيحه ولا ترجع عن هذه الخصلة الشنيعة الفضيحه فاشتر حمارا تركبه أوقات النكال وساعة الوبال فى هذه الافعال فقد أهلكت حمارى وأزلت قرارى فهاأنا أقول لسيدنا قول المكارى للتاجر الفاجر ان كنت كاتب الملك فهى الطرس والنفس والا فالزم البيت والعرس فقد أفسدت دواتى وقلمى وأطلعت عناءى وألمى

(المقامة المغربية)

حدثنا مؤنس عن زعيم تونس بأحاديث تسلى الكئيب وتونس وتهزأ بالمقامة المغربيه وتدعها لاشرقية ولاغربيه لركاكة مبانيها وغمر معين معانيها فمنها قوله تعاطينا كأس المنافثه وقدحنا زند المباحثه كقولى نازعناه كأس الحوار فأسكرتنا بلا اصداع ولا خمار وقدحنا زند الافكار فأضاءت أنوارها بغير نار وظننا أن الفضل والادب المعجب شالت نعامته وطارت به عنقاء مغرب وحنظلة بن صفوان لم يرله عقاب عزم منجب وشمس الهدى طلعت من مغاربها وباب التوبة أغلق وقد ضاعت مفاتيح مطالبها حتى لاحت من جانب الغرب قافله وفيها فتية لباب التوبة غير قافله صدقت حديث لاتزال طائفة من أهل الغرب تصدر الرعاء بعد ما استقوا بكل سجال وغرب وفيهم عيسى الجزرى أتى بكل وشى عبقرى الا أنه لما أطال توهم الملال فانه كان كما يقال

كلما تذكر شيأ * قال أملوه علينا

فلما بلغه تلك الاخبار بادر الى الاستعطاف والاعتذار وكتب دام سعد المولى فى صعوده وجده فى شرف سعوده وشهابه فى اشراق أضوائه وسحابه فى اغزار أنوائه وان مما روى أبو سعيد الخدرى فى الوصية بطالب العلم حديثه المشهور فى بابه وأنتم أهله وأولى به ثم قال

عياذا بصفو الحلم من كدر العتب * وغوثا بأنواء الشهاب من الجدب
لقد قرع الآذان مناماة * تضاعف من مأثورها ألم الكرب
مقالة ان العبد فرق جمعه * وتنكر من عرف وأبعد من قرب
فيا أيها البحر الخضم ومن غدا * يتيه به الشرق المنير على الغرب
حنانا ورفقا بالخويدم انه * ليضعف عما حملته يد العتب
فان أك قد قارفت ذنبا فذمتى * بمولاى ما تنفك تمحو قذى الذنب
فلا زال ضوء الشهاب مجليا * ومابرحت أنواء نعماه فى سكب

وحديث نضر الله امرأ لا يعزب عن ذكر المولى وهو بتبليغ الوافد الغريب أحق وأولى ففهمت مقاله وقبلت عذره وقلت لله دره

تلك المكارم لا قعبان من لبن * شيبا بماء فصارا بعد أبوالا

ولو سمع الحريرى قول شامة الشام فيما أتى به فى الغرب من الجناس التام ما حوقل واسترجع وأنشد من قلب موجع

سل الزمان على عضبه * ليروعنى وأحد غربه حده
واستل من جفنى كرا * مرا لمحماو أسال غربه مجرى الدمع
وأجالنى فى الافق أطوى شرقه وأجوب غربه مغربه
فبكل جو طلعة * فى كل يوم لى وغربه غروب
وكذا المغرب شخصه * متغرب ونواه غربه بعيده

وسيأتى من معانى الغرب ما تعلم أن بينه وبين هذا كما بين الشرق والغرب وانه قنع من الكثير بقليل ما قاله عملا بالمثل لم يحرم من فزله ولولا أن الحظ لبى دعاه وجرى من أخلاف المزن أنواءه ما تمادته الركبان ولا شكر صنيعة صنعته الزمان ولكن النظم والنثر توأمان قد تراضعا بلبان وتربيا فى حضانة الحسن والاحسان فانهما ديوان العرب الذى لم يزل يحفظ به الحسب والنسب وتؤثر به القبائح والمحاسن وترفرف أهداب ريحانه على ماء غير آسن وله طبقات على مر السنين جاهلية ومخضرمين واسلاميين ومولدين ومحدثين ومتأخرين لحقوا حلبة المجلين والمصلين وكلهم استقوا بماء الكرم المعين ممن المكارم ضالته التى تنشد والمحامد غنيمة تجبى له ممن اتهم وأنجد ولم يكثر بنهكة ذى قربى ولا بجفلد والآن قد اندرس

النسب وذبحت الدجاجة التي كانت تبيض الذهب والليالي التي كانت حبالى تزجى ولا دتها عقيم ولا أرض منبتة حتى يرعى الهشيم وقد صم الندا وخرس الصدا ومن عرف ما بين الصحابة جرى وذهب به دم الفار وق هدرا ولم يتناطح عنزين اذ طل دم ذي النورين فمن يسمع شكاية الزمان وقول بديع الزمان الحلق النفس لا يساعده الكيس ولا قرابة بين الذهب والادب وقد قامت الايام بين جمادى ورجب فصارت كلها عجائب فلا يسمع من يقول لها عجب وقالوا اذا ظهر السبب بطل العجب وأنا أقول اذا دام العجب صار عين السبب ومن أتى بعد الطبقة العاليه شرب من عين صافيه واستعار منهم حلل المباني والحلي شغل أهله أن يعار وصاغ من نضارهم زخرف المعاني فصار عجلا له خوار وأغار عليهم فسبا ما سبا وساق سائمة قالت في كناس الظبي ألم تسمع بقصة الحاتمي مع أبي الطيب وظلامة أبي تمام التي تميز الخبيث من الطيب ولله در أبي اسحق فيما شنع به على السراق

قالوا تركت الشعر قلت ضرورة * باب الدواعي والبواعث مغلق
خلت الديار فلا كريم يرتجى * منه النوال ولا مليح يعشق
ومن العجائب انه لا يشترى * ويخان فيه مع الكساد ويسرق

على انا نقول ان خابت الظنون ففي المثل الحديث شجون والمطامع لا تمل خائنة العيون ولنا في الغيب آمال لا تمل الانتظار والسؤال والسلام

﴿فصل﴾ في بيان ما في هذه المقامة من الفوائد قوله حنظلة بن صفوان هو نبي الرس الذي أهلك عنقاء مغرب لما اختطفت الصبيان قوله روى أبو سعيد الخدري هو الصحابي المشهور وما ذكر اشارة الى الحديث الذي رواه السلفي في معجمه مسندا لابي سعيد الخدري انه قال قال لنا رسول الله صلى الله عليه وسلم ان الناس لكم تبع وانه سيأتيكم رجال من أقطار الارض يتفقهون فاذا أتوكم فاستوصوا بهم خيرا رواه عنه أبو هارون العبدي وقال كنا اذا أتينا أبا سعيد الخدري يقول لنا مرحبا بوصية رسول الله صلى الله عليه وسلم سلوا ما شئتم انتهى قوله شامة الشام هو صاحبنا أبو المعالي درويش محمد الطالوي أديب الشام والابيات المذكورة هي للحريري في مقاماته أتى فيها بمعاني الغرب وأظهر فيها اطلاعه على اللغة وهي قطرة من غدير وزهرة من روض نضير عارضها صاحبنا الطالوي بقصيدة أبدع فيها وهي قوله

أمن رسم دار كاد يشجيك غربه * نزحت ركي الدمع اذ فاض غربه

(موق العين)

عفا آية نسج الشمائل والصبا * وكل هزيم الودق اذ فاض غربه

(ذهابه ومجيئه)

به النوء في شطره فكانه * هلال خلال الدار يجلوه غربه

(محل الغروب)

وقفت بها صحبي أسائل رسمه * بحاجة صب طال بالدار غربه

(التمادى)

على طلل يحكي وقوفا برسمه * على مثلها والجفن يذرف غربه

(الدمع)

أقول وقد أرسى الفنا بعراصه * وأزف أهليه البعاد وغربه

(النوى)

سقى ربعك المعهود ريعان عارض * يسح على سحم الأثافى غربه

(دره)

وليل كيوم البين ملقى رواقه * على وقد جلى الكواكب غربه

(أوله)

أراعي به زهر النجوم سوابحا * ببحر من الظلماء قد جاش غربه

(أعالى الماء)

يراقب طرفي الساثرات كأنما * لطول دوام نيط بالشهب غربه

(مقدم العين)

كأن جناحي نسره قص منهما * قوادم حتى ما تزايل غربه

(التنحى)

ذكرت به لقيا الحبيب وبيننا * أهاضيب أحلام الحجاز وغربه

(شجره)

فهاج لى التذكار نار صبابة * لها الجفن أضحى يقذف الدمع غربه

(مسيل الدمع)

الى أن نضا كف الصباح حسامه * وأغمد من سيف المجرة غربه

(جده)

وولت نجوم الليل صرعى كأنما * أريق عليها من فم الكاس غربه

(خمره)

وأقبل جيش الليل يغمد سيفه * بنحر الدجى والليل يركض غربه

(الفرس الكثير الجرى)

وزمزم فوق الايك قمرى بانه * بروض كفاه عن ندى السحب غربه

(يوم السقى)

فهب يدير الراح بدر يزينه * اذا قام يجلوها على الشرب غربه

(ساقه)

من الروم خوطى القوام بثغره * سلاسل راح يبرئ السقم غربه

(سلافة الريق)

بخد أسيل يجرح اللب طرفه * وطرف كحيل ينفث السحر غربه

(عينه)

يريك نظيم الدر منه منضدا * كمنطق داود اذا صال غربه

(الزبور)

فتى قد كساه الفضل ثوب بهائه * اذا خصمه قد شن بالفم غربه

(كثرة الريق)

فيا من رقى هام المعالى وفكره * لدى البحث أمضى من شبا الليث غربه

(المدى)

اليك أتت تغلى الغلا بدوية * ولم ينضها طول المسير وغربه

(بعده)

أرق من الصهباء فأعجب بسبيها * وأعذب من ثغر حوى الشهد غربه

(منقع الريق)

اذا ما جرت فى حلبة الشعر لم يك الكميت يدانيها وان زاد غربه

(حدة الجرى)

ولو عرضت يوم الغيلان لم يكن * بأملال مَحّ يغرق الجفن غربه
(انهلال الدمع)
فدونكها لا زلت تسمو الى العلا * مدى الدهر ما صب يسقي الدار غربه
(الفيضة من الدمع)
وما غردت ورق الحمائم بالضحى * وأشرق وجه الكون وانجاب غربه
(المغرب)

قوله لم يحرم من فزدله هذا مثل يضرب لمن طلب شيأ لم يتيسر له وقيل له اقنع بما تيسر من القليل وأصله أن الضيف فى زمن القحط يؤمل أن من نزل عليه ينحرله فيقصد رب الدار راحلته ويجعل الدم فى المصارين وتشوى وتقدم للضيف ويقال اقنع بهذا فانى لا أقدر على أكثر منه وأصله فصد بضم الفاء وكسر الصاد فسكنت للتخفيف وحينئذ يجوز ابقاؤه على أصله وابدال صاده زايا أو يشم وهى لغة فصيحة فى الصاد بشرط سكونها سكونا أصليا أو عارضا كما هنا وفى كتب العربية ان هنالك شرطا ثانيا وهو أن يكون بعدها دال وبه قرئ فى نحو فاصدع وفيه نظر لانه قرئ به فى صراط ومصيطر ولا دال فيه فلعله شرط لما هو مطرد مقيس قوله بنهكة ذى قربى ولا بحقلد هذا اشارة الى قول زهير فى قصيدة له أولها

غشيت الديار بالبقيع فثهمد * دوارس قد أقوين من أم معبد
ومنها *
اذا ابتدرت قيس بن عيلان غاية * من المجد من يسبق اليها يسود
سبقت اليها كل طلق مبرز * سبوق الى الغايات غير مجلد
كفضل جواد الخيل يسبق عفوه السراع وان يجهد ويجهد يبعد
تقى نقى لم يكثر غنيمة * بنهكة ذى قربى ولا بحقلد
سوى ربع لم يأت فيها مخانة * ولا رهقا من عابد متهود

ومعنى قوله تقى نقى الى آخره أنه تقى فى ذاته نقى فى عرضه لم يكثر مال الغنائم بجور وغارة على من يقرب منه من القبائل وقوله حقلد بفتح الحاء المهملة والقاف وفتح اللام المشددة ورواه أبو عبيدة بفاء بدل القاف والمشهور الاول ومعناه السيئ الخلق لا يؤمن شره والطلق السخى المطلق كفه بالعطايا وغير مجلد أى يسبق من غير جلد بسوط ولا زجر

الخنيس له راكبا فرسه معتقلا رمحه وهو مغضب فلما دنا منه قنعه السيف فابان رأسه وفي معناه المثل الآخر وهو سبق السيف العذل وقائله ضمضم بن عمرو اللخمي انتهى قوله بقصة الحاتمي مع أبي الطيب الى آخره أما قصة الحاتمي فهو كما قال ان المتنبي لما دخل بغداد صعر خده ونأى بجانبه برفل في برد التيه ولا يلقى أحدا الا يزدريه يخيل له ان العلم مقصور عليه والشعر بحر لا يغترف الا منه ونور روض لم يجنه غيره فتوخيت أن يجمعني واياه مجلس يعرف فيه منا السابق من المسبوق فلما لم يتفق لي ذلك قصدته فاذا هو على فرش باليه قد أكلها الدهر فهي رسوم خافيه فلما رآني نهض الى بيت بازائه حتى جلست فاقبل وعليه سبعة أقبية كل منها بلون في أشد ما يكون من الحسن بعضها فضل اللباس فوفيته حق السلام غير مشاح له في القيام مع علمي انه لم يدخل المخدع الا لئلا ينهض عند موافاتي فلما جلس أعرض عني ساعة طويلة لا يعيرني طرفه ولا يسألني عما قصدت له فكدت أحترم من الغيظ ولمت نفسي على قصده واستخففت رأيي في زيارة مثله وهو مقبل على جماعة يقرؤن عليه شيأ من شعره وكل منهم يوقظه ويغمزه ويومي اليه عما يجب عليه أن يفعله ويعرفه مكاني وهو لا يزداد الا ازورارا ونفارا ثم ثنى بصره الي وقال أي شئ خبرك فقلت خير لولا ما جنيته من قصد مثلك وكلفت قدمي في المشي اليك ثم تحدرت عليه تحدر السيل وقلت أبن لي عافاك الله ما الذي أوجب ما أنت عليه هل لك نسب في الابطح تبجحت به بجبوحة الشرف وتوسطت به واسطة السلف أو علم أصبحت به علما يومي اليه وتقف الهمم عليه هل أنت الا وتد بقاع واني لأسمع جعجعة ولا أرى طحنا فسقط في يديه وقال لي لم أعرفك فقلت له هب الامر كذلك أما رأيت تحتي بغلة رائعة وبين يدي غلمان عدة أما شممت نشري أما شاهدت لباسي أما راعك من أمري ما أتميز به عندك عن غيري فقال لي خفض عليك فاعرضت عنه ساعة ثم قلت له عندي أشياء تختلج في صدري من شعرك أحببت ان أراجعك فيها فقال ما هي قلت أخبرني عن قولك

اذا كان بعض الناس سيفا لدولة * ففي الناس بوقات لها وطبول

أهكذا تمدح الملوك وأخبرني عن قولك

ولا من في جنازتها تجار * يكون وداعها نفض النعال

أهكذا ترثي أم ملك أما والله لو قلت هذا في أدنى عبيدها لكان قبيحا وأخبرني عن قولك

فى صفة كلب

فصارتا فى جلده للرجل * ولم يضرنا بعد قصد الاجدل

أترى أعجب من هذا عذوبة لفظه أو لطف معناه وأخبرنى عن قولك فى هجاء ابن كيغلغ

واذا أشار محدثا فكأنه * قرد يقهقه أو عجوز تلطم

أما فى أفانين الهجاء التى أبدعها الشعراء مندوحة عن هذا الكلام الرذل الذى يمجه كل سمع ويعافه كل طبع أما قرأت رجز الحسن بن هانئ وطرديات ابن المعتز أما فى غرر الالفاظ ما تتشاغل به عن بنيات صدرك فأقبل على وقال أين أنت من قولى فى وصف جيش

فى فيلق من حديد لو قذفت به * صرف الزمان لما دارت دوائره

ومن قولى

كأن الهام فى الهيجا عيون * وقد طبعت سيوفك من رقاد

وقد صغت الاسنة من هموم * فما يخطرن الا فى فؤادى

وقولى

ما كنت آمل قبل نعشك أن أرى * رضوى على أيدى الرجال تسير

أما يكفيك احسانى فى هذه عن اساءتى فى تلك فعلت ما أعرف لك احسانا فيما ذكرت وانما أنت سارق متبع وآخذ مقصر أما قولك كأن الهام الخ فمأخوذ من قول منصور النميرى

وكأن موقعه بجمجمة الفتى * حذر المنية أو نعاس الهاجع

وأما قولك فى فيلق من حديد فمأخوذ من قول أرسطو فى آخر مماته قد تكلمت بكلام لو مدحت به الدهر لما دارت على صروفه وأما قولك ما كنت آمل البيت فمأخوذ من قول ابن المعتز

قد ذهب الناس ومات الكمال * وصاح صرف الدهر أين الرجال

هذا أبو العباس فى نعشه * قوموا انظروا كيف تسير الجبال

فقال أحد من حضر ما أحسن قوله (قوموا انظروا الخ) فقال المتنبى أسكت ما فيه ما حسن انما أخذه من قول النابغة الذبيانى

يقولون حصن ثم تأبى نفوسهم * فكيف بحصن والجبال جنوح
فقلت ان أخذه فقد أحسن المأخذ وأخفاه وأما قولك أنت فأخوذ من قول أبي تمام فقال
من أبو تمام فقلت الذى سرقت منه ونجسته بقولك
شرف ينطح السماء بروقيـه وعز يقلقل الاجبال
فجعلت شرفه قرنه لان الروق القرن فقال انها استعارة فقلت لكنها خبيثة فقال أقسم
بالله ما رأيت شعره أليس هو القائل
سبعون ألفا من الاتراك قد نضجت * جلودهم قبل نضج التين والعنب
والقائل
كانوا رداء زمانهم فتصدعوا * فكأنما لبس الزمان الصوفا
فقلت له من الدليل على قراءتك شعره تتبعك مساويه فقال أكثرت على من ذكر أبي
تمام لاقدس الله روحه فقلت لاقدس الله روح السارق منه والواقع فيه ولكن ما الفرق
فى كلام العرب بين التقديس والقداس والقادس فقال وأى شئ غرضك فقلت
المذاكرة فقال لابل المهاترة ثم فكر ساعة وقال التقديس التطهير وكل هذه الالفاظ
تؤول اليه فقلت له ما أحسبك أمعنت النظر فى اللغة ولو عرفتها ما جمعت بين هذه المعانى
مع بعد ما بينها القداس حجر يلقى فى البئر ليعلم كثرة مائها من قلته والقادس السفينة فلما
علوته بالكلام قال ياهذا أنا أسلم لك أمر اللغة فقلت أتسلمها وأنت ابن بجدتها ثم سكت
عنه لما علمت ان الزيادة على هذا ضرب من الاشر وكان فى نفسى شئ بلغته ثم قمت فقام
معى مشيعا فأقسمت عليه حتى رجع ثم وفدت عليه بعد ذلك فرأيت من فصاحته وحسن
عبارته ما حدانى على عمل الحاتمية وأما ظلامة أبى تمام التى صنعها الخالدى فهى قال
انى مخبركم عن سرى سريتها ومنام رأيته وكلام حفظته فيه فحضرته طال به الليل حتى
تجانف عن قصره ومال به القول عن مواقف حصره فبت فى عثاره غالبا وقد تعترى
الاحلام من كان نائما ومن حق تأويله أن يقال (خيرا رأيت وخيرا يكون) وهو
انى رأيت فيما يراه الحالم الراءى أبا تمام بن أوس الطاءى فى صورة رجل كهل كاس
من الفضل عار عن الجهل العربية تعرب عن شمائله والالمعية تلمع من مخائله
فجعل يرمقنى فى اعراض ويستتب لمقتى عن اعتراض ثم سعى الى بأقدام الاقدام
على معرفتى بنفسه بعد ان عرفنى بثاقب حدسه

فقمت

فقمت للزور مرتاعا فأرقني * حقا أرى شخصه أم عادني حلم

فلما سلم على وحيا وجاوزت منه كريم المحيا قال ألست ابن نصر شاعر العصر وغار ماء وجهه ونضب وأثار حقده على الغضب وقال يا معشر الأدباء الفضلاء الالباء متى أهملت بينكم الحقوق وحدث فيكم هذا العقوق وأضيعت عندكم حرمة السلف وخلف فيكم هذا الخلف أأنهب وتغضون ويغار على وترضون ألست أول من شرع لكم البديع وأنبع لكم عيون التقسيم والتصريع والترصيع وعلمكم شن الغارات على ما سن من سنن عجائب الاستعارات وأراكم دون الناس غرائب أنواع الجناس وكل شاعر بعدي وإن أغرب وزين أبكاره فأعرب فلا بد له من الاعتراف بأساليبي والاغتراف من ينابيع قليبي وهذا حق لي على من بعدي لا يسقطه موتي ولا بعدي

ومن الحزامة لو تكون حزامة * أن لا تؤخر من به تتقدم

قال فلما ملكتني صورة دعواه وجرحتني فورة شكواه قلت أيها الشيخ الأجل سلبت المهل وألبست الخجل فما ذاك ومن ذاك قال كنت بحضرة القدس ومستقر الأنس إذ جاءني عبدان لم يكن لي بهما يدان فأزلفاني الى مقر الخلفاء وأوقفاني بين يدي الأئمة الأكفاء فأدى اليهم جماعة الوزراء والقضاء ومن كنت أمتدحهم أيام الحياة فأوفوا بالدعوى على الى ابن أبي دؤاد وكان على شديد الانتقاد سديد أسهام الأحقاد فحكم على برد صلاتي والفدية لجميع صومي وصلاتي فقلت قول المدل الواثق عائذا بالمأمون والمعتصم والواثق يا أمير المؤمنين ما هذه المؤاخذة بعد الرضى وقد مضى لي في خدمتكم ما مضى فقال المأمون وقد صمت الباقون يا ابن أوس انك مدحتنا والناس بأشعار منحوله وقصائد مقولة منقوله وكلام مختلق رقته من قائله قبل أن يخلق فلما آب أوانه وانتسق زمانه استرد ودائعه منك وهو غير راض عنك فقلت ومن الذي أعدمني بعد الوجود وعاضني العدم بالجود وملك على فني وأصبح أحق به مني فقال كأنك لا تعرف الواعظ الموصلي البلاد الموصلي الولاد الغريب العمه القريب الهمه البعيد الايراد اللوذعي الانشاد

كأنما دبن خياشيمه * مفكر يضرب بالطبل

الذي انتزعت مدائحه وارتجعت منائحه واستقبلك بقلائده واحتلبك بخصائله
بعدما كنت تغير أسماءها وتحلى بغير نجومها سماءها فأصبح يتقرب الى ملوك
عصره بما كنت تدعيه ويبي منك مالم تكن تعيه نازعا عن وجهها ستور النقب
واضعا هناها مواضع النقب قد جعل اليه عهدها وحلها وكان أحق بها وأهلها
فقلت خاب الساعون انا لله وانا اليه راجعون قد كان عهدى بهذا الرجل فارضا
فتى أصبح قارضا وأعرفه يتستر بالحشوية فتى بين البديهة والرويه وكان ذا طبع
جاف عن التعرض لنظم القوافى وقد كان أخرج من الموصل وليس معه قوت
يوصل فاشتغل بترهات القصاص نصبا على ذوات الاعين من وراء الخصاص

وعاش يظن نشر الافك وعظا * وينصب محرما شر الشباك

وأين منابذة الوعاظ من جهابذة الالفاظ بل أين أشعار الكراس من قولى ماف
وقوفك ساعة من باس والعبد يسأل الامراء عنه ليتلطفوا فى ارتجاع ما انتزع منه
فقال اذهب واثنى بيقين وادفع عنك بوادر الظنون و بادر فى النصرة وانتصح
واستعن بقومك وصح

يا آل جلهمة تدارك انما * أشعار عتبك ذابل ومهند

قلت قد بدت بينى و بين قومى جراح فأتيتهم شاكى السلاح جادين فى الحاق الحكيك
بصاحب الشويك وقد بدؤا بكسر رجله

وكنت اذا قومى غزونى غزوتهم * فهل أنا فى ذا آل همدان ظالم

وقد كان بلغنى انه امتدح فى ذا العام شكر البعض سوابغ الانعام بعض الرؤساء
بقصيدة تليق بالحال وتأنف من تلفيق المحال أنشدت من امتداحها بعد
الثناء على افتتاحها

كيف لا آمن العدا وكريم الملك لى من نوائب الدهر جار
ماجد حل فى سماء المعالى * غاية لا تنالها الابصار
فاذا رامت الجياد مداه * صدها عنه عثير وعثار
أريحى اذا احتذاه الامانى * صغرت عن نداه وهى كبار
تتعادى من فيض راحته السحب وتمتار من يديه البحار
ويرى ماله بعين جواد * لم يفتها نزاهة واحتقار

عجب

عجب الناس اذ ارأوا لك صدرا * يسع الارض كيف تحويه دار
أى دار تعـتريها المعالى * حلبة فهى للعلا مضمار
كل يوم بحافتيها من العلم بحار لفيضها تيار
ومناجيد فى مناهبة الفضل اذا ماتناظروا أنظار
وربيع من ربعه زهرات الروض فيها البهاء والاعتبار
ولآى القرآن فيها مجال * يقتضيه الاعذار والانذار
والتقى والاناة والمجد والسو * دد والمال والنهى والوقار
مجلس فيه من مناقبك الغر جلال عن عزة واقتدار
منزل الفضل منك منزل اهل تحامى بربعه وتغار
قد غرست المعروف فى كل كف * فاجتن الحمد ياهنالك الثمار

ومن مدح بهذا الشعر النفيس فما حاجته الى المدح البئيس ومن بنى بهذه الابكار مل سمعه غيرها من الاذكار

والحمد لا يشترى الا له ثمن * مما يضن به الأقوام معلوم

فقلت يا أبا تمام ان سيدنا الرئيس قد أصبح له محاسن جعلها وسم الأعلاق الثنا ومبسماله باعناق المنى وسوقا لكل شاكر وحامد محفوفا ببيع المناقب فيه والمحامد مجلو باليه نفائس الافهام مجلوا عليه عرائس الاقلام وليس بهذا المجلس ولا فيه الامن أوجب الشكر لصاحبه على فيه فكلهم قد أغناه عن الدهر وأفقره الى الشكر وما كان المنظوم أنبه ذكرا والموزون أنبل شكرا وما كل أحد يسلك النظر سبيله وما علمناه الشعر وما ينبغى له عدل المقل الى المكثر وعول المحتاج على الموسر ورجع اليك فى النفقة وما ينقص مال من صدقه

وان امرؤ قد ضن عنى بمنطق * يسد به فقر امرئ لضنين

فقال اسمع مالا يدفع اذا كان الأمر على ماذكرت ووقع اعترافك على ماأنكرت فلم وقع هذا الذنب على بختى وكيف لم يسكن غيره لابس تختى ولم خصنى بازالة مصونى وحفنى بتحيف غصونى وهلا قصد فى النهب لدائح ابنى وهب وهما ثمامًا الزمن الجديب وهماما اليوم العصيب وما هذا الانفراد بيناتى والانخضاد لناضر حياتى والانقضاض على قصائدى والاقتناص من حبائل مصائدى

سرقات مني خصوصا فهلا * من عدو أو صاحب أو جار

ولم لم يعدل عن شعري الى شعر ابن الرومي وهلا كان يجتري في مثل هذا على البحتري وكيف آثر قربي على قرب المتنبي وليته مقنع ورضي بشعر الشريف الرضي أو استدرك مافاته من شعر أبي تمام أو انتحل المختار من شعر مهيار على أن مثل هؤلاء الفضلاء لا تجب عليهم الزكاة وليس في الشعر نصاب حتى تجب فيه الزكاة وليس على فكرتي اغتصاب

وان أتصدق به حسبة * فان المساكين أولى به

فقلت له ان هذا الرجل لم يكن للقريض باص ولكنه قريب عهد بحمص وكان أقام بها جامح العنان طامح العينان ولو أضاف قلائد النحور اليه لم يجد من ينكر عليه فهو يقول ماشا من غير أن يتحاشا

لانهم أهل حمص لاعقول لهم * بهائم أفرغوا في قالب الناس

ولم يزل حتى انتدب له من سراة جندها من بحث عنه ونقب فخرج منها خائفا يترقب ولما ورد دمشق رمى في اغراضها بذلك الرشق

ومايستوي المصران حمص وجلق * ولا حمص جيرون بها والخورنق

وكانت قادة حمص وسادة دمشق تروعه حتى كوشف وقوشف ورجع به القهقرى ودفع في صدره الى وراو وقيل أين يذهب بك وماهذه الشقشقة في محبك أفي مجلس هذا الشريف المنيف قدره العالي ذكره الغالي شكره تبهرج لباس الايام وتبرج عوانس الغلام وتطوى من القوافي ماخلق ورث وتوري فيما أنهكه العث ولم تزل تضطره كثرة التوبيخ وقلة الناصر والصريخ الى أن أشهد على نفسه منذ ليالي بالبراءة من أناشيده الحوالي والتوالي وأذعن بالاقرار عادافعت عنه يد الانكار

ومذهب مازال مستهجنا * في الحرب أن يقتل مستسلم

وأزيدك فيما أفيدك ان هذا الرجل من الانحراف عن شعرك على شفا وكأنك به عنك قد انكفا لعلمه انه أخلق منه ماجد والى متى ينتحل هذا الكلام المردد وقد كان طالبني منذ أيام باعارة شعر ابن المعتز مطالبة مضطر اليه ملتز وقد استرحت من شره وضيره والسعيد من كفي بغيره

رب أمر أتاك لاتحمد الفعال فيه وتحمد الافعالا

فقال ان كان الامر على ماشرحت فقد أشرت بالرأى ونصحت ولكن متى انجاز هذا الوعد والخلف منوط بخلق هذا الوغد فانه يقول ويحول وأنت تعرف ماتلى فردوه الى الله والرسول ولو أمكن اقامة هذا الامر المتأد بحضرة ابن أبي دؤاد أبرأت عند الجمهور ساحتى وعدت من أمر الله تعالى الى مستقر باحتى ولكن دون الوصول الى الحاكم عقبة كؤد ولا حاجة بنا الى الاضرار بالشهود واذا قد ضمنت عنه ماضمنت وأمنت منه على ما أمنت فلا حاجة اليك وما أريد أن أشق عليك وهو أن تعدل بيننا فى القضيه والحالة المرضيه وتتفضل على بيد تسديها الى وتأذن لى فى انشاد أبيات مدحت بها هذا الرئيس قلتها خدمة له وقربة اليه لعل أن تكون الجائزة خروج الامر العالى باخراج الخصم الى مجلس الحكم وأن يوكل به من اجلاد الساهرة من يسيره معى الى الدار الآخرة لأبرأ باقراره لى عند قاضى القضاه عما شهدت به هذه المقاضاه وليسلم عند الخلفاء الراشدين عرضى ويحسن على الرب الكريم عرضى ومن عاد فينتقم الله منه والله عزيز ذوانتقام فضمنت له عن سيدنا ما أشتهى وانتهيت من اقتراحه الى حيث انتهى ولم يزل يكرر على أبياته حتى وعيتها فرب قائل ماهى وقائل هاهى

يامعمل اليعملات فى ظعنه * سرى وسيرا مقارنى قرنه
يجوز جوز الفلا به أمل * جافى جفون الوسنان عن وسنه
لايعتطى ساكن المطى ولا * يبيت طيف الخيال من سكنه
اذا استكن السراب خادعه * عاد بفيض الندا على سننه
وان أجن الظلام مقلته * أمسى صباح النجاح من جننه
يبيت عرف الكرام فى يده * ينسيه عرف الجنان فى أذنه
ان باعدته الارزاق قربه * جود ابن عبد الرزاق من سننه
ففز بنحل العلا وقل كرم الملك مقال البديع فى لسنه
يامشترى الفاخر النفيس من الحمد بأغلى العطاء من ثمنه
عمرت ربع الندى لرائده * بعد وقوف الرجاء فى دمنه
يثنى لسان الثناء نحوك ما * أحييت من فرضه ومن سننه
خلقا وخلقا قد أتعبا فكرى * مابين احسانه الى حسنه

يحكى معد الند الوارده * لايحوج المستقى الى شطنه
فرع سماء تبدت أنجمها * تلوح لوح الثمار فى غصنه
اذا جنته أيدى العفاة رأت * أقرب من ظله الى فننه
ينافس الوشاة فى جلالته * منه ثياب التقى على بدنه
يرى بعينى قلب له يقظ * مستقبل الكائنات فى زمنه
أروع يبدو منه مهذبة * ماتعب الالمعى من فطنه
مقتبل الوالدين بورك فى * ميلاده والصريح من لبنه
فاحتل هذه الرياستين وقد * أفصح فيه القريض عن لقنه
واستغن من لمه بغانية * تغنيك عن لهوه وعن ودنه
والبس لباس الثناء مقتبلا * يسحب من ذيله ومن ردنه
برد علا ليس من معادته * صنناع صنعاته ولا عدنه
تأنف أن تنتمى الى يمن الارض وان كان من ذوى يمنه
وافاك ضاحى الجلباب من دنس الظنة صافى الاديم من درنه
فاسلم لدار العلا تعمرها * ماحن ذو غربة الى وطنه

وشعر المعرى فى معنى المثل المذكور فى الاغانى قال لما أسر الشنفرى قالوا له أنشدنا فقال انما النشيد على المسرة فذهبت مثلا انتهى

﴿خاتمة﴾ لما تمسكت بذيل التمام أردت أن أعطره بمسك الختام من فوائد سنيه ومسائل علمية وأدبية منها انا تجاذبنا فى بعض الايام أردان المذاكره وتنازعنا قضب ريحان المحاوره فى اختلاف وجوه القراآت وماوقع فيها من محاسن التوجيهات فذكرنا ان قالون همز النبي حيث وقع الا فى موضعين من سورة الاحزاب فى قوله عز وجل لاتدخلوا بيوت النبي الا أن يؤذن لكم وقوله وامرأة مؤمنة ان وهبت نفسها للنبي فأبدلها ياء فى الوصل وهمزها فى الوقف كما ذكره الشاطبى الا أن الشاطبى لم يصرح باختصاصه بحال الوصل وكان عليه أن يذكره وبذلك اعترض عليه النويرى فى شرحه للطيبة وسلم له جماعة فظنوه واردا عليه فقلت انه لم يهمله الا أن المعترض لم يتنبه له فانه يعلم من قوله مبدلا فان ابدال الهمزة اما لسكونها وتحرك ماقبلها فتبدل من جنس حركة ماقبلها لزوما كما فى آدم أو جوازا كما فى يومنون ونحوه

أولا جتماع همزتين كما فى أئمة على الاصح ففهم من ذكره الابدال انه اجتمع فيه همزتان وذلك لا يكون الا فى الوصل فلذلك رجع الى أصله فى الوقف لعدم السبب فيه وهو أظهر من الشمس فان قلت فلم يسهلها كما سهل غيرها قلت لما رأى الابدال هنا جاريا على القياس فيمر بجه لموافقته لغيره ولانه أفصح من التسهيل ولذلك أنكر على من قال يا نبىء الله بالهمز وهذا الاغبار عليه وقد نظمت ذلك فقلت

همز النبى لقالون كما نقلا * فى غير موضعى الاحزاب ان وصلا
لا الوقف اذ لم يكن فيه له سبب * بجمع همزين حتى يوجب البدلا
موافقا لسواه فهو أرجح من * تسهيلها وهذا عنه قد عدلا

فلله در التنزيل وما فيه من دقائق التأويل فان الحسن وقف عليها والسحر اذا شاهدها آمن بها ورمى حباله لديها فنادته حى على الفلاح فالساحر لدى فلاح ولا نجاح فان كل رسول أرسل الى قومه بما له فى سوقهم رواج ورمى سائغ هم ليظفر منها بالنتاج ألا ترى أن عيسى لما بعث لقوم فيهم الحكمه أحيى الموتى وأبرأ الابرص والاكمه ونبينا صلى الله عليه وسلم لما ظهر من العرب وهم فازوا من البسالة والبلاغة بأعلى الرتب وقاموا بين أظهرهم بالشعر والخطب كان أعظم معجزاته الفرقان الذى أخرس شقاشق البيان فتحداهم باعجازه فضلوا فى تيه الحيرة ولم يهتدوا الحقيقة مجازه فرأوا حنين الجذع وهم خشب مسنده لم تورق ولم تثمر فهم حطب النار الموقده فسحقا لأصحاب السعير الذين رجع بصر بصيرتهم خاسئا وهو حسير

﴿فصل﴾ اعلم أن البلغاء طبقاتهم العلية الجاهلية الاولون ثم المخضرمون ثم الاسلاميون ثم المولدون ثم المحدثون ثم المتأخرون والعصريون فهذه الطبقات الست ثلاث منها حاز واقصب السبق فى حلبة الرهان معرفة كلامهم فرض كفاية فى الاسلام لانه يستدل به على الكلام العربى الذى يستنبط منه أحكام الحلال والحرام وألحق به بعضهم ما بعده كأنبات لطائف المعانى دون الالفاظ المحكمة المبانى ومن حققه لم يكن منه على ثقه واذا أصغيت لما تلوناه عليك فاعلم أن فى الشعر دقائق لم يكشف عنها الغطا وها أنا ألقى اليك مالم تهتد له القطا مقلدا جيد الذهن منها فرائد توأما ولو ترك القطا ليلا لناما * فمنها ان أهل المعانى قالوا ان التعقيد المعنوى واللفظى

ينافى الفصاحة فقال بعض المتأخرين ان الالغاز كلها غير فصيحة لما فيها من التعقيد المعنوى وليس كما قال لان ابن هلال العسكرى قال فى كتاب الصناعتين انها فصيحة وان التعقيد انما يكره اذا لم يقصد فان قصد فهو فصيح ومما يؤيده أن الاسنوى قال فى كتابه طراز المحافل ان من السنة أن يلقى الالغاز على من فى مجاسه لتشحيذ الاذهان لما رواه البخارى عن ابن عمر عن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال ان من الاشجار شجرة لا يسقط ورقها وانها مثل المسلم حدثونى ماهى فوقع الناس فى شجر البوادى قال ابن عمر فوقع فى نفسى أنها النخلة واستحييت فقالوا ماهى يارسول الله قال النخلة انتهى قال ابن هلال ومنه نوع بديع سميته شبه الالغاز وهو أن يوصف شئ بصفات تساق على نهج اللغز وليس المقصود الالغاز كقول القاضى ناصح الدين الارجانى لبعض الوزراء يطلب منه خيمة

فياشمس بل يا وبل هل أنت منقذى * ومنقذ صحبى من يد الشمس والوبل
بحدباء ان ثورت خرت لوجهها * صريعا وان نوخت قامت على رجل
من البلق يعلو ظهرها هام أهلها * وفى السير تعلو أظهر الخيل والابل
وتصلح عند الناس للضرب وحده * فتضرب ما دامت فى الحزن والسهل
ومن عجب ان لم تقم قط قومة * اذا هى لم تربط بشئ من الشكل

وهذا وان كان فارسى الاصل له طبيعة عربيه وروية من ماء الفصاحة رويه وورود من الفصاحة عذب المشرب ومذهب بزخرف البراعة مذهب كقوله من قصيدة أولها

رأيت الطريق الى الوصل وعرا * فقدمت رجلا وأخرت أخرى

(ومنها)

عليك بتفريغ قلب الودود * لكى يجد الود فيه مقرا
وسر غير ملتفت انما * الى الله تخطو من العمر جسرا
لك الشهب والدهم مخلوقة * فاحسن بهن اليه المقرا

(وله أيضا)

تذم زمان السوء ياصدر أهله * ولولا زمان السوء لم تتصدر

﴿طبقات الشعراء﴾

اعلم أن معجزة كل نبى على وفق زمانه وقومه ولما كان أشرف الخلق العرب وأعظم

ماعندهم

ماعندهما شجاعة والفصاحة والكرم كان أعظم معجزات نبينا صلى الله عليه وسلم
القرآن المعجز بفصاحته وبلاغته ولما كان خاتم الرسل ولا نبي بعده جعل له معجزة
باقية الى القيامة لا تزال تتلى وجديدة على كثرة الترداد لا تخلق ولا تبلى وقال ابن
دريد بينا رسول الله صلى الله عليه وسلم جالس مع الصحابة اذ نشأت سحابة فقالوا
يارسول الله هذه سحابة فقال كيف ترون قواعدها قالوا اما احسنها واشد تمكنها قال
كيف ترون رحاها قالوا اما أحسنها وأشد استدارتها قال كيف ترون بواسقها قالوا
ما أحسنها وأشد استقامتها قال كيف ترون برقها أوميضا أم خفيا أم يشق شقا قالوا
بل يشق شقا قال كيف ترون جونها قالوا ما أحسنه وأشد سواده فقال الحيا فقالوا
يارسول الله ما رأينا أفصح منك قال ما يمنعني وانما أنزل القرآن على بلسان عربي
مبين قال القالي القواعد الاسافل جمع قاعدة والقواعد من النساء التي لا تلد جمع
قاعدة ورحاها وسطها ومعظمها كرحا الحرب وبواسقها ماعلا وارتفع ومنه بسق اذا
شرف وكرم وميض البرق لمعه الخفي ومنه أومض اذا غمز والخفي البرق الضعيف
والجون الاسود والابيض وهو من الاضداد والحيا بالقصر الغيث وجمعه احياء بالمد
وبلغاء العرب في الشعر والخطب على ست طبقات الجاهلية الاولى من قوم عاد وقحطان
والمخضرمون وهم من أدرك الجاهلية والاسلام والاسلاميون والمولدون والمحدثون
والمتأخرون ومن الحق بهم من العصريين والثلاث الاول هم ماهم في البلاغة والجزالة
ومعرفة شعرهم رواية ودراية عند فقهاء الاسلام فرض كفاية لانه به تثبت قواعد
العربية التي بها يعلم الكتاب والسنة المتوقف على معرفتهما الاحكام التي يتميز بها
الحلال والحرام وكلامهم وان جاز فيه الخطأ في المعاني لا يجوز فيه الخطأ في الالفاظ
وتركيب المباني اذا عرفت هذا فاعلم أن الطبقات الثلاث الاول جمعوا أشعارهم في
كتب كثيرة غير الدواوين كالحماسة والفضليات واشعار هذيل وغيرها من الكتب
المفيدة وها أنا أورد منها ماتقر به عيون الادب وتنشرح به صدور الطلب من كل
مايدخل الاذن بغير اذن وأورد من نثرهم مايكون نثارا على عرائس الافكار وعقدا في
جيد البصائر والابصار من عهد عاد وقحطان وملوك حمير وعبد مدان الى فوارس
الارباع الى ذي فايش الحميري قال القالي كان ذو فايش يحب اصطناع سادات العرب
ويقرب مجالسهم ويكرم مجالسهم فجاءه عليه وكان شاعرا حدثا فقال انه ألا تعدني عن

أبيك رأ عمامك فقال بلى أيها الملك هم أربعة زياد ومالك وعمرو ومسهر ولذلك قيل لهم الأرباع فأما زياد فـا استل سيفه مذ ملكت يده قائمه الا أغمده فى جثمان بطل أو شوامت جمل وكان اذا حملوا النجيد وصلصل الحديد وبلغت النفس الوريد اعتصمت بحقونه الابطال اعتصام العصم بذرى القلال قددا ممتهم الابطال ذياد القروم عن الاشوال وأما مالك فكان عصمة الهوالك اذا شبهت الاعجاز بالحوارك يفرى الرعيل فرى الاديم بالازميل ويخيط البهم خيط الذئب نقاد الغنم وأما عمرو فكان اذا عصبت الافواه وذبلت الشفاه وتغادت الكماه خاض ظلام العجاج وأطفأ نار الهياج وألوى بالاعراج وأردف كل طفلة معياج ذات بدن رجراج ثم قال لاصحابه عليكم النهاب والاموال الرغاب معطاء لا ضيق شكس ولا حقلد عكس وأما مسهر فكان الذعاف الممقر والليث المخدر يجئ الحرب فيسعر ويبيح النهب فيكثر ولا يحتجز فيستاثر فقال له لله أبوك مثلك من يصف أسرته (وهنا فوائد) قال أبو على الحدث بالضم الحسن الحديث والحديث بكسر فتشديد الكثير الحديث والحدث الشاب والجثمان الشخص والجثمان جماعة الجسم والنجيد الجائل وصلصل بمعنى صوت والورب يد حبل العاتق والاشوال جمع شول وهو جمع شائلة بمعنى ناقة ارتفع لبنها والرعيل جماعة الخيل والازميل بزاى معجمة الشفرة والعيهمة التامة الخلق والسرعة وينتحى بمعنى يعتمد والصرف صبغ أحمر والبهم جمع بهمة وهو الشجاع الذى لا يدرى من أين يؤتى والمصمت الذى لا اصداع فيه والنقاد جمع نقد وهى صغار الغنم وعصب بمعنى غلظ ريقه ولصق بفمه وتغادت استتر بعضهم ببعض وألوى بمعنى ذهب والاعراج جمع عرج من الابل نحو خمسمائة والطفلة الناعمة والحقلد السيئ الخلق كما قاله يعقوب والعكس والعكص بالسين والصاد العسر الاخلاق والذعاف سم سريع القتل والممقر الشديد المرارة أو الحوضة ويحتجز بمعنى يختفى والحقلد لغة يمانية وقعت فى شعر زهير بن أبى سلمى فى قصيدته التى مدح بها هرم بن سنان أولها

غشيت الديار بالنقيع فثهمد * دوارس قد أقوين من أم معبد
أربت بها الارواح كل عشية * فلم يبق الا آل خيم منضد

ومنها اذا ابتدرت قيس بن عيلان غاية * من المجد لم تسبق اليها بسودد

قوله والعيهمة وقوله ينتحى وقوله والصرف وقوله والصمت بياض بنسخة المؤلف ولم أر كلاما عليها للشارح وانظر هل هى ساقطة من كلامه وحرره

أليس بفياض نداه غمامة * ثمال اليتامى فى السنين محمد
سبقت اليها كل طلق مبرز * سبوق الى الغايات غير مجلد
ومنها تقى نقى لم يكثر غنيمة * بنهكة ذى قربى ولا بحقلد

وهذا مما لم يسأل عنه وعن اعرابه ومعناه تقدم وقد قيل انه من عطف التوهم وتقديره ليس بمكثر غنائمه بالغارة على أقاربه أومن هو بجواره فعطف بحقلد على بمكثر المتوهم ولو قيل انه معطوف على قوله بنهكة وفسر بالخلق السيئ والمراد انه لم يكثر غنائمه بجوره على اقربائه وجيرانه ولا بسوء خلق يحمله على التعسف والشح لم يبعد من غير تكلف وفى لسان العرب بحفلد بالفاء والمشهور خلافه ومن قصيدة لعمرو بن حسان أخى بنى الحارث بن همام ذكر فيها الا كاسرة وآل المنذر

ألا يا أم قيس لا تلومى * وأبقى انما ذا الناس هام
أجدك هل رأيت أبا قبيس * أطال حياته النعم الركام
وكسرى اذ تقسمه بنوه * باسياف كما اقتسم اللحام
تمخضت المنون له بيوم * أنى ولكل حاملة تمام

قال التبريزى فى تهذيب الاصلاح يقول لعاذلته لا تلومى فان المصير الى الموت وهام بمعنى موتى يقال فلان هامة اليوم أوغد والركام الكثير وقبيس تصغير قابوس تصغير ترخيم وهو النعمان وقوله وكسرى الخ يشير الى قتل ابنه شيرويه له وقوله تمخضت من المخاض وهو الطلق والماخض الحامل جعل المنون حاملة على التشبيه وجعل يوم موته ولدا للمنية وكل حامل تنتهى الى وقت تضع فيه حملها فكذلك المنية تنتظره كانتظار وضع الحامل والمنون مفرد وجمع قال

من رأيت المنون عدين أم من * ذا عليه من أن يضام خفير

وأنى وآن بمعنى حان وقال بعض الاعراب

قوم اذا اشتجر القنا * جعلوا القلوب لها مسالك
اللابسين قلوبهم * فوق الدروع لدفع ذلك

انظر لبس القلوب على الدروع ومافيه من المبالغة التى لا يوجد مثلها وفى معناه قلت

اذا لم تكن فوق الدروع قلوبنا * فما الدرع الا سجن من هو حامله
لها أعين ان حدقت فى الوغى ترى * بمنتقها الخطى هزت مفاصله

وقال أدباء الكوفة لا مروءة لمن لم يرو قول الكلابي

سقى الله دهرا قد تولت غياطله * وفارقنا الا الحشاشة باطله
ليالي خدني كل أبيض ماجد * يطيع هوى الصابي وتعصى عواذله
وفي دهرنا اذ ذاك والعيش غرة * ألا ليت ذاك الدهر تثنى أوائله
بما قد غنينا والصباجل همنا * بمايلنا ريعانه وغياطله
وجرلنا أذياله الدهر حقبة * يطاولنا في غيه ونطاوله
فسقيا له من صاحب خذلت بنا * مطيتنا عنه وولت رواحله
أصدعن البيت الذي فيه قاتلي * وأهجره حتى كأني قاتله

والغياطل جمع غيطلة وهي الظلمة والاصوات المختلطة والشجر الملتف وأنشد المبرد في الكامل وثعلب في أماليه لسلم بن غزية

عريت من الشباب وكان غضا * كما يعرى من الورق القضيب
ونحت على الشباب بدمع عيني * ومنتحبا فما أغنى النحيب
فيا أسفا أسفت على شباب * نعاه الشيب والرأس الخضيب
فياليت الشباب يعود يوما * فأخبره بما فعل المشيب

وفي الشيب اشعار كثيرة ومعان بديعة وأشعار المولدين فيها عقود درر وأوضاح غرر كقول الأشجع في قصيدة مدح بها الرشيد

قصر عليه تحية وسلام * ألقت عليه جمالها الايام
قصر سقوف المزن حول سقوفه * فيه لاعلام الهدى اعلام
منها يثني على آبائك الاسلام * والشاهدان الحل والاحرام
وعلى عدوك يا ابن عم محمد * رصدان ضوء الصبح والاظلام
فاذا تنبه رعته واذا اغفا * سلت عليه سيوفك الاحلام

وهذا معنى بديع أخذه من كلام الاخطل مشهور ومن فصيح كلامهم قول بعض شعراء المغاربة يمدح من جاء من البحر

ان امرأ قذفت اليك به * في البحر بعض مراكب البحر
تجري الرياح به فتحمله * وتكف احيانا فلا تجري
ويرى المنية كلما عصفت * ريح به للهول والذعر

لمستحق أن تزوده * كتب الامان له من الفقر
ونحوه ما كتبه الحصري لابن عباد
أمرتني بركوب البحر مغتربا * عليك غيري فامر بذا الراءى
ما أنت نوح فتنجيني سفينته * ولست عيسى أنا أمشي على الماء
ومن أمثال المولدين (الورد العذب كثير الزحام) وهو من قول بعض بني تميم (ان الندى حيث ترى الضغاطا) ومنه أخذ بشار قوله
يسقط الطير حيث يلتقط الحب ويغشى منازل الكرماء
وفي معناه قولي
وفود الكريم الحيم حجاب بابه * وهم منعوا منه دخول المعائب
وليس عليه حاجب يحجب الورى * سوى أنه أغناهم بالمواهب
وقال أبو العتاهية
من سابق الدهر كبا كبوة * لم يستقلها من خطى الدهر
فاخط مع الدهر اذا ما خطا * واجر مع الدهر كما يجري
ليس لمن ليس له حيلة * موجودة خير من الصبر
ومن شعراء الجاهلية زياد بن زيد فمن شعره قوله من قصيدة
رأيتك من ليلى كذى الداء لم يجد * طبيبا يداوي ما به فتطببا
فلما اشتفى من دائه كر طبعه * على نفسه من طول ما كان جربا
وقال المبرد في الكامل كان العباس أجهر الناس وأشدهم صوتا ولذا قال له رسول الله صلى الله عليه وسلم يوم حنين لما ولوا عن القتال أصرخ بالناس فصاح مرة فاسقطت الحوامل وقد طعن الناس في قول النابغة
زجر أبي عروة السباع اذا * أشفق أن يختلطن بالغنم
بانه اذا كان هذا في السباع مع شدتها فما حال الغنم وأجيب بانها أنست بصوته لكثرة سماعها له بخلاف السباع وقيل انه من أكاذيب العرب انتهى قلت أبو عروة هذا ليس كنية العباس كما في شرح الكشاف للطيبي فاعرفه وقال الجاحظ ان أبا عفيف البصري كانت الحبالى تسقط من صوته وفيه يقول أبو ربيعة
فاسقط أحبال النساء بصوته * عفيف وقد نادى بصوت مطردا

وكتب الابيوردى للطغرائى

ألا يا صفى الملك هل أنت سامع * نداء عليه للحفيظة ميسم
أتاك غلام من أمية يرتدى * بظلك فانظر من أتاك ومن هم
وقد لفت الشم الغطاريف عرقه * بعرقك فالارحام ترعى وتكرم
أينبذ مثلى بالعراء ومارنى * بما أتوقاه من الذل يحطم
ومن يحتلب در الغنى بضراعة * فللمجد أسعى حيث يحتلب الدم
فهل لك فى شكر تحدث مقرفا * بما راق من ألفاظه الغر ميسم
ولولا ارتفاع الصيت لم يطلب الغنى * وأنت بما يبقى لك الذكر أعلم

فأجابه بقوله

فديتك قد أسمعتنى متحرجا * نداء عليه للحفيظة ميسم
وان هما مامن أمية ضامنى * لتعفو عن الجانى المسىء وتحلم
فمالى فى جود بجرم محجب * على بابه الاملاك لولا التجرم
أعد نظرا فيما أقول ولم أكن * كذى العر يكوى غيره وهو يبسم
أعيذك بالحلم الذى أنت أهله * وانك أولى بالجميل وأكرم
فهب لى مالم أجنه متكرما * فأنت بعذرى ان تأملت أعلم
فثق فى اعتقادى فى ولائك وارع لى * امام العلا انى بحبلك معصم

ومن البديع التضمين ولابن تميم فيه طريق لم يسبق اليها كتضمينه قول المتنبى فى الناقة * ويغيرنى جذب الزمام لقلبها * فمها اليك كطالب تقبيلا

فقال وقد استعاره عبارة فرد هاد يباجة فى وردة أهديت اليه قبل أوانها

سبقت اليك من الحدائق وردة * وأتتك قبل أوانها تطفيلا
طمعت بلثمك اذ رأتك فجمعت * فمها اليك كطالب تقبيلا

ولو قال طمعت بلثم يديك حتى جمعت كما لا يخفى على من له المام بالادب كان أحسن ومما يشبه هذا المعنى ما حكى أن أبا العلاء صاعد ابن الحسن امام أهل اللغة فى عصره كان ينادم المنصور بن أبى عامر سلطان المغرب فجىء اليه بوردة فى مجلس من مجالس أنسه فى أول ظهورها وردة فقال أبو العلاء صاعد بديهة

أتتك أبا عامر وردة * يحاكى شذا المسك أنفاسها

كعذراء أبصرها مبصر * فغطت بأكمامها رأسها

فاستحسنه المنصور وكل أهل مجلسه فحسده أبو القاسم بن العريف وكان حاضرا فقال انهما من شعر لعباس بن الاحنف وقد أنشدنيهما بعض البغداديين بمصر وهما عندي على ظهر كتاب بخطه فقال المنصور أرنيه فخرج ابن العريف وركب وجعل يحث حتى أتى مجلس ابن بدر وكان أحسن أهل وقته بديهة فوصف له ما جرى فقال أبياتا ودس فيها بيتي صاعد وأتى قبل انقضاء المجلس وهي

عشوت الى قصر عباسة * وقد جدل النوم حراسها

فألفيتها وهي في خدرها * وقد صرع السكر أناسها

فقالت أسار على هجعة * فقلت بلى فرمت كأسها

ومدت الى وردة كفها * يحاكي شذا المسك أنفاسها

كعذراء أبصرها مبصر * فغطت بأكمامها رأسها

وقالت خف الله لا تفضحن * في ابنة عمك عباسها

فوليت عنها على غفلة * وما خنت ناسي ولا ناسها

فحلف صاعد انه ما رآها فلم يصدقوه وانصرفوا وهم على اعتقاد أنه سرقها فطار ابن العريف وتحيل على أن علقها على ظهر كتاب بخط مصري وتحيل حتى غير المداد ودخل بها على المنصور فلما رآها اشتد غيظه على صاعد وقال للحاضرين غدا أمتحنه فان فضحه الامتحان لم يبق في موضع لي فيه سلطان فلما أصبح وجه اليه فحضر وأحضر جميع الندماء فدخل بهم وبه الى مجلس حفل قد أعد فيه طبق عظيم ما جعل فيه سفائن مصنوعة من جميع النواوير وصنع على السفائن مركبا من ياسمين في شكل الجواري وتحت السفائن بركة ماء قد ألقي فيها اللؤلؤ امثل الحصباء وفي البركة حية تسبح فلما دخل صاعد ورأى الطبق قال له المنصور هذا يوم اما أن تسعد فيه معنا واما أن تشقى بالضد عندنا لانه قد زعم قوم أن كلما تأتي به دعوى وقد وقفت على حقيقة من ذلك وهذا طبق ما توهمت انه حضر بين يدي ملك قبلي شكله فصفه بجميع ما فيه فقال صاعد بديهة

أبا عامر هل غير جدواك واكف * وهل غير من عاداك في الناس خائف

يسوق اليك الدهر كل غريبة * وأغرب ما يلقاه عندك واصف

وشايع نور صاغها صيب الحيا * عليها فتمها عبقر وزخارف
ولما تناهى الحسن فيها تقابلت * عليها بأنواع الملاهي الوصائف
كمثل الظباء المستكنة كنسا * بظلالها باليا سمين السقائف
وأعجب من ذا انهن نواظر * الى بركة ضمت اليها الطرائف
حصاها اللآلى سابح فى عبابها * من الرقش مسموم الرعانين راجف
ترى ماتشاء العين فى جنباتها * من الوحش حتى بينهن السلاحف

فاستغربت له يومئذ تلك البديهة فى مثل ذلك الموضع وكتبها المنصور بخطه وكان الى ناحية تلك السقائف سفينة فيها جارية من النوار تجدف بمجاديف من ذهب لم يرها صاعد فقال له المنصور أجدت الا أنك لم تصف هذه الجارية فقال للوقت

وأعجب منها غادة فى سفينة * مكللة يصفو اليها المهاتف
اذا راعها موج من الماء تتقى * بسكانها ماأنذرته العواصف
متى كانت الحسناء ربان مركب * تصرف فى يمنى يديها المجادف
ولم ترعينى فى البلاد حديقة * ينقلها فى الراحتين الوصائف
ولا غرو أن ساقت معاليك روضة * وشتها أزاهير الربى والزخارف
فأنت امرؤ لو رمت نقل متالع * ورضوى ذرتها من سطاك العواصف
اذا قلت قولا أو بدهت بديهة * فكلنى لها انى لمجدك واصف

فأمر له المنصور بألف دينار ومائة ثوب وأجرى عليه فى كل شهر ثلاثين دينارا وألحقه بديوان الندماء

واعلم أن المتأخرين وان تأخر زمانهم عن المتقدمين فقد زاحموهم بالركب وكادوا أن يرقوا الى أعلى الرتب لاسيما شعراء المغرب فقد أتوا بمعان بديعة وارتقوا الى مرتبة رفيعة كيزيد بن خالد الاشبيلى له فى وصف السفن معانى لم يسبق اليها كقوله

اذا نشرت فى الجو أجنحة لها * رأيت بها روضا ونورا مكمما
وان لم تهجه الريح جاء مصافحا * فذله كفا خضيبا ومعصما
مجاديف كالحيات مدت رؤسها * على وجل فى الماء كى تروى الظما
كما أسرعت عدا أنامل حاسب * بقبض وبسط يقبض العين والفما
هى الهدب فى أجفان أكحل أو طف * فهل صبغت من عندم أو بكت دما

وفى معناه قول أبى الحسن بن حريف

وكأنما سكن الاراقم جوفها * من عهد نوح خشية الطوفان
فاذا رأين الماء يطفح نضنضت * من كل خرق حية بلسان

ومن شعرائهم ابن خفاجة وقرأت فى ديوانه قصيدة رائية لم يطن على آذان الدهر مثلها وهى

أما والتفات الروض عن أزرق النهر * واشراق جيد الغصن فى حلية الزهر
وقد نسمت ريح النعامى فنبهت * عيون الندامى تحت ريحانة الفجر
وخدر فتاة قد طرقت وانما * أبحت به وكرا الحمامة للصقر
وما قد خلعت البرد عنه وانما * نشرت به طى الصحيفة عن سطر
لقد جبت دون الحى كل تنوفة * يحوم بها نسر السماء على وكر
وخضت ظلام الليل يسود فحمة * ودست عرين الليث ينظر عن جمر
وجئت ديار الحى والليل مطرف * ينمنم ثوب الافق بالانجم الزهر
أشيم به برق الحديد وربما * عثرت بأطراف الردينية السمر
فلم ألق الا صعدة فوق لامة * فقلت قضيب قد أطل على نهر
ولا شمت الا غرة فوق أشقر * فقلت حباب يستدير على خمر
ودون طروق الحى خوضة فتكة * مورسة السربال دامية الظفر
تطلع فى فرع من النقع أسود * وتسفر عن خد من السيف محمر
فسرت وقلب الليل يخفق غيرة * هناك وعين النجم تنظر عن شزر
فطار اليهابى جناح صبابة * وطاربها عنى جناح من الذعر
فقلت رويدا لا تراعى فاننا * لنطوى ضلوع الليل منا على سر
وسكنت من نفس بجيش مروعة * ومسحت عن عطف تمايل مزور
ومزقت جيب الليل عنها وانما * رفعت جناح النسر عن بيضة الخدر
وقبلت ما بين المحيا الى الطلى * وعانقت ما بين التراقى الى الخصر
وأطرب مجمع الحلى عن خيزرانة * تميل بها ريح الشبيبة والسكر
غزالية الالحاظ ريمية الطلا * مدامية الالمى حبابية الثغر
ترج فى موشية ذهبية * كما اشتبكت زهر النجوم على البدر

تلاقى نسيبي فى هواها وأدمعى * فمن لؤلؤ نظم ومن لؤلؤ نثر
وقد خلعت ليلا علينا يد الهوى * رداء عناق مزقته يد الفجر
ولما تجلى ضوء صبح كأنه * مشيب بفود الليل طالع عن قطر
وحط رداء الغيم عن منكب الصبا * ونم على ذيل الدجى نفس الزهر
صددت ودون الحى ستر غمامة * يشف كما شف الرماد عن الجمر
ولا ليل الا بالذوبة أقمر * تنفس فيه السكر عن نفحة الشكر
ولا كف الا للامير كريمة * تبسم فيها النصل عن مبسم النصر

ولعمرى ان هذا سحر يصلب له هاروت وماروت وبلاغة قسية تتبعها الاوصاف وتنقطع دونها النعوت تهزا مره هز أريحية الصبا وهز قدود الغصون بيد الشمال والصبا فتتعثر الافهام باذيال لوعة وغرام كما قال

وعقد جمان فى حديث علاقة * يهز اليه الشيخ عطف غلام
اذا ما استخفتنى لها أريحية * عثرت بذيلى لوعة وغرام
لقد هزنى فى ريطة الشيب هزة * أرتنى ورائى فى الشباب أمامى

وفى تذكرة العلامة أحمد بن مكتوم تلميذ أبى حيان قال أنشدنى أبو جعفر بن الزبير قال أنشدنى القاضى الاديب أبو العباس بن خليل قال أنشدنى أبو جعفر عمر بن عبد الله الحكمى قال أهديت لى جارية فتبين لى انى قد ملكت امها ووطئتها فرددتها لمن أهداها وكتبت معها أبياتا ضمنت فيها بيت عنترة فى معلقته وهى

يا مهدى الرشأ الذى ألحاظه * تركت فؤادى نصب تلك الاسهم
ريحانة كل المنى فى شمها * لولا المهيمن فى اجتناب المحرم
ما عن قلى صرفت اليك وانما * صيد الغزالة لم يبح للمحرم
ياويح عنترة يقول وشفه * ماشفنى وجوى وان لم أكتم
ياشاة ماقنص لمن حلت له * حرمت على وليتها لم تحرم

وعلى ذكر الهدية نهدى اليك فائدة سنية كان صلى الله عليه وسلم يقبل الهدية ولا يقبل الصدقة وأهدى اليه اعرابى هديه فقبلها منه وقال يارسول الله انى كنت أهديت هدية فأعطاه عطية فذهب ثم أتاه مرة فأعطاه ثم أتى مرة أخرى فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم انى عزمت أن لا أقبل هدية الا من قرشى أو ثقفى فقال

حسان رضى الله عنه

ان الهدايا تجارات اللئام وما * يرجو الكرام لما يهدون من ثمن

وكان عمر رضى الله عنه لا يقبل هدية العمال واذا قبلها وضعها فى بيت المال فقيل له ان رسول الله صلى الله عليه وسلم كان يقبل الهدية فقال انها كانت هدية وهى الآن رشوة ولذا قال الزاهد بن عمران

توق وحاذر من قبول هدية * وان جاءنا فيها حديث مرغب

فقد حدثت بعد الرسول حوادث * تحذرنا عنها وعنها ترغب

وكانت هدايا فى الاوائل قبلنا * تؤلف فيما بينهم وتحبب

فعادت بلايا يسرع المن بعدها * تفرق فيما بيننا وتجنب

ولم تزل بحور الشعر تقذف عنبرا وتعطى من غاص فيها درا ومن كان ذا فطرة سليمة علم أن أم المعانى غير عقيم ألا ترى قول ابن الصفار فى مرثية غريق

يا أيها الرشأ المكحول ناظره * بالسحر حسبك قد أحرقت احشائى

ان انغماسك فى التيار حقق ان الشمس تغرب فى عين من الماء

(وقوله فى غريق أيضا)

غريق كأن الموت رق لحسنه * ولان له فى صفحة الماء جانبه

أبى الله أن ينساه قلبى فانه * توفاه فى الماء الذى أنا شاربه

وقال عمران الطوالقى

ألا أيها الشخص المغيب شكله * بمثلك هذا الدهر يبخل عن مثلى

كأن صفاء الماء شاكل جسمه * فحاذبه فانقاد شكل الى شكل

نأى عن تراب الارض نور بهائه * ولو كان من ترب لعاد الى الاصل

ولما أنشد فى الدمية قول أبى جعفر البجائى فى غريق

ولما لم يسعه البر قبرا * غدا البحر المحيط له ضريحا

قال أما أنا فقد عجبت اذ سمعت أن بحرا قد أغرق بحرا فقلت أنا فى معناه

لا تعجبن لبحر * اذ كان أغرق مثله

لانه غار لما * لم يحك فى الناس فضله

ومما أبدع فيه ابن تميم قوله فى غريق

قالوا أيلبسه الغدير مفاضة * منسه ويهلكه مقالا باطلا
فأجبتهم ان الحمام اذا أتى * طبع الدروع أسنة ومناصلا

وأجاد الوزير أبو القاسم في قوله في مليح يسبح في الخليج

انى رضت من الحيا * ة بأمرها نظرى اليه
وعرفت أسباب النعيم بقبله في عارضيه
ولقد أراه فى الخليج يشقه من جانبيه
والماء مثل السيف وهو فرنده في صفحتيه
وكأنه فى الماء قلبي بين أشواق اليه
لاتشربوا من مائه * أبدا ولا تردوا عليه
قد ذاب فيه السحر من * حركاته أو مقلتيه
صبغت بياض الماء صبغة حمرة في وجنتيه

وقال الادباء بدئ الشعر بملك وختم بملك والاول امرؤ القيس فانه أول من هلهل الشعر وهذبه ونسج نسيبه ورتبه والثاني ابن المعتز فانه عن أوتى جوامع الكلم نظما ونثرا وانشاء وشعرا والعامة تقول كلام الملوك ملوك الكلام وقيل أبو فراس والاول أقرب الى القياس أما ابن المعتز فهو كما في كتاب الورقة للصورى شاعر مفلق واسع الفكر في العلم والنظم والنثر من شعراء بنى هاشم وعلمائهم وكان اماما في الادب ومعرفة كلام العرب وكان المبرد يجله ويسعى اليه ويستفيد منه الا أنه كان له هنات في حب بنى هاشم والغلو في تقديمهم على غيرهم وله في ذلك قصائد ثم رجع عن ذلك وقال ما يناقضه وكان ثعلب يقدمه ويقول هو أشعر أهل عصره وكان يحب لقاء أحمد بن يحيى فكتب اليه عن ترك اتيانه أبياتا تامنها

ما وحد صادفى الحبال موثق * بماء مزن بارد مصفق
بالريح لم يطرق ولم يرنق * جادت به أخلاف دجن مطبق
صريح غيث خالص لم يمذق * الا كوجدى بك لكن أتقى
يا فاتحا لكل علم مغلق * وصيرفيا ناقدا للمنطق
ان على البعاد والتفرق * لنلتقى بالذكر ان لم نلتق

(وله) يا رب اخوان صحبتهم * لا يملكون لسلوة قلبا

لو

لو تستطيع نفوسهم فعدت * أجسادها وتعانقت حبا

(وله) عرف الدار فحيا وباحا * بعدما كان صحا واستراحا
ظل يلحاه العذول ويأبى * فى عنان العذل الا جماحا

(ومنها)

من رأى برقا يضىء التماحا * ثقب الليل سناه فلاحا
وكأن البرق مصحف قار * فانطباقا مرة وانفتاحا

وله من أخرى

قد دست كيد اله يخفى مسالكه * يقظان يسرى اذا كيد العدا هجعا

وكتب لابن وهب

يا جوهر الاخوان * وحلية الزمان
* ودولة المعانى * وروضة الامانى
عش لى كعمرى شكرى * فيك فقد كفانى
أريت عين ودى * معاتب الاخوان

(وله)

كما طريق الحج فى كل منهل * يذم على ما كان منه ويشرب

(وله) كم حاسد حنق على بلا * جرم وليس يضرنى الحنق
متضاحك نحوى كما ضحكت * نار الذبالة وهى تحترق

وله من معانيه الغريبة

يا بخيلا ليس يدرى ما الكرم * حرم اليوم على فيه نعم
حدثونى عنه فى العيد عبا * سرنى من لفظه حين حكم
قال لا قربت الا بدنى * ذاك خير من أضاحى الغنم
فاستخار الله فى كربته * ثم ضحى بفتاه واحتجم

(وله) لى صاحب مختلف الالوان * متهم الغيب على الاخوان
منقلب الود مع الزمان * يسرق عرضى حيث لا يلقانى
حتى اذا لقيته أرضانى * فليته دام على الهجران

وله من قصيدته المشهورة

ألا رب ألسنة كالسيوف * تقطع أعناق أصحابها

(ومنها)

وما ينقص من شباب الرجال * يزد فى نهاها وألبابها

(ومنها)

دعوا الاسد تفرس ثم اصبعوا * بما يترك الاسد فى غابها

وله من قصيدة

شجتك لهند دمنة فى ديار * خلاء كما شاء الفراق قفار
ولو شئت أوقرت البلاد حوافرا * وسالت وراءى هاشم ونزار
وعم السماء النقع حتى كأنه * دخان وأطراف الرماح شرار

وله من أخرى

أيا ويحهما ذنبه ان تذاكرا * سوالف أيام سبقن أواخرا

(ومنها)

وقالوا كبرت وانتصبت من الصبا * فقلت لهم ما عشت الا لأكبرا
لبست أخلاء الهوى فنزعتهم * وما كنت أهوى بعدهم أن أعمرا
فأخلواهم ومى من سواهم وأطبقوا * جفونى فما أهوى من العين منظرا

(ومنها)

كأن الصبا تهدى اليه اذا سرت * على تربه لمسكا فتيتا وعنبرا
سقتها السوارى والغوادى قطارها * لجاء كما شاء القطار ونورا

ومن أخرى له

ومهمه كرداء الوشى مشتبه * قطعته والدجى والفجر خيطان
والريح تجذب أطراف الرداء كما * أفضى الشقيق الى تنبيه وسنان

ومن أخرى له

شفع يد الساقى وطيب زمانه * فى السكر كل عشية وغداة
فالريح قد غمت بأسرار الربى * وتنفس الريحان فى الجنات

وله فى الارضة

لم أبك ربعا مقفرا ولا طللا * ولا شبابا خان ودى وارتحل

بل دفترا فيه حديث وغزل * ماعابني ولا رأى منى زلل
قد دب فيهن دبيا من أكل * عصا سليمان وظل منجدل
* يأكل أثمار العقول لا أكل *

ومن قصيدة له

ومليح الدل ذي غنج * لابس للحسن جلبابا
أثمرت أغصان راحته * لجنان الحسن عنابا

(ومنها)

خضبت رأسي فقلت لها * فاخضبي قلبي فقد شابا

قلت عدى أثمرت وقد أنكره صاحب الدمية وله

ودونكه موشى نمقته * وحاكته الانامل أي حوك
بشكل يأخذ القدح المعلى * كأن سطوره أغصان شوك

(وله)

يا نفس صبرا لعل الخير عقباك * خانتك بعد لذيذ العيش دنياك
مرت بنا سحرا طير فقلت لها * طوباك يا ليتنا اياك طوباك
لكن هو الدهر فالقيه على حذر * فرب مستمسك به والحب اشراك

ومن نثره قوله قلبي نجي ذكرك ولساني خادم شكرك وله في مريض أذن الله في شفائك وتلقى ذلك بيقائك ومسحك بيد العافية * ووجه اليك وافد السلامة وجعل علتك ماحية لذنوبك ومضاعفة في ثوابك وله في العفو لا تشن حسن الظفر بقبح الانتقام وتجاوز عن مذنب لم يسلك بأقراره طريقا حتى اتخذ من رجائك رفيقا ولم يسر ميلا حتى اتخذ حسن الظن دليلا (ومن فقره) المعروف رق والمكافأة عتق الحاسد مغتاظ على من لا ذنب له بخيل بما لا يملك طالب لما لا يجد

(خاتمة) تشبيه ابن المعتز السطور بالاغصان والشكل بالشوك صحيح لكنه قبيح وعجيب من مثله كيف خفي عليه كما كتبه فانظره بعين الانصاف مع قولي في معناه

بعثت كتبي الى الاحباب نائبة * عن العيون اذا اشتاقت الى النظر
فالخط في الترس والالحاظ ناظرة * صنوان في شبه المعنى وفي الصور
فان هذا سواد في البياض له * شكل كاهداب أجفان من الشعر

وانظر موقع الشوك فى قولى

ادا انكبات الدهر وافتك فاصطبر * تراها تجلت فالزمان أبو الغير

اذا مزق الورد النسيم مصيرة * ترى فى أيادى القضب من شوكه ابر

ومما عابوه عليه قوله طوبالك قالوا صوابه طوبى لك وفيه نظر عندى فانه اذا استعمل لفظ فى كلامهم على وجه من وجوه الكلام ثم استعمل على وجه آخر جار على قواعد العربية مؤد لذلك المعنى كيف يعد خطأ فان اللام هنا مقدرة والمقدر فى حكم الملفوظ فما الفرق بين طوبى لك وطوبالك حتى يقال ان الثانى لحن وهذا كما قيل ان كافة لا تكون الا نكرة منصوبة حالا كما ذكره الحريرى وقال ان غيره لحن كقول الزمخشرى بكافة الابواب وهو غير مسلم ولم أر من تعرض له من المتقدمين * وأما الامير أبو فراس ابن حمدان فهو فارس الهيجاء وواحد البلغاء والفصحاء وهو من الذين هم فى الفصاحة والشجاعة والصباحة لا يدانيهم مدانى ولا يبارزهم مدانى ومن طالع ديوانه عرف فى البلاغة مكانه ألا ترى قوله

علونا جوشنا بأشد منه * وأثبت عند مشتجر الرماح

بجيش جاش بالفرسان حتى * ظننت البر بحرا من سلاح

وألسنة من العذبات حمر * تخاطبنا بأفواه الرماح

(وقوله)

غيرى يغيره الفعال الجافى * ويحول عن شيم الكريم الوافى

لا أرتضى ودا اذا هو لم يدم * عند الجفاء وقلة الانصاف

تعس الحريص وقلما يأتى به * عوضا عن الالحاح والالحاف

ان الغنى هو الغنى بنفسه * ولو انه عارى المناكب حافى

ما كل ما فوق البسيطة كافيا * واذا قنعت فكل شئ كافى

وتعاف لى طمع الحريص أبوتى * ومروأتى وقناعتى وكفافى

ومكارمى عدد النجوم ومنزلى * مأوى الكرام ومنزل الاضياف

لا أقتنى لصروف دهرى عدة * حتى كأن صروفه أحلافى

شيم عرفت بهن اذا نايافع * ولقد عرفت بمثلها أسلافى

ومنهم وهو أسير بحبه حمامة فقال

أقول وقد ناحت بقربي حمامة * أيا جارتي هل بات حالك حالي
معاذ الهوى ماذقت طارقة النوى * ولا خطرت منك الهموم ببال
أتحمل محزون الفؤاد قوادم * على غصن نائي المسافة عالي
أيا جارتي ما أنصف الدهر بيننا * تعالي أقاسمك الهموم تعالي
تعالي ترى روحا لدي ضعيفة * تردد في جسم يعذب بالي
أيضحك مأسور وتبكي طليقة * ويسكت محزون ويندب سالي
لقد صرت أولى منك بالدمع مقلة * ولكن دمعي في الحوادث غالي

وقد لحن في قوله تعالي اذ كان حقه فتح اللام لان أصله تعالى بياءين ياء مفتوحة و ياء ساكنة فأعلت الاولى وحذفت لالتقاء الساكنين وممن ذكر هذا ابن هشام في شرح الشذور من غير خلاف فيه بين أهل العربية أقول هذا هو المعروف بين أهل العربية وعندي انه غير مسلم فان قتادة روى عن الحسن البصري انه قرأ قل تعالوا بضم اللام كما ذكره ابن جني في المحتسب وقال وجهه انه حذف لام تعاليت استحسانا تخفيفا فلما زالت لام الكلمة ضمت اللام له لوقوع الواو بعدها كقولك تقدموا وتأخروا ونظيره ما باليت به بالة أصله بالية كالعافية والعاقبة ثم حذفت كما تقول اسعوا أمرا من سعي ونظير ما نحن فيه ما قاله الكسائي في آية على ان أصله آيية زنة فاعلة ونظير ما نحن فيه قراءة الحسن أيضا في قوله عز وجل الا من هو صال الجحيم بضم اللام حدثنا بذلك أبو علي وذهب الى ما ذكرناه من حذف اللام استخفافا والى أنه يجوز أن يكون أراد صالون الجحيم فحذف النون للاضافة وحذفت الواو التي هي علم الجمع لفظا لالتقاء الساكنين واستعمل لفظا حملا على المعنى كقوله ومنهم من يستمعون اليك وأما حديث تعال والقول على ماضيه وتصريفه ومن أين جاز استعمال لفظ العلو في التقدم فأمر يحتاج الى فضل قول كما ذكرناه في غير هذا الموضع الا أن من جملته انهم استعملوا لفظ التقدم والارتفاع على طريق واحد من ذلك قولهم قدمته الى الحاكم وهو كقولك ترافعنا الى الحاكم فكذلك قولك للرجل تعال كقولك له تقدم وأصله أن التقدم تعال والتأخر انخفاض وتراخ فافهم أقول ان تعال استعملوه على وجهين أحدهما وهو الفصيح المشهور أن تحذف الياء التي هي لام الكلمة لالتقاء الساكنين بعد قلبها ألفا فتبقى اللام التي قبلها على فتحها لان المحذوف لعلة كالموجود والثاني

أن تحذف ابتداء للتخفيف نسيا منسيا فيبقى ماقبلها آخر الكلمة فيحرك بحركة تجانس الضمير المتصل بها فقال تعال بكسر اللام كمطام وبه قرئ في الشواذ الا أن الظاهر أنه غير مقيس فهل يقال ان التكلم عنده في تركيب آخر لحن وخطأ أولا محل نظر وهذا جار فيما قاله أبو فراس ثم انه أشار الى انه تعال أمر بالعلو أريد به الحضور والتقدم وشاع حتى صار حقيقة فيه وهو تحقيق نفيس ينبغي حفظه في خزائن الاذهان وفي الدر المصون استثقلت الضمة على الياء فحذفت ثم حذفت الياء لالتقاء الساكنين أو قلبت لتحركها وانفتاح ماقبلها ألفا وحذفت لالتقاء الساكنين وقرأ الحسن وأبو واقد بضم اللام ووجهت بأن الضمة استثقلت على الياء فنقلت الى اللام بعد حذف حركتها وعندي انهم تناسوا المحذوف حتى توهموا انها نبيت كذلك وان اللام آخرها حقيقة حتى ضمت مع الواو وكسرت مع الياء كما قالوا لم أبل وقال الزمخشري وعلى هذا قول الحمداني وعاب هذا عليه من قال انه مولد لا يستشهد بكلامه وليس بعيب فانه انما ذكره استئناسا به ولا يعاب عليه ماعرفه ونبه عليه انتهى وكأن هذا الشعر مما قاله لما أسره الروم وله في ذلك أشعار كثيرة بليغة هي في ديوانه وأحسن ماقيل في السجن قول علي بن الجهم

قالوا حبست فقلت ليس بضائري * حبسي وأي مهند لا يغمد
أو ما رأيت الليث يألف غيله * كبرا وأوباش السباع تردد
والبدر يدركه السرار فينجلي * أيامه وكأنه متجدد
والشمس لولا انها محجوبة * عن ناظريك لما أضاء الفرقد
والنار في أحجارها مخبوءة * لا تصطلى ان لم تثرها الازند
والزاغبية لا يقوم كعوبها * الا الثقاف وجذوة تتوقد
ولكل حال معقب ولربما * أجلى لك المكروه عما يحمد
والحبس ان لم تغشه لدنية * شنعاء نعم المنزل المتودد
بيت يجدد للكريم كرامة * ويزار فيه ولا يزور ويحمد
لو لم يكن في الحبس الا انه * لا يستذلك بالحجاب الاعبد
كم من عليل قد تخطاه الردى * فنجا ومات طبيبه والعود

وكانوا يقولون القيود خلاخيل الرجال ومن بديع قوله في السحاب

وسارية

وسارية لاتمل من البكا * جرى دمعها فى خدود الثرى
سرت تقدح الصبح فى ليلها * ببرق كهندية تنتضى
فلما دنت جلجلت فى السما * رعدا أجش كصوت الرحا
ضمان عليها ارتداع البقاع * بأنوائها واعتجار الربى
فما زال مدمعها باكيا * على الترب حتى اكتسى ما اكتسى
فأضحت سواء وجوه البلاد * وجن النبات بها والتقى
وكاس سبقت الى شربها * عزولى كذوب عقيق جرى
يشير بها غصن ناعم * من البان مغرسه فى نقا
اذا شئت علمنى بالجفو * ن من مقلة كحلت بالهوى
له شعر مثل نسج الدروع * وجفن سقيم اذا مارنا
ويضحك عن أقحوان الرياض * يغسله بالعشى الندى
ومصباحنا قمر مشرق * كترس اللجين يشق الدجى

وأشعاره كلها أوضاح وغرر وعقود فرائد ودرر لم نورد منها مافيه اغراق لان أكثرها فى طرق الفصاحة مهراق ألم ترهم عابوا قول أبى نواس

لقد اتقيت الله حق تقاته * وجهدت نفسك فوق جهد المتقى
وأخفت أهل الشرك حتى أنه * لتخافك النطف التى لم تخلق

كما ذكره أهل المعانى وان اعتذروا عنه بما لا يجدى لانه انما يحسن مثله اذ اقترن بكاد كقوله تعالى يكاد زيتها يضىء الآية ومما عيب منه قول ربيعة بن مهلهل من قصيدة يرثى بها كليبا

ولولا الريح لم أسمع بحجر * صليل البيض تقرع بالذكور

والبيض جمع بيضة وهى المغفر والذكور السيوف وضمنه المهدى بن محمد العكبرى يهجو ابن وهب ونقله لمعنى آخر فقال

وسائلة عن الحسن بن وهب * وعما فيه من كرم وخير
فقلت هو المهذب غير أنى * أراه كثير اسبال الستور
وأكثر ما تغنيه فتاه * حسين حين يخلو للسرور
فلولا الريح لم أسمع بحجر * صليل البيض تقرع بالذكور

(تتمة وفائدة مهمة) قد عرفت مما ذكره أهل المعانى ان الاغراق غير مقبول مالم يقارن كاد ونحوها وهذا مما شهد به الذوق السليم وزكى شهادته الطبع المستقيم وهذا وان سلمه علماء المعانى والبيان الا انه محتاج الى الايضاح والبيان فانه قد يعترض عليه بما يعارضه ويكدره ورود ما يناقضه كقوله عزوجل واذ أخذ ربك من بنى آدم من ظهورهم ذريتهم وأشهدهم على أنفسهم ألست بربكم قالوا بلى الآية فانه بمعناه اذ اخراج الذرية من الظهور قبل الخلق والظهور وأخذ المواثيق والعهود مما يقتضى الترغيب والترهيب وهذا أشد مما فى البيت لانه على سبيل التخيل والتقدير وهذا على سبيل التحقيق وقد ذكر هذا فى حديث الصحيح من المعلوم عند علماء الحديث ولهم فيه طريقان مشهوران وهو مما خفى على كثير من العلماء ولهم فيه كلام محتاج للايضاح فاقول لعلماء التفسير فيه طريقان الاول انه من المتشابه الذى استأثر الله تعالى بعلمه وعلى هذا لا يبقى فيه اشكال ولا للبحث عنه مجال الثانى ان له معنى جليل قام عليه أقوى برهان ودليل فنهم من ذهب الى أنه استعارة وتمثيل نزل فيه وضوح الادلة القائمة على توحيده تعالى وصحة أحكام الشريعة المركوزة فى الفطرة السليمة منزلة بروزهم فى الخارج وأخذ العهود منزلة اتباع ماذكر وتسليمه والعمل بمقتضاه فلا يرد عليه شئ مما ذكر فى الشعر ونحن نقول ان الامر الذى وقع فيه المبالغة لا يخلو اما أن يقع بعد زمان بعيد كالساعة أو لا يقع وهو اما محال متعذر الوقوع له نظائر ومشابه أو لا الاول مقبول لتنزيل المحقق الوقوع منزلة الواقع وكذا الثانى لامكان أن يراد مجازا أو كناية والاخير هو محل الكلام والذى عليه أهل المعانى انه مردود مالم يقترن به مسوغ مثل كاد ونحوها والآية ليست من هذا القبيل لاسنادها الله الذى أبرز المعدومات من أرحام العدم ولا يقتضى قدرته شئ فى القدم فما علينا الا الايمان بذلك ومالم تصل له أفهامنا نكله اليه ونسأله ان يهدينا للوقوف عليه وكفى هذا الاحتمال فى مثل هذه الحال وما بعد الهدى الا الضلال فان قلت كيف أنكروا على أبى نواس هذا واستحسنوا قوله وقد عشق بعض أولاد الخليفة

انى صب ولا أقول بمن * أخاف من لا يخاف من أحد

اذا تفكرت فى هواى له * أجس رأسى هل طار عن جسدى

مع انه مثله فى المبالغة والاغراق لان الامر الذى خطر بباله ولم يخطر على لسان مقاله

كيف

كيف يخافه ويخشاه وهو ما تعدى خاطره وتخطاه ولا فرق بين هذا وذاك لمن له أدنى ادراك قلت الفرق مثل الصبح ظاهر لمن نور الله منه البصر والبصائر فان النطفة لا ادراك لها أصلا وهي قبل خلقها أبعد عقلا فركا كته أظهر من الشمس وأبعد من أمس أما ما في فكره من الامر المهول فقد تهتدي اليه العقول لشدة اضطرابه وقد يظهر على سحنته آثار أوصابه وقد تدرك الفراسة ما ينطق به لسان الحال وربما تم عليه لسان المقال وقد قلت في معناه ما هو أحسن منه

صار الاعادي من مهابة بطشه * عقمى بلا نسل ولا أعقاب
فكأنما النطف التي قرت ثوت * من خوفها بعفازة الاصلاب

وقد تلطف وأغرب في قوله أحس رأسي هل طار عن جسدي لجعله ما يترقبه واقعا به حتى فتش عن رأسه وجسها بيده ليعلم هل قطعت أو لا وهذا نوع من البديع بديع كقول المنازى في وصف نهر

يروع حصاه حالية العذارى * فتلمس جانب العقد النظيم

وفيه التعبير على المقال بالفعال كقوله (وتشتم بالافعال قبل التكلم) ومثله قول ابن رشيق

قبلني محتشما شادن * أحوج ما كنت لتقبيله
أومأت انجاء بأترجة * عرفت فيها كنه تأويله
لما تطيرت بمعكوسها * ضمت بنا نانحو تقبيله

وقد بسطنا الكلام عليه في كتاب المجالس وهذا أمر من ذكره وهو مما استخرجته وسميته نطق الافعال ومنه قولي

ومعذر كتب الجمال بوجهه * هذا طراز الله لاح بطرته
لما بدا في الورد منه بنفسج * في الخد أطرق رأسه من خجلته

ولما بلغ عبد الملك أن الحجاج لا يراعي الشعراء نقم ذلك عليه وكتب اليه بسم الله الرحمن الرحيم من عبد الله عبد الملك الى الحجاج بن يوسف أما بعد فقد بلغني عنك أمر كذب فراستي فيك وأخلف ظني بك من اعراضك عن الشعر والشعراء فكأنك لا تعرف فضيلة الشعر والشعراء ومواقع سهامهم أوما علمت يا أخا ثقيف أن بقاء الشعر بقاء الذكر وغناء الفخر وأن الشعر طراز وحلى الدولة وعنوان النعم وتمام المجدود لائل

الكرم وانهم يحضون على الافعال الجميله وينهون عن الاخلاق الذميمة وانهم سنوا سبل المكارم لطلابها ودلوا العفاة على أبوابها وان الاحسان اليهم كرم والاعراض عنهم لؤم وندم فاستدرك فرط تفريطك وامح بصوابك وحق أغاليطك والسلام وبهذا علمت وقع الشعر عند الملوك وانه سبيل الى المكارم مسلوك وان الشعراء قافلة تحمل الذكر الجميل وان بضائعهم نافقة عند الكرام كاسدة عند اللئام [والسلطان سوق تجلب لها الرغائب وتجبى لها محامد تملأ بها الحقائب ولابي اسحق الغزي من قصيدة

يجود فضيلة الشعراء غنى * وتفخيم المديح من الرشاد
محت بانت سعاد ذنوب كعب * وأعلت كعبه في كل ناد
وما افتقر النبي الى قصيد * مشببة ببين من سعاد
ولكن سن اسداء الايادي * وكان الى المكارم خير هاد

هذا تمام ريحانة الالباء المشتملة على أحاسن الادباء وصلى الله على سيدنا محمد وعلى آله والاصحاب الطيبين الطاهرين الانجاب ماهبت نسمة وهنانه وفاح شذا ريحانه آمين

حمدا لمن نشر أرج الرياحين الادبية في رياض المعارف وتوج المتحلي بها بكل تليد السعادة الابدية وطارف وشكرا لمن غردت ألباب الفصحاء على أغصان الاكوان بمحامده التي لا تحصى [وخص اللغة العربية بالآلاء والمحامد التي لا تستقصى وصلاة وسلاما على خلاصة أشرف العرب المحفوف بالنعم الربانية ومحاسن الادب (وبعد) فقد تم وراق طبع هذا الكتاب المسمى بريحانة الالبا وجمع من الرقائق كل معنى مستطاب فجاء بحمد الله على منوال تسر الناظرين رؤية جماله وتبتهج النفوس بالترقي على درجات كماله وبهاء جلاله وذلك بالمطبعة العامرة العثمانية التي محل ادارتها بمصر حارة الفراخة بخط باب الشعريه ادارة مديرها ومنشيها من علي بهمته كل مقام فائق حضرة الشيخ عثمان عبد الرازق كان الله معه وبلغه في الدارين ما أمله وذلك في أواسط شهر صفر الخير سنة ١٣٠٦ هجريه على صاحبها أفضل صلاة وأزكى تحيه آمين

﴿فهرست ريحانة الالبا﴾

صحيفة

صحيفة

صحيفة

صحيفة

صحيفة

صحيفه

الاستاذ

صحيفة

(تمت الفهرست)